تاريخ دول الاسلام

تأليف

رزق الله منقريوس الصدفي

سكرتير شركة الخواجات تجسنوكلي بني و بشرى حنا المقاولين بالمنيا

الجزء الثاني

قد ورد في الاثر، عن سيد البشر،
من ورخ مؤمنا فكأنما احياه (كشف الظنون)

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م

اصلاح خطاء

ارجو حضرات القراء تصحيح الاغلاط الآتية في مواضعها قبل مطالعة الكتاب

صحيفة	سطر	كلمه	خطاء	صواب	صحيفة	سطر	كلمه	خطاء	صواب
٢٠	١٧	١٠	ثم دعوة	ثم نبذوا دعوة	١٦٧	١٦	١١	بحفظ	بحفظه
٢٣	٣	١٢	كاد	كان	١٧٠	١٨	٨	الهياسي	البياسي
٢٤	١٤	١٤	لانهما	لانها	١٨١	٥	١٣	وازنكي	زنكي
٢٧	١١	٨	انقرضت	وانقرضت	١٩١	١٠	١١	ثار	سار
٣١	٥	١	جسفل	اجفل	٢٠٦	٢٣	١	ترمد	ترمذ
٣١	٦	١	فاالحسن	الحسن	٢١١	١٨	٤	٦٢٩ هـ	٦٢٨ هـ
٤٠	١٣	٨	١٠١٢م	١٠١٧ م	٢٣٢	٥	١٣	هياج عظيم	هياجاً عظيماً
٤٠	١٦	١	امره	فقوي امره	٢٧٠	٢	٦	قديسينا	قديسينا
٤٤	٨	٩	١٠٣٤م	١٠٤٢ م	٢٧٤	١٢	١	ليعجز	لعجز
٨٢	٢٢	١	بعال	عمال	٢٧٥	٤	٧	جقانا	جقاناي
١١٠	١	٢	سليمان بن شاه	سليمانشاه	٢٨٥	٢٠	٤	بغض	بعض
١١٧	٤	٣	ليخسرو	كيخسرو	٣٢٣	١٤	٤	السلطان عمال	عمال السلطان
١٢٠	١٥	٢	اتفق	واتفق	٣٢٦	٨	١١	ابي يحيي	ابا يحيي
١٣٤	١٢	٢	سقان	سقمان	٣٢٨	٦	٨	١٤٣٢ـ١٤٣٣م	١٤٣٣ـ١٤٣٤م
١٤٠	٢	٣	٤١٦ هـ	٥١٦ هـ	٣٣٤	٢٣	٥	بابذه	نابذه
١٥٢	٢٠	٦	ففتح	فتح	٣٢٩	٧	٨	اخية	اخيه
١٦٢	١١	٩	١١٣ م	١٢١٣ م	٣٤٩	١٧	٢	ابن سعيد	ابوسعيد

ويوجد بعض اغلاط اخري اغضينا النظر عن تصحيحها اعتماداً على فطنة القاريء الكريم

٢٢٩ – الدولة الغزنوية بافغانستان والهند

(تمهيد) هذه الدولة من الدول الاسلامية العظمى وكما ان اغلب الدول تفرعت من بعضها هكذا هذه الدولة تفرعت من الدولة السامانية التي مرّ ذكرها. وبيان ذلك ان سبكتكين رأس هذه الدولة كان من غلمان أبي اسحق بن البتكين صاحب جيش غزنة للسامانية. فلما توفي المذكور اجتمع اهل غزنة على تقديم سبكتكين عليهم فأحسن السياسة. ثم طرق الدولة السامانية الهرم الذي يطرق الدول فاستقل سبكتكين بأمارة غزنة وابتدأ بتوسيع هذه الامارة بشن الغارات المتوالية حتى تطاول اخيراً على غزو بلاد الهند وبلغت مملكته من العز والقوة شاواً بعيداً كما ستراه ان شاء الله

٢٣٠ ـ سبكتكين

من سنة ٣٦٦ - ٣٨٧ هـ او من سنة ٩٧٦ - ٩٩٧ م

لما قوي أمر سبكتكين وعلا صيته بين الناس قصده الامراء يستعينون به في الملمات التي تتنابهم فمن ذلك ان امير بست المدعو طغان كان غلب عليه شخص آخر يعرف بأبي ثور فالتجاء الى سبكتكين مستنجداً به على عدوه

وكان سبكتكين ذا مطامع بعيدة وامال عالية فانتهز هذه الفرصة وانجد طغان على عدوه واستخلص له مدينة بست من مغتصبها وردها الى طغان المذكور ولكن ليس على سبيل الاستقلال كما كان أولاً بل كعامل لسبكتكين عليها . وفي بست هذه اجتمع سبكتكين بأبي الفتح علي بن محمد البستي الشاعر المشهور واستكتبه

فلما رأى سبكتكين ان السعد خادمه والنصر رفيقه جمع جيوشه وغزا بلاد الهند وحارب جيبول أحد ملوكها واستولى على مدن وقلاع كثيرة من بلاده فلما رأى جيبول مادام بلاده وان حدودها صارت في قبضة عدو شديد حشد جيوشه واستكثر من الفيلة وسار حتى اتصل بحدود ولاية سبكتكين فلما علم سبكتكين بمجيئه جند الجنود ونادى بالغزو في اهل الكفر فاجتمع اليه خلق يجل عن الحصر فلما التقى الجمعان انتصر المسلمون انتصاراً باهراً وأسروا ملك الهند ففدى نفسه بالف الف درهم وخمسين فيلاً وأودع كثيرين من كبار قومه رهائن عند سبكتكين حتى يفي له بالمال

فأرسل سبكتكين معه من يحضر المال منه ولكنه غدر باصحاب سبكتكين في الطريق وقبض عليهم . فلما اتصل هذا الخبر بسبكتكين سار اليه في جموعه فكسره شر كسرة وغنم منه الغنائم الوفرة وملك بلاد بيشاور ولنغام وهي في الشمال الغربي من بلاد الهند

وفي سنة ٣٨٤ هـ اتفق أبو علي وفايق على خلع طاعة الامير نوح الساماني

فخلعا طاعته وكان الامير نوح قد ضعف أمره لهجوم الترك على بلاده فالتزم ان يرسل الى سبكتكين يستنجده عليها . فلما وصل كتاب الامير نوح (الملقب بالمنصور) الى سبكتكين أسرع باجابة طلبه علماً منه ان هذا يزيد في سطوته في البلاد الاسلامية ولكي يبث دعوته فيها ايضاً . فانتهز هذه الفرصة وسارهو وابنه محمود الى خراسان وأزالا عنها أبا علي وفايقاً . فانعم الامير نوح علي محمود بن سبكتكين بولاية خراسان و بلقب سيف الدولة وعلى ابيه سبكتكين بلقب ناصر الدولة . وعاد سبكتكين تاركا ابنه محموداً بمدينة نيسابور ولكنه لم يبتعد كثيراً حتى علم ان ابا علي وفايقاً رجعا الى خراسان وانهما اتحدا على قتال ابنه محمود وهزماه وهو في قلة من عسكره فعاد مسرعاً الى خراسان واتحد مع ابنه وأزالا أبا علي وفايقاً عن خراسان واستتب الامر لمحمود فيها

وتوفي سبكتكين سنة ٣٨٧ ه وقد اتفقت الآراء على مدح أعماله . وكان موته بمدينة بلخ

٢٣١ — اسمعيل بن سبكتكين

من سنة ٣٨٧ — ٣٨٧ ه او من سنة ٩٩٧ — ٩٩٧ م

لما توفي سبكتكين قام بالامر بعده ابنه اسمعيل بعهد منه مع انه اصغر من اخيه محمود فعز ذلك على محمود وأرسل الى اخيه اسمعيل يعزيه في ابيه ويطلب منه ان يتنازل له عن الملك لانه اكبر منه سنا واحق منه بذلك شرعاً وبين له انه قادر على غزوه واغتصاب الملك منه اذا شاء . فلم يجبه اسمعيل بشيء . فسار محمود من نيسابور الى هرات عازماً على قصد اخيه . وكان اسمعيل في ذلك الوقت ببلخ فاسرع الى غزنة لما بلغه خبر قدوم محمود اليه وكان قصد محمود ان يسبقه اليها ليدخلها بلا منازع ولكن اتفق انهم التقوا بجموعهم بظاهر غزنة فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم اسمعيل وصعد الى قلعة غزنة واعتصم بها فحصره محمود واستنزله على الامان

فلما نزل اليه اكرمهُ وأحسن اليه . واستولى محمود على ملك ابيه . وكان ملك اسمعيل سبعة اشهر فقط

٢٣٢ — محمود بن سبكتكين

من سنة ٣٨٧ — ٤٢١ هـ او من سنة ٩٩٧ — ١٠٣٠ م

لاخلاف ان محمود بن سبكتكين هذا اعظم ملوك الدولة الغزنوية وله من الاعمال والمآثر ما يملاء المجلدات نأتي على ذكر المشهور منها فقط

كان محمود والياً على خراسان في ايام ابيه فلما توفي أبوه وسار من نيسابور للاستيلاء على الملك عقد الامير منصور بن نوح الساماني (لان نوحاً كان قد توفي سنة ٣٨٧ هـ) على ولاية خراسان لشخص يقال له بكتوزون فارسل اليه محمود يعاتبه ويذكره بنجدته له ولكن بلا فائدة فعزم على فتح خراسان بالقوة

وفي هذه الاثناء قام الامير عبد الملك بن نوح وقبض على اخيه منصور واستولى على الملك واستوزر فايقاً فسار محمود الى خراسان . وعلم بكتوزون بمسيره اليه فاستمد الامير عبد الملك وفايقاً فأمداه وساروا في الجيوش والتقت جموعهم بعساكر محمود بمرو آخر جمادى الاولى سنة ٣٨٩ هـ واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم بكتوزون وفايق والامير عبد الملك ولحق كل منهم بجهة التجاء اليها واستولى محمود على مرو وجميع خراسان واقام بنيسابور اياماً ثم عاد الى هرات بعد ان استخلف على نيسابور أرسلان الحاجب من اكابر قواده . ولما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد اليها وملكها واتصل الخبر بمحمود فأسرع وأزاله عنها ومحا منها الدعوة السامانية وخطب فيها للخليفة القادر بالله العباسي واستتب له الامر فيها ثم وجه التفاته الى بلاد الهند اتماماً لمقاصد ابيه

وفي سنة ٣٩٠ هـ سار السلطان محمود قاصداً بلاد الهند ومر في طريقه على بلاد سجستان التي كان غلب عليها خلف بن احمد بعد موت سبكتكين فأزاحه

عنها وملكها منه واستمر في سيره الى بلاد الهند وكان جيبول قد استعد للقائه استعداداً تاما فالتقيا عند مدينة برشور فانهزم جيبول ملك الهند ووقع هو وكثيرون من أمراء بلاده أسرى في يدي السلطان محمود . وغنم المسلمون في هذه الوقعة غنائم لا تحصى . ثم أطلق السلطان محمود الملك جيبول من أسره وقرر عليه مالاً يدفعه سنوياً ولكنه فضل الموت على حياة الذل فأحرق نفسه . وكانت هذه الوقعة سنة ٣٩٢ هـ . وعاد السلطان محمود غانماً ظافراً

وفي سنة ٣٩٥ هـ عاود السلطان محمود الغزو في بلاد الهند فغزا مدينة بهاطية وحاصرها طويلاً ولكن حب الجهاد في قلوب المسلمين سهل عليهم صعوبة امتلاك هذه المدينة لانها مع حصانتها وعظم الخندق المحفور حولها لوقايتها من مهاجمة العدو لم تقوَ على صد هجماتهم لانهم هاجموها بقلوب لا تهاب الردى وملكوها فهرب ملكها واستولى المسلمون عليها وغنموا منها غنائم . ثم عاد السلطان محمود الى غزنة . وكان كره الكفر عند السلطان محمود عظيماً . وحب الجهاد في الكفار أعظم وحبه في نشر الاسلام جعله لا يهدأ بلا غزو فانه لم يرتح من قتال الهنود في سنة ٣٩٥ هـ حتى بلغه في اوائل سنة ٣٩٦ هـ انتشار سطوة أبي الفتوح صاحب ملتان الهندية وكرهه الاسلام فعزم على غزوه فسار اليه مجدًا ولكنه لما وصل الى حدود الهند وجد ان الانهار غزيرة المياه لا تخاض فطلب من أنوند بال بن جيبول ملك الهند ان يأذن له في العبور في بلاده الى ملتان فلم يجبه الى ذلك . فاستحسن السلطان محمود ان يقاتل أنوندبال اولاً فتقدم اليه وقاتله وهزمه وما زال يطارده من قلعة الي قلعة ومن مدينة الى مدينة حتى مدينة قشمير

واتصل بأبي الفتوح خبر تقدم السلطان محمود اليه فجمع أمواله وسار عن ملتان الى سرنديب فقصدها السلطان وامتنع اهلها عليه فحار بهم وافتتحها عنوة واغرمهم عشرين الف الف درهم عقوبة لهم على عصيانهم ثم سار الى كوكير واسم صاحبها بيدا وكان بها ٦٠٠ صنم فافتتحها وأحرق اصنامها واعتصم صاحبها بقلعة له فحاصره السلطان بها ٤٣ يوماً ثم بلغه ان ايلك خان سلطان الترك تقدم على بلاده

فصالح ملك الهند وأجل ما كان ينويه في الهند الى ما بعد ان ينتهي من ايلك خان .

كان بين السلطان محمود وبين السلطان ايلك خان ملك الترك منافسة بخصوص خراسان ثم استقر الحال بينهما وانتهي الامر بالصلح والصهر ولكن لم يزل سعاة السوء يغرون ما بينهما حتى فسد الحال بينهما فلما سار السلطان محمود الى ملتان اغتنم ايلك خان الفرصة وأرسل عساكره فاستولت على بلخ . وكان ارسلان الحاجب عامل السلطان محمود بهرات وأمره اذا دهمه ما يخشاه ان يسرع الى غزنة ففعل وتقدمت عساكر ايلك خان الى هرات واستولت عليها بلا قتال واقام جعفر تكين أخو السلطان ايلك خان بها وأرسل الحسين بن نصر الى نيسابور فملكها . واتصل الخبر بالسلطان محمود وهو محاصر بيدا بحصنه كما ذكرنا فاسرع بعقد الصلح معه وعاد الى بلاده لرد هذا العدو عنها . فتقدم الى بلخ فهرب عنها جعفر تكين أخو السلطان ايلك خان . وأرسل محمود جيشاً بقيادة ارسلان الحاجب يبلغ عدده ١٠ الاف مقاتل الى هرات فلكها واخرج عساكر الترك منها . وما زال السلطان محمود يقاتل الترك على خراسان حتى اجلاهم عنها وسير وراءهم جيشاً بقيادة اخيه نصر بن سبكتكين فتبعهم الى ساحل جيحون فقطع دابرهم

ولما علم ايلك خان بانهزام جيوشه امام السلطان محمود صعب عليه الامر جداً واستنجد قدر خان ملك الختل ودهاقين ما وراء النهر فامدوه كل منهم بما قدر عليه حتى اجتمع لديه ٥٠ الف مقاتل فتقدم بهم نحو طخارستان وقصد بلخ واستعد السلطان محمود لملاقاته ورتب جيشه هكذا — في القلب نصر بن سبكتكين — الميمنة ابو نصر بن احمد وابو عبدالله بن ابراهيم الطائي — والميسرة ارسلان الحاجب وحصن مقدمته بخمسين من الفيلة . ورتب ايلك خان جيوشه هكذا — السلطان ايلك خان نفسه في القلب . الميمنه قدر خان ملك الختل — الميسرة اخوه جعفر تكين . والتقى الجيشان بظاهر بلخ ودارت بينهما رحى الحرب واثبتت الفريقان وطال المدى عليهما ولم تظهر النتيجة حتى هجم اخيراً السلطان محمود

بالقبلة على قلب جيوش ايلك خان فهزمه فظهرت حينئذ الضوضاء والارتباك في صفوف الترك ثم ولوا الادبار وجيوش السلطان محمود تتعقبهم وتعمل فيهم قتلاً وسبياً الى أن عبروا النهر وتم الظفر للسلطان محمود واكثر الشعراء من مدحه وتهنئته بهذا النصر المبين. ثم أعاد السلطان محمود نظره نحو بلاد الهند فسار اليها للايقاع بنواسه شاه (احد اولاد ملوك الهند كان اسلم على يده فاستخلفه على بعض المعاقل التي افتتحها ثم ارتد ونبذ الاسلام) فلما اتصل بنواسه شاه قدومه هرب واستولى السلطان محمود على معاقله بلا عناء. ثم عاد الى غزنة ظافراً. وفي سنة ٣٩٨ﻫ سار السلطان محمود غازياً الى الهند فلما وصل الى نهر الهند وجد برهما بال بن انوندبال ملك الهند مستعداً لقتاله في جموع الهنود فاقتتلوا شديداً وكاد يظفر الهنود بالمسلمين ولكن حسن صبر المسلمين جعلهم ينتصرون فانهزم برهما بال ولحق ببهيم نغر (مدينة مقدسة للهنود) فتعقبهم السلطان محمود وحاصرهم وافتتحها وغنم منهم جواهر واواني ذهباً وفضة من بيوت اصنامها شيئاً لا يقدر وعاد غانماً ظافراً

وفي سنة ٤٠١ ﻫ استولى السلطان محمود على بلاد الغور. وفي سنة ٤٠٢ ﻫ استولى على قصران. وفي سنة ٤٠٤ ﻫ استولى على ناردين من بلاد الهند

وفي سنة ٤٠٥ ﻫ سار لغزو تانيشر من بلاد الهند فلقي مشقة في طريقه واخيراً انتهى مقابلها على شاطئ نهر غزير المياه لا يخاض وملك تانيشر على شاطيه الآخر متربصاً ليمنع عبور المسلمين اليه فأمر السلطان محمود بعض شجعانه أن يعبروا و يشغلوا جيش الهند حتى يتمكن باقي العسكر من العبور ففعلو وعبر المسلمون وقاتلوا الهنود وهزموهم وغنموا منهم شيئاً كثيراً ثم عادوا ظافرين

وفي سنة ٤٠٧ ﻫ سار السلطان محمود الى خوارزم واستولى عليها والسبب في ذلك ان ابا العباس كان قد ملك خوارزم والجرجانية وصاهر السلطان محموداً باخته وكان السلطان محمود قد كتب اليه يامره أن يخطب له على منابره. فجمع أبو العباس كبراء دولته وامرهم بذلك فامتنعوا وهددوه بالقتل ان فعل ثم قتلوه واقاموا

احد اولاده مكانه فسار السلطان محمود اليهم وقاتلهم واستولى على خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش ولما انتهى السلطان من خوارزم وصارت جزءاً من مملكته زحف على قشمير فاخضعها واعتنق كثيرون من اهلها الاسلام . وفي السنة التالية عاد وقصد مدينة قنوج ففتحها واستولى على كل ما فيها وظل يتنقل في بلاد الهند ويخضع ممالكها واماراتها حتى امتلك سبعة عشر اقليماً من الهند .

وفي سنة ٤١٦ هـ وجه السلطان محمود همه الى فتح سومنات وهي مدينة مقدسة عند الهنود اشتهر اهلها بالعكف على اصنامهم من دون الله ومركزها الى شمالي مدينة دهلي تبعد عنها نحو سبعين ميلاً فاخضعها هذا الفاتح العظيم ولم يجسر احد من ملوك الهند على التعرض له اما كيفية فتحها فهو أنه نمي الى السلطان محمود ان في المدينة المذكورة صنماً عظيماً وثروة هائلة فقصد المدينة ليفتحها واحاط بها فرأى من غناها وقوة اهلها شيئاً كثيراً . وكان الهنود يظنون ان الههم يسحق قوات المسلمين بلا عناء فلما صار المسلمون على الابواب واوشكوا أن يملكوا المدينة هاج الهنود وحاربوا محاربة الذي لا يطمع في الحياة وكانوا يعتقدون ان الصنم الكبير غاضب عليهم وتنحى عن مساعدتهم فارادوا أن يموتوا تحت شفرات سيوف المسلمين كفارة عن ذنوبهم التي اوجبت غضب صنمهم عليهم فافادهم هذا الاعتقاد لانهم ردوا هجمات المسلمين مراراً حتى رأى السلطان محمود أن العود بالسلامة والاكتفاء بالغنائم السابقة اسلم عاقبة من محاصرة هذه المدينة فامر عساكره بالرجوع وطرب الهنود لهذه النتيجة فاقبلوا على صنمهم يشكرونه لغفرانه لهم بزعمهم . وكان أهل سومنات قد بعثوا الى جيرانهم يطلبون المدد فبينما كان جيش غزنة راجعاً عنها التقى بالمدد قادماً وكان جيشاً جراراً . فاستعد محمود للقتال وصلى الى ربه يطلب النصر على الكفار ثم اعتلى صهوة جواده وانتضى سيفه وكر به على الاعداء كمن يريد الموت واقتدى عساكره به فهجموا هجوماً عنيفاً على الاعداء ونكلوا بهم من كل جانب وفرقوهم شذر مذر وانتصروا انتصاراً باهراً ثم عزموا على الرجوع الى المدينة لفتحها ونهب ما فيها فاعادوا الكرة على

القوم بهمة زعزعت اركان تلك المدينة العظيمة فهرب اهلها ودخلها المسلمون فغنموا يومئذ اوفر غنيمة وجمعوا من نفيس التحف والمال والذهب شيئاً لاحد له ولا عد. ثم تقدم السلطان محمود الى الصنم الكبير لتحطيمه والمناداة بالاسلام فتقدم اليه اعيان البلدة وكهنتها وقدموا له مبلغاً طائلاً من المال ليترك لهم صنمهم على حاله فطمع اصحاب محمود بالمال ورجوه ان يقبل طلبهم و يوزع المال على الذين جاهدوا معه فاطرق السلطان في الارض ملياً ثم صرح بالاباء وقال:

— انه جاء المدينة ليكسر صنمها لا ليبيعه الى اهلها وقال هذه الجملة بالفارسية (محمود بت شكن است نه بت فروش) وجرد سيفه فضرب به ذلك التمثال العظيم وامر من معه من الجنود ان يحطموه ففعلوا . وبينما هم يكسرونه عثروا في جوفه على جواهر ولآلئ واموال كثيرة جداً تزيد عن المبلغ الذي عرضه عليه الكهنة زيادة هائلة ففهم السلطان محمود حينئذ غايتهم من ابتياعه . وبعد ان جمع كل التحف أمر الهنود بالحضور عنده فحضروا لديه وفرض عليهم ذلك المال الذي عرضوه عليه فجاؤا به على سبيل الغرامة . وكان الذي جمعه المسلمون من مدينة سومنات هذه اعظم مما نالوه من كل غزواتهم السابقة

وكأن السلطان محموداً شبع من الغزو والفتح وصار ملكه ضخماً واسعاً وكبرت ثروته الى حد انه لم يسمع عن مثلها عند غيره من ملوك تلك الايام فاراد ان يتمتع بلذة النصر والثروة وعزم على السكون حيناً من الدهر وهو اول من سمى نفسه سلطاناً ولقب بيمين الدولة . فاستراح في غزنة عاصمة ملكه وكرسي عزه واهتم ببناء القصور والجوامع فشاد صروحاً فخيمة وزين مدينة غزنة باجمل البنايات وانفق عليها الاموال الوافرة التي غنمها في غزواته الكثيرة وكان امراء غزنة اصحاب السلطان محمود وقواده قد جمعوا شيئاً كثيراً من الذهب والجواهر ايضاً فاقتدوا بسلطانهم و بنوا القصور حتى اصبحت مدينة غزنة من اشهر مدن الشرق في تلك الايام وطار صيتها وصيت سلطانها في الآفاق . وكان اجمل ما في المدينة الجامع العظيم الذي بناه السلطان محمود وانفق عليه الاموال بغير حساب وجعل في عتبته

بعضا من حجارة صنم سومنات العظيم

وفي ايام هذا السلطان العظيم عاش الفردوسي الشاعر الفارسي الشهير صاحب الشاهنامة البادذة الفرس وقد نظمها بايعاز السلطان محمود

وللسلطان محمود غزوات وفتوحات ومآثر كثيرة غير ماذكرنا يطول شرحها فاكتفينا بما تقدم . وفي سنة ٤٢١ هـ توفي السلطان محمود وقد اكثر المؤرخون من ذكره وتعداد مناقبه واوصله البعض بمدائحهم الى اعلى الدرجات وهو بلاشك من اعظم سلاطين الغزنويين واكبر ملوك الشرق

٢٣٣ - السلطان محمد بن محمود

من سنة ٤٢١ — ٤٢٢ هـ او سنة ١٠٣٠ م

كان للسلطان محمود ابنان اكبرهما مسعود ولاه والده على العراق وما يليه في مدة حياته وحرمه الملك فاوصى به من بعده الى ابنه الثاني محمد

فلما توفي السلطان محمود كان ابنه محمد ببلخ فارسل اليه ارباب الدولة واخبروه بوفاة ابيه والوصاية له بالملك فاسرع الى غزنة واستولى على الملك وخطب له في كل مملكة ابيه . ولما اتصل هذا الخبر بمسعود بن محمود وهو باصفهان زحف بجيش كثيف الى مدينة غزنة وقبل ان يصلها ارسل الى اخيه محمد يطلب منه تسليم الملك اليه و يعرض عليه شروطاً توافق الاثنين فلم يقبلها محمد . وانتشبت الحرب بين الاثنين ففاز فيها مسعود واسر محمداً وسجنه في مدينة غزنة بعد ان سمله واستولى على الملك

٢٣٤ - السلطان مسعود بن محمود

من سنة ٤٢٢ — ٤٣٢ هـ او من سنة ١٠٣٠ - ١٠٤٠ م

واستتب الامر للسلطان مسعود وكان شجاعاً كابيه الا ان الايام لم تخدمه كما خدمت اباه والسعد لم يكن رفيقه في كثير من الاحيان

وكان السلطان محمود قد استولى على اصفهان من يد علاء الدولة بن كاكويه واقطعها ابنه مسعوداً ولحق علاء الدولة بأبي كاليجار يستنجده ولكن هذا كان احوج منه لمن ينجده فاقام عنده الى ان توفي السلطان محمود ثم عزم على العود الى اصفهان واستخلاصها من يد السلطان مسعود فحارب عامله لكنه انهزم ولم يتيسر له ما تمناه فلحق بقلعة فردجان على بعد ١٥ فرسخاً من همذان فاقام بها الى ان برأ من جراح اصابته ثم استنجد فرهاذ بن مرداويج واعاد الكرة على اصفهان فانهزم هزمة أشنع من الاولى

وفي سنة ٤٢٣ هجرية سار السلطان مسعود من غزنة الى خراسان لتمهيد امورها فلما وصلها وكان قد استخلف على بلاد الهند وما جاورها احد قواده المدعو احمد نيال فعظمت سطوته وسولت له نفسه الاستيلاء على ملك الهند فانتقض سنة ٤٢٤ هـ ومنع حمل المال المفروض عليه . فسار السلطان مسعود الى الهند فلما وصلها اظهر احمد نيال الطاعة والخضوع له فعاد السلطان الى خراسان . فلما ابعد عن بلاد الهند عاد احمد نيال الى العصيان واتبعه جمع كثير فارسل اليه السلطان مسعود سنة ٤٢٦ هـ جيشاً كثيفاً لقتاله فهزمه وطارده من مدينة الى مدينة حتى ضعفت نفوس اصحابه وتركوا احمد فقتل نفسه

وفي هذه الاثناء اخذت الدولة السلجوقية في الظهور فتقدم طغرل بك ملكها الى خراسان وانتزعها من يد الغزنوية فلما علم السلطان مسعود بذلك سار الى خراسان وقاتل طغرل بك وازاحه عنها . ولكن السلجوقية كانت في بداية امرها مثل جميع الدول العظيمة التي لا ترضى بالهزيمة والعار فجمع طغرل بك جيشاً كثيفاً واعاد الكرة على خراسان فاستولى عليها نهائياً سنة ٤٣١ هـ ونجا السلطان مسعود الى غزنة . وتقدم طغرل بك الى نيسابور فملكها وارسل اخاه داود الى بلخ فحاصرها فارسل السلطان مسعود ابنه مدغود اليها لمدافعة السلجوقية عنها وذلك في ربيع سنة ٤٣٢ هـ . واقام هو بعد مسير ابنه سبعة ايام ثم خرج من غزنة قاصداً بلاد الهند ليشتي بها على عادة ابيه وليجمع جيشاً من الهنود لقتال السلجوقية واستصحب اخاه محمداً المسمول معه . وكان اهل الدولة قد ضجروا منه فتشاوروا في خلعه وولاية اخيه محمد واجمعوا على ذلك فقاموا عليه وخلعوه وبايعوا اخاه محمداً المسمول ثم داروا بعضهم على بعض ينهبون ما اجتمع لديهم من التحف حتى غني قوم منهم وافتقر آخرون وعمت الفوضى وخربت البلاد

وكان السلطان مسعود غزير الفضل محباً للعلم والعلماء محسناً اليهم كثير الصلات والعطاء

٢٣٥ — السلطان محمد بن محمود ثانية

من سنة ٤٣٢ — ٤٣٣ ﻫ او من سنة ١٠٤٠ — ١٠٤١ م

ولما خلع القواد السلطان مسعوداً نادوا بمحمد ملكاً عليهم وجاءوا اليه في محبسه وهو لايبصر واعلموه بالحكاية ففرح بالخلاص ولم ينو قتل اخيه لكنه اكتفى بسجنه واظهر له بعض الاكرام . على ان احد اولاد محمد قتل مسعوداً وهو في السجن بدون علم أخيه فحزن محمد عليه حزناً مفرطاً وبعث الى ابن اخيه يعزيه على فقد والده ويتبرأ من اثم قتله . وكان ابن اخيه قد اجلى السلجوقيـة عن بلخ واستولى عليها واقام بها فلم يصدق رواية عمه وزحف عليه فحاربه وانتصر في الحرب واسر عمه وامر بقتله وقتل كل اولاده الا واحداً منهم يدعى عبد الرحمن لرفقه بابيه في سجنه واستولى على الملك

٢٣٦ — مودود بن مسعود

من سنة ٤٣٣ — ٤٤١ ﻫ او من سنة ١٠٤١ — ١٠٤٩ م

واستتب الامر لمودود الا انه خاف سطوة أخ له يدعى مجدود كان سيره ابوه سنة ٤٢٦ ﻫ الى الهند فاقام بها الى ان توفي ابوه فلما بلغه خبر وفاته بايع لنفسه وخالف على اخيـه مودود وجهز الجيوش بمدينة ملتان لغزو اخيه ولكن اتته منيته قبل اتمام مقاصده فاستراح مودود من عناء قتاله . وكانت خوارزم من ممالك محمود بن سبكتكين وابنه مسعود من بعده وكان عليها التونتاش حاجب محمود ومن اكابر قواده ووليها لهما معاً ولما شغل مسعود بفتنة اخيه محمد عند موت ابيهما اغار علي تكين صاحب بخارا من اطراف البلاد فلما فرغ مسعود من امر اخيه واستقل بالملك بعث الى التونتاش بالمسير الى اعمال علي وانتزاع بخارا وسمرقند منه وامده بالعساكر فعبر جيحون سنة ٤٢٤ ﻫ واستولى على كثير من بلاد تكين وهرب هذا من بين يديه ثم دعت التونتاش الحاجة

الى الاموال للعساكر ولم يكن في جبايته تلك البلاد فاستأذن في العود الى خوارزم وعاد وفي اثناء عودته كبسه علي تكين على غرة منه ولكنه تمكن من هزمه وتشتيت جيشه ثم عاد الى خوارزم ومات من جراح اصابته في هذه الواقعة الاخيرة وترك من الولد ثلاثة وهم هارون ورشيد واسماعيل وضبط وزيره احمد بن عبد الصمد البلد والخزائن الى ان جاء هرون من عند السطان بعهده على خوارزم . ثم توفي الميمندي وزير السلطان مسعود وبعث على ابي نصر لوزارته واستناب ابو نصر عند هرون بخوارزم ابنه عبد الجبار ثم استوحش من هرون وسخطه ثم اظهر هرون العصيان سنة ٤٢٥ ه واختفى عبد الجبار خوفاً من غائلته وسعى حتى تمكن من قتله وكتب الى السلطان مسعود بذلك فاثره علي خوارزم ولكن اصحاب التونتاش قاموا على عبد الجبار وقتلوه وولوا على انفسهم اسماعيل بن التونتاش فضبط البلد وقام بامره شكر خادم ابيه . فلما اتصل الخبر بالسلطان مسعود كتب الى شاه ملك بن علي احد اصحاب الاطراف بنواحي خوارزم بقصد خوارزم وقتال اسماعيل واخذها منه . فسار اليها وقاتله عليها اسماعيل وشكر لكنه هزمها واستولى على خوارزم فالتجأ اسماعيل وشكر الى طغرل بك وداود السلجوقيين وطلبا المعونة منها . فسار داود معهما الى خوارزم فانتصر شاه ملك عليهم واعادهم على الاعقاب فولاه السلطان مسعود خوارزم فاقام بها مقيماً الدعوة الغزنوية . فلما جرى على مسعود من القتل ماجرى وملك مدعود دخل شاه ملك في طاعته وصافاه . وانتهز طغرل بك السلجوقي الفرصة بضعف الدولة الغزنوية بتوالي الفتن وسار سنة ٤٣٤ ه الى خوارزم واستولى عليها وهرب شاه ملك بين يديه . ثم استولى السلجوقيون على جميع بلاد خراسان وجرجان وطبرستان وهمذان والري والجبل فانزعج مدعود بن مسعود لضياع البلاد منه وارسل سنة ٤٣٥ ه جيشاً الى خراسان فارسل اليهم داود السلجوقي ابنه الب ارسلان في العساكر فاقتتلوا وانتصر الب ارسلان وعاد عسكر غزنة مهزوماً

ولما رأى الهنود ادبار الغزنوية اجتمع ثلاثة ملوك منهم وقر رأيهم على الاتحاد لاستخلاص البلاد التي افتتحها المسلمون واخراجهم منها . فجمع عامل مدعود في الهند جيوش المسلمين واستمد سلطانه فامده حتى اجتمع لديه جيش جرار سار بهم لمقابلة اولئك المتحدين فخاف احدهم وسحب عساكره واعلن طاعته لمدعود فالتزم الآخران على العود عن قصدهم ورحلا الى بلادهما فتعقبتهما جيوش المسلمين وهزموهما وغنموا منهما شيئاً

كثيرًا وعادوا ظافرين

وفي سنة ٤٤١ هـ توفي السلطان مدعود بن مسعود لعشر سنين من ملكه واراد ابنه ان يستولي على الملك بعد ابيه ولكن كان عمه عبد الرشيد بن محمود بن سبكتكين قد خرج من سجنه (لان مدعود كان قد سجنه) ودعا الجنود الى طاعته فبايعوه واستولى على الملك

٢٣٧ – عبد الرشيد بن محمود

من سنة ٤٤١ — ٤٤٤ هـ او من سنة ١٠٤٩ — ١٠٥٢ م

واستقر الامر لعبد الرشيد ولقب شمس دين الله سيف الدولة واستحجب طغرل حاجب مدعود وقربه اليه . وكان طغرل هذا شديدًا على السلجوقيين فلما استولوا على ايران صعب عليه الامر جدًا وحث عبد الرشيد على تجييش الجيوش واستخلاصها منهم . ولكن عبد الرشيد كان يرى انه مهما جند وجيش ومهما جمع وبذل فلا يستفيد شيئًا فاقعده فكره هذا عن اجابة طلب طغرل . فالح طغرل على عبد الرشيد بارسال الجنود فارسله هو في الف فارس فسار نحو سجستان وبها ابو الفضل نائبًا عن بيقو اخي طغرل بك السلجوقي فحاصر قلعة طاق اربعين يومًا ولم يتهيأ له فتحها . فكتب ابو الفضل الى بيقو يستمده لاجلاء الغزنوية عن بلاده فسار بنفسه اليه في جيش جرار ثم التقوا وتقاتلوا وكان طغرل يقاتل وليس له امل في الحياة فانتصر على السلجوقيين مع كثرتهم وقلة من معه وغنم منهم غنائم كثيرة

ولحق بيقو وابو الفضل بهرات فاتبعهم طغرل اليها وكتب الى عبد الرشيد يعلمه بما تم ويستمده فامده بما قدر عليه . فلما وصله المدد ورأى نفسه في قوة طمع في الملك وعزم على العود الى غزنة والاستيلاء عليها . فجد السير اليها فلما قربها كتب الى عبد الرشيد مخادعًا له يعلمه ان العسكر خالفوا عليه وطلبوا الزيادة في العطاء فشاور اصحابه في ذلك فكشفوا له وجه المكيدة وحذروه من طغرل فصعد الى قلعة غزنة وتحصن فيها وحاصر طغرل غزنة وهدد اهلها ان لم يسلموه عبد الرشيد فسلموه اليه فقتله واستولى على ملكهم وتزوج ابنة عبد الرشيد كرهًا . وكانت الدولة الغزنوية في ذلك الوقت انحصرت

في بلاد افغانستان والهند وضاع منها ما سوى ذلك وكانت الهند اعظم ايالاتها فكان عاملها عظيماً ويخاف منه في كثير من الاوقات

وكان العامل على الهند في ذلك الوقت خرخيز الحاجب . فرأى طغرل انه لا يستتب له امرٌ الا اذا استمال خرخيز هذا فكتب اليه يطلب طاعته ودعاه للاتحاد على السلجوقيين واستخلاص ما استولوا عليه . فاغتاظ خرخيز جداً لما حصل وحزن على عبد الرشيد حزناً مفرطاً واسرع الى غزنة وقتل طغرل المغتصب وكل من له يد في قتل عبد الرشيد . ثم اخرج فرخزاد بن مسعود من محبسه وبايعه بالملك . وكان قتل عبد الرشيد سنة ٤٤٤ هـ

٢٣٨ - فرخزاد بن مسعود

من سنة ٤٤٤ — ٤٥١ هـ او من سنة ١٠٥٢ — ١٠٥٩ م

وعلم داود السلجوقي بقتل عبد الرشيد وبالفتن التي امتد لهيبها في غزنة فاراد انتهاز الفرصة للاستيلاء عليها فسار اليها في جيش جرار فخرج اليه خرخيز الحاجب في العساكر وهزمه وعاد داود من حيث اتى . ثم جهز فرخزاد جيشاً عظيماً وسار قاصداً خراسان وقاتل السلجوقيين عليها وانتصر عليهم واسر عاملهم هناك وكثيرين من امرائهم فانزعج السلجوقيون لهذا النبأ

وجمع داود العساكر وسار الى خراسان وقاتل فرخزاد وهزمه واسر من امرائه جماعة ثم استقر الامر بينهما واطلق كل منهما امراه وعاد الى بلاده

وفي سنة ٤٥٠ هـ ثار على فرخزاد مماليكه واتفقوا على قتله فقصدوه وهو في الحمام وكان معه سيف فاخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى ادركه اصحابه وخلصوه منهم . وبعد ان نجا من هذا الحادث صغرت نفسه وكان كثيراً ما يذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدري بها . وبقي كذلك الى ان اصابه القولنج في صفر سنة ٤٥١ هـ فمات منه

٢٣٩ - ابراهيم بن مسعود

من سنة ٤٥١ — ٤٩٢ هـ او من سنة ١٠٥٩ — ١٠٩٨ م

لما توفي فرخزاد بن مسعود تولى بعده اخوه ابراهيم بن مسعود فاحسن السيرة وغزا الهند مرارًا وفتح فيها حصونًا امتنعت على ابيه . ومن اعظم اعمال هذا السلطان اتحاده الودي مع جغري بك داود السلجوقي لانه لما رأى الخراب الذي ينتج من الحروب من قتل رجال وخسارة مال واتلاف مزارع وغير ذلك عمد الى مصالحة السلجوقيين فصالح ملكهم داود على ان يكون كل واحد منهما على ما بيده و يترك منازعة الآخر في ملكه فوقع الاتفاق على ذلك وكتبت الشروط بينهما فاستبشر الناس به

وساد الامن في ايام هذا السلطان واستتبت السكينة في البلاد فحسنت التجارة والزراعة وارتقت العلوم والمعارف

وفي سنة ٤٩٢ هـ توفي السلطان ابراهيم بن مسعود بعد ان ملك اربعين سنة وبضعة اشهر

٢٤٠ ـ مسعود بن ابراهيم

من سنة ٤٩٢ — ٥٠٨ هـ او من سنة ١٠٩٨ — ١١١٤ م

ولما توفي السلطان ابراهيم بن مسعود تولى بعده ابنه مسعود واتبع خطة ابيه ولم يحد عنها فعاش سعيدًا الى ان توفي سنة ٥٠٨ هـ

٢٤١ - ارسلان شاه بن مسعود

من سنة ٥٠٨ — ٥١٢ هـ او من سنة ١١١٤ — ١١١٨ م

ولما توفي السلطان مسعود تولى بعده ابنه ارسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وامه سلجوقية اخت السلطان الب ارسلان . فلما جلس

على سرير الملك قبض على اخوته وقتل بعضهم وسجن بعضهم بعد سملهم · وهرب أخ له اسمه بهرام شاه والتجأ الى السلطان سنجر السلجوقي صاحب خراسان فامده بجيش عظيم بقيادة الامير انز قائد جيوشه · فسار الامير انز وبهرام شاه حتى وصلا الى بست وهناك التقيا بجيش كان قد ارسله ارسلان شاه لقتالهما لما بلغه خبر قدومهما فهزماه ونهباه وعاد من سلم الى غزنة في اسوإ حال فخاف حينئذ ارسلان شاه وارسل الى الامير انز يضمن له الاموال الكثيرة على ان يعود عنه و يحسن للملك سنجر العود عنه فلم يقبل · وتجهز الملك سنجر للمسير بنفسه مددًا للامير انز فلما وصل الى بست ارسل خادمًا من خواصه الى ارسلان شاه في رسالة فقبض عليه في بعض القلاع · فسار حينئذ الملك سنجر مجدًا · فلما سمع ارسلان شاه بقربه اطلق الرسول وخرج لقتال سنجر فالتقوا واقتتلوا قتالاً تشيب لهوله الاطفال · وانتصر اخيرًا الملك سنجر انتصارًا باهرًا ودخل مدينة غزنة في العشرين من شوال سنة ٥١٠ ﻫ واقام بهرام شاه ملكاً على كرسي اجداده بعد ان اشترط عليه ان تكون الخطبة بغزنة للخليفة العباسي وللسلطان محمد وللملك سنجر و بعدهم لبهرام شاه · ورجع الملك سنجر الى خراسان ظافرًا منصورًا وهو اول من دخل غزنة من السلجوقيين حتى ان ملك شاه السلجوقي مع تمكنه وعظمة ملكه لم يطمع في هذا الامر يومًا ما

واما ارسلان شاه فانه لما انهزم قصد هندستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته · فلما عاد الملك سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فسار بهرام شاه الى باميان وكتب من هناك الى الملك سنجر يستمده فارسل اليه جيشًا جرارًا · واقام ارسلان شاه بغزنة شهرًا واحدًا وسار يطلب اخاه بهرام شاه فبلغه وصول عساكر سنجر فانهزم بغير قتال لما اعتراه واصحابه من الخوف فلحق بجبال اوغنان فتعقبه اخوه بهرام شاه في عساكر سنجر وارسلوا الى اهلها يهددونهم فسلموه اليهم فاخذه قائد جيش الملك سنجر واراد ارساله الى سلطانه فبذل له فيه بهرام شاه مالاً فسلمه اليه فخنقه ودفنه في تربة ابيه في غزنة · وكان قتله في جمادى الاخرى سنة ٥١٢ ﻫ

٢٤٢ ــ بهرام شاه بن مسعود

من سنة ٥١٢ — ٥٤٧ هـ او من سنة ١١١٨ — ١١٥٢

ولما قتل بهرام شاه اخاه ارسلان شاه تولى بعده واستتب له الامر وما زال يخطب على منابره للسلجوقيين حتى رأى في نفسه القوة على مقاومتهم فقطع خطبتهم وعلم الملك سنجر بذلك فسار الى غزنة سنة ٥٢٩ هـ ولما قربها ارسل الى بهرام شاه يطلب حضوره اليه فخاف بهرام شاه منه وهرب عن غزنة فدخلها الملك سنجر ثم ارسل الى بهرام شاه يعتب عليه لعدم استقباله وحلف له انه لا يطمع في ملكه فعاد بهرام شاه الى غزنة واعتذر للملك سنجر عما حصل منه فاقره على ملكه وعاد عنه الى خراسان سنة ٥٣٠ هـ واستمر بهرام شاه ملكاً على غزنة بلا منازع حتى ظهرت الدولة الغورية وتقدم الحسين بن الحسين ملك الغور الى مدينة غزنة سنة ٥٤٧ هـ فملكها وهرب منها بهرام شاه واحسن الحسين الغوري السيرة في اهلها واستعمل عليها اخاه سيف الدين واجلسه على تخت المملكة وخطب فيها لنفسه ولاخيه سيف الدين بعده . ثم عاد الحسين الى بلد الغور بعد ان امر اخاه بالخلع والاحسان على اهل غزنة ففعل ولما جاء الشتاء ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه ملكهم القديم واستدعوه اليهم فسار نحوهم في عسكره فلما قارب البلد ثار اهله على سيف الدين فاخذوه بغير قتال وصلبوه . ودخل بهرام شاه غزنة ثانية لكنه لم تطل ايامه لانه توفي بعد ايام قلائل من هذه الحادثة وذلك سنة ٥٤٧ هـ

٢٤٣ ــ خسرو شاه بن بهرام شاه

من سنه ٥٤٧ — ٥٥٥ هـ او من سنة ١١٥٢ — ١١٦٠ م

لما توفي بهرام شاه تولى مكانه خسرو شاه ابنه لكنه لم يهنأ بالملك كثيراً لان الحسين بن الحسين الغوري بعد ان قتل اخوه بغزنة اقسم ان لا يعود عنها حتى ينتقم لاخيه فسار اليها سنة ٥٥٠ هـ فهرب عنها خسرو شاه الى مدينة لهاور واستولى الحسين على مدينة غزنة واستباحها ثلاثة ايام وقتل كل من له يد في قتل اخيه . وبعد ان

اخذ بثار اخيه عاد عنها الى بلاده فرجع اليها خسرو شاه واستولى عليها واقام بها الى ان توفي سنة ٥٥٥ هـ . وكان عادلاً حسن السيرة في رعيته محباً للخير واهله مقرباً للعلماء محسناً اليهم راجعاً الى قولهم

٢٤٤ – ملك شاه بن خسرو شاه (ويعرف بخسرو شاه الثاني)

من سنة ٥٥٥ — ٥٧٩ هـ او من سنة ١١٦٠ — ١١٨٣ م

لما توفي خسرو شاه تولى بعده ابنه ملك شاه ولقب بخسرو شاه الثاني وفي ايامه كان غياث الدين الغوري قد استفحل امره فجهز جيشاً وارسله بقيادة اخيه شهاب الدين الى غزنة فاستولى عليها وهرب خسرو شاه الى لهاور واقام بها . ولما استولى شهاب الدين على غزنة احسن السيرة في اهلها وافاض العدل وافتتح جبال الهند مما يليه ثم قصد لهاور وبها خسرو شاه سنة ٥٧٩ هـ في جيش كثيف وحاصرها ثم راسل خسرو شاه وبذل له الامان على نفسه واهله وماله ومن الاقطاع ما اراد وان يزوج ابنته بابن خسرو شاه على ان يطأ بساطه ويخطب لاخيه فامتنع عن اجابته

فشدد شهاب الدين الحصار على لهاور حتى ضعفت نفوس اهلها وخزلوا خسرو شاه وخرج قاضي البلد وخطيبها يطلبون الامان من شهاب الدين لانفسهم ولخسرو شاه فحلف لهم على ذلك وخرج خسرو شاه الى شهاب الدين واستولى هذا على لهاور ثم بعث بخسرو شاه واهله وولده مع جيش يحفظونه الى اخيه غياث الدين . فلما وصلوا الى بلد الغور قبض عليهم غياث الدين وحبسهم فكان آخر العهد بهم . وانقرضت دولة بني سبكتكين واستولى الغورية على اعمالها والبقاء لله وحده

٢٤٥ الدولة الصنهاجية بتونس

« تمهيد » رأس هذه الدولة بلكين بن زيري ويرفع نسبه الى حمير بن سبأ وكان في بداية امره قائداً من قواد المعز لدين الله الفاطمي . فلما استولى الفاطميون على مصر وارادوا نقل كرسي مملكتهم من المهدية الى القاهرة صرف المعز اهتمامه الى ما يخلف وراء ظهره من الممالك والعمالات ونظر في من يوليه امر افريقية والمغرب ممن له الاطلاع وبه الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة فوقع اختياره على بلكين ابن زيري بن مناد

٢٤٦ — بلكين بن زيري

من سنة ٣٧٠ — ٣٧٣ هـ او من سنة ٩٨٠ — ٩٨٣ م

وكان بلكين بن زيري في ذلك الوقت متوغلاً في المغرب يحارب زناتة . فبعث المعز اليه واحضره وولاه افريقية ما عدا جزيرة صقلية (سيسيليا) لانها كانت للكلبيين وطرابلس لانها كانت لعبد الله بن يخلف الكتامي . وسماه يوسف بدلاً من بلكين وكناه ابا الفتوح ولقبه سيف الدولة واوصاه بثلاث ان لا يرفع السيف عن البربر . ولا يرفع الجباية عن اهل البادية . ولا يولي احداً من اهل بيته . ثم ارتحل المعز الى القاهرة ٣٦٢ هـ بعد ان اطلق يد بلكين في افريقية يفعل ما يشاء

وكان اهل المغرب الاقصى يعرجون بين الشيعة والمروانية بالاندلس ثم دعوة الشيعة وخطبوا للمروانيين فسار بلكين بن زيري الى المغرب الاقصى وقاتل المرتدين ودخل فاساً واستولى عليها وعلى سجلماسة وارض الهبط وطرد منها عمال بني امية واعاد اليها الدعوة العبيدية

وكان القائم بامر الاندلس لذلك الوقت المنصور فصعب عليه انتصار بلكين على عماله وهربهم امامه فجند جنداً عظيماً واجازهم البحر الى مسيلة واتحد ملوك زناتة مع عساكر المنصور على قتال بلكين فاجتمعوا وضربوا مصاف القتال بظاهر سبتة

ووصل بلكين بن زيري تيطاوين وتسنم هضابها وقطع شعبها لنهج المسالك والطرق

لعسكره حتى اطل على معسكرهم بظاهر سبتة فرأى ما هاله واستيقن ظفرهم به ان قاتلهم فكر راجعاً على عقبه وتوفي سنة ٣٧٣ هـ بواركش بين سجلماسة وتلمسان منصرفاً من هذه الغارة الطويلة

٢٤٧ - المنصور بن بلكين

من سنة ٣٧٣ — ٣٨٦ هـ او من سنة ٩٨٣ — ٩٩٦ م

ولما توفي بلكين بعث مولاه ابو زغبل الى ابنه المنصور بذلك وكان والياً باشير فقام بامر صنهاجة من بعده واتاه تقليد العزيز بالله الفاطمي على افريقية والمغرب واتبع سنة ابيه . ولما توفي بلكين بن زيري استولى خزرون وزيري الزناتيان على سجلماسة وفاس فلما كانت سنة ٣٧٥ هـ ارسل المنصور جيشاً كثيفاً اليهما يردهما الى طاعته فلما قرب الجيش من فاس خرج اليهم زيري بن عطية الزناتي المغراوي المعروف بالقرطاس في عساكره فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عسكر المنصور وكر راجعاً

ثم قوي المنصور بن بلكين حتى خاف العزيز بالله الفاطمي بمصر جانبه واراد افساد الحال عليه فارسل داعياً الى كتامة يقال له ابو فهم واسمه حسن بن نصر ليجمعهم لقتال المنصور وعلم باتحاد كتامة مع ابي فهم ولكنه لم يعلم ان ذلك باغراء العزيز . فارسل الى العزيز يعلمه الخبر و يطلب منه التصريح بقتال كتامة قبل استفحال امرها فارسل اليه العزيز رسولين ينهاه عن قتالهم فعلم حينذاك حقيقة الحال وقبض على الرسولين وسجنهما واسرع لتجهيز العساكر وقاتل الكتاميين واثخن فيهم وقتل ابا الفهم وجعل عبيده ياكلون لحمه امام رسولي العزيز ثم اطلقهما فعادا الى مولاهما وقالا له ارسلتنا الى شياطين ياكلون لحم الناس وخبراه بما كان فارسل العزيز الى المنصور يطيب قلبه وارسل اليه هدية جليلة ولم يذكر له شيئاً عن ابي الفهم وذلك سنة ٣٧٦ هـ

وفي سنة ٣٧٩ هـ خرج من كتامة شخص آخر يقال له ابو الفرج وزعم انه من ولد القائم بامر الله الفاطمي فاجتمع حوله كثيرون من كتامة وقوي امره اكثر كثيراً من أبي الفهم حتى انه ضرب السكة باسمه . وجرت بينه و بين نائب المنصور وقائع كثيرة ثم سار اليه المنصور في عساكره وقاتله وهزمه واسره وقتله واستراح منه

وفي هذه السنة ايضاً خالف ابو البهار بن زيري (عم المنصور) عليه فزحف اليه المنصور بتاهرت ففارقها عمه الى الغرب بمن معه من اهلها واصحابه ودخل عسكر المنصور تاهرت فانتهبوها فطلب اهلها الامان فامنهم ثم سار في طلب عمه حتى جاوز تاهرت بسبع عشرة مرحلة ولقي عسكره شدة واشير على ابي البهار بالرجوع فرجع الى المنصور فاكرم وفادته

وفي سنة ٣٨٦ ﻫ توفي المنصور بن بلكين وكان ملكاً كريماً شجاعاً حازماً مظفراً منصوراً حسن السيرة محباً للعدل في الرعية وكانت وفاته اوائل ربيع اول من تلك السنة

٢٤٨ - باديس بن المنصور

من سنة ٣٨٦ — ٤٠٦ ﻫ او من سنة ٩٩٦ — ١٠١٥ م

لما توفي المنصور بن بلكين تولى الملك بعده ابنه باديس ويكني ابا مناد فلما استقر له الامر سار الى صردانيا وسكنها واتاه تقليد القائم بامر الله الفاطمي من مصر واول عمل باشره ارساله العساكر مع عميه يطوفت وحماد لاخضاع زناتة فانهزما امام زناتة ورجعا الى اشير. وفي سنة ٣٨٩ ﻫ ارسل باديس الى المغرب الاقصى عمه حماداً لحرب زيري ابن عطية وبينما هو راجع ولى اخاه يطوفت على تاهرت واشير

واستصغر بنو زيري (عمومة باديس) باديس فخالفوا عليه وكادوا يفتكون بعسكره لولا نصح الناصحين

وفي هذه السنة (٣٨٩ ﻫ) ارسل عامل باديس بطرابلس الى الحاكم بامر الله بمصر يطلب منه ان يرسل من يستلم طرابلس منه فارسل اليه الحاكم يانساً الصقلي من اخصاء الحاكم فوصل يانس الى طرابلس سنة ٣٩٠ ﻫ واستلمها واقام بها فارسل باديس الى يانس يساله عن سبب قدومه الى طرابلس فاغلظ يانس في الجواب فارسل اليه باديس جيشاً فلقيهم يانس خارج طرابلس فقتل هو في المعركة وانهزم اصحابه ودخلوا طرابلس وتحصنوا بها فحاصرهم جيش باديس فاستمدوا الحاكم فامدهم بجيش بقيادة يحيي بن علي الاندلسي وسيرهم الى طرابلس وقل المال مع يحيى فاختلت حاله فسار الى فلفل وكان قد دخل طرابلس واستولى عليها فاقام معه واستوطنها

وفي سنة ٣٩١ ﻫ سار ماكسن بن زيري عم ابي باديس الى اشير وبها ابن اخيه حماد بن بلكين فكانت بينهما حرب شديدة قتل فيها ماكسن واولاده

وقوي حماد بن بلكين حتى ندم باديس على اقطاعه ما بيده وكاد لباديس ابن اسمه المنصور اراد ان يقدمه و يجعله ولي عهده فارسل الى عمه حماد بان يسلم نائب ابنه المنصور بعض مابيده من الاعمال منها مدينة تيجس وقصر الافريقي وقسنطينة وسير هاشم بن جعفر من اكابر قواده لاستلام هذه المدن وسير معه عمه ابراهيم ليمنع اخاه حماداً من امر ان اراده فلما قاربا حماداً فارق ابراهيم هاشماً وتقدم الى اخيه حماد وحسن له الخلاف على باديس واتحد معه واظهرا العصيان وجمعا الجموع الكثيرة حتى بلغ جيشهما ٣٠ الف مقاتل فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار اليهما. وتقدم حماد وابراهيم لقتاله فقاتلها وهزمهما ولحق حماد بقلعته وحاصره باديس فيها. وفي يوم الثلاث سلخ ذي القعدة سنة ٤٠٦ ﻫ استعرض باديس جنوده وفرح لنشاطهم وقوتهم ثم ذهب الى خيمته فتوفي في نصف الليل بغتة

٢٤٩ ـ المعز بن باديس

من سنة ٤٠٦ — ٤٥٤ ﻫ او من سنة ١٠١٥ — ١٠٦٢ م

لما توفي باديس بن المنصور تولى الملك بعده ابنه المعز بن باديس وكان عمره ثماني سنين . ورجع عسكر باديس عن قتال حماد بجثته ووصلوا الى المهدية وبها المعز ثامن المحرم سنة ٤٠٧ ﻫ

وقوي حماد بعد موت باديس واتاه الفرج من حيث لا يحتسب فخرج من قلعته حيث كان محصوراً واستولى على المسيلة واشير واساء السيرة في اهلها وتقدم الى مدينة باغانة وحاصرها فسير اليه المعز جيشاً سنة ٤٠٨ ﻫ وقاتله فلم تكن الاساعة حتى انهزم حماد وتشتت شمل عساكره فهرب وارسل الى المعز يطلب الامان على نفسه وارسل ابنه القائد رهينة على صدقه فامنه المعز واحسن اليه . وجاء ابراهيم بن بلكين ايضاً الى المعز فامنه واكرم وفادته . وبعد ان استراح المعز من امر عميه اللذين اقلقا راحة والده وراحته اياماً كثيرة وجه التفاته الى الفتن التي كانت قد اضطرمت نيرانها في البلاد بين القبائل وبعضها بتوالي هذه الحروب فضرب المفسدين بيد من حديد حتى عادت السكينة الى البلاد

ولما عاد الامن الى البلاد واستراح المعز من الحروب اراد ان يتمتع بلذة انتصاراته فبنى البنايات الجميلة والجوامع الكثيرة وانفق الاموال بغير حساب وا كرم العلماء وخالطهم حتى اعترف المؤرخون انه اعظم من قام من الصنهاجيين ·

وكانت بينه وبين زناتة حروب انتصر في جميعها · وكان المعز منحرفاً عن مذاهب الرافضة ومنتحلاً للسنة فاعلن بمذهبه لاول ولايته ولعن الرافضة ثم امر بقتل من وجد منهم · وكبابه فرسه ذات يوم فنادى مستغيثاً باسم ابي بكر وعمر فسمعته العامة فثاروا لحينهم بالشيعة واثخنوا فيهم · وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة وخاطبه وزيرهم ابو القاسم الجرجاني محذراً وهو يراجعه بالتعريض لخلفائه والمزح فيهم حتى اظلم الجو بينه وبينهم الى ان قطع الخطبة لهم سنة ٤٤٠ ﻫ وخطب على جميع منابره للقائم بن القادر العباسي · فاستشار المستنصر بالله الخليفة الفاطمي بطانته في الانتقام منه فاشاروا عليه بتسريح الاعراب الهلالية والسليمية من وادي النيل الى افريقية

وبيان ذلك ان اعراب بني هلال وبني سليم من قبائل الحجاز كانوا قد نزعوا الى الثورة على احد الخلفاء الفاطميين فنفاهم الى صعيد مصر الا انهم عاثوا فيه فساداً فلما كان من امر المعز ما كان وسمع المستنصر تلك المشورة اعجبته جداً لانهما تكفيه مؤنة عدوين في وقت واحد فاستقدم اليه وجوههم وقال لهم (قد أذنت لكم في جواز النيل وأوليتكم ما يملك ابن باديس العبد الآبق) · فهبوا مع قومهم الى الرحيل ولما دنوا من القيروان خرج المعز الى قتالهم فهزموه الى حيدران بالقرب من قابس ثم دخلوها وفتكوا باهلها وفر المعز امامهم الى المهدية ولاذ بابنه تميم عاملها وذلك سنة ٤٤٩ ﻫ فاقام بها لا يقدر على رد غارات هؤلاء الاعراب الى ان توفي سنة ٤٥٤ ﻫ

٥ — تميم بن المعز

من سنة ٤٥٤ — ٥٠١ ﻫ او من سنة ١٠٦٢ — ١١٠٧ م

لما توفي المعز بن باديس تولى الملك بعده ابنه تميم وكانت امور الدولة قد وصلت الى حالة من الاختلال لم يسبق لها نظير واستولى القواد على كثير من الاعمال فضلاً عن غارة العرب التي كانت سبباً في اندثار معالم المدنية والحضارة ببلاد تونس لما اتاه

اولئك الاعراب من ضروب العيث ولكن رغماً عن هذا الاندثار والاضمحلال الظاهرين قام تميم بامور الملك وحارب المخالفين حتى اعاد الى الدولة شيئاً من سطوتها واغتنم فرصة اشتغال الهلالية بفتح جهات قسطنطينة لاسترداد مداين سوسة وصفاقس وتونس الى طاعته

وفي سنة ٤٨٠ هـ قدم اهل جنوة و بيشة (من مدن ايطاليا) في اسطول مؤلف من ٣٠٠ مركب تحمل ٣٠ الف مقاتل فاحرقوا مراكب تميم واخذوا المهدية وكان روجر زعيم النورمنديين بصقلية على ولاء ومودة مع تميم فاستمده فلم ينجده ولذا اضطر الى مصالحة اهل جنوة على مال اخذوه وانصرفوا

وفي سنة ٥٠١ هـ توفي تميم بن المعز وكان شهماً شجاعاً ذكياً وله شعر حسن . فمنه انه وقع الاختلاف بين طائفتين من العرب وهما عدي ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا وكان يهمه ان لا يصطلحوا فقال اياتاً يحرض أهل المقتول على الاخذ بثاره وهي

متى كانت دماؤكم تطل ... اما فيكم بثار مستقل
اغانم ثم سالم ان فشلتم ... فما كانت اوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى ... كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالي ... ولا بيض تفل ولا تسل

فعمد اخوة المقتول فقتلوا اميراً من عدي واشتد بينهم القتال . ولما توفي كان عمره تسعاً وسبعين سنة وكانت ولايته ٤٦ سنة وعشرة اشهر واياماً وخلف من الذكور اكثر من مائة ومن البنات ستين بنتاً

٢٥١ — يحيى بن تميم

من سنة ٥٠١ — ٥٠٩ هـ او من سنة ١١٠٧ — ١١١٥ م

لما توفي تميم بن المعز تولى بعده ابنه يحيى فاحسن السيرة في الرعية واجزل في العطاء لهم وعمد الى فتح ما لم يفتحه ابوه فارسل جيشاً الى قلعة قليبية وهي من احصن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصاراً شديداً ولم يبرحها حتى فتحها . ثم رأى يحيى انه من مصلحته ان راجع طاعه العبيديين نخطب لهم ببلاده فارسلوا اليه بالخلع والهدايا

وكأن قدوم اسطول جنوة وبيشة في ايام ابيه قد نبهه الى بناء الاساطيل فبنى

اسطولاً عظيماً وغزا به جنوة وسردينيا فصالحه اهلهما

ومع حسن سيرته في الرعية واحسانه اليهم عامل اخوته بالقسوة فشتتهم شرقاً وغرباً فتحيل عليه ثلاثة منهم فتنكروا له وزعموا انهم من العارفين بالكيميا وكان ولعاً بها واشترطوا عليه الخلوة فخلا بهم ومعه وزيره وخادمه فوثبوا عليهم بالسكاكين التي كانوا خباؤها بثيابهم لمثل هذه الساعة فقتلوا الوزير والخادم واثخنوه هو بالجراح وقالوا له « ايها الكلب نحن اخوتك نفيتنا وبقيت في الملك » وما زال متألماً من جراحه هذه حتى توفي بها سنة ٥٠٩ هـ . وقيل انه توفي فجأة والاول اصح والله اعلم

٢٥٢ — علي بن يحيى

من سنة ٥٠٩ — ٥١٥ هـ او من سنة ١١١٥ — ١١٢١ م

ولما توفي يحيى بن تميم تولى الملك بعده ابنه علي فلما استتب له الامر ارسل عساكره الى مدينة تونس وحاصر بها احمد بن خراسان فصالحه اهلها على ما اراد ثم تقدمت عساكره الى جبل وسلات وافتتحه وكان ممتنعاً على من سلف من قومه . وتأكدت الوحشة بينه وبين روجر صاحب صقلية فجدد الاسطول وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية ولكنه لم يتم له ما اراد لان المنية عاجلته في سنة ٥١٥ هـ

٢٥٣ الحسن بن علي

من سنة ٥١٥ — ٥٦٦ هـ او من سنة ١١٢١ — ١١٧٠ م

لما توفي علي بن يحيى تولى الملك بعده ابنه الحسن بن علي وكان عمره لا يزيد عن ١٢ سنة فقام بأمر دولة مولاه صندل ولم تطل ايامه حتى توفي وكادت الفوضى تقع بين اصحاب الحسن الى ان فوض امر دولته الى ابي عزيز موفق فصلحت الامور

وكان بين الصنهاجيين وبين روجر ما رأيت من الوحشة فاتفق ان غزا احمد بن ميمون قائد اسطول المرابطين جزيرة صقلية وافتتح قرية منها واثخن في اهلها قتلاً

وسبياً وذلك سنة ٥١٦ هـ فلم يشك روجر ان ذلك باغراء الحسن فارسل اساطيله الى المهدية بقيادة جرجير الذي كان قبلاً من ثقات الامير تميم وخادم دولته ففر بما جمعه من الاموال الى روجر واطلعه على احوال اعدائه فجهزه بذلك الاسطول وكان الحسن قد استعد لقائه احسن استعداد فانتصر عليه وعاد جرجير من حيث اتى

وفي سنة ٥٣٦ هـ عاد جرجير في ٣٠٠ مركب فوقف على بعد لان الريح لم تساعده على الدخول وبعث للحسن يخادعه انه جاء مدداً له على صاحب قابس فلم تنطل هذه الحيلة ودعا الناس للرحيل عن المهدية لغياب حاميتها في محاربة صاحب تونس . ولما هدأت الريح دخل اسطول جرجير الى المهدية وتم للنورمنديين الاستيلاء عليها وعلى جميع بلاد الساحل سنة ٥٤٣ . ولبث النورماندیون اصحاب تلك السواحل حتى اخرجهم منها الموحدون كما سنذكره عند ذكر تلك الدولة ان شاء الله

وفي سنة ٥٦٦ هـ توفي الحسن بن علي انقرضت به الدولة الصنهاجية والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٥٤ — الدولة المروانية بديار بكر

« تمهيد » في حوالي سنة ٣٧٤ هـ ظهر بديار بكر شخص يقال له باز الكردي وصار يقطع الطرق وكلما غنم شيئاً فرقه في اصحابه فكثر جمعه ثم دخل ارمينيا فملك مدينة ارجيش وهي اول مدينة ملكها فقوي بها وسار منها الى ديار بكر فملك مدينة آمد وميافرقين . ولما ملك عضد الدولة الموصل اهمه امر باز الكردى وخاف جانبه فبعث اليه من يقبض عليه ولكنه تمكن من الهرب فكف الطلب عنه . ثم توفي عضد الدولة وشرف الدولة ثم جاء ابو طاهر ابراهيم وابو عبد الله الحسن الى الموصل فملكاها ثم حدثت الفتنة بينهما وبين الديلم فطمع باز في ملك الموصل فسار من ديار بكر الى الموصل فغلبه ابنا ناصر الدولة وقتل في المعركة . وكان ابو علي بن مروان ابن اخت باز معه في هذه الوقعة فنجا ولحق بحصن كيفا فحايل حتى استولى على ملك ديار بكر كما ستراه ان شاء الله وهو رأس هذه الدولة

٢٥٥ - ابو علي بن مروان

لما قتل باز سار ابن اخته ابو علي بن مروان في طائفة من الجيش الى حصن كيفا وهو على دجلة وهو من احصن المعاقل وكان به امرأة باز واهله فلما بلغ الحصن قال لزوجة خاله (قد انفذني خالي اليك في امر مهم) . فظنته صادقاً وامرت ففتحوا له باب الحصن ودخله فلما صعد اليها اعلمها بهلاك خاله باز واطمعها في التزوج بها فوافقته على ملك الحصن وغيره ونزل وقصد حصناً حصناً حتى ملك ما كان لخاله وسار الى ميافارقين وسار اليه ابو طاهر وابو عبدالله ابنا حمدان طمعاً فيه فهزمهما ابو علي وقام بديار بكر وضبطها واحسن السيرة في اهلها ثم خالف عليه اهل ميافارقين واستطالوا على اصحابه فامسك عنهم الى يوم العيد وقد خرجوا الى المصلى فلما تكاملوا في الصحراء دخل البلد واخذ ابا الصقر شيخها والقاه من على السور وقبض على من كان معه منهم واغلق ابواب البلد وامر اهلها ان لا يدخلوها بل يذهبوا حيثما شاؤا فتشتتوا في البلاد المجاورة وساءت احوالهم

وكان ابو علي قد تزوج ست الناس بنت سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان فأتته من حلب فعزم على زفافها بآمد فخاف شيخ البلد واسمه عبد البر ان يفعل بهم مثل فعله باهل ميافارقين فحذر اصحابه منه وامرهم ان ينثروا الذهب في وجهه فاذا غطى وجهه ضربوه بالسكاكين ففعلوا ذلك . والذي تولى قتله رجل يقال له ابن دمنة

٢٥٦ - ابو منصور بن مروان

لما قتل ابو علي بن مروان هاج الناس وماجوا ولم يصدقوا بقتله حتى رمى ابن دمنة رأسه فاسرعوا السير الى ميافارقين وحدث جماعة من الاكراد نفوسهم بملك البلد فاستراب بهم مستحفظ ميافارقين لامرائهم وقال لهم « ان كان الامير حياً فادخلوا معه وان قتل فاخوه مستحق لموضعه » فلم يكن اسرع من ان وصل ابو المنصور بن مروان الى ميافارقين ودخلها وملكها ولقب ممهد الدولة

واستولى عبد البر على مدينة آمد وزوج ابنته لابن دمنة الذي قتل ابا علي ثم استدعاه ابن دمنة عنده لوليمة عملها فقتله واستولى على آمد وعمرها ببناء البنايات الشاهقة والقصور الفخيمة وعقد مع ممهد الدولة الصلح وهادى ملك الروم وحاجب

مصر وغيرهما من الملوك فانتشر ذكره وعظم امره

اما ممهد الدولة فلم يكن له بميافارقين الا الخطبة والسكة لتغلب وزيره شروة على امور الدولة . وكان لشروة هذا غلام قد ولاه الشرطة وكان ممهد الدولة يبغضه ويريد قتله ويتركه احتراماً لشروة ففطن الغلام لذلك فعمل الحيلة حتى افسد الحال بين شروة وممهد الدولة فطمع شروة في الملك وعمل وليمة بقلعة الهتاخ ودعا اليها ممهد الدولة فلما حضر عنده قتله وذلك سنة ٤٠٢ ﻫ

٢٥٧ - ابو نصر احمد بن مروان

من سنة ٤٠٢ — ٤٥٣ ﻫ او من سنة ١٠١١ — ١٠٦١ م

لما قتل شروة ممهد الدولة ابا منصور خرج من الدار الى بني عم ممهد الدولة فقبض عليهم وقيدهم واظهر ان ممهد الدولة امره بذلك ومضى الى ميافارقين ففتحوا له ظناً منهم انه ممهد الدولة فدخلها واستولى عليها وكتب الى اصحاب القلاع يستدعيهم ليأخذ طاعتهم وارسل رسولاً الى ارزن الروم ليحضر متوليها ويعرف بخواجه ابي القاسم فسار خواجه نحوه ولم يسلم القلعة الى القاصد اليه . فلما توسط الطريق سمع بقتل ممهد الدولة فعاد الى ارزن وارسل الى قلعة اسعرد فاحضر ابا نصر احمد بن مروان اخا ممهد الدولة (وكان اخوه قد ابعده عنه لانه يبغضه) فلما حضر اليه بايعه وسلمه القلعة . وكان شروة قد انفذ الى ابي نصر من يحضره فوجدوه قد سار الى ارزن فتحقق حينئذ انتقاض امره

ولما استولى ابو نصر على ارزن الروم احسن السيرة في اهلها ثم ابتدأ ان يملك باقي ديار بكر فملكها مدينة مدينة الى ان استولى على جميعها . وعلا صيته فصار مقصداً للعلماء من سائر الآفاق وكثروا ببلاده ومدحه الشعراء فاجزل لهم العطاء وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٤٥٣ ﻫ وكان عمره نيفاً وثمانين سنة

٢٥٨ ـ نصر بن احمد

من سنة ٤٥٣ — ٤٧٢ هـ او من سنة ١٠٦١ — ١٠٧٩ م

لما توفي ابو نصر احمد بن مروان قام بالامر بعده ابنه نصر باتحاده مع وزير ابيه وخالف عليه اخوه سعيد وجرى بينهما حروب كان الظفر فيها لنصر فاستقر في الامارة بميافارقين وغيرها . واستولى اخوه سعيد على آمد

وفي سنة ٤٧٢ هـ توفي نصر بن احمد وكانت ايامه ايام راحة وسلام

٢٥٩ — منصور بن نصر

من سنة ٤٧٢ — ٤٧٩ هـ او من سنة ١٠٧٩ — ١٠٨٦ م

لما توفي نصر بن احمد تولى بعده ابنه منصور فلم تطل ايام ملكه كثيراً لان فخر الدولة ابا نصر محمد بن جهير تقدم الى بلاده واستولى على مدينة آمد ثم ميافارقين وباقي مدن ديار بكر سنة ٤٧٩ هـ . ودخل ابن جهير ميافارقين واستولى على اموال بني مروان وذخائرهم وبعثها الى السلطان ملك شاه . اما منصور بن نصر المرواني فانه لحق بالجزيرة واقام بين القز في اسوإ حال الى ان قبض عليه جكرمس وحبسه بدار يهودي حيث توفي سنة ٤٨٩ هـ وبه انقرضت الدولة المروانية والله غالب على امره

٢٦٠ — الدولة المغراوية بمراكش

(تمهيد) مغراوة ويفرن قبيلتان من اعيان قبائل زناتة وكان مغراو ويفرن اخوين شقيقين وهما ابنا يصليتين بن مسرى بن زاكيا بن ورسيك بن الديديت بن زانا وهو ابو زناتة . وقد ذكرنا عند ذكرنا الدولة الصنهاجية ان بلكين بن زيري صاحب افريقية زحف سنة ٣٦٩ هـ الى المغرب الاقصى واناخ على مدينة فاس وقتل عامليها محمد ابن ابي علي صاحب عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس واستعمل عليها محمد بن عامر المكناسي فاجفلت ملوك زناتة من بني خزر المغراويين

وبني محمد بن صالح اليفرنيين امامه وانحازوا جميعاً الى سبتة وعبر محمد بن الخير من آل خزر الى المنصور بن أبي عامر المتسلط على الاندلس مستجيراً به فخرج المنصور في عساكره الى الجزيرة الخضراء ممداً لهم بنفسه وعقد لجعفر بن علي بن حمدون على حرب بلكين الصنهاجي واجازه البحر فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بظاهر سبتة جسفل بلكين بن زيري الصنهاجي منهم وكر راجعاً . ثم لما كانت سنة ٣٧٣ هـ قدم فالحسن بن كنون الادريسي من مصر الى المغرب يطلب ملك جدوده انضم اليه يدو ابن يعلي اليفرني في قومه وشايعه على مراده وسرح المنصور بن ابي عامر صاحب الاندلس اليه ابن عمه ابا الحكم الملقب بعسكلاجه فانضم اليه آل خزر المغراويون وفيهم زيري ابن عطية رأس الدولة المغراوية هذه فلما انتصر ابو الحكم وحاصر الحسن بن كنون حتى طلب الامان لنفسه وامنه واستولى على المغرب الاقصى ودخل فاساً سنة ٣٧٥ هـ وخطب فيها لبني امية عاد الى الاندلس فاستعمل المنصور على المغرب الاقصى الوزير حسن بن احمد بن عبد الودود السلمي واوصاه بالاحسان الى مغراوة ولا سيما مقاتل وزيري ابنا عطية لحسن طاعتهم للروانيين واغراه بيدو بن يعلي اليفرني لعدم صدق طاعته . ففعل حسن بن عبد الودود ما امر به

وفي سنة ٣٧٨ هـ توفي مقاتل بن عطية رئيس مغرواة فقام بالامر بعده اخوه زيري ابن عطية وحسنت محبته للوزير حسن بن عبد الودود ومعاملته له ثم استدعى المنصور بن ابي عامر زيري بن عطية للوفادة عليه بقرطبة فوفد عليه واحسن المنصور اليه ورفع منزلته وعاد الى المغرب بعد ان امره المنصور بقتال يدو بن يعلي اليفرني فاجتمع عليه هو والوزير حسن بن عبد الودود فانتصر عليهم يدو بن يعلي وقتل الوزير حسن بن عبد الودود في المعركة فعقد المنصور بن ابي عامر لزيري بن عطية على المغرب الاقصى من بعده وذلك سنة ٣٨١ هـ وهذا بداية امرهم

٢٦١ - زيري بن عطية

من سنة ٣٨١ — ٣٩١ هـ او من سنة ٩٩١ — ١٠٠٠ م

ولما استتب الامر لزيري بن عطية استدعاه المنصور بن ابي عامر الى قرطبة سنة ٣٨٢ هـ فوفد عليه واخذ معه من الهدايا كل مستغرب من الحيوان والطير فاحتفل

المنصور بقدومه احتفالاً عظيماً وافاض عليه في الجرايات ولقبه بالوزير

ولا يخفى على القاريء الكريم انه كان بين زيري بن عطية المغراوي و بين يدو ابن يعلي اليفرني منافسات ومنازعات على الرئاسة بالمغرب الاقصى فكان يدو بن يعلي اذا غلب على زيري دخل مدينة فاس واستولى عليها واذا غلب عليه زيرى اخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهما سجالاً حتى سئمت الرعية بفاس كثرة تعاقبهم عليها .

فلما سافر زيرى بن عطية الى الاندلس كما تقدم استخلف ابنه المعز بن زيرى على المغرب وامره بسكنى تلمسان فانتهز يدو بن يعلي الفرصة في غيبته فزحف الى فاس ودخلها من عدوة الاندلس بالسيف في ذي القعدة سنة ٣٨٢ هـ وقتل بها خلقاً كثيراً من مغراوة فلما عاد زيرى بن عطية ونزل طنجة بلغه خبر استيلاء يدو على فاس فاسرع السير نحوه حتى نزل قريباً من فاس فكانت بينهما حرب شديدة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبني يفرن الى ان هزمه زيرى واقتحم عليه فاساً عنوة فقتله ومثل به وبعث برأسه الى المنصور بن ابي عامر بقرطبة وذلك سنة ٣٨٣ هـ

وقد تقدم معنا ان زيرى بن عطية وفد على المنصور كطلبه سنة ٣٨٢ هـ وانه افاض عليه في الجرايات ولقبه بالوزير ولكنه لم يكن هذا حد مطامع زيرى بن عطية بل استقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سماه به حتى انه لما خاطبه به احد رجاله انتهره على ذلك قائلاً له « وزير من بالكم لا والله الا امير بن امير واعجباً لابن ابي عامر ومخرقته لان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله وان له منا ليوماً ») فبلغ هذا القول المنصور فصبر عليه .. ثم علم المنصور بعد ذلك ان زيرى بن عطية ينتقصه و يعرض في شانه و يتكلم فيه بالقبيح فقطع المنصور عنه رزق الوزارة الذي كان يجريه عليه في كل سنة ومحا اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه . فعزم زيرى على خلافه فقطع ذكره من الخطبة واقتصر على ذكر هشام المؤيد وطرد عماله من المغرب والجأهم الى سبتة فانفذ اليه المنصور بن ابي عامر مولاه واضحاً في جيش عظيم فانتصر زيرى عليه وفر واضح الى طنجة فدخلها منهزماً وكتب الى المنصور يستمده فامده المنصور بجيش كثيف بقيادة ابنه عبد الملك المظفر واستعد زيرى لملاقاته والتقوا بوادي الحية فانهزم زيرى بن عطية وفر في شرذمة من اصحابه وبني عمه الى مدينة فاس فلما قربها اغلق اهلها دونه الابواب فطلب منهم ان يخرجوا له حرمه واولاده ففعلوا فاخذهم وانصرف الى الصحراء ونزل بلاد صنهاجة

اما عبد الملك المظفر فانه تقدم بعد انتصاره على زيري قاصداً مدينة فاس فدخلها يوم السبت سلخ شوال سنة ٣٨٧ هـ فاستقبله اهلها مستبشرين به فاحسن لقاءهم . وكتب الى ابيه المنصور بالفتح فقرأ الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وكتب الى ولده المظفر بعهده على المغرب الاقصى واوصاه بحسن السيرة والعدل فقرئ كتابه على منبر جامع القرويين . واقام عبد الملك بفاس ستة اشهر ثم صرفه والده الى الاندلس وبعث اليها عوضاً عنه عيسى بن سعيد صاحب شرطته فاقام والياً عليها الى صفر سنة ٣٨٩ هـ ثم عزله المنصور عنها وولى عليها مولاه واضحاً الفتى

اما ما كان من امر زيري بن عطية فانه لما نزل بلاد صنهاجة وجدهم قد اختلفوا على ملكهم باديس بن المنصور بن بلكين الصنهاجي فاغتنم زيري تلك الفرصة من صنهاجة وزحف اليهم واوغل في بلادهم وهزم جيوشهم ودخل مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب وملك تلمسان وشلف والمسيلة واقام بها الدعوة لهشام المؤيد وحاصر مدينة آشير قاعدة بلاد صنهاجة وكتب الى المنصور بن ابي عامر بذلك يسترضيه ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان اعيد الى ولايته . وبينما هو محاصر لاشير انتقضت عليه جراح كانت اصابته فمات منها وذلك سنة ٣٩١ هـ

٢٦٢ — المعز بن زيري بن عطيه

من سنة ٣٩١ — ٤١٧ هـ او من سنة ١٠٠٠ — ١٠٢٦ م

لما توفي زيري بن عطيه اجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيري فبايعوه وضبط امرهم واقصر عن محاربة صنهاجة وصالح المنصور ابن ابي عامر وقام بدعوته ورجع الى طاعته ولم يزل على ذلك الى ان توفي المنصور وقام بالامر بعده ابنه عبد الملك المظفر فبايعه المعز أيضاً ودعا له منابره فعزل المظفر واضحاً الفتى عن فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الاندلس وكتب الى المعز بن زيري بعهده على فاس وسائر اعمال المغرب حواضره وبواديه وذلك سنة ٣٩٣ هـ فبث عماله في جميع كور المغرب وجبا خراجها ولم تزل ولايته متسمة

وطاعة رعاياه منتظمة الى ان افترق امر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة بها فاضطرب امر المغرب على المعز واقام على ذلك الى ان توفي سنة ٤١٧ هـ

٢٦٣ حمامة بن المعز بن عطيه

من سنة ٤١٧ — ٤٣١ هـ او من سنة ١٠٢٦ — ١٠٣٩ م

لما توفي المعز بن زيري تولى الملك بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية وكان اختلال امور الدولة بالاندلس بعد انقراض الدولة العامرية داعياً لاستفحال امر حمامة وزيادة استقلاله بالمغرب فقصده الامراء والعلماء واتته الوفود ومدحه الشعراء ولم يزل مهابا الى ان نازعه ابو كمال اليفرني كما سنذكره ان شاء الله

قد ذكرنا بعض الحروب التي وقعت بين مغراوة و بني يفرن في ايام زيري ابن عطية وكيف انه غلبهم وقتل يدو بن يعلي اليفرني واستولى على فاس من يده (راجع فصل ٢٦١) فلما انهزم بنو يفرن انحازوا الى نواحي سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة ثم ملكوا تادلا وما والاها من البلاد .

ثم لما كانت سنة ٤٢٤ هـ كان الامير على بني يفرن ابا الكمال تميم بن زيري ابن يعلي فزحف من سلا الى فاس في قبائل بني يفرن وبرز اليه حمامة في جموع مغراوة فكانت بينهم حرب شديدة اجلت عن هزيمة حمامة واستيلاء تميم على فاس واعمال المغرب ودخلها في جمادي الاخرى من السنة المذكورة ولحق حمامة بوجدة فاستمد من كان هناك من قبائل مغراوة وزناتة فاجتمع معه جم غفير فزحف بهم الى فاس سنة ٤٢٩ هـ فافرج عنها ابو كمال ولحق بيلده من شالة واقام بها الى ان هلك سنة ٤٤٦ هـ . وعاد حمامة الى ملكه وجلس على كرسي عزه بفاس الى ان توفي سنة ٤٣١ هـ

٢٦٤ دوناس بن حمامة

من سنة ٤٣١ — ٤٥٢ ه او من سنة ١٠٣٩ — ١٠٦٠ م

لما توفي حمامة بن المعز تولى بعده ابن دوناس بن حمامة ويكنى ابا العطاف وخرج عليه لاول دولته ابن عمه حماد بن منصور بن المعز بن عطية بن زيري فجرت له معه حروب وخطوب وكثرت جموع حماد وغلب على ضواحي فاس وحاصرها حصاراً شديداً واحتفر السياج المعروف بسياج حماد (ويقال ان دوناس خندق به على نفسه) واستمر حماد محاصراً لفاس الى ان هلك سنة ٤٣٥ ه فاستقامت دولة دوناس وساد الامن والسلام بعد أيام الحرب والكرب . وفي ايامه بلغت فاس من العمارة مبلغاً عظيماً فكثرت فيها القصور الشاهقة والبساتين النامقة . واتسعت التجارة بها وحسنت الصناعة حتى صارت مقصداً لكل طالب . وذلك لاعتناء دوناس الزائد بعمارتها . ولم تزل أيام دوناس احسن ايام الى ان توفي سنة ٤٥٢ ه

٢٦٥ — فتوح بن دوناس

من سنة ٤٥٢ — ٤٥٥ ه او من سنة ١٠٦٠ — ١٠٦٣ م

ولما توفي دوناس بن حمامة تولى بعده ابنه فتوح بن دوناس وكان خفيف الراس قليل الدراية ونزل بعدوة الاندلس ونازعه اخوه الاصغر عجيسة وكان بطلاً مقداماً وشهماً مغواراً فاستولى على عدوة الاندلس واستبد على اخيه وافترق امر فاس بافتراقهما وقامت الحرب بينهما على ساق وقدم حتى عظم الخوف بالمغرب وكثر الهرج وغلت الاسعار واشتدت المجاعة واستمر الامر على هذا الحال ثلاث سنين ظفر في آخرها الفتوح على اخيه عجيسة وقتله واستولى على العدوتين ثم ظهر

امر المرابطين من لمتونة وخشي الفتوح مغبة ذلك فافرج عن فاس وتخلى عنها واراد عيشة السلام بعيداً عن الملك ومتاعبه وذلك سنة ٤٥٥ هـ

٢٦٦ — معنصر بن حماد

من سنة ٤٥٥ — ٤٦٠ هـ او من سنة ١٠٦٣ — ١٠٦٧ م

لما تخلى الفتوح بن دوناس عن ملك فاس قام بالامر بعده قريبه معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز زيرى بن عطية فبايعه قبائل مغراوة الذين بفاس واحوازها وكان معنصر ذا حزم ورأي وشجاعة وشغل بحرب لمتونة وكانت له معهم وقائع مشهورة . ثم قدم يوسف بن تاشفين واستولى على فاس ورحل عنها بعد ان استخلف عليها عامله الى غمارة وفتح كثيراً من مدنها وتقدم لحصار قلعة فازاز فخالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل عامله عليها .

واتصل الخبر بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة فازاز فأرسل اليه جيشاً بقيادة مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكناسة فالتقاه معنصر وناجزه الحرب وانتصر عليه وشتت جموعه وقتله وأعمل السيف في عسكره فاستصرخ اهل مكناسة يوسف بن تاشفين فسرح عساكر لمتونة لحصار فاس فحاصروها وضيقوا عليها جدا حتى اشتد البلاء على اهلها وخرج معنصر من فاس لقتال عساكر ابن تاشفين فانهزم وقتل في المعركة وذلك سنة ٤٦٠ هـ .

٢٦٧ — تميم بن معنصر

من سنة ٤٦٠ — ٤٦٢ هـ او من سنة ١٠٦٧ — ١٠٦٩ م

لما قتل معنصر بن حماد في المعركة كما ذكرنا تولى بعده ابنه تميم بن معنصر فبايعه اهل فاس وكانت أيامه ايام حصار وفتنة وجهد وغلاء وشغل يوسف بن

تاشفين عنه بفتح بلاد غمارة حتى اذا كانت سنة ٤٦٢ ﻫ وفرغ من فتح غمارة قدم الى فاس وحاصرها اياماً ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة الاف من مغراوة وبني يفرن وهلك تميم بن معنصر في جملتهم وبموته انقرض أمر الدولة المغراوية والدوام لله وحده

٢٦٨ — الدولة الايليكية بتركستان

(تمهيد) هذه الدولة عريقة في القدم ولا يعرف كيف ابتدأت. ولم تعرف احوالها الا بعد ان اسلم ملكها عبد الكريم سبق وتسمى عبد الملك واطاع بني سامان اصحاب ما وراء النهر لمجاورته لهم فخطب لهم في اعماله وهي تركستان وقاعدتها مدينة كاشغر . فلما طرق الهرم الدولة السامانية في عشرة التسعين والثلثمائة طمع ملك الترك في ذلك الوقت و يعرف بشهاب الدولة هرون بن سليمان و يقال له بقراخان في ملك بخارى قاعدة الدولة السامانية فقصد بلاد بني سامان واستولى عليها شيئاً فشيئاً حتى قرب من مدينة بخارى فخرج اليه جيش السامانية فانهزم امامه وقتل قائد الجيش ودخل بقراخان مدينة بخارى واستولى عليها وهرب الامير نوح ابن منصور الساماني منها . ولكن لم يطل بقراخان الاقامة في بخارى لمرض اصابه من عفونة الارض ورطوبة الهواء فرجع الى كاشغر وتوفي في طريقه وذلك سنة ٣٨٣ ﻫ ورجع الامير نوح الى بخارى كما مر ذكر ذلك (راجع فصل ١٤٤)

٢٦٩ — ايلك خان سليمان

من سنة ٣٨٣ — ٤٠٣ ﻫ او من سنة ٩٩٣ — ١٠١٢ م

لما توفي بقراخان في طريقه الى كاشغر تولى الامر بعده اخوه ايلك خان ولما استولى محمود بن سبكتكين على خراسان من أيدي السامانية وانحصروا هم في

ماوراء النهر واتفق محمود وفائق و بكتوزون على قصد بخارى فجمعوا جيوشهم وساروا قاصديها فاتفق ان مات فائق في الطريق فانفض جمعهم لانه كان المشار اليه بينهم فلما علم ايلك خان ملك الترك بعود عساكرهم عن قصد بخارى طمع هو في الاستيلاء عليها فسار في سنة ٣٨٩ ه في جمع من الاتراك الى بخارى مظهراً الانتصار لعبد الملك بن نوح الساماني صاحب بخارى فظنه صادقاً ولم يحترس منه وخرج اليه القواد وأعيان الدولة من بخارى لاستقباله فقبض عليهم ودخل بخارى بغير قتال في ١٢ ذي القعده سنة ٣٨٩ ه فاختفى عبد الملك بن نوح وبث ايلك خان عليه العيون حتى ظفر به وسجنه فمات مسجوناً وانقرض بموته ملك الدولة السامانيه كما تقدم ذكر ذلك (راجع فصل ١٤٥)

واستولى ايلك خان على ما وراء النهر وقبض على بني سامان أخوة عبد الملك ابن نوح واقاربه واودعهم السجن ولكن تحايل اسمعيل بن نوح اخو عبد الملك وخرج من السجن في زي امرأة كانت تتردد عليه ولحق باصحاب ابيه بخوارزم وذلك سنة ٣٩٠ ه فاجتمع اليه قواده و بايعوه ولقبوه المستنصر فكثر جمعه وقوي جانبه فقصد بخارى لاسترجاعها وكان ايلك خان قد عاد الى تركستان بعد ان استخلف على بخارى أخاه جعفر تكين في قلة من العسكر لضبط المدينة فقصدهم اسمعيل وقاتلهم وهزمهم واجلاهم عن بخارى واستولى عليها وفر المنهزمون من الترك الى حدود سمرقند واسمعيل يتعقبهم فالتقوا بجيش جرار من الترك وضعهم ايلك خان لحفظ سمرقند فانضاف اليهم المنهزمون وحاربوا اسمعيل المستنصر فهزموا ايضاً وغنم سوادهم ثم عاد الى بخارى وقد صلحت احواله فاستبشر الناس بعود السامانية . أما ايلك خان لما علم بما كان جمع جيوشه وتقدم الى ما وراء النهر فالتقاه اسمعيل وهزمه ايضاً فاغتاظ ايلك خان لهذه الهزمات المتوالية وجمع جنداً كثيفاً واعاد الكرة والتقى هو واسمعيل بنواحي اسروشنة فاقتتلوا وانهزم اسمعيل شر هزيمة وعبر النهر الى نواحي الجوزجان ومنها سار الى مرو فبعث محمود بن سبكتكين العساكر في اثره من جهة وقابوس بن وشمكير صاحب

جرجان من جهة اخرى فجام عن لقاء هذه العساكر وعاد الى ما وراء النهر وقد ضجر اصحابه ونزل بحي من العرب فامهلوه حتى كان الليل فقتلوه واستقرت بخاري في ملك ايلك خان فاستعمل عليها اخاه جعفر تكين . ثم اصطلح ايلك خان والسلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي الذي كان استولى على خراسان من يد السامانية على ان يستقر كل منهما في عمله ولا يطمع احدهما في الآخر وانعقدت بينهما المصاهرة الا أن سعاة السوء لم يزالوا بهما حتى أفسدوا الحال بينهما فلما غزا محمود ملتان سنة ٣٩٦ هـ أغتنم أيلك خان الفرصة في خراسان وبعث اليها جيشاً بقيادة سباسي تكين واخيه جعفر تكين فسار الى بلخ وجيشاً آخر بقيادة ارسلان الحاجب فسار الى غزنة . أما جيش سباسي فتقدم الى هرات وملكها وأقام هو بها وتقدم جعفر تكين بباقي الجيش الى نيسابور فاستولى عليها ثم الى بلخ فملكها وأقام بها . واتصل الخبر بمحمود بن سبكتكين وهو بالهند فاسرع بالعودة وجمع جنوده وسار الى جعفر تكين ببلخ ففارقها الى ترمذ وارسل محمود جيشاً الى سباسي بهرات ففارقها الى مرو وما زال جيش محمود منتصراً على الترك حتى أجلاهم عن جميع خراسان فاستمد أيلك خان بملك الختل فامده بجيش جرار فتقدم به ونزل قبالة عساكر محمود ثم اقتتلوا قتالاً شديداً حتى انهزم جيش أيلك خان وأتبعهم عساكر محمود وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً وذلك سنة ٣٩٧ هـ

وعزم أيلك خان أن يجهز جيشاً آخر ليأخذ بثاره من محمود فعاجلته منيته قبل أتمام غرضه فتوفي سنة ٤٠٣ هـ

---

٢٧٠ طغان خان

من سنة ٤٠٣ — ٤٠٨ او من سنة ١٠١٢ — ١٠١٧ م

ولما توفي ايلك خان تولى الملك بعده اخوه طغان خان فراسل محمود بن سبكتكين وصالحه وقال له « المصلحة للاسلام والمسلمين ان تشتغل انت بغزو الهند

واشتغل انا بغزو كفار الترك وأن يترك بعضنا بعضاً » فأجابه محمود الى ما طلب وتم الاتفاق والصلح بينهما على هذه القاعدة

ومرض طغان مرضاً شديداً حتى طمع ترك الصين في بلاده فجمعوا جيشاً عظيماً وهاجموا بلاده واستولوا على بعضها فلما بلغه خبرهم وهو مريض طلب من الحق سبحانه وتعالى ان يشفيه ليجلي الكفار عن بلاده ثم يفعل به ما يريد فشفاه الله واستنصر المسلمين للجهاد في الكفار فاجتمع لديه جمع كثير . فلما علم الترك بشفائه وكثرة من معه عادوا الى بلادهم فتعقبهم واثخن فيهم قتلاً واسراً حتى اوصلهم الى بلادهم ثم عاد الى بلاسغون عاصمة ملكه وكرسي عزه فلما وصلها عاوده المرض فمات في سنة ٤٠٨ هـ . وكان عادلا ديناً يحب العلم وأهله

٢٧١ ارسلان خان وقدر خان

من سنة ٤٠٨ — ٤٢٣ هـ اومن سنة ١٠١٢ — ١٠٣١ م

لما مات طغان خان تولى بعده اخوه ارسلان خان فخالف عليه لاول ولايته قدرخان يوسف بن بغراخان (وقدر خان هذا كان عاملاً لطغان خان على سمرقند امره بعد موت طغان واستولى على بخارى) وكاتب محمود بن سبكتكين يستنجده على ارسلان خان فأمده بجيش عظيم وأخيراً خاف محمود من قدرخان فسحب جنوده التي أمده بها فاغتاظ قدرخان واصطلح مع ارسلان خان واتفقا على غزو بلاد محمود بن سبكتكين واقتسامها فسارا الى بلخ واتصل الخبر بمحمود فارسل اليهما العساكر وهزمهما فلما لم يجد قدرخان وارسلان خان سبيلاً الى الاستيلاء على بلاد محمود عادا من حيث اتيا . ويظهر ان ارسلان خان كان ضعيف الرأي فاستولى قدر خان على الدولة وصار صاحب الامر والنهي فيها وما زال الحال كذلك الى ان توفي سنة ٤٢٣ هـ

٢٧٢ — بقراخان بن قدرخان

من سنة ٤٢٣ — ٤٣٩ ﻫ او من سنة ١٠٣١ — ١٠٤٧ م

بعد موت قدرخان اقتسم ولداه أرسلان خان و بقراخان المملكة فكان نصيب ارسلان خان كاشغر وختن وبلاسغون وكان نصيب بقراخان طراز واسبيجاب وكان ارسلان خان حسن السيرة ديناً مكرماً لا يشرب الخمر فاكتفى بنصيبه ولكن بقراخان كان يطمع في الاستيلاء على بلاد اخيه فاغار على حدوده حتى التزم ارسلان خان ان يجند الجنود لمحاربة اخيه فحاربه وهزمه وكاد يستولي على بلاده الا انه انهزم اخيرًا ووقع اسيرًا بين يدي اخيه بقراخان فاودعه السجن واستولى على جميع تركستان التي كانت لهم في ذلك الوقت

ولما استتب الامر لبقراخان بايع بولاية العهد من بعده لابنه حسين جعفر تكين فاغتاظت امرأة لبقراخان له منها ولد صغير وكانت تطمع في ان يجعلهُ ولي عهده فلما خاب ظنها عمدت اليه فسمته فمات هو وعدة من اهله وخنقت اخاه ارسلان خان بن قدرخان وقتلت وجوه اصحابه وذلك سنة ٤٣٩ ﻫ

٢٧٣ — طغرل خان بن قدرخان

من سنة ٤٣٩ — ٤٥٥ ﻫ او من سنة ١٠٤٧ — ١٠٦٣ م

لما سم بقراخان أرادت امرأته التي سمته ان تولي ابنها بعده فلم يتيسر لها ذلك واختلف اولاده فيما بينهم حتى كاد الملك يخرج عن يدهم فقام طغرل خان بن قدرخان وقبض على اولاد اخيه بقراخان واعتقلهم واستولى على الملك واستمر كذلك حتى توفي سنة ٤٥٥ ﻫ

٢٧٤ — طغرل تكين بن طغرل خان

من سنة ٤٥٥ — ٤٩٦ هـ او من سنة ١٠٦٣ — ١١٠٢ م

لما توفي طغرل خان تولى بعده ابنه طغرل تكين خان وقام عليه لاول ولايته هرون بن طفقاج خان (من عائلة تركية صينية خرجت قريباً من بلاد الصين فاستولت على كثير من بلاد الدولة الايليكية) واراد ان يستولي على مافي يده فانهزم هرون امام طغرل تكين وعاد خائباً . وفي ايام طغرل تكين هذا قدم الملك سنجر السلجوقي واستولى على تركستان فصارت جزءاً من المملكة السلجوقية

وفي سنة ٤٩٦ هـ توفي طغرل تكين بن طغرل خان وبموته انقرضت الدولة الايليكية وظهرت في تركستان دول تركية صغيرة لا يهمنا استيفاء اخبارها خصوصاً لعدم وجود تواريخ يوثق بها تذكر هذه الدول وغاية مافي الامر ان يأتي ذكر احد ملوك الترك في بعض اخبار الدول الاخرى كالسلجوقية وغيرها فيقال مثلاً في سنة كذا خالف قدرخان (مثلاً) صاحب سمرقند على الملك سنجر وينقطع ذكر هذا الملك بالمرة فلذا اغضينا النظر عنها

وزيادة على ذلك فان الدولة الايليكية المتقدم ذكرها لم تذكر في التواريخ العربية بطريقة يوثق بصحتها فاختصرت منها ماتقدم مع بعض اختلاف افتكرت انه يكون اقرب الى الصواب من غيره . والله ولي الامر وعليه الاتكال

٢٧٥ — دولة المرابطين او الملثمين بمراكش

(تمهيد) هذه الدولة من قبيلة صنهاجة احدى قبائل البرانس وزعم بعض النسابين من العرب ان صنهاجة وكتامة من حمير خلفهم الملك افريقيش بالمغرب فاستحالت لغتهم الى البربرية والصحيح غير ذلك وانهم من كنعان بن حام بن نوح كسائر البربر . ومن قبيلة صنهاجة قامت دولتان عظيمتان احداهما دولة بني

زيري بن مناد وقد تقدم ذكرها تحت اسم الدولة الصنهاجيــة والاخرى دولة الملثمين بالمغرب الاقصى والاوسط والاندلس كما سيأتي وهي هذه الدولة التي سنتكلم عنها الآن بمشيئة الله

موطن هؤلاء الملثمين ارض الصحراء فيما بين بلاد البربر والسودان واصلهم قوم لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً وانما اموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن يقسيم أحدهم عمره لا يأكل خبزاً الا ان يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق وقيل لهم الملثمون لانهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم اصلاً وذلك سنــة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف . وقيل في اسباب هذا اللثام اقوال كثيرة فمن ذلك ان الذين يلحقون نسبهم بحمير يقولون ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد حتى صار اللثام عادة لا تنفك عنهم . وقيل في سبب اللثام ان قوماً من اعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي ويأخذون المال والحريم فأشار عليهم بعض مشائخهم ان يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ويقعدون هم (الرجال) في البيوت متلثمــين في زي النساء فاذا اتاهم العدو وظنوهم نساء خرجوا عليهم ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم فلزموا اللثام تبركاً به وقيل غير ذلك والله اعلم

وكان دين صنهاجة اهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات الصحراوية حتى اسلموا بعد فتح الاندلس وكانت الرياسة فيهم للمتونة وكان لهم ملك ضخم ودوخوا البلاد الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم ثم افترق امرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعاً واستمروا على ذلك ماية وعشرين سنة

٢٧٦ – محمد بن تيفاوت

من سنة ٤٠٠ – ٤٠٣ هـ او من سنة ١٠٠٩ – ١٠١٢ م

ثم قام فيهم الامير محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت اللمتوني فاجتمعوا عليه واحبوه و بايعوه وكان من اهل الفضل والدين والجهاد فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد في بعض غزواته

٢٧٧ – يحيى بن ابراهيم الكدالي

من سنة ٤٠٣ – ٤٣٤ هـ او من سنة ١٠١٢ – ١٠٣٤ م

لما توفي ابو عبد الله محمد بن تيفاوت قام بامر صنهاجة من بعده يحيى بن ابراهيم الكدالي واستمر على رياستهم وحربهم لاعدائهم الى ان كانت سنة ٤٢٧ هـ فاستخلف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل الى المشرق برسم الحج فلما قضى حجه وزيارته قفل الى بلاده فمر في عوده بالقيروان فلقي بها الشيخ الفقيه ابا عمران الفاسي وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه فرآه الشيخ ابو عمران محباً في الخير فأعجبه حاله وسأله عن اسمه ونسبه و بلده فأخبره بذلك كله واعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق وكيف غلب فيهم الجهل . فسأله الشيخ عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئاً ووجد فيه اشتياقاً عظيماً لتعلم تلك الفرائض فقال له الشيخ :

« وما يمنعك من تعلم العلم » فقال له « يا سيدي عدم وجود عالم بارضي وليس في بلادي من يقرأ القرآن فضلاً عن العلم ومع ذلك فاهل ارضي يحبون الخير و يرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ويدرس لهم العلم ويفقهم في دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام فان رغبت في الثواب من الله لبعثت معي بعض طلبتك يقرئهم القرآن و يفقهم في الدين فينتفعون به و يكون لك وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم »

فاعطاه الشيخ ابو عمران كتاباً الى الفقيه وأجاج بن زلوا بمدينة نفيس ليبعث معه أحد طلبته لرفض طلبة الشيخ ابي عمران من الذهاب معه

فأخذ يحيى بن ابراهيم كتاب الشيخ ابي عمران وذهب الى مدينة نفيس والتقى بالفقيه واجاج فانتدب معه احد طلبته المدعو عبد الله بن ياسين الجزولي وكان من حذاق الطلبة ومن اهل الفضل والدين والورع . فخرج مع يحيى بن ابراهيم الى الصحراء . فتلقاها قبائل كدالة ولمتونة وفرحوا باميرهم وتيمنوا بالفقيه وبالغوا في اكرامه . ثم شرع يعلمهم القرآن ويقيم لهم رسم الدين . ولما كانت قبائل البر بر لجهلهم قد اعتادوا عوائد مخالفة كل المخالفة لروح القرآن ابتداء ان ينهاهم عن تلك العوائد فلقي منهم اذاناً صماء ورفضوا تعاليم القرآن رفضاً باتاً لكي لا يخلعوا تلك العوائد التي انغرست في اذهانهم . فلما رأى عبد الله بن ياسين اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الاسلام يومئذ فلم يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك وقال له :

« انما أتيت بك لانتفع بعلمك في خاصة نفسي وما علي فيمن ضل من قومي » ثم أشار عليه ان يعتزلا العالم وان يذهبا الى جزيرة قريبة هناك ليتعبدا فيها فوافق عبد الله بن ياسين على ذلك وذهب هو ويحيى بن ابراهيم ومعهما سبعة نفر من كدالة الى تلك الجزيرة وابتنى فيها عبد الله بن ياسين رابطة (منها لقب مرابطين) هناك وأقام في اصحابه يعبدون الله مدة ثلاثة اشهر فتسامع الناس بهم وانهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار فكثر الواردون عليهم والتوابون لديهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن و يستميلهم الى الخير ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم الم عقابه حتى تمكن حبه من قلوبهم فلم تمر عليه الا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو الف رجل من اشراف صنهاجة فسماهم المرابطين للزومهم رابطته

ولما أنس منهم التقوى ندبهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة وقال لهم « معشر المرابطين انكم اليوم جمع كثير نحو الف رجل وان يغلب الف من قلة

وانتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم وقد اصلحكم الله وهداكم الى صراطه المستقيم فوجب عليكم ان تشكروا نعمته عليكم بان تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده »

فقالوا له « أيها الشيخ المبارك مرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا » فأمرهم بارشاد عشائرهم وارجاعهم عن غيهم. فوعظوهم فلم يتعظوا وزجروهم فلم يزدجروا فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه ووعظهم وحذرهم فلم يسمعوا له كلاماً. فلما يئس منهم أمر اصحابه بجهادهم فبدأ اولاً بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة الاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه وقتل منهم خلقاً كثيراً واسلم الباقون اسلاماً جديداً وحسنت حالهم ثم سار الى قبيلة لمتونة فنزل عليها وقاتلهم حتى انتصر عليهم واذعنوا الى الطاعة وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له وبايعوه على ما بايعته لمتونة وكدالة فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا الي التوبة والمبايعة وأقروا له بالسمع والطاعة.

فلما قوي أمر عبد الله بن ياسين اخذ في اشتراء السلاح وتجنيد الجنود لغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذللها وطار صيته في جميع بلاد المغرب ثم توفي يحيى بن ابراهيم أمير صنهاجة على اثر ذلك سنة ٤٣٤ ﻫ

٢٧٨ ـ يحيى بن عمر اللمتوني

من سنة ٤٣٤ ـ ٤٤٧ ﻫ او من سنة ١٠٤٢ ـ ١٠٥٥ م

لما توفي يحيى بن ابراهيم عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بامر المرابطين في حربهم وجهادهم لعدوهم. وكانت قبيلة لمتونة من بين صنهاجة اكثر تديناً فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويقدمهم على غيرهم فاختار منهم ابا زكريا يحيى بن عمر وولاه امر صنهاجة بعد يحيى بن ابراهيم. وكان عبد الله بن ياسين هو الامير في الحقيقة

صاحب الامر والنهي فاطاعه يحيي بن عمر طاعة عمياء وبذا استقام له الامر بجميع بلاد الصحراء .

وفي سنة ٤٤٧ ﻫ كان قد انتشر ذكر عبد الله بن ياسين واصحابه المرابطين في المغرب الاقصى فاجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا الى عبد الله بن باسين ويحيي بن عمر واشياخ المرابطين كتاباً يرغبون اليهم في الوصول الى بلادهم ليطهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف من الامراء .

فلما وصل الكتاب الى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأه عليهم واستشارهم فيما يجيب به ففوضوا امر ذلك الى فطنته واظهروا اذعانهم وطاعتهم باوامره . فدعا لهم بالخير وحضهم على الجهاد وخرج بهم في ٢٠ صفر سنة ٤٤٧ ﻫ في جيش كثيف من المرابطين فسار حتى وصل الى بلاد درعة فطرد منها عامل مسعود بن وانودين الخزر وفي واستولى عليها . واتصل خبر تقدمه بمسعود فجمع جيوشه وسار لقتاله فالتقى الجمعان بين درعة وسجلماسة فاقتتلوا قتالاً شديداً وقتل مسعود وانهزم جمعه واستولى عبد الله بن ياسين على سجلماسة واصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو واحرق الدور التي تباع فيها الخمور وازال المكوس واسقط المغارم المخزنية ومحا ما اوجب الكتاب والسنة محوه واستعمل على سجلماسة عاملاً من لمتونة وعاد الى الصحراء .

وفي هذه السنة (٤٤٧ ﻫ) توفي الامير ابو زكريا يحيي بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان .

٢٧٩ – ابو بكر بن عمر اللمتونى

من سنة ٤٤٧ – ٤٥٣ ﻫ او من سنة ١٠٥٥ – ١٠٦١ م

لما توفي الامير يحيي بن عمر ولي عبد الله بن ياسين مكانه اخاه ابا بكر بن عمر . وفي سنة ٤٤٨ ﻫ ندب عبد الله بن ياسين المرابطين لفتح بلاد السوس فزحف ابو بكر بن عمر اليها في جيش كثيف جعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس وكان بها قوم من الرافضة فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى قبلوا مذهب السنة والجماعة

ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتحها بالسيف واستولى عليها قوة واقتداراً ثم تقدم الى بلاد قبائل برغواطة واستولى عليها وأزال منها الكفر . وتوفي عبد الله بن ياسين مهدي المرابطين اثر جراح اصابته في قتال قبائل برغواطة هذه سنة ٤٥١ هـ

فاستمر الامير أبو بكر على رياسته وجددت له البيعة بعد وفاة عبدالله بن ياسين وعاد بعد ان اخضع قبائل برغواطة الى مدينة اغمات فاقام بها الى صفر سنة ٤٥٢ هـ وفيها خرج غازياً بلاد المغرب في أمم لا تحصى من صنهاجة وجزولة والمصامدة ففتح بلاد فزاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكناسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها وافتتحها عنوة وخربها فلم تعمر بعد الى الآن وكان تخريبه اياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم رجع الى مدينة اغمات

وفي سنة ٤٥٢ هـ بلغ ابا بكر بن عمر ان قد وقع الخلاف بالصحراء فسار اليها لاصلاح احوالها واستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين

ولما اصلح ابو بكر بن عمر احوال الصحراء وقتل المفسدين سمع بعظم شأن ابن عمه يوسف بن تاشفين بالمغرب فخافه واراد عزله فتقدم اليه لهذا الغرض . وكان ليوسف بن تاشفين زوجة تدعى زينب بنت اسحق النفزاوية (وكانت امرأة ابي بكر بن عمر من قبله) وكانت بارعة الجمال مع علم وسياسة فاشارت عليه كيف يستقبل ابن عمه ابا بكر بن عمر فعمل بشورتها فتنازل له ابو بكر بن عمر عن الرياسة وعاد الى الصحراء يجاهد كفار السودان الى ان استشهد من سهم مسموم اصابه في شعبان سنة ٤٨٠ هـ .

٢٨٠ — امير المسلمين يوسف بن تاشفين

من سنة ٤٥٣ — ٥٠٠ هـ او من سنة ١٠٦١ — ١١٠٦ م

لما عزم الامير ابو بكر بن عمر على السفر الى بلاد الصحراء دعا ابن عمه

يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني فعقد له على بلاد المغرب وفوض اليه امره وامره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة و بني يفرن وسائر زناتة البربر و بايعه اشياخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته . فعاد يوسف الى سجلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال ابي بكر بالنصف الاخر وذلك في ذي القعدة سنة ٤٥٣ ﻫ فتقدم بهم لقتال من بالمغرب من مغراوة وبني يفرن وسائر قبايل البربر القايمين به فتقري المغرب بلداً بلداً وتتبع اهله قبيلة قبيلة فقوم يقاتلونه ثم يظفر بهم وقوم يفرون بين يديه وقوم يلقون السلم و يبذلون الطاعة حتى دوخ بلاد المغرب ثم سار حتى دخل مدينة اغمات ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسحق النفزاوية التي كانت تحت ابي بكر بن عمر فكانت عنوان سعده والقائمة بملكه والمدبرة لامره والفاتحة عليه لحسن سياستها لاكثر بلاد المغرب ومن ذلك اشارتها عليه في امر أبي بكر وكيفية ملاقاته حتى ثبتت لزوجها ملك المغرب بحسن تدبيرها

وفي سنة ٤٥٤ ﻫ كان امر يوسف بن تاشفين قد استفحل بالمغرب جداً ورسخت قدمه في الملك وعظم صيته فسمت همته الى بناء مدينة يأوي اليها بجشمه وجنده وتكون حصناً له ولارباب دولته فاشترى موضع مدينة مراكش و بناها . ومعنى لفظه مراكش (امش مسرعاً) واصلها بر برية وقيل لها ذلك لانها كانت مسكناً للصوص

وفي سنة ٤٥٤ ﻫ المذكورة جمع يوسف بن تاشفين جيشاً كثيفاً قيل بلغ اكثر من مائة الف وقصد مدينة فاس فقاتلته قبائل زناتة قتالاً شديداً انهزموا في اخره وانحصروا بمدينة صدينة فدخلها عليهم بالسيف عنوة ثم رحل الى فاس فنازلها بعد ان فتح جميع احوازها فحاصرها حتى فتحها وهو الفتح الاول وذلك سنة ٤٥٥ﻫ فاقام بها اياماً واستعمل عليها عاملاً من لمتونة وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى اشرف على طنجة و بها يومئذ الحاجب سكوت البرغواطي من موالي بني حمود ثم رجع الى منازلة قلعة فزاز فخالفه بنو معنصر بن حماد

المغراوي الى فاس فدخلوها وقتلوا عامل يوسف الذي كان بها . واتصل الخبر يوسف بن تاشفين فسير العساكر لقتالهم فتوالت عساكر المرابطين على تميم بن معنصر المغراوي صاحب فاس بالغارات والنهب واشتد عليه الحصار حتى قلت الاقوات بفاس . فلما رأى ما نزل به من المرابطين جمع مغراوة وبني يفرن وخرج اليهم لاحدى الراحتين فدارت عليه الدائرة فقتل تميم وجماعة من عشيرته في تلك الوقعة وتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن ابي العافية المكناسي فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى المرابطين وبعد وقائع كثيرة انتصر عليهم وازاحهم عن فاس

وكان الامير يوسف بن تاشفين في ذلك الوقت محاصرًا لقلعة فازاز فاتاه الخبر بانهزام عساكره أمام الزناتيين فارتحل عن قلعة فازاز بعد ان ترك بها جيشاً من المرابطين لحصارها فاقاموا عليها تسع سنين ثم دخلوها صلحاً سنة ٤٦٥ هـ .

ولما ارتحل يوسف بن تاشفين عن قلعة فازاز وذلك سنة ٤٥٦ هـ سار الى بني مراسن واميرهم يومئذ يعلي بن يوسف فغزاهم وفتح بلادهم ثم سار الى بلاد فندلاوة فغزاها وفتح جميع تلك الجهات ثم سار منها الى بلاد ورغة ففتحها وذلك في سنة ٤٥٨ هـ . وفي سنة ٤٦٠ هـ فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة . وفي سنة ٤٦٢ هـ اقبل الى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد الحصار عليها حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبني يفرن ومكناسة خلقاً كثيرًا وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس . فتم ليوسف بن تاشفين في هذه المرة فتح جميع بلاد المغرب الاقصى ما عدى سبتة وطنجة . ثم طاف بجميع بلاد المغرب الاقصى يتفقد احواله وينظر في سيرة ولاته وعماله حتى أصلح الكثير من امور الناس وارجع الناس عن كثير من غيهم

وكانت سبتة وطنجة لبني حمود الادريسيين الذين استولوا على الاندلس عقب انقراض الدولة الاموية فيها . فاستنابوا على سبتة وطنجة من وثقوا به من

مواليهم الصقالبة . ولم يزل أمر المدينتين الى نظر هؤلاء النواب واحداً بعد واحد الى ان استقل بهما الحاجب سكوت البرغواطي فاستمر عاملاً على المدينتين حتى اتصلت أيام ولايته بدولة امير المسلمين يوسف بن تاشفين . فدعا الحاجب سكوت الى مظاهرته على غمارة فهم باطاعة أوامره فنهاه ابنه عن ذلك فسكت . فلما فرغ يوسف بن تاشفين من امر المغرب صرف عزمه الى الحاجب سكوت . وكان المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية بالاندلس قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد فاعتذر له يوسف بعدم تمكنه مبارحة المغرب حتى ينتهي من أمر الحاجب سكوت . فراجعه ابن عباد يشير عليه بان يسير هو الى سبتة بعساكره في البر فينازلها ويبعث ابن عباد اساطيله في البحر فينازلونها ايضاً حتى يملكها فعزم يوسف على انفاذ هذا الرأي

وفي سنة ٤٧٠ هـ جهز يوسف بن تاشفين جيشاً مؤلفاً من ٤٢ الف مقاتل بقيادة صالح بن عمران وسيرهم الى طنجة فلما قربوا منها برز اليهم الحاجب سكوت وقد أقسم ان لا يرجع حتى ينتصر او يموت وكان سكوت شيخاً يناهز التسعين . فالتقى الجمعان بظاهر طنجة فانهزم سكوت وقتل في المعركة وتشتت جموعه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها واستولوا عليها . ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبتة واعتصم بها

وفي سنة ٤٧٢ هـ بعث الامير يوسف بن تاشفين جيشاً بقيادة مزدلي بن تلكان اللمتوني لغزو المغرب الاوسط فسار الى تلمسان وبها العباس بن بختي من ولد يعلي بن محمد المغراوي فدخلوا المغرب الاوسط وظفروا بيعلي بن الامير العباس فقتلوه ثم كروا راجعين الى يوسف بن تاشفين بمراكش .

وفي سنة ٤٧٥ هـ ورد كتاب المعتمد بن عباد الى الامير يوسف بن تاشفين يعلمه بحال بلاد الاندلس وما آل اليه أمرها من تغلب الافرنج على اكثر ثغورها ويسأله النصر والاعانة فاجابه يوسف بقوله « اذا فتح الله علي سبتة اتصلت بكم وبذلت جهدي في جهاد العدو »

وكان الفونس السادس ملك أراغون قد تحرك في هــذه السنة في جيوش لا تحصى واستولى على أغلب بلاد الاندلس مدينة مدينة فنزل على أشبيلية فاقام عليها ثلاثة أيام فافسد وخرب كل ما حولها وكذلك فعل في شدونة واحوازها وخرب بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف فادخل قوائم فرسه في البحر وقال « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته » ثم رجع الى مدينة سرقسطة فنزل عليها وحاصرها وحلف ان لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها وأراد ان يقدمها بالفتح عن غيرها فبذل له أميرها المستعين بن هود مالاً عظيماً فلم يقبله منه وقال المال والبلاد لي وبعث الى كل قاعدة من قواعد الاندلس جيشاً لحصارها والتضييق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر بن ذي النون سنة ٤٧٧ ﻫ . فلما بلغ ضعف المسلمين بالاندلس هذا الحد من عدم مقدرتهم مقاومة اعدائهم اجمع رأيهم على مكاتبة الامير يوسف بن تاشفين يستنجدونه على عدوهم فكاتبه اهل الاندلس كافة من الخاصة والعامة يستصرخونه في تنفيس العدو عن مخنقهم على ان يكونوا معه يداً واحدة . فلما تواترت كتبهم ورسلهم عليه بعث ابنه المعز بن يوسف في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنازلها براً وأحاطت بها أساطيل ابن عباد بحراً فافتحموها عنوة في ربيع الآخر سنة ٤٧٧ ﻫ وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت وجيء به الى المعز أسيراً فقتله صبراً وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بفاس ينظر في امر الجهاد ويستعدله ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصداً نحوها ليعبر منها الى الاندلس . ولما سمع المعتمد بن عباد بفتح سبتة ركب البحر الى المغرب لاستنفار يوسف الى الجهاد فلقيه مقبلاً بيلاد طنجة بموضع يعرف بيليطة فاخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر فامره يوسف بن تاشفين ان يرجع الى الاندلس ويستعد بمن عنده حتى يلحقه . وجمع يوسف بن تاشفين جمعاً كثيفاً من المسلمين وأجازهم البحر واتخذ الجزيرة الخضراء قاعدة لاعماله . ولما تكاملت جنوده بساحل الجزيرة الخضراء

عبر هو في أثرها في موكب عظيم من قواد المرابطين وانجادهم وصلحائهم فوصل الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع الاول سنة ٤٧٩ هـ

وكان في انتظاره المعتمد بن عباد صاحب شبيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس . واتصل الخبر بالفونس السادس ملك اراغون وهو في ذلك الوقت يحاصر سرقسطة فارتحل عنها وقصد يوسف بن تاشفين بعد ان استمد أمراء الاندلس فأمدوه بجموع لا تحصى وسار اليه يوسف بن تاشفين ايضاً فالتقى الجمعان بالقرب من بطليوس وكان نزول يوسف بن تاشفين بموضع يعرف بالزلاقة (واليه تنسب هذه الغزوة الشهيرة)

ونزل المعتمد بن عباد بموضع آخر يحجز بينه وبين يوسف ربوة وبين المسلمين والافرنج نهر بطليوس يشرب منه الجميع . فلما تكاملت جيوش الفونس امرهم بالهجوم على المعتمد بن عباد بعد ان حثهم قائلاً « ان ابن عباد مسعر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون (يقصد المرابطين) وان كانوا اهل حفاظ وذوي بصائر في الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا فان انكشف لكم هان عليكم امر الصحراويين بعده ولا اراه (اعني ابن عباد) يصبر لكم ان صدقتموه القتال »

فاتت جواسيس ابن عباد واخبرته الحقيقة فاستمد يوسف بن تاشفين لكنه لم يصله مدده حتى كانت غشيته جنود الفونس واحاطت به من كل جهة فهاجت الحرب وحمي الوطيس واستمر القتال في اصحاب ابن عباد فصبر صبراً لم يعهد مثله وكاد يتلاشى جيشه لولا ان وافته جنود يوسف بن تاشفين واول من وصل من قواده داود بن عائشة وكان بطلا شهماً فنفس بمجيئه كربته ثم وصل يوسف بن تاشفين بعد ذلك وطبوله قد ملئت أصواتها الجو فلما ابصره الفونس وجه حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم يوسف فصدمهم صدمة ردتهم الى مركزهم وصبر الفريقان صبرا عظيماً وبعد قتال تشيب لهوله الولدان أنهزم الفونس هزيمة شنعاء واصابته طعنة في احدى ركبتيه بقي يخمع بها بقية عمره . وهرب الفونس

وجيوشه وسيوف المسلمين تصفعهم والرماح تطعنهم حتى لحقوا بربوة لجاو اليها واعتصموا بها واحدقت بهم الخيل فلما كان الليل انساب الفونس واصحابه من الربوة وافلتوا من بعد ما نشبت فيهم اظافر المنية . واستولى المسلمون على ماكان في محلتهم من الاثاث والانية والاسلحة وغير ذلك

وعظم شأن يوسف بن تاشفين بهذا الانتصار المبين فتلقب في ذلك اليوم بامير المسلمين واتاه تقليد الخليفة المقتدي بامر الله العباسي على ما فتحه ولقبه ناصر الدين ثم رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب ظافراً منصوراً

وفي سنة ٤٨٤ هـ طمع امير المسلمين يوسف بن تاشفين في الاستيلاء على بلاد الاندلس لما تحققه من ضعف اهلها وعدم مقدرتهم حفظ انفسهم فسير جيشاً بقيادة سير بن ابي بكر فعبروا الخليج واتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها واخرجوا ابا عبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة ومدينة دانية فملكوها ثم قصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد فحصروه بها وضيقوا عليه فقاتل اهلها قتالاً شديداً وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه وحسن دفاعه عن بلاده ما لم يشاهد من غيره ما يقارب به ولكن لما كانت الكثرة تغلب الشجاعة واذانفدت المدة لم تغن العدة انتصر المرابطون مراراً عليه فالتجأ الى الفونس ملك اراغون وكاتبه ليمده بالعساكر ليجلي عنه المرابطين على أن تكون البلاد له فامده الفونس بجيش عظيم . ولما علم سير قائد المرابطين بقدوم الافرنج لنصرة ابن عباد انتخب من رجاله عشرة الاف من اهل الشجاعة والنجدة وسيرهم بقيادة ابراهيم بن اسحق اللمتوني وبعثهم للقاء الافرنج فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها الافرنج حتى لم يفلت منهم الا القليل ثم شدد سير بن ابي بكر الحصار والتضييق على اشبيلية حتى اقتحمها عنوة وقبض على المعتمد وجماعة من اهل بيته وبعث بهم الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فسجن المعتمد باغمات واستمر في السجن الى ان مات سنة ٤٨٨ هـ .

ثم عمد سير الى بطليوس وقبض على صاحبها عمر بن الافطس وقتله هو

وابنيه يوم الاضحى سنة ٤٨٩ هـ ورثاهم ابن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في أولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر   فما البكاء على الاشباح والصور

واستولى سير قائد يوسف بن تاشفين على جميع بلاد الاندلس ومحا منها ملوك الطوائف ولم يبق منهم غير المستعين بن هود صاحب سرقسطة وكان قد اعتصم بالافرنج

وفي سنة ٥٠٠ هـ توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين وكان حازماً ضابطاً للامور موثراً لاهل العلم والدين كثير المشورة وهو اعظم ملوك المرابطين بلا مراء حتى جعله كثير من المؤرخين اول الدولة المرابطية لشهرته الفائقة وعدم اشتهار من سبقه

٢٨١ علي بن يوسف

من سنة ٥٠٠ — ٥٣٧ هـ او من سنة ٦ ١١ — ١١٤٢ م

لما توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين قام بالامر بعده ابنه علي بن يوسف بعهد منه اليه بذلك فبايعه جميع من حضر من لمتونة بمراكش وسائر قبائل صنهاجة وبايعه الفقهاء واشياخ القبائل ولما تمت له البيعة بمراكش كتب الى سائر بلاد المغرب والاندلس يعلمهم بوفاة ابيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة فاتته البيعة من جميع البلاد واقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة الا اهل مدينة فاس فان ابن اخيه يحيى بن أبي بكر بن يوسف كان اميراً عليها من قبل جده يوسف فلما انتهى اليه الخبر بموت جده وولاية عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعة عمه فخرج عليه ووافقه على ذلك جماعة من قواد لمتونة فزحف عليه علي بن يوسف من مراكش حتى اذا دنا من فاس خاف يحيى بن ابي بكر على نفسه وعلم ان لاطاقة له بحرب عمه . فاسلم فاساً لعمه وخرج منها واسكنه عمه معه بمراكش ثم اتهمه بالتشغيب عليه فبعث به الى الجزيرة الخضراء فاستقر بها الى ان مات

وفي سنة ٥٠٣ هـ جاز امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس بقصد الجهاد فعبر البحر من سبتة منتصف المحرم في جيوش عظيمة فانتهى الى قرطبة فأقام بها شهراً ثم خرج منها غازياً الى مدينة طلابوت ففتحها عنوة بالسيف وفتح حصوناً كثيرة حتى انتهى الى طليطلة فحاصرها ولم يتمكن من فتحها فقفل راجعاً الى قرطبة ومنها عاد الى المغرب الاقصى

وفي سنة ٥٠٤ هـ فتح الامير سير بن ابي بكر شنترين وبطليوس وبرتقال واشبونه وغير ذلك من بلاد غرب الاندلس وكتب بالفتح الى امير المسلمين

وفي سنة ٥٠٧ هـ توفي الامير سير بن ابي بكر بمدينة اشبيلية ودفن بها و ولي اشبيلية عوضاً عنه ابو عبد الله محمد بن فاطمة فلم يزل عليها الى ان توفي سنة ٥١٠ هـ

وكانت سرقسطة من بلاد الاندلس تحت تسلط بني هود تغلبوا عليها في صدر المائة الخامسة ايام الطوائف وتوارثوها الى ان كان منهم احمد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله فزحف اليه ابن رودمير سنة ٥٠٣ هـ فخرج اليه المستعين فالتقوا بظاهر سرقسطة فانهزم المسلمون واستشهد المستعين احمد بن يوسف بن هود صاحب سرقسطة فتولى بعده ابنه عبد الملك بن المستعين الملقب بعماد الدولة .

فلما كانت سنة ٥١٢ هـ اتحد النونس وابن رودمير على فتح سرقسطة فزحفا اليها وشددا الحصار عليها واتصل الخبر بامير المسلمين علي بن يوسف فكتب الى امراء غرب الاندلس يامرهم بالاتحاد مع اخيه تميم بن يوسف (الذي كان يومئذ والياً على شرق الاندلس) فيسيرون معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة فاطاعوا امره . وخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع امراء الاندلس وقصد لاردة وقاتل الاسبانيين عليها قتالاً شديداً والنصر متبادل بين الطرفين حتى كل تميم ورجع الى بلنسية . فلما رجع شدد الفونس وابن رودمير الحصار على سرقسطة وافتتحاها قوة واقتداراً سنة ٥١٢ هـ المذكورة

وفي سنة ٥١٣ هـ تقدم ابن رودمير الى شرق الاندلس وابتداء يفتح مدنه وحصونه حتى استولى على قلعة ايوب وهي من احصن قلاع الاندلس فازعج امير المسلمين علي بن يوسف لهذه الاخبار وجاز الى الاندلس في السنة المذكورة وهو جوازه الثاني وقاتل الاسبانيين وانتصر عليهم في عدة مواقع واصلح احوال الاندلس ثم عاد منها سنة ٥١٥ هـ بعد ان استخلف عليها اخاه تميم بن يوسف

وفي سنة ٥٢٠ هـ توفي الامير تميم بن يوسف بن تاشفين فولى امير المسلمين علي

ابن يوسف مكانه على الاندلس ابنه تاشفين بن علي فكان حسن الجهاد

وفي سنة ٥٣٧ هـ توفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وذلك لسبع خلون من رجب من السنة المذكورة وكان حليماً وقوراً صالحاً عادلاً . وفي ايامه ظهر محمد بن تومرت المعروف بالمهدي بجبال المصامدة فكان ظهوره الضربة القاضية على دولة المرابطين وسبباً لتأسيس دولة الموحدين كما سيأتي ذكره ان شاء الله

٢٨٢ — تاشفين بن علي

من سنة ٥٣٧ — ٥٣٩ هـ او من سنة ١١٤٢ — ١١٤٤ م

لما توفي امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين تولى بعده ابنه المعز تاشفين بعهد منه اليه بذلك وكان امر عبد المؤمن بن علي خليفة محمد بن تومرت المهدي قد استفحل بتينملل وسائر بلاد المصامدة اهل جبل درن وخرج للاستيلاء على المغرب الاقصى من يد الدولة المرابطية فسار امير المسلمين تاشفين بن علي لقتاله فاقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه المرابطون هزيمة شنعاء وتوالت الهزائم على تاشفين فلما علم بعدم مقدرته برد هجمات الموحدين رحل الى وهران سنة ٥٣٩ هـ فتعقبه الموحدون اليها وقتلوه بها وذلك لسبع وعشرين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ

٢٨٣ — اسحق بن علي بن يوسف

من سنة ٥٣٩ — ٥٤١ هـ او من سنة ١١٤٤ — ١١٤٦

لما قتل امير المسلمين تاشفين بن علي قام بالامر بعده اخوه اسحق بن علي ولكن لم يلبث طويلاً حتى داهمته جنود الموحدين وحاصرت مراكش وهو بها سنة ٥٤٠ هـ واستمر حصار مراكش تسعة اشهر حتى جهد اهلها الجوع والخوف فخرجوا لقتال الموحدين فانهزموا امامهم واقتحموا عليهم المدينة في شوال سنة ٥٤١ هـ وقتل عامة الملثمين ونجا اسحق في خواصه الى القصبة حتى نزلوا على حكم الموحدين وأُحضر اسحق بن علي بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون وامحى اثر الملثمين واستولى الموحدون على جميع بلاد

المغرب والله غالب على امره

٢٨٤ ـ الدولة المزيدية بالحلة

(تمهيد) كان بنو مزيد هؤلاء من بني أسد وكانت محلاتهم من بغداد الى البصرة الى نجد وكان بينهم و بين بني دبيس من عشائرهم وقائع وحروب اشتهر بسببها ابوالحسن علي بن مزيد لانتصاراته المتوالية على ابن دبيس فقلده فخر الدولة بن بويه امر الجزيرة الدبيسية سنة ٤٠٣ هـ وهذا ابتداء ملكهم

٢٨٥ - ابو الحسن علي بن مزيد

من سنة ٤٠٣ — ٤٠٨ هـ او من سنة ١٠١٢ — ١٠١٧ م

وقام عليه لاول ولايته مضر بن دبيس وقاتله واسترجع منه الجزيرة الدبيسية فانحصر ملك علي في نواحي الحلة فاقام عليها الي ان توفي سنة ٤٠٨ هـ

٢٨٦ — دبيس بن علي بن مزيد

من سنة ٤٠٨ — ٤٧٤ هـ او من سنة ١٠١٧ — ١٠٨١ م

لما توفي ابو الحسن علي بن مزيد تولى بعـده ابنه دبيس بن علي بن مزيد بعهد منه فخالفه اخوه الا كبر المقلد واتصل ببني عقيل واقام بينهم ثم استمد جلال الدولة فامده بعسكر وقصدوا دبيساً فانهزم امامهم واسر جماعة من اصحابه ولحق دبيس بالشر يدمنهزماً فسار به الى مجد الدولة وضمن عنه المال المقرر في ولايته فاجيب الى ذلك وخلع عليه واستقام حاله . وذهب المقلد مع جماعة من خفاجة فنهبوا مطيراباد والنيل اقبح نهب وعاثوا في منازلها . ولم تكن الحلة بنيت حينئـذ . وعبر المقلد دجلة الى ابي الشوك فاقام عنده حتى اصلح امره

وكان لدبيس بن مزيد اخ آخر اسمه ثابت بن علي فهذا اتصل بالبساسيري سنة ٤٢٤ هـ واستمده على أخيه دبيس فامده بجيش عظيم فتزحزح لهم دبيس عن البلاد وملك ثابت اعمال دبيس والنيل فبعث اليه دبيس طائفة من اصحابه فانهزموا امام ثابت فسار دبيس عن البلاد وتركها لثابت حتى رجع البساسيري الى بغداد فسار في جموع بني اسد وخفاجة فقاتلوا ثابتاً ملياً ثم اصطلحوا على ان يعود دبيس الى اعماله ويقطع أخاه ثابتاً بعض تلك الاعمال فتحالفوا على ذلك

وفي سنة ٤٤١ هـ اقطع الملك الرحيم دبيس بن علي بن مزيد حماية نهر الصلة ونهر الفضل وكانت من اقطاع جند واسط فغضبوا وزحفوا اليه فلقيهم واكمن لهم فهزمهم واثخن فيهم وغنم اموالهم ودوابهم فكروا راجعين الى واسط

وفي سنة ٤٤٦ هـ خالف بنو خفاجة على الامير دبيس وعاثوا في بلاده بالفساد فاستنجد البساسيري فجاء بنفسه لنجدته وعبر دبيس الفرات معه وقاتل خفاجة واجلاهم عن بلاده فسلكوا البرية ورجع البساسيري عنهم فعادوا الى الفساد فعاد اليهم فدخلوا البرية فاتبعهم الى خفان فاوقع بهم واثخن فيهم وحاصر خفان ثم اقتحمه واخرجهم ورجع الى بغداد ومعه اسارى من خفاجة فصلبوا بها

ولما انقرض امر بني بويه واستولى الملك طغرل بك السلجوقي على بغداد وقتل الملك الرحيم آخر بني بويه كما تقدم ذكر ذلك وكان البساسيري قد فارق الملك الرحيم قبل مسيره من واسط الى بغداد للقاء طغرل بك مجمعاً على الخلاف على السلجوقيين الذين مع قطلمش ابن عم طغرل بك جد ملوك السلاجقة ببلاد الروم ومعه متمم الدولة ابو الفتح عمر وسار معهم قريش بن بدران صاحب الموصل . فلقيهم دبيس والبساسيري على سنجار وهزمهم ورجع قريش الى دبيس جريحاً فخلع عليه وسار معهم وذهب بهم الى الموصل وخرج دبيس وقريش والبساسيري الى البرية واتبعتهم عساكر السلجوقيين بقيادة هزارست فاوقع بهم ورجع بالغنائم والاسرى وارسل دبيس وقريش الى هزارست ان يستعطف بهم

السلطان ففعل . وبعث دبيس ابنه بهاء الدولة مع وافد قريش فاكرمهما السلطان طغرل بك واقر دبيساً على اعماله ثم خالف نيـال اخو السلطان طغرل بك عليه بهمذان فسار اليه فانتهز البساسيري فرصة غيابه واتحد هو ودبيس وغيره ودخلوا بغداد سنة ٤٥٠ هـ وخطبوا فيها للعلويين اصحاب مصر (الفاطميين) .

ولما انتهى طغرل بك من امر اخيه رجع الى بغداد فخرج عنها البساسيري ودبيس واصحابهما ولحقوا ببلاد دبيس . واعاد طغرل بك الخطبة ببغداد للخليفة العباسي وارسل عساكره لقتال البساسيري ودبيس فالتقوا وانهزم دبيس وهرب وقتل البساسيري وذلك سنة ٤٥١ هـ ثم كاتب دبيس السلطان طغرل بك السلجوقي يطلب منه الامان فأمنه واقره على عمله وخلع عليه خلعة سنية . فاستمر دبيس في ولايته الى ان توفي سنة ٤٧٤ هـ

٢٨٧ — منصور بن دبيس

من سنة ٤٧٤ — ٤٧٩ او من سنة ١٠٨١ — ١٠٨٦ م

ولما توفي دبيس بن علي بن مزيد تولى بعده ابنه منصور ولقب بهاء الدولة وسار الى السلطان ملك شاه فاقره على عمله فاستمر كذلك الى ان توفي سنة ٤٧٩ هـ

٢٨٨ — صدقة بن منصور

من سنة ٤٧٩ — ٥٠١ او من سنة ١٠٨٦ — ١١٠٧ م

لما توفي منصور بن دبيس تولى بعده ابنه صدقة الملقب بسيف الدولة فارسل اليه الخليفة نقيب العلويين ابا الغنائم يعزيه وسار صدقة الى السلطان ملك شاه فخلع عليه ولاه مكان ابيه

وفي سنة ٤٨٥ هـ توفي السلطان ملك شاه وتولى بعده ابنه السلطان بركيارق

وحصلت بينه و بين اخوته فتن يطول شرحها سنذكرها ان شاء الله في تاريخ الدولة السلجوقية . وفي كل هذه المدة كان صدقة بن منصور مطيعاً للسلطان بركيارق ممداً له تارة بنفسه وتارة بجيوشه الى ان كانت سنة ٤٩٤ هـ وفيها ارسل الوزير الاعز ابو المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق الى صدقة بن منصور يقول له « قد تخلف عندك لخزانة السلطان الف الف دينار فان أرسلتها والا سيرنا اليك العساكر وأخذنا منك بلادك » فلما وصلته هذه الرسالة قطع خطبة السلطان بركيارق وخطب لاخيه السلطان محمد . وكان السلطان بركيارق في ذلك الوقت مشغولاً بقتال اخوته وفتنتهم فلما عاد الى بغداد في هذه السنة منهزماً امام اخويه محمد وسنجر ارسل الى صدقة بن منصور مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياذ من اكابر اصحابه يشير عليه بطاعة السلطان وامتثال اوامره فابي الامتثال أن لم يسلم اليه الوزير أبا المحاسن فلم يجبه الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

وفي سنة ٤٩٦ هـ استولى صدقة على مدينة هيت من يد عاملها بهاء الدولة شروان بن وهب بن وهيب

وفي سنة ٤٩٧ هـ استولى على مدينة واسط واجلى الاتراك عنها واقام بها الى سادس ذي القعدة ثم انحدر الى بلده

وفي سنة ٤٩٩ هـ انحدر سيف الدولة صدقة بن منصور من الحلة الى البصرة فملكها والسبب في ذلك ان البصرة كانت لاسماعيل بن ارسلانجق عاملاً عليها من قبل السلجوقيين فاقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكناً بالاختلاف الواقع بين السلاطين السلجوقية فاخذ الاموال السلطانية واستولى عليها . وكان قد راسل صدقة واظهر له انه في طاعته وموافقته . فلما استقر الامر للسلطان محمد اراد ان يرسل الى البصرة مقطعاً يأخذها من اسماعيل فخاطب صدقة في معناه حتي أقرت البصرة عليه . فارسل السلطان عميداً اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان

هناك فمنعه اسماعيل ولم يمكنه من عمله فامر السلطان صدقة بقصده وأخذ البصرة منه فتحرك لذلك . واتفق ظهور منكبرس وخلافه على السلطان وأنه على قصد واسط فسر اسماعيل بذلك لانشغال صدقة عن البصرة فارسل صدقة عاملاً من قبله على البصرة فامسكه اسماعيل واعتقله . فسار صدقة اليه وحصن اسماعيل القلاع واعتقل وجوه البلد من العباسيين والعلويين والاعيان وحاصرها صدقة وخرج اسماعيل لقتاله فخالفه طائفة من اصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد فاقتحموها وأنهزم اسماعيل الى قلعة الجزيرة فامتنع بها واستولي صدقة على البصرة ثم استأمن اسماعيل الى صدقة فأمنه . وسار اسماعيل الى فارس فمرض ومات بها . ورتب صدقة بالبصرة مملوك جده واسمه التونتاش شحنة على البصرة ورتب معه مائة وعشرين فارساً فخالفت عليه ربيعة واجتمعت ضده ودخلوا البصرة بالسيف واسروا التونتاش وأقاموا بها شهرًا ينهبون ويخربون فارسل اليهم صدقة عسكرًا لاخراجهم منها فوصل بعد خروجهم وانتزع السلطان البصرة من صدقة وبعث اليها شحنة وعميدًا واستقام امرها

وفي سنة ٥٠١ هـ خالف سرخاب بن كيخسرو على السلطان محمد والتجأ الى صدقة بن منصور فاجاره وطلبه السلطان فلم يسلمه واظهر الخلاف فسار اليه السلطان في جيش جرار فقاتله وقتله واسر اولاده واسر سرخاب بن كيخسرو أيضاً وكان صدقة جوادًا حليماً صدوقاً عادلاً في رعيته وكان يقرأ ولا يكتب وكانت له خزانة كتب . وهو الذي بنى الحلة في العراق فعظم شأنه وعلي قدره بين الملوك

٢٨٩ — دبيس بن صدقة

من سنة ٥٠١ — ٥٢٩ هـ أو من سنة ١١٠٧ — ١١٣٤ م

ولما قتل السلطان محمد صدقة ارسل اماناً لزوجته فجاءت الى بغداد وأمر

السلطان الامراء بتلقيها واطلق لها ولدها دبيساً واعتذر لها من قتل صدقة واستحلف دبيساً على الطاعة وأن لا يحدث حدثاً . واقام في ظله واقطعه السلطان أقطاعاً كثيرة . ولم يزل دبيس مقيماً عند السلطان محمد الى ان توفي وملك ابنه محمود سنة ٥١١ هـ . فطلب اليه دبيس ان يسرحه الى بلاده فسرحه وعاد اليها فملكها واستقام امره

وفي سنة ٥١٢ هـ لما توفي الخليفة المستظهر وبويع ابنه المسترشد خاف ابنه الآخر من غائلة اخيه وانحدر في البحر الى المدائن وسار منها الى الحلة فابى دبيس ان يكرهه وتكفل بما يطلبه . وفي اثناء ذلك برز البرسقي من بغداد مجلباً على دبيس الجموع وسار اخو الخليفة الى واسط فملكها سنة ٥١٣ هـ وقوي امره وكثرت جموعه فبعث الخليفة الى دبيس بشأنه وانه خرج عن جواره فلق امره بالطاعة وبعث اليه وهو بواسط عسكراً من قبله وقبض عليه وبعثه الى اخيه المسترشد . وكان مسعود اخو السلطان محمد بالموصل ومعه اتابكه حيوس بك فاعتزما على قصد العراق لغيبة السلطان محمود عنه فسار لذلك ومعه وزيره فخر الملك ابو علي ابن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي بن اقسنقر وكروباوي بن خراسان التركماني صاحب البوازيج وابو الهيجاء صاحب اربل وسنجار فلما قاربوا بغداد خاف البرسقي شأنهم وبعث اليه الملك مسعود وحيوس بك انهم انما جاؤا نجدة على دبيس . وكان البرسقي انما ارتاب من حيوس بك فصالحهم ودخل مسعود بغداد ونزل دار المملكة . وجاء منكبرس في العساكر فسار البرسقي عن بغداد لمحاربته ودفاعه فمال الى النعمانية وعبر دجلة واجتمع مع دبيس بن صدقة وكان دبيس قد صانع مسعوداً وصاحبه بالهدايا والالطاف مدافعة عن نفسه فلما لقيه منكبرس اعتضد به وخالف على السلطان مسعود فسار اليهم بعساكره للقائهم فخاف عن اللقاء لكثرة من معهما فبقي الفريقان مدة بلا قتال حتى اتاهم كتاب الخليفة بوجوب الصلح وترك القتال فاصطلحوا وعاد دبيس الى الحلة

وفي سنة ٥١٤ هـ خالف السلطان مسعود على اخيه السلطان محمد وكان

دبيس من أعظم المحرضين له على العصيان . وجمع مسعود جيوشه وجيوش من ناصره على هذا الامر و بينهم دبيس المذكور وساروا لقتال السلطان محمود فانهزموا امامه وعادوا خاسرين فبادر دبيس لطلب الامان بعد ان ارسل حرمه الى البطيحة وسار باموالة عن الحلة وأمر بنهبها فوصل السلطان الى الحلة فوجدها خاوية على عروشها فرجع عنها . وارسل دبيس اخاه منصوراً لاصلاح الحال بينه و بين السلطان فامسكه السلطان وسمله فحزن دبيس لذلك جداً ولبس السواد وحصلت بينه و بين البرسقي وقائع اسر فيها عفيفاً خادم الخليفة فاطلقه وحمله الى المسترشد عقاباً ووعيداً على سمل اخيه فغضب الخليفة وسار لحرب دبيس فكانت بينهما حروب انهزم فيها دبيس واسر جماعة من اصحابه فقتلوا صبراً وسبيت حرمه ورجع المسترشد الى بغداد يوم عاشورا من سنة ٥١٧ هـ

ونجا دبيس وعبر الفرات وقصد غزية من عرب نجد مستنصراً بهم فابوا عليه فسار الى المنتفق وحالفهم على أخذ البصرة فدخلوا ونهبوا أهلها وقتل مقدم عسكرها فبعث المسترشد الى البرسقي بالعتاب على اهمال امر البصرة فتجهز البرسقي للانحدار اليها ففارقها دبيس ولحق بقلعة جعبر وصار مع الافرنج (الصليبيين) واطمعهم في حلب وسار معهم لحصارها سنة ٥١٨ هـ فامتنعت عليهم فعادوا عنها . ولحق دبيس بالملك طغرل بك ابن السلطان محمد فاغراه بالمسير الى العراق وسهل عليه أمر امتلاكه . فسمع له وسار معه بالعساكر الى العراق وملكوا بغداد ونهبوها ثم أجلاهم عنها الملك محمود فلحقوا بالسلطان سنجر بخراسان مستنجدين به وحسن له دبيس الاستيلاء على العراق وخيل له ان المسترشد والسلطان محموداً متفقان على أبعاده ولم يزل يفتل له الذروة والغارب حتى حرك حفيظته لذلك وسار الى العراق سنة ٥٢٢ هـ فوصل الى الري وأستدعى السلطان محموداً من همذان يختبر ما خيل له دبيس فجاء محمود مبادراً واكذب دبيساً فيما خيل وأمر السلطان سنجر العساكر بتلقي محمود وأجلسه معه على التخت واقام عنده الى آخر سنة ٥٢٢ هـ ثم عاد الى خراسان بعد ان اوصاه باعادة دبيس الى بلده فرجع السلطان محمود الى

همذان ودبيس معه ثم سار الى بغداد سنة ٥٢٣ ﻫ وأنزل دبيساً بداره واسترضى له الخليفة فرضي عنه ولكنه أمتنع عن ولايته فضمن الامير ابن قزل والاحمديلي دبيساً الى السلطان محمود فاعاده لولايته

فلما عاد السلطان محمود من العراق الى همذان منتصف سنة ٥٢٣ ﻫ وكان قد ألم به مرض أخذ دبيس ابنه الصغير وقصد العراق فجمع المسترشد لمدافعته وكان بهروز شحنة بغداد بالحلة فهرب عنها وملكها دبيس

واتصل الخبر بالسلطان محمود فاحضر الامير ابن قزل والاحمديلي ضامني دبيس وطالبهما بالضمان فسار الاحمديلي في اثر دبيس. وجاء السلطان الى العراق فلحق دبيس بالبصرة ونهبها وأخذ ما في بيوت الاموال وبعث السلطان في اثره العساكر فدخل البرية. وجاءه عند مفارقته البصرة قاصد من صرصر يستدعيه والسبب في ذلك ان صاحبها توفي في هذه السنة وخلف سرية له فاستولت على القلعة وارادت أن تتم أمرها برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس وحاله في العراق وكثرة عشيرته فكتبت اليه تستدعيه ليتزوج بها وتملكه القلعة بما فيها فلحقه كتابها بعد مفارقته البصرة فاخذ الادلاء معه وسار من أرض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من بني كلب كانوا شرقي الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وبعث فيه عماد الدين زنكي وكان عدوه وكان عنده ابن تاج الملوك مأسوراً في واقعة كانت بينهما فطلب أن يبعث اليه دبيساً ويفادي به ابنه والامراء الذين معه ففعل ذلك تاج الملوك. وحصل دبيس في يد زنكي وقد ايقن بالهلاك لكن زنكي أطلقه وحمل له الاموال والدواب وأكرم وفادته واستمر دبيس مقيماً مع زنكي حتى أنحدر معه الى العراق كما سنذكره أن شاء الله

في سنة ٥٢٦ ﻫ نازع مسعود وسلجوق ابن اخيهما داود بعد وفاة ابيه السلطان محمود ثم استقر الامر للسلطان مسعود. وكان اخوهما طغرل عند عمهما سنجر بخراسان وكان كبير بيت أهل السلجوقية وله الحكم على ملوكهم فنكر على

السلطان مسعود لقتاله سلجوق وطغرل وسار به الى العراق وانتهى الى همذان وبعث الى عماد الدين زنكي فولاه شحنة بغداد والى دبيس بن صدقة وهو عند زنكي فاقطعه الحلة . وتجهز السلطان مسعود لقتال سنجر وطغرل واستدعى الخليفة للحضور معه فخرج من بغداد معه فانهزم السلطان مسعود أمام عمه سنجر وولى سنجر الملك طغرل وخطب له في جميع البلاد

وفي هذه الاثناء كان قد وصل عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة واستولوا على بغداد فعلم الخليفة المسترشد وهو راجع من المعركة بذلك فاسرع بالعود الى بغداد وقاتل عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة وهزمهما ودخل بغداد ولحق دبيس الى بلاد الحلة وكانت بيد اتباع الخليفة فارسل اليه الخليفة العساكر لقتاله فهزموه وشتتوا شمله ثم جمع جمعاً وقصد واسط وانضم الى عسكرها فملكها سنة ٥٢٧ هـ فبعث الخليفة اقبال الخادم وبرنقش الشحنة بالعساكر الى دبيس فلقيهم في عسكر واسط وانهزم وسار الى السلطان مسعود واقام عنده

واقام دبيس بن صدقة عند السلطان مسعود الى سنة ٥٢٩ هـ وفيها كانت الحرب بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد وانهزم المسترشد ووضع في خيمته واتفق وصول السلطان سنجر فخرج مسعود لاستقباله وترك الخليفة وحده في خيمته فقام عليه الباطنية وقتلوه كما تقدم ذكر ذلك فلما قتل الباطنية الخليفة اتهم السلطان مسعود دبيساً بقتله وقتله بهذه التهمة

٢٩٠ — صدقة بن دبيس

من سنة ٥٢٩ هـ — ٥٣٢ هـ أو من سنة ١١٣٤ — ١١٣٧ م

ولما قتل دبيس بن صدقة كان ابنه صدقة مقيماً بالحلة فاجتمعت اليه عساكر ابيه وبايعوه وأمر السلطان مسعود الشحنة بك ايه بمعاجلته وأخذ الحلة منه فخام عن ذلك لكثرة من مع صدقة بن دبيس فلما رجع السلطان مسعود الى بغداد

سنة ٥٣١ هـ صالحه صدقة بن دبيس وأطاعه وقاتل معه القائمين عليه

وفي سنة ٥٣٢ هـ خرج صدقة بن دبيس مع السلطان مسعود لقتال صاحب فارس وخوزستان فقتل في تلك الحرب

٢٩١ — محمد بن صدقة

من سنة ٥٣٢ — ٥٤٠ هـ أو من سنة ١١٣٧ — ١١٤٥ م

لما قتل صدقة بن دبيس كما تقدم ولى السلطان مسعود بعده أبنه محمداً على الحلة وجعل معه مهلهل بن ابي عسكر واستقام أمره بالحلة

وفي سنة ٥٤٠ هـ خالف عليه عمه علي بن دبيس وتحصن بقلعة تكريت فاشار مهلهل على السلطان مسعود بالقبض عليه فعلم علي بن دبيس بذلك فهرب من تكريت ولحق ببني أسد وجمعهم وسار بهم الى الحلة فخرج اليه محمد فهزمه علي وملك الحلة . واستهان السلطان بامره أولاً ولكنه لم يلبث حتى استفحل

٢٩٢ — علي بن دبيس

من سنة ٥٤٠ — ٥٤٥ هـ أو من سنة ١١٤٥ — ١١٥٠ م

فلما استفحل امر علي بن دبيس وقوي امره بالحلة وكثر جمعه سار اليه مهلهل فيمن معه من العسكر من بغداد فقاتلهم علي وهزمهم وعادوا منهزمين الى بغداد . وكان أهل بغداد يتعصبون لعلي بن دبيس فازعجوا مهلهلاً عن اللحاق به مرة اخرى . فصارت يد علي بن دبيس فوق كل يد في أوضاع الامراء بالحلة وتصرف فيها وصار شحنة بغداد واطاعته الناس . ولكنه اساء السيرة في الرعية حتى رفعوا شكواهم ضده الى السلطان مسعود سنة ٥٤٢ فخلعه عن الحلة واقطعها سلاركرد

فسار اليها من همذان وجمع عسكرًا من بغداد وقصد الحلة واحتاط على أهل علي وأقام بالحلة . ولحق علي بن دبيس بالتقشكنجر في أقطاعه بالحف مستنجدًا به فانجده وسار معه الى واسط وسار معها الطرنطاى صاحب واسط فانتزعوا الحلة من سلاركرد فرجع الى بغداد آخر سنة ٥٤٢ ﻫ واستولى علي على الحلة

وفي سنة ٥٤٤ ﻫ انتقض علي بن دبيس والتقشكنجر والطرنطاى على الملك مسعود وقطعوا خطبته وخطبوا للملك ملك شاه ابن السلطان محمود وساروا به الى العراق وراسلوا الخليفة المقتفي في الخطبة له فامتنع وجمع العساكر وحصن بغداد وارسل الى السلطان مسعود بالخبر فشغل عنهم بلقاء عمه السلطان سنجر كان سار اليه بالري . فلما علم التقشكنجر بمراسلة الخليفة للسلطان مسعود نهب النهروان وقبض على الامير علي بن دبيس فهرب الطرنطاى خوفًا الى النعمانية . ثم وصل السلطان مسعود الى بغداد فرحل التقشكنجر من النهروان وأطلق علي بن دبيس فسار الى السلطان مسعود فلقيه ببغداد واستعطفه فرضي عنه

وفي سنة ٥٤٥ ﻫ توفي علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة وبموته انقرضت الدولة المزيدية والبقاء لله وحده

---

٢٩٣ ـ الدولة الزيرية بغرناطة (بالاندلس)

(تمهيد) لما استبد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بافريقية سنة ٣٨٥ ﻫ ولى عمومته وقرابته ثغور عمله . ثم كانت الحرب بينه وبين زيري بن عطية المغراوي صاحب المغرب الاقصى وخام عن لقائه في جيوش المنصور بن أبي عامر التي كان قد امده بها كما تقدم ذكر ذلك فلما رجع باديس بلا قتال خالف عليه عمه حماد بن بلكين فقاتله باديس وانتصر عليه . وكان لحماد بن بلكين عم يقال له زاوي بن زيري بن مناد فهذا لما رأى الفتنة بين قومه قد امتدت فضل فراقهم فاجاز البحر الى الاندلس في بنيه وبني اخيه

وحاشيته ونزل على المنصور بن أبي عامر المتسلط على الدولة في ذلك الوقت فاصطنعهم لنفسه واكرم وفادتهم واتخذهم بطانة لدولته فاستمروا كذلك الى أن انقضى امر الدولة العامرية ونشأت الفتنة بالاندلس وأنحل نظام الخلافة فيها فعمد زاوي بن زيري الى البيرة ونزل غرناطة واتخذها دارًا لملكه وهو رأس هذه الدولة

٢٩٤ ـ زاوي بن زيري

من سنة ٤٠٣ — ٤٢٠ ﻫ أو من سنة ١٠١٢ — ١٠٢٩ م

واستولى زاوي على ملك غرناطة وأطاعه أهلها واستمر له الامر كذلك حتى بايع العامريون المرتضي المرواني سنة ٤٠٨ ﻫ فقصد غرناطة سنة ٤٢٠ ﻫ في عساكره فلقيهم زاوي بن زيري في جموع صنهاجة وهزمهم في السنة المذكورة وأصاب من زخائرهم وأموالهم شيئًا كثيرًا . ثم وقع في نفسه سوء اثار البربر بالاندلس أيام هذه الفتنة وحذر مغبته فارتحل الى سلطان قومه بالقيروان واستخلف على غرناطة أبنه وانا بن زاوي وذلك سنة ٤٢٠ ﻫ

٢٩٥ - وانا بن زاوي

من سنة ٤٢٠ — ٤٢١ ﻫ أو من سنة ١٠٢٩ — ١٠٣٠ م

واساء وانا السيرة في أهل غرناطة فبعث أهل غرناطة الى ابن عمه حبوس ابن ماكسن بن زيري وكان مقيما في بعض الحصون فاسرع الى غرناطة واستولى عليها

٢٩٦ – حبوس بن ماكسن بن زيري

من سنة ٤٢١ – ٤٢٩ هـ أو من سنة ١٠٣ – ١٠٣٧ م

فاستبد حبوس بن ماكسن بن زيري بغرناطة الى أن توفي سنة ٤٢٩ هـ

٢٩٧ – باديس بن ماكسن

من سنة ٤٢٩ – ٤٦٧ هـ أو من سنة ١٠٣٧ – ١٠٧٤ م

لما توفي حبوس بن ماكسن بن زيري تولى بعده ابنه باديس بن حبوس ابن ماكسن وكانت بينه و بين ذي النون وابن عباد حروب واستولى على سلطانه كاتبه اسماعيل بن نغزلة الذمي ثم نكبه وقتله سنة ٤٥٩ هـ وقتل معه خلقاً من اليهود ثم توفي باديس بن ماكسن سنة ٤٦٧ هـ

٢٩٨ – المظفر ابو محمد عبد الله بن بلكين

من سنة ٤٦٧ – ٤٨٣ هـ أو من سنة ١٠٧٤ – ١٠٩٠ م

لما توفي باديس بن ماكسن تولى بعده حافده المظفر أبو محمد عبد الله بن بلكين بن باديس وولى اخاه تميماً مالقة بعهد من جده وخلعهما المرابطون سنة ٤٨٣ هـ وانقرض أمرهم .

٢٩٩ – الدولة الحمودية بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيدالله بن عمر من ولد ادريس اجازهو واخوه القاسم الى الاندلس في جملة من اتباعها وصاروا في جملة المستعين مع أمراء العدوة من البربر فعقد لهما المستعين فيمن عقد له

من المغاربة عقد لعلي على طنجة وعملها ولقاسم وكان الاسن على الجزيرة الخضراء وكان في نفوس المغاربة والبرابرة تشيع لاولاد ادريس فابتدأ علي بن حمود يبث دعوته سرا . ولما حصلت فتنة البربر بالاندلس وحاصروا قرطبة بدعوة المستعين واقتحموها وقتلوا هشاماً المتغلب عليها اغتنم علي بن حمود هذه الفرصة واظهر دعوته جهاراً وتعصب معه الكثير من البربر وهو حينئذ بسبتة

٣٠٠ ـ على بن حمود

من سنة ٤٠٦ – ٤٠٨ هـ او من سنة ١٠١٥ – ١٠١٧ م

لما اقتحم البربر قرطبة وقتلوا هشاماً بدعوة سليمان المستعين بالله خالف عليه الفتى خيران العامري لانه لم يكن راضياً عن ولايته فقاتله المستعين وهزمه واصابته جراح كثيرة وقع منها طريحاً حتى ظنوه مات فتركوه ولكنه لم يمت بل قام بعد ان تركوه وشفي من جراحه وخرج سرا الى شرق الاندلس

واستولى على المرية وما جاورها وعظم أمره وكان يخطب في بلاده لهشام المؤيد ظناً منه انه في قيد الحياة . فلما رأى علي بن حمود هذه الفتن طمع في ملك الاندلس فكتب لخيران الفتى العامري يعلمه بموت هشام المؤيد وانه ولاه عهده والاخذ بثاره ان هو قتل . فخطب خيران لعلي بن حمود واستمال الناس للخروج معه على سليمان المستعين وأرسل استدعى علي بن حمود من سبتة فأجاز البحر الى الاندلس والتقاه خيران ومن وافقه بالمنكب وهي بين المرية ومالقة سنة ٤٠٦ هـ فقر رأيهم على قصد قرطبة فتجهزوا وساروا الى قرطبة وبايعوا لعلي بن حمود . فلما علم بهم المستعين خرج اليهم في جموع البربر فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم سليمان والبربر وأخذ هو اسيراً فحمل الى علي بن حمود فاعتقله هو واخوته ودخل علي بن حمود قرطبة في المحرم سنة ٤٠٧ هـ وقتل سليمان في ٧ محرم من السنة واستولى على قرطبة ودعا الناس الى بيعته فبويع واجتمع له الملك ولقب المتوكل على الله

ثم خالف عليه خيران الفتى العامري لانه نقل اليه ان علياً يسعى في قتله فخرج من قرطبة واظهر الخلاف وسأل عن بني أمية فدل على عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الاموي وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً ونزل بجيان فبايعه خيران وغيره ولقبوه المرتضي وساروا جميعاً الى غرناطة فقاتلهم صاحبها زاوي بن زيري وقتل المرتضي في هذه الوقعة ورجع خيران الى جيان . واتصلت هذه الاخبار بعلي بن حمود فتجهز للسير الى جيان لقتال خيران

فلما كان يوم ٢٨ ذي القعدة سنة ٤٠٨ ﻫ برزت العساكر الى ظاهر قرطبة ووقفوا ينتظرون خروجه أما هو فكان قد دخل الحمام فقتله غلمانه فلما طال على الناس انتظاره بحثوا عنه فوجدوه مقتولاً فعاد العسكر الى البلد . وكان علي بن حمود حسن السيرة يحب المدح ويجزل العطاء عليه

٣٠١ — القاسم بن حمود

من سنة ٤٠٨ — ٤١٥ ﻫ او من سنة ١٠١٧ — ١٠٢٤ م

لما توفي علي بن حمود بايع الناس اخاه القاسم ولقب المأمون فلما استقر ملكه كاتب العامريين واستمالهم . وبقي مالكاً قرطبة الى سنة ٤١٢ ﻫ وفيها سار من قرطبة الى أشبيلية فخالفه ابن اخيه يحيى بن علي بن حمود من مالقة الى قرطبة ودخلها بلا مانع ودعا الناس الى بيعته فاجابوه وبايعوه في مستهل جمادى الاولى سنة ٤١٢ ﻫ ولقب المعتلي . وبقي بقرطبة يدعى له بالخلافة وعمه القاسم باشبيلية

وفي سنة ٤١٣ ﻫ سار يحيى عن قرطبة الى مالقة وعلم عمه بذلك فاسرع الى قرطبة فدخلها يوم ١٨ ذى القعدة سنة ٤١٣ ﻫ واقام بها شهوراً ثم اضطرب أمره بها وسار ابن اخيه يحيى بن علي الى الجزيرة الخضراء وغلب عليها وبها اهل عمه وماله . وغلب اخوه ادريس بن علي صاحب سبتة على طنجة فلما ملك ابنا اخيه بلاده طمع الناس فيه وثار عليه اهل قرطبة ونقضوا طاعته وبايعوا المستظهر ثم

للمستكفي من بني أمية كما تقدم ذكر ذلك في الدولة الاموية بالاندلس ولحق المأمون وبرابرته بالارباض واعتصموا به وقاتلوا دونه وحاصروا المدينة ٥٠ يوماً ثم عزم اهل قرطبة لمدافعتهم فافرجوا عن الارباض وانفضت جموعهم سنة ٤١٤ هـ . ولحق المأمون باشبيلية وبها ابنه محمد ومحمد بن زيري من رجالات البربر فاطمعه القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد في الملك وان يمتنع من القاسم فمنعوه واخرجوا اليه ابنه وضبطوا بلدهم ثم اشتد ابن عباد واخرج محمد بن زيري وملك المدينة. أما القاسم فلحق بشريش ورجع عنه اكثر البربر الي يحيي المعتلي ابن اخيه فبايعوه سنة ٤١٥ هـ وزحف الى عمه المأمون بشريش فتغلب عليه وأسره ولم يزل عنده أسيرًا وعند اخيه ادريس من بعده بمالقة الى ان توفي في محبسه سنة ٤٢٧ هـ

٣٠٢ – يحيي بن علي بن حمود

من سنة ٤١٥ – ٤٢٦ هـ او من سنة ١٠٢٤ – ١٠٣٤ م

واستقل يحيي المعتلي بن علي بالامور واعتقل محمداً والحسن ابني عمه القاسم المأمون بالجزيرة الخضراء ووكل بهما من يحفظهما واستمر كذلك الى ان خلع اهل قرطبة المستكفي بالله الاموي وقتلوه فخطبوا بعده للمعتلي يحيي بن علي وكتبوا اليه بمالقة وخاطبوه بالخلافة وخطبوا له في رمضان سنة ٤١٦ هـ فاجابهم الى ذلك وأرسل اليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني والياً عليهم فبقي هذا في قرطبة الى محرم سنة ٤١٧ هـ فسار اليه مجاهد وخيران العامريان في ربيع الاول في جيش كثير فلما قاربوا قرطبة ثار اهلها بعبد الرحمن بن عطاف فاخرجوه بعد ان قتلوا من اصحابه جماعة واستولى خيران ومجاهد على قرطبة واقاما بها نحو شهر ثم اختلفا فخاف احدهما من الآخر فعاد خيران الى المرية وبقي مجاهد بعده مدة ثم عاد الى دانية فبايع اهل قرطبة للمعتمد اخي المرتضي الاموي ثم خلعوه واستبد بأمر قرطبة الوزير ابن جهور بن محمد . وأقام المعتلي يحيي بن علي بمالقة يتربص لهم ويردد اليهم العساكر

لحصارهم من وقت لآخر حتى اتفق البربر على طاعته وسلموا اليه ما بأيديهم من الحصون والمدن فقوي وعظم شأنه وظاهره محمد بن عبد الله البرزالي على أمره فسار اليه بقرمونة واقام فيها محاصراً لاشبيلية طامعاً في الاستيلاء عليها من يد ابن عباد الى ان توفي سنة ٤٢٦ هـ غدر به محمد بن عبد الله البرزالي وبموته انقطعت دولة بني حمود بقرطبة وانحصر ملكهم في مالقة

٣٠٣ — ادريس بن علي بن حمود

من سنة ٤٢٧ — ٤٣١ هـ او من سنة ١٠٣٥ — ١٠٣٩ م

لما توفي يحيى بن علي رجع احمد بن موسى بن بقية والخادم نجا الصقلي وزيرا دولة الحمودين الى مالقة دار ملكهم واستدعوا أخاه ادريس بن علي بن حمود من سبتة وطنجة وكانت اقطاعه في مدة حياة اخيه وبايعوه بالخلافة واشترطوا عليه ان يولي سبتة حسن بن أخيه يحيي فقبل هذا الشرط فتم أمره بمالقة وتلقب المتأيد بالله وبايعه اهل المرية وأعمالها ورندة والجزيرة

وفي سنة ٤٣١ هـ سير القاضي ابو القاسم بن عباد ولده اسماعيل في عسكر ليتغلب على البلاد فاستولى على قرمونة واشبونة واستجة فاستنجد صاحبها بادريس بن علي وباديس بن حبوس صاحب صنهاجة فاتاه صاحب صنهاجة بنفسه وأمده ادريس بعسكر بقيادة ابن بقية مدبر دولته فلم يجسروا على اسماعيل بن عباد فعادوا عنه فسار اسماعيل مجداً ليأخذ على صنهاجة الطريق فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس قبل ذلك بقليل فارسلت صنهاجة من ردهم فعادوا وقاتلوا اسماعيل بن عباد فلم يلبث أصحابه ان انهزموا وأسلموه فقتل وحمل رأسه الى ادريس ولم يكن ادريس مصدقاً بانتصار جيوشه على ابن عباد حتى انه لخوفه العاقبة ولا يقانه انتصار ابن عباد انتقل من مالقة الى جبل يحتمي به واصابه المرض لكثرة افتكاره بهذا الامر فلما

جاؤا له براس ابن عباد كان قد أشرف على الهلاك فعاش بعد ذلك يومين ثم توفي

٣٠٤ الحسن بن يحيى بن على

من سنة ٤٣١ ــ ٤٣٤ ﻫ او من سنة ١٠٣٩ ــ ١٠٤٢ م

لما توفي ادريس بن علي بايع ابن بقية ابنه يحيى بن ادريس بمالقة بعده وكان نجا الصقلي بسبتة فبايع للحسن بن يحيي بن علي بن حمود وسار معه في جموعهما الى مالقة فهرب عنها ابن بقية ودخلها الحسن بن يحيى ونجا الصقلي ثم استمالا ابن بقية حتى حضر فقتله الحسن وقتل ابن عمه يحيى بن ادريس . وبايع الناس الحسن بالخلافة ولقب المستنصر بالله وبعد ان استتب له الامر رجع نجا الصقلي الى سبتة وترك معه الحسن المستنصر نائباً له يعرف بالشطيفي فبقي الحسن كذلك نحواً من سنتين ثم مات سنة ٤٣٤ ﻫ فقيل ان زوجته ابنة عمه ادريس سمته بثار أخيها يحيى فلما مات المستنصر اعتقل الشطيفي ادريس بن يحيى وكتب الى نجا وابن الحسن المستنصر بسبتة ليعقد له فاغتال نجا ابن الحسن وسار الى مالقة عازماً على محو دولة الحموديين ليستبد هو بالامر ولكنه لما أظهر قصده هذا البربر لم يقبلوه وقتلوه وقتلوا الشطيفي واحضروا ادريس بن يحيي بن علي وبايعوه

٣٠٥ ادريس بن يحيى

من سنة ٤٣٤ ــ ٤٣٨ ﻫ او من سنة ١٠٤٢ ــ ١٠٤٦ م

واستتب الامر لادريس بن يحيي وتلقب بالعالى وولى على سبتة سكوت ورزق الله من عبيد ابيه ثم قتل محمدا وحسنا ابني عمه ادريس فثار ضده السودان

بدعوة أخيهما محمد بمالقة وامتنعوا بالقصبة . ثم ارسل محمد الى ادريس بن يحيي فجاء اليه وتنازل له عن الخلافة سنة ٤٣٨ هـ . واعتقله محمد

٣٠٦ – محمد بن ادريس بن علي

من سنة ٤٣٨ – ٤٥٠ هـ او من سنة ١٠٤٦ – ١٠٥٨ م

وتلقب محمد هذا بالمهدي وولى أخاه عهده ولقبه السامي ثم نكر منه بعض النزغات فنفاه الى العدوة فاقام بين غمارة

وكان محمد المهدي هذا شديد البطش باعدائه فهابه البربر وخافوه وراسلوا الموكل بادريس بن يحيى فأجابهم الى اخراجه وأخرجه وبايع له وخطب له بسبتة وطنجة وبقي بها الى ان توفي سنة ٤٤٦ هـ

ولما نفي المهدي اخاه السامي وسار الى غمارة اطاعوه وبايعوه . ولما توفى ادريس بن يحيى خاطب البربر محمد بن القاسم بالجزيرة واجتمعوا اليه وبايعوه بالخلافة وتلقب بالمهدي ايضاً . فمن ذلك ترى ان الفوضى ضربت اطنابها في تلك الربوع الامر الذي أدى الى زوال ملك جميعهم

واستمر محمد بن ادريس بمالقة الى ان توفى سنة ٤٥٠ هـ ولما توفي محمد ابن ادريس قصد ادريس بن يحيى مالقة واستولى عليها ولكنه لم تطل مدته ثم انتقلت الى صنهاجة وانقرض امر الحموديين

٣٠٧ – الدولة الهودية بسرقسطة بالاندلس

(تمهيد) لما انتثر ملك الخلافة العربية بالاندلس وافترق الجماعة بالجهات وصار ملكها طوائف من الموالي والوزراء كان ابو ايوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي مقيماً بمدينة تطيلة فاستبد بها وملكها وتلقب المستعين بالله وذلك سنة ٤١٠ هـ

٣٠٨ - سليمان بن محمد بن هود

من سنة ٤١٠ — ٤٣٥ ﻫ او من سنة ١٠١٩ — ١٠٤٣ م

ولما استولى سليمان على تطيلة كان منذر بن مطرف بن يحيى التجيبي قد استولى على سرقسطة والثغر وتلقب المنصور واقام بها الى ان توفي سنة ٤١٤ ﻫ فتولى بعده ابنه وتلقب المظفر فطمع فيه سليمان وسار اليه الى سرقسطة وقاتله واستولى عليها وقتل المظفر ففر ابن المظفر الى لاردة واستولى عليها وجمع بها جموعاً كثيرة وجاء بهم الى سرقسطة وحاصرها لكنه لم يتمكن من فتحها فعاد عنها خائباً واستمر سليمان ملكاً بسرقسطة الى ان توفي سنة ٤٣٥ ﻫ

٣٠٩ - المقتدر احمد بن سليمان

من سنة ٤٣٥ — ٤٧٤ ﻫ او من سنة ١٠٤٣ — ١٠٨١ م

لما توفي سليمان بن محمد بن هود تولى بعده على سرقسطة ابنه احمد وتلقب المقتدر واتبع سيرة ابيه الى ان توفي سنة ٤٧٤ ﻫ لتسع وثلاثين سنة من ملكه

٣١٠ - يوسف بن احمد

من سنة ٤٧٤ — ٤٧٨ ﻫ او من سنة ١٠٨١ — ١٠٨٥ م

لما توفي احمد بن سليمان تولى بعده ابنه يوسف بن احمد ولقب المؤتمن وكان عالماً بالعلوم الرياضية وله فيها تآليف مثل الاستهلال والمناظر وتوفي سنة ٤٧٨ ﻫ

٣١١ — احمد بن يوسف

من سنة ٤٧٨ — ٥٠٣ ﻫ او من سنة ١٠٨٥ — ١١٠٩ م

ولما توفي يوسف بن احمد تولى بعده ابنه احمد وتلقب المستعين بالله كلقب جده وفي ايامه كانت وقعة وسقة زحف سنة ٤٨٩ ﻫ في جموع لا تحصى من المسلمين لقتال الافرنج فانهزم المسلمون وقتل منهم اكثر من عشرة آلاف رجل. وأقام اميرًا بسرقسطة الى ان توفي سنة ٥٠٣ ﻫ شهيدًا بظاهر سرقسطة في زحف الفونس السادس ملك اراغون (يلقبه مؤرخو المسلمين بالطاغية) اليها

٣١٢ — عبد الملك بن احمد

من سنة ٥٠٣ — ٥١٣ ﻫ او من سنة ١١٠٩ — ١١١٩ م

لما توفي احمد بن يوسف تولى بعده ابنه عبد الملك وتلقب عماد الدولة وفي سنة ٥١٢ ﻫ زحف الفونس (الطاغية) الى سرقسطة بجيش كثيف وقاتل عبد الملك قتالاً شديدًا واستولى على سرقسطة من يده فلحق عبد الملك بروطة من حصونها واقام بها الى ان توفي سنة ٥١٣ ﻫ

٣١٣ — احمد بن عبد الملك

من سنة ٥١٣ — ٥٣٦ ﻫ او من سنة ١١١٩ — ١١٤١ م

لما توفي عبد الملك بن احمد تولى بعده ابنه احمد وتلقب سيف الدولة والمستنصر وبالغ النكاية في الطاغية ثم سلم له روطة على ان يملكه بلاد الاندلس فانتقل معه الى طليطلة بحشمه وأمواله وأقام بها الى ان هلك سنة ٥٣٦ ﻫ وانقرض أمرهم ثم ظهر منهم محمد بن يوسف بن محمد بن عبد العظيم بن أحمد بن سليمان.

المستعين بن محمد بن هود وثار على دولة الموحدين عند فشلها وسنذكر اخباره متفرقة في دولة الموحدين ان شاء الله

٣١٤ ـ الدولة العامرية ببلنسية ودانية بالاندلس

«تمهيد» لما تفرق ملك الاندلس طوائف كان للعامريين فيه مملكتان احداهما اسمها مجاهد العامري ومركزها دانية وجزائر ميوركا ومنوركا والاخرى اسمها خيران العامري ومركزها بلنسية ولان هاتين المملكتين من اصل واحد فسنذكرها الآن تحت اسم الدولة العامرية انما نقسمها الى قسمين القسم الاول دولة مجاهد العامري والقسم الثاني دولة خيران العامري فنقول وعلى الله الاتكال

القسم الاول

٣١٥ ـ مجاهد العامري

من سنة ٤١٢ — ٤٣٦ ﻫ او من سنة ١٠٢١ — ١٠٤٤ م

كان مجاهد بن يوسف بن علي من فحول الموالي العامريين وكان المنصور ابن ابي عامر قد رباه وعلمه مع مواليه القراآت والحديث والعربية فكان مجيداً في ذلك . فلما كانت الفتنة البربرية الشهيرة خرج مجاهد من قرطبة هو والموالي العامريون وكثير من جند الاندلس سنة ٤٠٠ﻫ وبايعوا للمرتضي الاموي كما ذكرنا ذلك ولقيهم زاوي بن زيري بفحص غرناطة فهزمهم وبدد شملهم ثم قتل المرتضي كما تقدم . وسار مجاهد الى طرطوشة فملكها ثم تركها وانتقل الى دانية واستقل بها سنة ٤١٢ ﻫ واستولى على جزائر ميوركا ومنوركا سنة ٤١٣ ﻫ واستعمل عليها العبطي فأراد الاستبداد ومنع طاعة مجاهد فلم يوافقه اهل ميوركا على ذلك وعزله مجاهد وولى مكانه عبد الله ابن اخيه فغزا سردينة في الاساطيل واقتحمها وكانت بيده

و بين اهلها وقائع كثيرة اسر في احـداها ابنه فبذل فيه مالاً كثـيرًا فداه به واستمر واليًا على جزائر ميوكا ومنوركا خمس عشرة سنة ثم توفي فولي مجاهد عليها بعد ابن اخيه مولاه الاغلب سنة ٤٢٨ ﻫ

وكان بين مجاهد صاحب دانية وبين خيران صاحب مرسية وابن ابي عامر صاحب بلنسية حروب ووقائع يطول شرحها الى ان توفي مجاهد سنة ٤٣٦ ﻫ

٣١٦ – علي بن مجاهد

من سنة ٤٣٦ – ٤٧٤ ﻫ او من سنة ١٠٤٤ – ١٠٨١ م

لما توفي مجاهد العامري تولى بعده ابنه علي بن مجاهد وتلقب اقبال الدولة . وكان علي محبًا لاهل العلم كثير الاحسان اليهم وكان حسن السياسة فصاهر المقتدر ابن هود وحالفه واستمر الحال بينهما على اتفاق ووئام حتى وقعت بينهما الفتنة سنة ٤٦٨ ﻫ فزحف ابن هود الى دانية واخرج علي بن مجاهد منها ونقله الى سرقسطة فاقام بها الى ان توفي سنة ٤٧٤ ﻫ

٣١٧ – ابو عامر بن علي

من سنة ٤٧٤ – ٤٧٨ ﻫ او من سنة ١٠٨١ – ١٠٨٥ م

لما توفي علي بن مجاهد بمعتقله بسرقسطة لحق ابنه أبو عامر بالافرنجة واستمدهم على ابن هود فامدوه بشروط اشترطوها عليه فتغلب على بعض حصونه وملكها وتلقب سراج الدولة . وفي سنة ٤٧٨ ﻫ زحف اليه الموتمن بن هود واستولى على ما كان بيده وانقرض ملكهم

القسم الثاني

٣١٨ – خيران العامري

من سنة ٤٠٤ – ٤١٩ ﻫ او من سنة ١٠١٣ – ١٠٢٨ م

كان خيران الفتى العامري من موالي العامريين ومن المتقدمين في دولتهم وكانت له يد اثناء الفتنة البربرية كما تقدم ذكر ذلك فلما تولى اصحاب الاطراف كل على مافي يده تغلب خيران العامري على اربولة سنة ٤٠٤ ﻫ ثم ملك مرسية سنة ٤٠٧ ﻫ ثم حيان ثم المرية سنة ٤٠٩ ﻫ وبايع المنصور بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر ثم انتقض خيران على المنصور وسار من المرية الى مرسية واقام بها ابن عم المنصور أبا عامر محمد بن المظفر بن المنصور بن أبي عامر الذي خرج اليه من قرطبة من حجر القاسم بن حمود لهذا الغرض فبايعه ولقبه المؤتمن ثم المعتصم ثم تنكر عليه واخرجه من مرسية فلحق بالمرية واغرى بها الموالي فاخذوا ماله وطردوه ولحق بغرب الاندلس الى ان مات

واقام خيران أميرًا على مرسية الى ان توفي سنة ٤١٩ ﻫ

٣١٩ – زهير العامري

من سنة ٤١٩ – ٤٢٩ ﻫ او من سنة ١٠٢٨ – ١٠٣٧ م

لما توفي خيران الفتى العامري قام بالامر بعده أبو القاسم زهير العامري وتلقب عميد الدولة واستمر أميرًا على مرسية الى ان كانت سنة ٤٢٩ ﻫ . وفيها زحف الى غرناطة فبرز اليه باديس بن حبوس صاحبها وهزمه وقتل زهير بظاهر غرناطة

٣٢٠ — المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن

من سنة ٤٢٩ — ٠٠ او من سنة ١٠٣٧ — ٠٠ م

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن أبي عامر بويع سنة ٤١١ هـ عقب الفتنة المشهورة بشاطبة وتلقب المنصور واطاعه الموالي العامريون وخطبوا له ثم ثار عليه اهالي شاطبة فلحق ببلنسية فملكها وفوض أمرها للموالي .

وكان خيران العامري مبايعاً للمنصور هذا كما تقدم ثم خالف عليه واستقل بمرسية الى ان توفي بها واستولى عليها بعده زهير العامري الى ان قتل سنة ٤٢٩ هـ. فلما قتل زهير العامري ارسل المنصور ابنه محمداً الى مرسية فملكها وتولاها من قبل ابيه فصار المنصور اميراً على بلنسية ومرسية ثم انضاف اليه المرية بعد قليل فقوي أمره وعلا صيته فخافته ملوك الطوائف واستمر الحال كذلك الى ان توفي

٣٢١ — محمد بن عبد العزيز

من سنة ٠٠ — ٤٥٧ هـ او من سنة ٠٠ ــ ١٠٦٤ م

فلما توفي المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن تولى بعده ابنه محمد بن عبد العزيز فطمع فيه صهره المأمون بن اسماعيل بن ذي النون وزحف اليه في ذي الحجة سنة ٤٥٧ هـ واستولى على بلنسية وانقرض بهذه الحادثة أمر الدولة العامرية التي اسسها خيران العامري

٣٢٢ الدولة المرداسية بحلب

(تمهيد) راس هذه الدولة صالح بن مرداس من بني كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة وكانت مجالاتهم بضواحي حلب • وكانت مدينة الرحبة لابي علي بن ثمال الخفاجي فقتله عيسى بن خلاط العقيلي وملكها من يده وبقيت له مدة ثم أخذها

منه بدران بن المقلد العقيلي فعند ذلك أمر الحاكم بامر الله الخليفة الفاطمي بمصر نائبه بدمشق لؤلؤاً البشاري بالمسير اليها فقصد الرقة أولاً وملكها ثم سار الى الرحبة وملكها وعاد الى دمشق • وكان بالرحبة رجل يعرف بابن محكان فلك البلد واستبد بها وبعث الى صالح بن مرداس يستعين به على امره فحضر وأقام عنده مدة ثم فسد ما بينهما وقاتله صالح ثم اصطلحا وزوجه ابن محكان ابنته • ثم انتقل ابن محكان الى مدينة عانة وأقام بها ثم ثار عليه أهلها فقاتلهم واستعان عليهم بصالح بن مرداس فلما وصل صالح الى عانة وضع لابن محكان من يقتله فقتله غيلة وسار صالح الى الرحبة وملكها واستولى على اموال ابن محكان وأحسن الى الرعية وخطب بالرحبة للفاطميين اصحاب مصر

وكان المتولي على حلب في ذلك الوقت من بني حمدان ولكن كان أمرهم قد ضعف واستولى لؤلؤ مولى ابن المعالي بن سيف الدولة على حلب واستبد بها فطمع صالح ابن مرداس في الاستيلاء عليها فهاجمها في ٥٠٠ فارس ولكنه انهزم امام لؤلؤ ووقع أسيراً في يده فبقي معتقلاً عنده مدة ثم تمكن من الهرب وجمع ٢٠٠٠ فارس وهاجم بهم حلب وانتصر على لؤلؤ فدفع له لؤلؤ مالا جزيلاً على ان يترك حلب ففعل • ثم ضعف امر لؤلؤ بحلب وخالف عليه أحد قواده المدعو فتح واستقر بالقلعة وكاتب الحاكم بامر الله الفاطمي بمصر وأظهر طاعته والعصيان على مولاه لؤلؤ وأخذ من الحاكم صيدا وبيروت

وخرج لؤلؤ منها الى انطاكية • وتسلم حلب نواب الحاكم وتنقلت بايديهم الى ان ضعف امر الخلافة الفاطمية بمصر واعتراه ما يعتري الدول من الهرم فاجتمع حسان امير بني طي وصالح بن مرداس امير بني كلاب وسنان بن عليان وتحالفوا واتفقوا على ان يكون من حلب لعانة لصالح بن مرداس ومن الرملة الى مصر لحسان ودمشق لسنان وكان هذا التحالف سنة ٤١٤ هـ

٣٢٣ – صالح بن مرداس

من سنة ٤١٤ — ٤٢٠ هـ او من سنة ١٠٢٣ — ١٠٢٩ م

فقصد صالح حلب وبها انسان يعرف بابن ثعبان يتولى امرها للمصريين وبالقلعة

خادم يعرف بموصوف فاما اهل البلد فسلموه الى صالح لاحسانه ولسوء سيرة المصريين معهم • وصعد ابن ثعبان الى القلعة فحصره صالح بالقلعة الى ان نفدت الاقوات التي فيها فسلم الجند القلعة لصالح فاستتب له الامر بحلب وملك من بعلبك الى عانة واستمر اميراً مطاعاً ٦ سنين الى ان كانت سنة ٤٢٠ هـ وفيها أرسل الظاهر الفاطمي من مصر جيشاً بقيادة أنوشتكين البربري الى الشام لقتال صالح وحسان • فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالاقحوانة على الاردن عند طبرية فقتل صالح وولده الاصغر وانفذ راساهما الى مصر ونجا ولده ابو كامل نصر بن صالح

٣٢٤ — نصر بن صالح

من سنة ٤٢٠ — ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٢٩ — ١٠٣٧ م

لما نجا ابو كامل نصر بن صالح من المعركة كما تقدم اسرع الى حلب وملكها وتلقب شبل الدولة وطمع فيه الروم اهل انطاكية وتجهزوا في جيش عظيم وقصدوا حلب للاغارة عليها فهزمهم اصحاب نصر بن صالح فعادوا الى انطاكية خاسرين واستمر نصر بن صالح ملكاً على حلب الى سنة ٤٢٩ هـ

وفيها أرسل المستنصر بالله الخليفة الفاطمي صاحب مصر الوزيري بعساكر مصر الى حلب فبرز اليه نصر والتقوا عند حماة فانهزم نصر وقتل وملك الوزيري حلب في رمضان من هذه السنة • واستولى الوزيري على الشام كله وعظم امره وكثر ماله واستكثر من الجند فنمي للمصريين عنه انه عازم على العصيان فدسوا لاهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار الوزيري عنها الى حلب في ربيع الآخر سنة ٤٣٢ هـ وتوفي بعد وصوله اليها بشهر واحد

٣٢٥ — ثمال بن صالح

من سنة ٤٣٣ — ٤٤٩ هـ او من سنة ١٠٤١ — ١٠٥٧ م

وكان ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة فلما بلغه موت الوزيري جاء الى حلب فملكها تسليماً من اهلها وحصر امرأة الوزيري واصحابه بالقلعة

احد عشر شهرًا وملكها في صفر سنة ٤٣٤ ﻫ

وفي سنة ٤٤٠ ﻫ انفذ المصريون الى محاربته ابا عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان فخرج اهل حلب لحربه فهزمهم ثم رحل عن حلب الى مصر . ودامت الفتن والحروب بين ثمال بن صالح و بين المصريين الى ان تنازل ثمال عن حلب للمصريين فانفذوا اليها ابا علي الحسن بن علي بن ملهم ولقبوه مكين الدولة فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة ٤٤٩ ﻫ

وسار ثمال الى مصر واستقر ابن ملهم بحلب ولكنه اساء السيرة في اهلها حتى ابغضوه وراسلوا محمود بن شبل الدولة نصر بن مرداس . وعلم ابن ملهم بذلك فقبض على جماعة منهم . وكان من ضمن الذين كاتبوا محمودا رجل يعرف بكامل بن نباتة فلما قبض ابن ملهم على اصحابه خاف وجلس يبكي و يقول لكل من ساله عن سبب بكائه . « ان اصحابنا الذين اخذوا قتلوا واخاف على الباقين » حتى هيج اهل المدينة على ابن ملهم واجتمعوا الى كامل بن نباتة وراسلوا محمودًا وهو على مسيرة يوم يستدعونه فحضر عندهم واشتد ساعده بهم وذلك سنة ٤٥٢ ﻫ

٣٢٦ — محمود بن نصر بن صالح

من سنة ٤٥٢ — ٤٥٣ ﻫ او من سنة ١٠٦٠ — ١٠٦١ م

وحاصر محمود ومن معه ابن ملهم بحلب واتصل هذا الخبر بالمصريين فسيروا ناصر الدولة ابا علي بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر ليمنع محمودًا من دخول حلب . فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب ودخل البرية فتبعه ناصر الدولة فالتقيا بالفنيدق في رجب من السنة فانهزم اصحاب ابن حمدان وثبت هو فجرح وحمل الى محمود اسيرًا فاخذه وسار الى حلب فملكها وملك القلعة في شعبان سنة ٤٥٢ ﻫ ثم اطلق محمود ابن حمدان وابن ملهم فسارا الى مصر . ثم ارسل المصريون ثمال بن صالح لاستخلاص حلب من يد ابن اخيه فذهب اليها في عسكر مصر وقاتل ابن اخيه وهزمه واستولى على حلب ثانية سنة ٤٥٣ ﻫ اما محمود فلحق باخواله بني نمير بحران

٣٢٧ - ثمال بن صالح ثانية

من سنة ٤٥٣ ـ ٤٥٤ او من سنة ١٠٦١ ـ ١٠٦٢ م

ولما دخل ثمال بن صالح حلب امتلكها واستتب له الامر فيها ثم غزا الروم وانتصر عليهم ثم توفي بحلب في سنة ٤٥٤ ﻫ وكان كريماً حليماً

٣٢٨ - عطية بن صالح

سنة ٤٥٤ ﻫ او سنة ١٠٦٢ م

لما توفي ثمال بن صالح تولى على حلب بعده اخوه عطية بن صالح فاستكثر من الترك حتى قوي امرهم عنده واستولوا على امور الدولة فاشار عليه اصحابه بقتلهم فامر اهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون فقصدوا محموداً بحران واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها . اما عمه عطية بن صالح فلحق بالرقة وملكها ولم يزل بها حتى اخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣ ﻫ ولحق عطية ببلاد الروم واقام بالقسطنطينية الى ان توفي سنة ٤٦٥ ﻫ

٣٢٩ - محمود بن نصر بن صالح ثانية

من سنة ٤٥٤ ـ ٤٦٨ ﻫ او من سنة ١٠٦٢ ـ ٧٥ ١٠ م

واستتب الامر لمحمود بحلب ثانية وقوي امره حتى اغار على ماحوله ففي سنة ٤٦٠ ﻫ ارسل محمود جيشاً من الترك بقيادة ابن خان التركماني الى ارتاح فحصرها واخذها من الروم . وسار محمود الى طرابلس وحصرها ولم يتركها حتى اخذ من اهلها اموالاً جزيلة واستمر محمود ملكاً مطاعاً الى ان توفي بحلب سنة ٤٦٨

٣٣٠ — نصر بن محمود

من سنة ٤٦٨ ــ ٤٦٩ هـ او من سنة ١٠٧٥ ــ ١٠٧٦ م

لما توفي محمود بن نصر بن صالح بن مرداس تولى بعده ابنه نصر وكان سيء السيرة مدمناً للخمر محباً لعشرة النساء فخرج يوماً وهو سكران الى جيش التركمان الذين ملكوا اباه البلد وهو بالحاضر يوم الفطر فلقوه وقبلوا الارض بين يديه فسبهم واراد قتلهم فرماه احدهم بنشاب كانت القاضية عليه

٣٣١ — سابق بن محمود

من سنة ٤٦٩ ــ ٤٧٣ هـ او من سنة ١٠٧٦ — ١٠٨٠ م

لما قتل الترك نصراً اقاموا مكانه اخاه سابق بن محمود فاحسن السيرة وخصوصاً مع الترك ووصلهم وملأ ايديهم . وفي سنة ٤٧٢ هـ قدم تتش بن الب ارسلان وحاصر حلب اربعة اشهر حتى اشتد الحصار على اهلها وكاد تتش يفتحها لولا مساعدة شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي للحلبيين وامداده لهم . ثم رحل تتش عن حلب وملك بزاغة والبيرة . فلما رحل عنها استدعى اهل حلب شرف الدولة ليسلموها له فلما قاربها امتنعوا عن ذلك واتفق ان ابن مقدمهم ابن الحتيتي خرج بتصيد فوقع اسيراً في يد شرف الدولة فقرر معه ان يسلمه البلد اذا اطلقه فاجابه الى ذلك واطلقه فسار الى حلب واجتمع بابيه وعرفه ما استقر فاذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ٤٧٣ هـ . وحصر القلعة واستنزل منها سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس وانقرضت بهذه الحادثة الدولة المرداسية والبقاء لله وحده

٣٣٢ ــ الدولة العبادية باشبيلية بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد اللخمي من ولد النعمان بن المنذر واصل رياسته انه كان ولي القضاء والوزارة باشبيلية فلما حصلت الفتنة واستولى الحموديون على قرطبة من يد الامويين كان القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل مختصاً بالقاسم بن حمود وهو الذي احكم ولايته فلما ثار اهل قرطبة بالقاسم بن حمود وبايعوا المستظهر الاموي لحق القاسم باشبيلية وكان بها مع القاضي أبي القاسم محمد بن اسماعيل ومحمد بن زيري والياً عليها فاشار عليه أبو القاسم بعدم قبول القاسم بن حمود باشبيلية ففعل وطردوه . ثم قام أبو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد وطرد محمد بن زيري من اشبيلية ايضاً وملكها هو واستتب له الامر فيها وذلك سنه ٤١٤ هـ .

٣٣٣ ــ ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد

من سنة ٤١٤ ــ ٤٣٣ هـ او من سنة ١٠٢٣ ــ ١٠٤١ م

هكذا كانت بداية تملك محمد بن اسماعيل على اشبيلية واستمر أميراً على اشبيلية واحسن السيرة في اهلها . وفي ايامه ظهر امر المؤيد هشام بن الحاكم وكان قد اختفى وانقطع خبره وكان ظهوره بمالقة ثم سار منها الى المرية فخافه صاحبها زهير العامري فاخرجه منها فقصد قلعة رباح فاطاعه اهلها فسار اليهم صاحبه اسماعيل بن ذي النون وحاربهم فضعفوا عن مقاومته فاخرجوه فاستدعاه القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل ابن عباد اليه باشبيلية واذاع امره وقام بنصره وكان رؤساء الاندلس في طاعته فاجابه الى ذلك صاحب بلنسية ونواحيها وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحب طرطوشة واقروا بخلافته وخطبوا له وجددت بيعته بقرطبة في المحرم سنة ٤٢٩ هـ

وسير ابن عباد جيشاً الى زهير العامري لانه لم يخاطب المؤيد فاستنجد زهير حبوس ابن ماكسن صاحب غرناطة فسار اليه بجيشه فعاد عسكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال

وفي سنة ٤٣١ هـ ارسل ابو القاسم ابنه اسماعيل في عسكر عظيم ليستولي على البلاد فاستولى على قرمونة واشبونة فاستنجد صاحبها بادريس بن علي الحمودي و باديس ابن حبوس الزيري فذهب اليه باديس بنفسه وامده ادريس بن علي بعسكر بقيادة ابن بقية مدبر دولته لكنهم خاموا عن لقاء اسماعيل بن ابي القاسم لكثرة من معه وعادوا عنه فسار اسماعيل مجداً لياخذ الطريق على اصحاب باديس فادركهم وقد فارقهم عسكر ادريس الحمودي قبل ذلك بقليل فارسل باديس من ردهم فعادوا وقاتلوا اسماعيل العبادي قتالاً شديداً فانهزم اصحابه وقتل هو

وفي سنة ٤٣٣ هـ توفي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد صاحب اشبيلية وكان حسن السياسة كريماً مهاباً تمكن من مد نفوذه على اغلب ملوك الطوائف بالاندلس بحسن سياسته

٣٣٤ — عباد بن محمد

من سنة ٤٣٣ — ٤٦١ هـ او من سنة ١٠٤١ — ١٠٦٨ م

لما توفي القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد تولى بعده ابنه عباد بن محمد ولقب بالمعتضد بالله فضبط ما ولي ثم اظهر موت المؤيد واستقل بامر اشبيلية وما انضاف اليها (وقال بعض المؤرخين ان ظهور المؤيد لا حقيقة له بل كان ذلك من تمويهات ومكر القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد ليستتب له الامر والله اعلم)

وبقي عباد اميرا على اشبيلية الى ان توفي من ذبحة حلقته لليلتين خلتا من جمادى الاخرى سنة ٤٦١ هـ

٣٣٥ — ابو القاسم محمد بن عباد بن القاضي محمد

من سنة ٤٦١ — ٤٨٤ هـ او من سنة ١٠٦٨ — ١٠٩١ م

لما توفي المعتضد عباد بن محمد تولى بعدة ابنه ابو القاسم محمد بن عباد بن القاضي ابي القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد ولقب المعتمد على الله واتسع ملكه وشمخ سلطانه

وملك كثيرًا من الاندلس وملك قرطبة ايضاً وولى عليها ابنه الظافر بالله فحسده يحيى ابن ذى النون عليها فسير اليها جرير بن عكاشة فملكها وقتل الظافر بالله . ولم يزل المعتمد يسعى في اخذها حتى عاد وملكها وولى عليها ولده المامون

ولا يغرب عن القارىء الكريم ان المعتمد لم يملك ما ملك من بلاد الاندلس بمحض قوته بل كان يستمد بالفونس ملك اراغون كما استنجده غيره من ملوك الطوائف فانفتح لالفونس باب للتداخل في امور المسلمين بالاندلس واستعمل معهم المكر والحيل وصار يضرب احدهم بالآخر حتى اخضع الجميع لسلطانه وضرب عليهم جزية سنوية كانوا يؤدونها وهم صاغرون واستمر الحال على ذلك الى ان ظهر بالمغرب ملك المرابطين واستفحل امر يوسف بن تاشفين فتعلقت آمال المسلمين بالاندلس باعانته . وضايقهم الفونس (الطاغية) في طلب الجزية فقتل ابن عباد ثقته اليهودي الذي كان يتردد اليه لاخذ الجزية بسبب كلمة اسف بها فاغتاظ الفونس جدًا وابتدأ يتجهز الى اشبيلية فخاف المعتمد العاقبة واستنجد يوسف بن تاشفين فانجده وهزم الافرنج في واقعة الزلاقة المشهورة . (راجع فصل ٢٨٠) ثم طمع يوسف بن تاشفين في ملك الاندلس فاغار عليه واستولى على اشبيلية من يد ابن عباد سنة ٤٨٤ هـ

٣٣٦ — دولة ابن الافطس ببطليوس بالاندلس

(تمهيد) رأس هذه الدولة ابو محمد عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الافطس اصله من بربر مكناسة لكنه ولد ابوه بالاندلس ونشؤا بها وتخلقوا بخلق اهلها فلما كانت الفتنة التي شتتت شمل الاندلس استولى عبد الله بن مسلمة على بطليوس وذلك سنة ٤٢١ هـ

٣٣٧ — ابو محمد عبد الله بن مسلمة

واستمر ابو محمد عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الافطس اميرًا على بطليوس الى ان توفي

٣٣٨ - ابو بكر محمد بن عبد الله

لما توفى ابن الافطس تولى بعده ابنه ابو بكر محمد بن عبد الله ولقب المظفر واستفحل ملكه وكان من أعاظم ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن ذي النون حروب كثيرة وكذلك مع ابن عباد • واستولى ابن عباد على كثير من ثغوره ومعاقله واعتصم المظفر ببطليوس بعد هزيمتين هلك فيها خلق كثير وذلك سنة ٤٤٣ هـ ثم اصلح بينهما ابن جهور

وفي سنة ٤٦٠ هـ توفى المظفر ابو بكر محمد بن عبد الله

٣٣٩ - عمر بن محمد

من سنة ٤٦٠ — ٤٨٩ هـ او من سنة ١٠٦٧ — ١٠٩٥ م

لما توفى محمد بن عبد الله تولى بعده ابنه ابو حفص عمر بن محمد المعروف بساجة ولم يزل سلطاناً بها الى ان قتله يوسف بن تاشفين امير المرابطين يوم الاضحى سنة ٤٨٩ هـ ورثاه ابن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها

الدهر يفجع بعد العين بالأثر   فما البكاء على الاشباح والصور

عدد فيها اهل النكبات ومن عثر به الزمان بما يبكي الجماد • وانقرضت دولة ابن الافطس بهذه الحادثة والدوام لله وحده

٣٤٠ - الدولة الجهورية بقرطبة بالاندلس

(تمهيد) كان رئيس الجماعة ايام الفتنة بقرطبة ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور لما خلع الجند المعتز آخر بني أمية ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا بل كان يتصاون عنها فلما خلا له الجو وامكنته الفرص وثب على قرطبة واستولى عليها سنة ٤٢٢ هـ

٣٤١ - ابو الحزم جهور بن محمد

من سنة ٤٢٢ — ٤٣٥ هـ او من سنة ١٠٣٠ — ١٠٤٣ م

ولما استولى جهور بن محمد على قرطبة لم ينتقل الى رتبة الامارة ظاهراً بل دبرها تدبيراً لم يسبق اليه مثيل واظهر انه حام البلد الى ان يجيء من يستحقه ويتفق اليه الناس فيسلمه اليه . ورتب البوابين والحشم على ابواب قصور الامارة ولم يتحول هو عن داره اليها وجعل ما يرتفع من الاموال السلطانية بايدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم . وكان جهور حسن السيرة جداً محباً للرعية للغاية حتى كان يحضر جنائزهم ويعود مرضاهم ويشهد افراحهم على طريقة الصالحين وهو مع ذلك يدبر الامر تدبير الملوك

وكان مأمون الجانب وأمن الناس في ايامه وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٤٣٥ هـ

٣٤٢ - ابو الوليد محمد بن جهور

لما توفي ابو الحزم جهور بن محمد تولى بعده ابنه ابو الوليد محمد بن جهور فجرى على سنن أبيه الى ان توفي

٣٤٣ - عبد الملك بن محمد

ولما توفي ابو الوليد محمد بن جهور تولى بعده ابنه عبد الملك بن محمد فاساء السيرة وتكره الى الناس وحاصره ابن ذي النون بقرطبة فاستغاث بمحمد بن عباد فامده بالجيش ووصي عسكره بذلك فداخلوا اهل قرطبة وخلعوه سنة ٤٦١ هـ واخرجوه عن قرطبة وانقرض امر الدولة الجهورية والله غالب على امره

٣٤٤ ـ دولة بني ذي النون بطليطلة بالاندلس

(تمهيد) راس هذه الدولة اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان ابن ذي النون أصله من قبائل هوارة ورأس سلفه في الدولة المروانية وكانت لهم رياسة في شنترية وتغلب اسماعيل هذا على حصن افلتين سنة ٤٠٩ هـ اثناء الفتنة وكانت طليلة ليعيش بن محمد بن يعيش واليها منذ اول الفتنة فلما توفي يعيش هذا سنة ٤٢٧ هـ استدعى الجند بطليطلة اسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون من حصن افلتين فمضى الي طليطلة وملكها

٣٤٥ ـ اسماعيل بن عبد الرحمن

من سنة ٤٢٧ — ٤٢٩ هـ او من سنة ١٠٣٥ — ١٠٣٧ م

وامتد ملك اسماعيل الي جنجالة من عمل مرسية ولم يزل اميراً بطليطلة الي ان توفي سنة ٤٢٩ هـ

٣٤٦ يحيي بن اسماعيل

من سنة ٤٢٩ - ٤٦٧ هـ او من سنة ١٠٣٧ — ١٠٧٤ م

لما توفي الظافر اسماعيل بن محمد تولى بعـده ابنه يحيي بن اسماعيل ولقب المأمون واستفحل ملكه وعظم بين ملوك الطوائف سلطانه وكانت بينه و بين الفونس (الطاغية) مواقف مشهورة .

وفي سنة ٤٣٥ هـ غزا بلنسية وغلب علي صاحبها المظفر من ولد المنصور بن أبي عامر ثم غلب على قرطبة وملكها من يد ابن عباد وقتل ابنه أبا عمر

وفي سنة ٤٦٧ هـ توفي المأمون يحيي بن اسماعيل مسموماً على ماقيل .

٣٤٧ـ القادر بالله يحيى بن اسماعيل

من سنة ٤٦٧ — ٤٧٨ ﻫ او من سنة ١٠٧٤ — ١٠٨٥ م

لما توفي المأمون يحيى بن اسماعيل تولى بعده حافده القادر بالله يحيى بن اسماعيل وضايقه الفونس مضايقة شديدة وحاصره مراراً حتى غلب على طليطلة فخرج له القادر عنها سنة ٤٧٨ ﻫ وشرط عليه ان يظاهره على اخذ بلنسية وكانت لابن أبي عامر فخلع اهلها العامل عليهم خوفاً من القادر اذ يمكن منهم الفونس فدخلها القادر واقام بها سنتين وقتل سنة ٤٨١ ﻫ وانقرض أمرهم .

وفي اخذ طليطلة يقول عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بابن العسال

يا اهل اندلس حثوا مطيكم فما المقام بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط

٣٤٨ـ الدولة السلجوقية بايران

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى سلجوق وهو احد أمراء الترك رحل من بلاده لمضايقة ملك الترك له الى بلاد الاسلام بحدود ايران واسلم هو وعشيرته وتوفي على مقربة من بخارى فخلفه على رياسة قبيلته ابنه ميكائيل فقاتل كفار الاتراك مراراً الى ان استشهد في بعض غزواته وخلف من الاولاد بيقو وطغرل بك محمداً وجغرى بك داود فاطاعهم عشائرهم ووقفوا عند أمرهم ونهيهم فخاف أمير بخارى منهم فاساء جوارهم وعمل جهده في ايصال لاذى بهم فالتجأوا الى بقراخان ملك الترك واقاموا عنده الى ان شعروا بنفرة منه فنشبت بينهم الحروب فالجأتهم الضرورة الى العبور الى خراسان فلما عبروا جيحون كتب اليهم خوارزم شاه هرون بن التونتاش يستدعيهم ليتفقوا معه على ان يكونوا يداً واحدة فسار

طغرل بك وداود و بقوا اليه وخيموا بظاهر خوارزم وذلك سنة ٤٢٦ هـ فغدر خوارزم شاه بهم وا كثر في اصحابهم القتل والنهب والسبي فساروا عن خوارزم بجموعهم وقصدوا مرو

وكان السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين الغزنوي هذه السنة بطبرستان قد ملكها فراسلوه وطلبوا منه الامان وضمنوا انهم يقصدون الطائفة التي تفسد في بلاده ويدفعونها عنه و يكونون من اعظم اعوانه . فقبض السلطان مسعود على رسلهم وجهز عسكرًا جرارًا اليهم فساروا اليهم والتقوا عند نسا في شعبان واقتتلوا فانهزم السلجوقيون وعظم الامر عليهم واشتغل جيش السلطان مسعود بالغنيمة فكبسهم داود بن ميكائيل بعد ان كانوا قد اطمأنوا وامنوا الطلب فهزمهم شر هزيمة

وعاد المنهزمون من العسكر الى الملك مسعود وهو بنيسابور فندم على ما كان منه وخاف ان هيبة السلجوقيين تتمكن من قلوب عساكره فلا يقدرون ان يثبتوا امامهم فيما بعد فارسل الى طغرل بك وداود ابني ميكائيل يتهددهم ويتوعدهم . فأمر طغرل بك كاتبه ان يكتب الى السلطان مسعود

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

فلما وصل كتابه هذا الى السلطان مسعود ارسل اليهم يعدهم بالمواعيد الجميلة وسير اليهم خلعاً نفيسة ومنحهم لقب دهاقين فلم يقبلوا خلعه واستخفوا برسله لعلمهم بان كل ذلك مكر من السلطان مسعود وانه لو قدر عليهم لافناهم . وعاثوا في بلاده فسادًا وتوالت كتب نواب السلطان مسعود اليه بافسادهم في البلاد يستغيثون به فلا يجيبهم بشيء ولا يرسل اليهم من يمنع السلجوقيين لامر يريده الله حتى استولى السلجوقيون على خراسان وطردوا منها عمال السلطان مسعود . فاستيقظ السلطان مسعود من غفلته وجهز جيشاً عظيماً سيره بقيادة حاجبه سباشي فاقام بهراة مدة خائفاً لقاء السلجوقيين ثم تقدم الى مرو وبها

داود بن ميكائيل السلجوقي فقاتله داود وانتصر عليه وقويت نفوس السلجوقيين بهذا الانتصار وزاد طمعهم وعاد داود الى مرو فاحسن السيرة في اهلها وخطب له فيها اول جمعة في رجب سنة ٤٢٨ هـ وهذا بداية أمرهم

ولا يخفى على القارئ الكريم انه تفرع من الدولة السلجوقية عدة فروع وممالك كبيرة لها شأن عظيم في التاريخ . والآن سأذكر الدولة السلجوقية الكبرى التي تفرع عنها كل ممالك السلجوقيين

وان شاء الله سأذكر باقي ممالك السلجوقيين كل واحدة في حينها حسب الطريقة التي اتبعتها من البداية في هذا الكتاب مقدماً وضعاً الدولة التي ظهرت مقدماً طبعاً والله ولي التوفيق

٣٤٩ — داود بن ميكائيل وطغرل بك بن ميكائيل

من سنة ٤٢٨ — ٤٥٥ هـ او من سنة ١٠٣٦ — ١٠٦٣ م

وفي مدة يسيرة استولى داود وطغرل بك على كل خراسان وجرجان وطبرستان وخطب لهما بها حتى هابهم ملوك بني بويه المستولين على العراق والتزم الملك كاليجار من بني بويه ان يعقد اتفاقاً مع طغرل بك خوف غائلتهم وذلك سنة ٤٣٩ هـ

وفي سنة ٤٤٢ هـ استولى طغرل بك على اصفهان وعلى اذربيجان في سنة ٤٤٦ هـ ولم يزل السعد يخدمهم والفوز يحالفهم والملك داود يفتح البلاد من جهة واخوه الملك طغرل بك من جهة حتى قوي امرها وعظم صيتهما وكانت دولة بني بويه لذلك العهد للملك الرحيم آخر ملوكهم وكانت قد بلغت من الضعف والفوضى الى درجة لم يسبق لها مثيل فطمع السلطان طغرل بك في الاستيلاء على بغداد فتقدم اليها وملكها سنة ٤٤٧ هـ واعتقل الملك الرحيم وخطب له بها . وأستقر الملك طغرل بك بالعراق واخوه داود بخراسان

وفي سنة ٤٥١ هـ توفي السلطان داود بن ميكائيل وملك بعده ابنه الب ارسلان وخلف داود عدة اولاد ذكور منهم السلطان الب ارسلان وياقوتي وسليمان وقاروت بك . ولما توفي الملك داود تزوج اخوه طغرل بك امرأته ام ابنه سليمان وعهد لابنها سليمان بالملك من بعده

وفي سنة ٤٥٤ هـ خطب السلطان طغرل بك ابنة الخليفة القائم بامر الله العباسي فانزعج الخليفة لهذا الطلب الذي لم يقدم عليه احد قبل السلطان طغرل بك ورفض ذلك رفضاً باتاً مهما كانت نتيجة الرفض ولكن عميد الملك وزير السلطان طغرل بك اظهر للخليفة خطارة الرفض ونصحه كذلك القضاة والعلماء فقبل ذلك مضطراً وتم العقد في شعبان من هذه السنة . وكان السلطان طغرل بك في هذا الوقت في جهات بلاد ارمينية يحارب الروم فقدم في المحرم سنة ٤٥٥هـ ليتم زفاف ابنة الخليفة له وتم ذلك في صفر من السنة فلما دخل اليها كانت جالسة على سرير ملبس بالذهب فقبل الارض بين يديها وخدمها ومع ذلك هي لم ترفع الخمار عن وجهها ولا قامت له . ولم تطل ايام السلطان طغرل بك بعد هذا الزفاف لانه سار في ربيع الاول من هذه السنة من بغداد الى بلد الجبل فلما وصل الى الري مرض وتوفي . وكان عمره سبعين سنة تقريباً وكان عقيماً لم يلد ولداً . وكان طغرل بك حليماً شجاعاً باسلا في الحروب لا يطيب له عيش بغير الغزو وشن الغارات

٣٥٠ — الب ارسلان بن داود

من سنة ٤٥٥ — ٤٦٥ هـ او من سنة ١٠٦٣ — ١٠٧٢ م

ولما توفي السلطان طغرل بك اجلس عميد الملك في السلطنة سليمان بن داود فلما خطب له بالسلطنة اختلف عليه الامراء وخطب بعضهم للسلطان الب ارسلان وهو في ذلك الوقت صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه .

فلما رأى عميد الملك انقلاب الحال عليه امر بالخطبة للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

أما السلطان الب ارسلان (ومعنى اسمه الاسد الظافر) فكان بطلاً صنديداً وسيداً مهيباً لم يقم في الدولة السلجوقية اعظم منه . وقام عليه لاول ولايته الامير قطلمش السلجوقي (جد سلاجقة بلاد الروم او بالحري اسيا الصغرى) وجمع جموعاً كثيرة وتقدم قاصداً الري فاتصل الخبر بالسلطان الب ارسلان فاسرع بتسيير الجنود الى الري فسبقوا قطلمش اليها وقاتلوه وهزموه

ولما استتب الامر للسلطان الب ارسلان وجه التفاته لغزو بلاد الروم اتماماً لمقاصد ابيه فملك منها عدة مدن لكنه كان شديد الوطاءة على المسيحيين حتى هيجت معاملته لهم غضب الدولة الرومانية الشرقية وكان امبراطور القسطنطنية يومئذ من اشهر ابطال زمانه واعظمهم قدراً وهو رومانوس ديوجانيس (رومانوس الرابع) فهذا بداء بالاستعداد لقتال السلطان الب ارسلان فجهز جيشاً عظيماً بلغ ٢٠٠ الف مقاتل على ما قيل وتقدم بهم الى ملازكرد من اعمال خلاط (يقال خلاط أو اخلاط) فبلغ السلطان الب ارسلان وهو بمدينة خونج من اذربيجان عائداً من حلب فسار اليه في خمسة عشر الفاً اذ لم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو . فجد في السير فلما قرب العسكران رأى الب ارسلان ان قوته اقل كثيراً من قوة الرومانيين فارسل الى امبراطورهم يطلب منه المهادنة فرفض رومانوس هذا الطلب فانزعج السلطان لذلك . فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال صلى وبكي فبكى الناس لبكائه ثم لبس البياض وتحنط وقال « ان قتلت فهذا كفني » وزحف الى الروم بجيشه القليل بقلوب لا امل لها في الحياة فانهزم الروم هزيمة شنعاء وأسر الامبراطور رومانوس بنفسه والذي اسره ضابط خامل من ضباط السلطان الب ارسلان تهدده الب ارسلان في اليوم السابق بالعزل والتجريد على خموله ولم يعلم ان الذي قبض عليه هو الامبراطور ولكنه جاء به الى مولاه فلما رأى الب ارسلان اهتمام الرومانيين

العظيم في انقاذ هذا الاسير وصراخهم الكثير من بعده علم ان اسيره رومانوس وسأله عن ذلك فاجاب بالايجاب فعند ذلك ضربه ثلاث مقارع وقال له « الم ارسل اليك في المهادنة فابيت » فقال « دعني من التوبيخ وافعل ما تريد » فقال له السلطان « ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني » قال « القبيح . فلم يغضب الب ارسلان من هذا ولا اظهر الكدر فدل بذلك على شهامته ومروءته وسأل رومانوس ثانية « ماذا تظن اني سافعل بك » قال « ان كنت ظالماً فاقتلني او محباً للفخر فجرني بالقيود الى عاصمة ملكك والاخرى بعيدة وهي ان كنت كريماً فاطلقني من الاسر على مال اؤديه اليك » فقال الب ارسلان « اني كريم » وأمر بالافراج عنه فذهل رومانوس لهذه الشهامة الكبرى وشكر الب ارسلان شكراً خالصاً ووعده جزاء هذا الاحسان ان يخلص له الوداد ويدفع اليه جزية عاماً بعد عام وعلى هذا الاتفاق افترق البطلان ورومانوس ينوي القيام بوعده ولكن المقادير لم تساعده على ذلك لانه وجد حين وصوله الى بلاده ان قومه خانوه وولوا غيره مكانه فحار في امره وخاف ان يتهمه الب ارسلان بالخيانة فجمع كل ما قدر على جمعه من المال وارسله الى السلطان شارحاً له حقيقة حاله وسبب التقصير في اداء المطلوب كله فتأثر الب ارسلان لذلك وعزم على تعضيد صديقه وارجاع الملك اليه بقوة السيف وبينما هو يستعد لذلك بلغه ان الرومانيين سجنوا رومانوس البطل وقتلوه فعدل عن عزمه ونوى للرومانيين شرًّا وكل ذلك كان سنة ٤٦٣ هـ .

وعظم قدر الب ارسلان بعد ذلك واتسعت حدود مملكته وصارت من حدود الشام الى ضفاف نهر جيحون وامتلأت خزائنه بالمال واجتمع تحت أمره ٢٠٠ الف بطل فقصد ارجاع بلاده الاصلية وهجم على خوارزم فاعترضه في طريقه مستحفظ قلعة اسمه يوسف وأخره زماناً ثم ظفر به الب ارسلان فأمر اصحابه ان يضربوا له اربعة اوتاد ويشد اطرافه اليها . فقال له يوسف « يامخنث مثلي يقتل هذه القتلة » فغضب السلطان واخذ القوس والنشاب وأمر غلمانه بتخليته

ليقتله هو بيده فخلوه ورماه السلطان بسهم فاخطأه فوثب يوسف بريـده فقام السلطان عن السرير ونزل عنه فعثر ووقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته فكانت هي القاضية عليه وبقي الب ارسلان مدة يتألم من جرحه قبل الوفاة وهو يلوم نفسه على ما بدا منه من عدم التدبر وقلة الحكمة في معاملة خصمه ولات ساعة مندم وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله

ثم توفي الب ارسلان في عاشر ربيع الاول سنة ٤٦٥ هـ وكانت مدة ملكه تسع سنين وستة اشهر واياماً . وكان السلطان الب ارسلان من اعظم الابطال واشهر القواد الفاتحين وكان يكرم العلماء وينشط العلم وقام بتدبير دولته الوزير الفائق الشهرة المعروف بالخواجه نظام الملك واعطاه السلطان الب ارسلان السلطة التامة في تدبير امور الدولة وحكومتها فقام بما اسند اليه خير قيام وتقدمت البلاد في مدته تقدماً عظيماً ودفن الب ارسلان في مدينة مرو ببلاد خراسان ورسم على قبره عبارة هذه ترجمتها - (يا من رأيتم عظمة الب ارسلان تصل الى السماء تعالوا الى مرو وانظروها مدفونة في التراب .)

٣٥١ - ملك شاه بن الب ارسلان

من سنة ٤٦٥ – ٤٨٥ هـ او من سنة ١٠٧٢ – ١٠٩٢ م

لما توفي السلطان الب ارسلان تولى بعده ابنه ملك شاه وخالف عليه لاول ولايته عمه قاروت بك بن داود واسرع طالباً الري للاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملك شاه والوزير نظام الملك وجرى بين الفريقين قتال انهزم به قاروت ووقع اسيراً في يد احد اصحاب السلطان ملك شاه فقتله فتشتتت عساكره وكان كثيرون من عسكر ملك شاه يميلون الى قاروت بك فلما قتل مدوا ايديهم الى اموال الرعية بدعوى ان الوزير نظام الملك يمنع عنهم الاعطايات فنال الرعية من ذلك اذى شديد فاظهر نظام الملك للسلطان خطارة الامر ان هو لم

يضرب على ايدي المفسدين ففوض ملك شاه الى الوزير نظام الملك اجراء مايراه موافقاً فلم يمض وقت كبير حتى ازال تلك المفاسد واظهر من الكفاءة والشجاعة وحسن السيرة ماهو مشهور

وفي سنة ٤٧٣ هـ خالف الامير تكش (وقيل طرسوس) على اخيه السلطان ملك شاه وجمع من حوله رجالاً يجاهرون بعزمهم على اعطائه الملك فحار به ملك شاه وانتصر عليه بغير عناء كبير ففر الامير من البلاد واستراح السلطان بعد ذلك من القلاقل . ثم وجه السلطان ملك شاه همه الى الفتح فنجح في ذلك كثيراً وفي مدة يسيرة استولى على ما وراء النهر كبخارا وسمرقند وخوارزم وكاشغر غير ما افتتحه من جهات الشام التي صارت بعد قليل في قبضة يده فاتسعت مملكته اتساعاً هائلاً حتى صار هو السلطان المطلق على بلدان اسيا الواقعة مابين البحر المتوسط وحدود الهند

وكان الخليفة العباسي صاحب بغداد في يد هذا السلطان العظيم وتحت أمره لايملك من الخلافة غير اسمها وكل مابقي من مهام الملك في يد هذا السلطان السلجوقي ثم زار السلطان ملك شاه بغداد مرتين فشغف بها حتى عزم على نقل كرسي مملكته اليها . وقد مدح المؤرخون ملك شاه بكل امر حميد ونسبوا اليه كل فضيلة ولكنه مع كل مانسب اليه من الفضائل قد سود صحيفة تاريخه البيضاء بقتل وزيره نظام الملك الذي شاد له ولابيه من قبله صروح الفخار وأسس له سلطنة تفوق كل سلطنات ذلك الزمان . وقد ذهب المؤرخون عدة مذاهب في سبب قتله نذكر اشهرها واقربها الى العقل وذلك ان نظام الملك ولى حافده عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك اعمال مرو وارسل السلطان اليها شحنة اسمه قودن وهو من خواصه فنازع عثمان في شيء فحملت عثمان حداثة سنه وطمعه بجده على ان قبض على قودن وسجنه ثم اطلقه فقصد السلطان ملك شاه مستغيثاً شاكياً فاغتاظ السلطان ملك شاه لاستبداد نظام الملك وبنيه في الملك وتعديهم حدود سلطتهم وارسل الى نظام الملك رسالة يقول له فيها « ان كنت شريكي في الملك فلذلك

حكم وان كنت نائبي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء اولادك قد جاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا »

فحضر المرسلون عند نظام الملك واوردوا عليه الرسالة فقال :

« قولوا للسلطان اذا كنت لم تعلم بعد اني شريكك في الملك فاعلم . فانك مانلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي اما تذكر حين قتل ابوك فقمت بتدبير امرك وقمعت الخوارج عليك من أهلك وغيرهم وانت في ذلك الوقت تتمسك بي فلما قدت الامور اليك واطاعك القاصي والداني اقبلت تتجنى لي الذنوب وتسمع في السعايات . وقولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما سبب كل غنيمة ومتى اطبقت هذه الدواة زالت تلك » واطال فيما هذا سبيله

فلما خرج الرسل من عنده اتفقوا على كتمان ماجرى عن السلطان فابلغوه ما مضمونه العبودية والاعتذار . ولكن كان للسلطان عين في أولئك الرسل من خواصه المقربين اليه لانه خاف ان يكتم الرسل عنه مايقول نظام الملك فابلغه ماقاله نظام الملك بالحرف الواحد . ومن هذا الوقت ابتدأ السلطان ملك شاه في تدبير قتل نظام الملك فوضع له بعض الباطنية فقتله عاشر رمضان سنة ٤٨٥ هـ

وقيل في ابتداء أمر نظام الملك انه كان من ابناء الدهاقين بطوس وكان كاتباً للامير باخر صاحب بلخ وكان الامير يصادره في رأس كل سنة ويأخذ مامعه ويقول له (قد سمنت ياحسن) فهرب الى الملك داود بن ميكائيل السلجوقي وهو بمرو فدخل اليه . فلما رآه اخذ بيده وسلمه الى ولده الب ارسلان وقال له « هذا حسن الطوسي فتسلمه واتخذه والداً ولا تخالفه » . وكان نظام الملك اذا دخل عليه الائمة الاكابر لايقوم لهم ويجلس في مسنده وكان له شيخ فقير اذا دخل اليه يقوم له ويجلسه في مكانه ويجلس بين يديه فقيل له عن سبب ذلك فقال « أن أولئك اذا دخلوا علي يثنون علي بما هو ليس في فيزيدني كلامهم عجباً وتيهاً وهذا يذكرني بعيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك فارجع

عن كثير مما انا فيه وكان مجالسه عامرًا بالعلماء واهل الخير والصلاح وهو الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد فكانت تضاهي اعظم مدارس أوربا اليوم . وا كثر الشعراء من رثائه فمن جيد ماقيل قول شبل الدولة :

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة   يتيمة صاغها الرحمن من شرف
بدت فلم تعرف الايام قيمتها   فردها غيرة منه الى الصدف

ولم يعش السلطان ملك شاه بعد هذا الوزير الا شهورًا و بضعة ايام حاول في خلالها ان ينفذ غرضه وينقل مقر السلطنة الى بغداد لانه كان مغرمًا بالعيش في تلك المدينة فعارضه الخليفة ورجاه ان يتمهل في الامر و يصبر عشرة ايام ريثما يرى طريقة في الانتقال منها فأمهله ملك شاه ذلك ولكن الموت عاجله قبل انقضائها فمات مأسوفًا عليه ليلة الجمعة النصف من شوال سنة ٤٨٥ﻫ لثمان وثلاثين من عمره بعد ان رقيت بلاده في ايامه الى اعلى درجات الثروة والعز ورتعت في بحبوحة الامن والسلام زمنًا طويلاً فنظم واصلح وشاد المعابد والمدارس . واكثر هذا السلطان من المستشفيات وقرب العلماء وأهل الادب واكثر لهم من الصلات . وفي ايامه اجتمع العارفون بالحساب والفلك والفوا التقويم الاسلامي المشهور باسم الجلالية نسبة الى جلال الدين وهو لقب السلطان ملك شاه

٣٥٢ — محمود بن ملك شاه

من سنة ٤٨٥ — ٤٨٥ ﻫ او من سنة ١٠٩٢ — ١٠٩٢ م

لما توفي السلطان ملك شاه كتمت زوجته تركان خاتون موته واستدعت اليها الامراء فاسترضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره اربع سنين وشهور وهو أصغر اولاد السلطان ملك شاه فحلفوا لها على ذلك وارسلت الى الخليفة المقتدي العباسي في الخطبة لابنها فاجابها الى ما طلبت بعد ان اشترط عليها ان يقوم تاج

الملك (وزير ملك شاه بعد قتل نظام الملك) بوصايته لصغر سنه فاجابته الى ذلك وخطب لمحمود يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال سنة ٤٨٥ ﻫ وكان بركيارق اكبر اولاد السلطان ملك شاه في اصفهان فخافته تركان خاتون وارسلت اليه من قبض عليه واعتقله ولكن لما ظهر خبر موت السلطان ملك شاه لم ترض الجنود النظامية بمحمود سلطاناً عليهم لصغر سنه ووثبوا على السجن الذي فيه بركيارق واخرجوه من الحبس وخطبوا له في اصفهان و بايعوا له . فلما علمت تركان خاتون بالخطبة لبركيارق باصفهان سارت اليها في العساكر لقتاله وحصلت وقائع بين الفريقين فانهزم عسكر تركان خاتون وحاصرها باصفهان وشتت شمل عساكرها واستولى على الملك

٣٥٣ — بركيارق بن ملك شاه

من سنة ٤٨٥ — ٤٩٨ ﻫ أو من سنة ١٠٩٢ - ١١٠٤ م

ولما هزم بركيارق عسكر تركان خاتون سار الى بغداد وخطب له فيها سنة ٤٨٦ﻫ . وكان السلطان بركيارق هذا اشقى سلاطين السلاجقة وكل ايامه كانت حروب ومنازعات لانهُ لم يكد يستتب له الامر حتى خالف عليه عمه تتش ابن الب ارسلان (جد الدولة البورية في الشام وحلب) وقاتله وهزمه ولكنه تمكن بعد قليل من جمع شتات عسكره واعاد الكرة على عمه تتش فهزمه وقتله سنة ٤٨٨ ﻫ ولم يكد يستريح من عمه حتى ظهر اخوه الملك محمد بن ملك شاه وناوأ اخاه بركيارق القتال وانتصر عليه مراراً ودامت الحروب بينهما اكثر من ثماني سنوات تارة ينتصر محمد ويخطب له ببغداد واخرى ينتصر بركيارق فيعيد الخطبة له الى ان وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملك شاه وتقررت القاعدة بينهما ان يخطب للسلطان بركيارق بالري والجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وان يخطب للسلطان محمد بديار بكر والجزيرة والموصل والشام وارمينية

والعراق وان لا يعارض أحدهما الآخر في شيء مما له أما بلاد خراسان فاقطعها لاخيها الملك سنجر ولم يهنأ السلطان بركيارق بهذا الصلح لان المنية عاجلته في السنة التالية وكان قد أصيب بالسل والبواسير فلما يئس من نفسه خلع على ولده ملك شاه وعمره أربع سنين وثمانية اشهر واحضر جماعة الامراء واعلمهم انه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وجعل الامير اياس اتابكه فاجابوه كلهم بالسمع والطاعة. ثم توفي السلطان بركيارق في يوم ١٢ ربيع الآخر سنة ٤٩٨ هـ.

٣٥٤ — ملك شاه بن بركيارق

من سنة ٤٩٨ — ٤٩٨ هـ او من سنة ١١٠٤ — ١١٠٤ م

ولما توفي السلطان بركيارق تولى بعده ابنه ملك شاه كوصيته وقام بتدبير دولته وزيره أياس فطمع عمه محمد بن ملك شاه في الاستيلاء على ما بيد ابن اخيه فسار اليه وانتزع الملك من يده فصارت جميع المملكة للسلطان محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان

٣٥٥ — محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان

من سنة ٤٩٨ — ٥١١ هـ أو من سنة ١١٠٤ — ١١١٧ م

واستتب الامر للسلطان محمد بن ملك شاه بن الب أرسلان. ولتوالي هذه الحروب والفتن المهلكة ضعف شأن الدولة السلجوقية ووثب نواب الاعمال كل على ما في يده واستولى عليه ولكن السلطان محمداً كان شجاعاً لا يحتمل الضيم فلم يقدر ان يرى هذا الانقسام وعزم على عمل كل ما في جهده لارجاع السطوة للدولة السلجوقية كما كانت فسار سنة ٤٩٩ هـ الى الموصل ليأخذها من جكرميش صاحبها لذلك الوقت فخرج هذا الى السلطان محمد واظهر عبوديته وتابعيته له فأقره على عمله وعاد

عنه . فلما عاد السلطان محمد عن الموصل وثب عليها شخص يقال له جاولي واغتصبها من جكرميش واستولى عليها فأرسل اليها السلطان محمد عسكراً وملكها من اصحاب جاولي سنة ٥٠٢ هـ

وكان السلطان محمد عضداً قوياً لجيوش المسلمين في الحروب الصليبية التي ثارت نيرانها في تلك الايام وأمرها معروف

وفي ذي الحجة سنة ٥١١ هـ مرض السلطان محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان فلما يئس من نفسه أحضر ولده محموداً وقبله وبكى كل واحد منهما وامره ان يخرج و يجلس على تخت السلطنة وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة . فقال محمود لوالده « انه يوم غير مبارك » يعني من طريق النجوم فقال له « صدقت ولكن عليّ اما عليك فمبارك بالسلطنة » فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين . وكان السلطان محمد عظيم الهيبة عادلاً حسن السيرة شجاعاً

٣٥٦ — محمود بن محمد

من سنة ٥١١ — ٥٢٥ هـ أو من سنة ١١١٧ — ١١٣٠ م

لما توفي السلطان محمد تولى السلطنة بعده ابنه محمود ووثب عليه لاول ولايته عمه الملك سنجر صاحب خراسان ووقع بينهما حرب شديدة انهزم فيهــا السلطان محمود واستولى عمه سنجر على جميع البلاد وهرب محمود فراسله السلطان سنجر في الصلح على ان يخطب للسلطان سنجر في جميع البلاد اولاً وللسلطان محمود بعده واستقر الامر بينهما على ذلك فأعاد السلطان سنجر ابن اخيه السلطان محموداً الى بلاده . وكان السلطان سنجر شجاعاً فأعاد الى الصدور احترام الناس الاول لآل سلجوق والخضوع لدولتهم حتى ولى على سمرقند رجلاً من اوباش الناس كان ساقياً له في قصره

وصار هذا الوالي يجيء الى السلطان سنجر حيناً بعد حين و يقدم له الشراب

وهو متردٍ برداء الامارة حتى شاع بين الناس ان سنجر عظم الى حد ان الملوك صارت تخدمه وتقف للخدمة بين يديه

ولم يكد السلطان محمود يستريح من غارة عمه التي قضت على استقلاله حتى خالف عليه اخوه السلطان مسعود صاحب اذربيجان وأراد الوثوب عليه والاستيلاء على مابقي من آثار السلطنة فأرسل السلطان محمود الى اخيه من نصحه ليرجع عن غيه واحضره الى اخيه السلطان محمود فقبله بكل تجلة واكرام واجلسه معه على كرسي السلطنة فدل بذلك على شهامته وكرم اخلاقه وذلك سنة ٥١٤ هـ .

وفي سنة ٥١٧ هـ اشتدت نكاية الكرج في بلاد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيما اهل دربند شروان فحضر جماعة من اعيانهم الى السلطان محمود وشكوا اليه ماهم فيه من الخوف من الكرج وعدم مقدرتهم عن حفظ بلادهم فسار السلطان محمود معهم وقاتل الكرج وهزمهم واجلاهم عن بلاد المسلمين

وفي سنة ٥١٩ هـ اتحد الملك طغرل اخو السلطان محمود مع دبيس بن صدقة المزيدي على قصد العراق فقصداه في جموعهما ولكنهما انهزما امام الخليفة اولاً وامام السلطان محمود ثانياً فلجئا بالملك سنجر بخراسان ثم دس دبيس الى الملك سنجر ان السلطان محموداً خرج عن طاعته وانه اتحد مع الخليفة على ابعاده (ابعاد سنجر) ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق. فلما وصلوا الى الري كان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام تغير على ما زعم دبيس . فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فاكرم السلطان سنجر وفادته واجلسه معه على التخت . وتحقق السلطان سنجر حسن نية السلطان محمود وكذب دبيس فعاد الى خراسان بعد ان سلم دبيساً الى السلطان محمود واوصاه باكرامه واعادته الى بلاده

وفي سنة ٥٢٥ هـ في شوال توفي السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بهمذان وكان عمره نحو سبع وعشرين سنة وولايته ثلاث عشرة سنة وكان حليماً كريماً

عاقلاً يسمع ما يكره ولا يعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع في اموال الرعايا عفيفاً عنها كافاً لاصحابه عن التطرق الى شيء منها

٣٥٧ — داود بن محمود

من سنة ٥٢٥ — ٥٢٦ هـ أو من سنة ١١٣٠ — ١١٣١ م

لما توفي السلطان محمود بن محمد تولى بعده ابنه داود ولكنه لم يهناه بالسلطنة اذ وثب عليه عمه السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه واخذ البلاد من يده وذلك سنة ٤٢٦ هـ

٣٥٨ — مسعود بن محمد بن ملك شاه

من سنة ٥٢٦ — ٥٤٧ هـ او من سنة ١١٣١ — ١١٥٢م

وكانت ايام السلطان مسعود جميعها فتن وحروب لا يخرج من حرب حتى تنفتح امامه اخرى وذلك لقيام اخوته واولادهم ومنازعتهم هذا السلطان السيء الحظ في السلطنة حتى ضعفت الدولة السلجوقية الى درجة لم يسبق لها مثيل وطمع الخليفة المسترشد بالله العباسي (مع ان عهدنا بالخلفاء من زمن طويل لا يقدرون على منازعة اقل الامراء اضعفهم فضلاً عن الملوك) في قتال السلطان ولكن لم تكن قوة السلطان مسعود قدبلغت من الضعف هذه الدرجة حتى ينتصر عليه الخليفة فانتصر السلطان مسعود عليه واسر الخليفة ووضعه في خيمة واتفق وصول السلطان سنجر فخرج الناس والسلطان مسعود لمقابلته فقام الباطنية على الخليفة وقتلوه كما تقدم ذكر ذلك . وكاني بالضعف قد تطرق الى كل جسم السلجوقية في ذلك الوقت فان السلطان سنجر وهو اعظم سلاطينهم ويعد الجميع نواباً عنه في اعمالهم بلغ به الضعف الى درجة لم تروعنه قبلاً فانهزم امام الخطا

الذين استعان بهم خوارزم شاه على قتاله

وفي سنة ٥٤٧ هـ توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه بهمذان وكان عهده الى ملك شاه ابن اخيه السلطان محمود فخطب له الامير خاصبك بالسلطنة ورتب الامور وقررها بين يديه . ثم قبض عليه وارسل الى اخيه السلطان محمد ابن محمود وهو بخوزستان يستدعيه وكان قصده ان يحضر عنده فيقبضه ويخطب لنفسه بالسلطنة . فسار اليه محمد فاجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة . ثم شعر محمد بخبث خاصبك فثاني يوم وصوله لما دخل اليه قتله ومعه زنكي الجاندار والقى راسيهما و بقيتا حتى اكلتهما الكلاب واستقر محمد في السلطنة

٣٥٩ — محمد بن محمود

من سنة ٥٤٧ — ٥٥٤ هـ او من سنة ١١٥٢ — ١١٥٩ م

وكان السلطان محمد ضعيفاً بهذا المقدار حتى لم يتمكن من حمل الخليفة ان يخطب له ببغداد فاستبد الخليفة المقتفي بالله بالعراق منفرداً عن اي سلطان وحكم على عسكره واصحابه وهو اول من قدر على ذلك من حين تحكم المماليك على الخلفاء ومن عهد المستنصر الى الان . وحاول السلطان محمد ان يحمل الخليفة بالقوة على ان يخطب له وحاصر بغداد لهذا الغرض فلم يفز بمراده

واهم ما يذكر في هذه المدة انهزام السلطان سنجر امام الغز ووقوعه اسيراً في قبضة يدهم فاذاقه التركمان كل انواع العذاب والهوان ثم تمكن من الفرار فوجد البلاد في اسواء حال فمات من الغم في سنة ٥٥٢ هـ . وهو يعرف بالسلطان العادل وله شهرة كبير في البأس والبسالة ولكنه كان سيء الطالع

وفي سنة ٥٥٤ هـ توفي السلطان محمد بن محمود ولم يترك الا ولداً صغيراً فسلمه قبل وفاته الى آقسنقر الاحمديلي وقال « انا اعلم ان الناس لا تطيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فارحل به الى بلادك . » فاخذه ورحل الى مراغة

٣٦٠ ـ سليمان بن شاه بن محمد

من سنة ٥٥٤ — ٥٥٦ هـ او من سنة ١١٥٩ — ١١٦٠ م

ولما توفي السلطان محمد بن محمود اجمع راي ولاة الامور على تولية عمه سليمان شاه في الملك بعده ولكن خاب ظنهم لما كان يرجونه من اصلاح سليمان شاه الاحوال لانه ما عتم ان تسلم السلطنة حتى عكف على شرب الخمر ومعاشرة النساء والصفاعين وكان له وزير عاقل يدعى شرف الدين كردبازه فنهاه عما هو فيه وان المملكة في غاية الاحتياج لمن يدبرها فاهانه سليمان شاه وأمر اصحابه الصفاعين ان يعبثوا به فاغتاظ شرف الدين كردبازه مما حصل وندم على نصحه لسليمان شاه وانقطع عن مقابلته وصار ينتهز الفرص للخلاص من تحت يد هذا السلطان الغشوم الى ان مكنته الفرص من ذلك فقتله سنة ٥٥٦ هـ ٠

٣٦١ ـ ارسلان شاه بن طغرل بك بن محمد

من سنة ٥٥٦ — ٥٧٣ هـ او من سنة ١١٦٠ — ١١٧٧ م

لما قتل شرف الدولة كردبازه السلطان سليمان شاه بن محمد ولي بعده أرسلان شاه بن طغرل بك بن محمد بن ملك شاه بن الب ارسلان فاستوزر لاول ولايته ايلدكز ٠ وكان ايلدكز هذا من موالي السلطان مسعود وكان عاقلاً حسن السيرة عظيم السياسة فاستولى على الامور وصار صاحب الامر والنهي ولم يكن لارسلان شاه الا الاسم فقط واستمر الحال على ذلك الى ان توفي ايلدكز سنة ٥٦٧ هـ فقام بتدبير الدولة بعده ابنه محمد البلهوان واتبع خطوات ابيه من الاستيلاء على أمور السلطنة والحجر على السلطان ارسلان شاه ٠ وفي سنة ٥٧٣ هـ توفي السلطان ارسلان شاه بن طغرل

٣٦٢ — طغرل بن ارسلان شاه

من سنة ٥٧٣ — ٥٩٠ هـ أو من سنة ١١٧٧ — ١١٩٣ م

ولما توفي السلطان ارسلان شاه بن طغرل تولى بعده ابنه طغرل وقام البلهوان محمد بن ايلدكز بتدبير دولته كما كان في أيام ابيه الى ان توفي البلهوان سنة ٥٨٢ هـ وتولى تدبير الدولة بعده ابنه قزل بن محمد فطمع طغرل حينئذ في استرجاع حقوق السلطنة المهضومة وجمع العساكر وعارض قزل في اجراءاته جهاراً فخافه وارسل الى الخليفة يستنجده ويخوفه من طغرل . وفي الوقت نفسه كان طغرل قد أرسل رسولاً الى الخليفة يطلب الخطبة له ببغداد ونقل كرسي السلطنة اليها . فاكرم الخليفة رسول قزل ووعده بالنجدة ورد رسول السلطان طغرل بلا جواب وأمر بنقض دار السلطنة ببغداد فهدمت الى الارض وعفي اثارها

وفي سنة ٥٨٤ هـ أرسل الخليفة العساكر مدداً لقزل لقتال السلطان طغرل فهزمهم طغرل وشتت جموعهم وأعاد هيبة الناس للملوك السلجوقية نوعاً ما ، ولكن قزل جمع شتات عسكره واعاد الكرة على السلطان طغرل فهزمه وقبض عليه واعتقله فبقي في اعتقاله الى سنة ٥٨٧ هـ وفيها قتل قزل ولم يعلم قاتله وتولى بعده ابنه اينانج فهرب السلطان طغرل من سجنه بعد قتل قزل وحارب اينانج بن قزل وانتصر عليه فاستنجد اينانج خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار اليه سنة ٥٨٨ هـ فلما تقاربا ندم اينانج على استدعاء خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصن في قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الري وملكها وحاصر قلعة طبرك ففتحها في يومين وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الري في يد خوارزم شاه ثم عاد الى خوارزم لمنعها من استيلاء اخيه سلطان شاه عليها . فلما دخلت سنة ٥٩٠ هـ قصد السلطان طغرل بلاد الري فاغار على من به من اصحاب خوارزم شاه وعلم بذلك اينانج بن البلهوان فخاف على نفسه وارسل الى خوارزم شاه يعتذر ويسأله انجاده مرة ثانية ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من

السلطان طغرل و يطلب منه قصد بلاده ومعه منشور باقطاعه البلاد . فسار خوارزم شاه من نيسابور الى الري وعلم طغرل بمجيئه وكانت عساكره متفرقة فلم ينتظر ليجمعها بل سار مجدا فبين معه فرجع عن قصده حتى تجتمع اليه العساكر فلم يقبل وكان فيه شجاعة . بل تمم مسيره فالتقى العسكران بالقرب من الري ولم يكن الا القليل حتى انهزم عسكر طغرل وقتل هو في المعركة واستولى خوارزم شاه على البلاد و بقتله انقرضت الدولة السلجوقية العظمى والملك لله يؤتيه من يشاء

٣٦٣ ـ الدولة السلجوقية باسيا الصغرى (بنو قطلمش)

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية وهي تنسب الى قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق . ولما انتشر السلجوقية في البلاد طالبين للملك دخل قطلمش هذا الى بلاد الروم وملك قونية واقصرا ونواحيها ولما قوي أمره وكثر اتباعه خالف على السلطان الب ارسلان واظهر عليه العصيان فنهاه الب ارسلان عن ذلك فلم ينته فسير اليه العساكر لقتاله فانهزم قطلمش وقتل في المعركة وذلك سنة ٤٥٦ هـ .

٣٦٤ ـ سليمان بن قطلمش

من سنة ٤٥٦ ـ ٤٧٩ هـ او من سنة ١٠٦٣ ـ ١٠٨٦ م

لما قتل قطلمش كما تقدم تولى بعده ابنه سليمان بن قطلمش على قونية واقصرا ونواحيها مما كان لابيه . وفي سنة ٤٧٧ هـ استولى على مدينة انطاكية من يد الروم المستولين عليها لذلك الحين وفي ذلك قال الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر　　نار بمعتلج الكثيب الاعفر

وفتحت انطاكية الروم التي　　نشرت معاقلها على الاسكندر

وطئت مناكبها جيادك فانثنت　　تلقى اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على الروم بانطاكية فلما استولى سليمان بن قطلمش عليها ارسل اليه مسلم بن قريش يطلب منه الضريبة التي كانت تدفعها الروم اليه فابى ان يرسل اليه شيئاً فجمع مسلم عساكره من العرب والتركمان لحصار انطاكية واستعد سليمان لقتاله ايضاً فالتقيا سنة ٤٧٨ ﻫ فانهزم مسلم وتقدم سليمان لحصار حلب فامتنعت عليه وسأله اهلها الامهال حتى يكاتبوا السلطان ملك شاه بخصوص تسليمه البلد فامهلهم ولكنهم عوضاً عن اتمام وعدهم ارسلوا الى تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق يستنجدونه على سليمان فاسرع لاجابة طلبهم وسار بنفسه لقتال سليمان فقاتله فانهزم سليمان وخاف ان يقع اسيراً في يد عدوه فقتل نفسه بخنجر ومات سنة ٤٧٩ ﻫ

٣٦٥ — قلج ارسلان بن سليمان

من سنة ٤٧٩ — ٥٠٠ ﻫ او من سنة ١٠٨٦ — ١١٠٦ م

ولما توفي سليمان بن قطلمش تولى بعده ابنه قلج ارسلان وفي ايامه قدمت جموع الصليبيين ومروا ببلاده وكان بين الفريقين وقائع مشهورة انهزم فيها قلج ارسلان وقد تقدم ذكر ذلك في اخبار الصليبيين

وفي سنة ٥٠٠ ﻫ كان الخلاف بين جكرمس وجاولي سقاو وكلاهما من قواد السلجوقية بشأن الاستيلاء على مدينة الموصل فاستمد جكرمس السلطان قلج ارسلان فأمده بنفسه وعسكره فلما قرب من الموصل سار عنها جاولي واستولى قلج ارسلان عليها وعلى ديار بكر وتتبع جاولي . وكان هذا قد لحق بسنجار واستنجد الملك رضوان ابن تتش بن الب ارسلان صاحب الشام فانجده وسار معه لقتال قلج ارسلان فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه عسكر قلج ارسلان والقى نفسه في نهر الخابور فغرق . وسار جاولي الى الموصل وملكها

٣٦٦ - مسعود بن قلج ارسلان

من سنة ٥٠٠ — ٥٥١ هـ او من سنة ١١٠٦ — ١١٥٦ م

لما توفي قلج ارسلان تولى بعده على قونية واقصرا واعمالها ابنـه مسعود واتسعت المملكة في ايامه باستيلائه على ملطية وسيواس واعمالها وساد السلام في مدته وعم الامن الى ان توفي سنة ٥٥١ هـ

٣٦٧ - قلج ارسلان بن مسعود

من سنة ٥٥١ — ٥٨٨ هـ او من سنة ١١٥٦ — ١١٩٢ م

لما توفي مسعود بن قلج ارسلان تولى بعده ابنه قلج ارسلان وحصلت بينه وبين ذي النون بن الشمند صاحب ملطية وسيواس حرب فانهزم ذو النون ولحق بنور الدين محمود بن زنكي صاحب دمشق يستنجده على قلج ارسلان فسار نور الدين بعساكره الى بلاد قلج ارسلان واستولى على كيسون ومرعش وبهنس ومرزبان وأرسل سرية من عسكره الى سيواس فملكوها

وكان قلج ارسلان لما قصد نور الدين بلاده قد سار من طرفها التي تلي بلاد الشام الى وسطها وراسل نور الدين يستعطفه و يسأله الصلح فصالحه على ان تكون سيواس بيد ذي النون وافترقا على ذلك سنة ٥٦٨ هـ

وكان قلج ارسلان بن مسعود قد زوج ابنته من نور الدين محمود بن قرا ارسلان ابن داود صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر واعطاه عدة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوج عليها وهجرها فامتعض ابوها قلج ارسلان لذلك وعزم على غزو نور الدين في ديار بكر واخذ بلاده منه . فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن ايوب . فأرسل صلاح الدين الى قلج ارسلان في المعنى فاعاد الجواب « اني كنت قد سلمت الى نور الدين عدة حصون تجاور بلاده لما تزوج ابنتي فحيث آل الامر معه الى ما يعلمه فأنا أريد ان يعيد اليّ ما اخذه مني » وترددت الرسل بينهما بلا فائدة فهادن صلاح الدين الفرنج وسار في عساكره قاصداً بلاد قلج ارسلان . فلما سمع قلج ارسلان بقربه منه ارسل

اليه اكبر امير عنده يقول « ان نور الدين فعل مع ابنتي كذا ولا بد من قصد بلاده وتعريفه محل نفسه » فلما وصل الرسول واجتمع بصلاح الدين وادى اليه الرسالة امتعض صلاح الدين لذلك واغتاظ وقال للرسول « قل لصاحبك والله الذي لا اله الا هو لئن لم يرجع لاصيرن الى ملطية وبيني وبينها يومان ولا انزل عن فرسي الا في البلد ثم اقصد جميع بلاده وآخذها منه » فرأى الرسول من شدة صلاح الدين وكثرة من معه ما هاله فخاف ان يرجع بلا نتيجة فتضيع بلادهم لا محالة فطلب من صلاح الدين ان يجتمع به ليقول شيئاً بدا له من نفسه وليس من مرسله فأذن له صلاح الدين في ذلك فقال له « يا مولانا اما هو قبيح بمثلك وانت من اعظم السلاطين واكبرهم شأناً ان تسمع عنك الناس انك صالحت الفرنج وتركت الغزو ومصالح المملكة واعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيتك وللمسلمين عامة وجمعت العساكر من اطراف البلاد البعيدة والقريبة وسرت وخسرت انت وعساكرك الاموال العظيمة لاجل امرأة مغنية (يقصد المرأة التي تزوجها نور الدين على ابنة مولاه قلج ارسلان) ما يكون عذرك عند الله تعالى ثم عند الخليفة وملوك الاسلام وكافة العالم واحسب ان احداً ما يواجهك بهذا اما يعلمون ان الامر هكذا ثم افرض ان قلج ارسلان مات وهذه ابنته قد ارسلتني اليك تستجيرك وتسألك ان تنصفها من زوجها فان فعلت فهو الظن بك ان لا تردها »

فعجب صلاح الدين من فصاحته وقال له الحق معك وحمل نور الدين ان يترك المغنية التي تزوجها على ابنة قلج ارسلان وان يكرم هذه ففعل . وخلص قلج ارسلان بحكمة وزيره هذا من حروب مهلكة ربما كانت القاضية عليه وكل ذلك كان سنة ٥٧٦ ﻫ

وكان لقلج ارسلان عدة اولاد ذكور فخاف اختلافهم بعد موته ففرق عليهم البلاد في حياته فاعطى قونية باعمالها لغياث الدين كيخسرو . واقصرا وسيواس لقطب الدين ودوقاط لابنه ركن الدين سليمان . وانقرة لمحيي الدين . وملطية لعز الدين قيصر شاه وابلستين لمغيث الدين . وقيسارية لنور الدين . واعطى نكسار واماسا لابني اخيه . فكانت هذه القسمة سبباً في تنغيص عيش قلج ارسلان في اواخر ايامه لان اولاده استضعفوه وتخلوا عنه ولم يزل ينتقل من واحد الى واحد والكل يرفضونه حتى سار الى ولده غياث الدين كيخسرو صاحب قونية فقبله واكرمه ولكن لم تطل ايام قلج ارسلان

بعد ذلك لشدة حزنه فتوفي في قونية سنة ٥٨٨ هـ وكان ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة وعدل وافر

٣٦٨ — غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان

من سنة ٥٨٨ — ٥٩٦ هـ او من سنة ١١٩٢ — ١١٩٩ م

لما توفي قلج ارسلان بن مسعود استولى بنوه كل منهم على ما في يده حسب قسمة ابيهم فكانت قونية وهي عاصمة البلاد حينئذ من نصيب غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان . ولم يمض وقت طويل حتى وقعت المنازعات والمخاصمات والفتن بين الاخوة اولاد قلج ارسلان . وطمع كل منهم في الاستيلاء على ما بيد اخيه الى ان ظهر عليهم اخيرا اخوهم ركن الدين بن قلج ارسلان . واخيراً حاصر قونية وبها اخوه غياث الدين فهرب غياث الدين منها ولحق ببلاد الشام واستولى ركن الدين على قونية فصارت كل مملكة ابيه تحت تصرفه المطلق بلا منازع

٣٦٩ — ركن الدين بن قلج ارسلان

من سنة ٥٩٦ ـ ٦٠٠ هـ او من سنة ١١٩٩ ـ ١٢٠٣ م

واستمر ركن الدين بن قلج ارسلان ملكاً على اسيا الصغرى (كانت تعرف قبلاً ببلاد الروم) الى ان توفي سنة ٦٠٠ هـ . وكان ركن الدين ملكاً حازماً شديداً على الاعداء الا انه رمي بالزندقة وقيل انه معطل .

٣٧٠ — قلج ارسلان بن ركن الدين

من سنة ٦٠٠ ـ ٦٠١ هـ او من سنة ١٢٠٣ ـ ١٢٠٤ م

لما توفي ركن الدين بن قلج ارسلان تولى بعده ابنه قلج ارسلان بن ركن الدين ولكنه لم يهنا بالملك طويلاً لان عمه غياث الدين الذي هرب من ابيه كما تقدم طمع

في الملك بعد موت اخيه واستنجد ملك القسطنطينية لذلك الوقت لارجاع الملك اليه فانجده وتمكن من اغتصاب الملك من يد قلج ارسلان ابن اخيه سنة ٦٠١ ﻫ

٣٧١ – غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان ثانية

من سنة ٦٠١ – ٦٠٧ﻫ او من سنة ١٢٠٤ – ١٢١٠ م

هكذا تمكن غياث الدين ان يستولي على الملك مرة اخرى واستفحل امره جداً واسترجع مدينة انطاكية التي كان استولى عليها الروم ايام الفتن بين اخوته . وقصده علي بن يوسف صاحب شميشاط ونظام الدين بن ارسلان صاحب خرت برت وغيرهما وعظم امره الى ان قتله اشكر صاحب قسطنطينية ٦٠٧ ﻫ

٣٧٢ – كيكاوس بن كيخسرو

من سنة ٦٠٧ – ٦١٦ﻫ او من سنة ١٢١٠ – ١٢١٩ م

لما قتل غياث الدين كيخسرو بن قلج ارسلان تولى بعده ابنه كيكاوس وتلقب الغالب بالله وكان عمه طغرل شاه بن قلج ارسلان صاحب ارزن الروم قد طلب الامر لنفسه وسار لقتال كيكاوس ابن اخيه وحاصره في سيواس وخالف عليه ايضاً اخوه كيقباد بن كيخسرو وقصد مدينة انقرة وملكها . فاستنجد كيكاوس بالملك العادل صاحب دمشق فانفذ اليه العساكر وافرج طغرل عن سيواس قبل وصولهم . فسار كيكاوس الى انكورية وملكها من يد اخيه كيقباد وحبسه وقتل اصحابه وسار الى عمه طغرل بارزن الروم فظفر به سنة ٦١٠ ﻫ وقتله

وفي سنة ٦١٥ ﻫ اتفق كيكاوس بن كيخسرو والافضل بن صلاح الدين على قصد حلب واعمالها وهي في ذلك الوقت لشهاب الدين طغرل بن الظاهر على ان تكون الخطبة لكيكاوس والولاية للافضل في جميع ما يفتحونه من حلب واعمالها وتعاقدوا على ذلك وساروا فملكوا قلعة رغبان وتسلمها الافضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل باشر فاستأثر بها كيكاوس وارتاب الافضل . ثم استنجد ابن الظاهر صاحب حلب

الاشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط على ان يخطب له بحلب و ينقش اسمه على السكة فسار لانجاده ومعـه احياء طي من العرب فنزل بظاهر حلب وسار كيكاوس والافضل الى منبج ولقيت طليعتهم طليعة الظاهر فاقتتلوا وعاد عسكر كيكاوس منهزمين اليه فاجفل وسار الاشرف الى رغبان وتل باشر و بهما اصحاب كيكاوس فغلبهم عليهما واطلقهم الى صاحبهم . وسلم الاشرف الحصنين الى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب و بلغه الخبر بوفاة ابيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم . و بعد انهزام كيكاوس كما تقـدم ورجوع الاشرف الى مصر عزم على قصد بلاد الاشرف بالجزيرة واتفق مع صاحب آمـد وصاحب اربل على ذلك وكانا يخطبان له . ولكن عاجلته المنية عن اتمام قصده اذ توفي سنة ٦١٦ ه .

٣٧٣ ـ كيقباد بن كيخسرو

من سنة ٦١٦ ـ ٦٣٤ ه او من سنة ١٢١٩ ـ ١٢٣٦ م

توفي كيكاوس بن كيخسرو وخلف بنيـه صغارًا وكان اخوه كيقباد محبوسًا منذ أخذه من الكورية فاخرجه الجند من محبسه وملكوه

وفي هـذه الاثناء حدثت الفتنة بين الاشرف صاحب الجزيرة والمعظم صاحب دمشق وجاء جلال الدين خوارزم شاه من الهند سنة ٦٢٣ ه منهزمًا امام التتر فملك اذربيجان واعتضـد به المعظم صاحب دمشق على الاشرف وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني ارتق . فأرسل الاشرف الى كيقباد ملك اسيا الصغرى (بلاد الروم) يستنجده على صاحب آمد والاشرف يومئـذ محاصر لماردين . فسار كيقباد واقام على ملطية وجهز العساكر من هناك الى آمد ففتح عدة حصون . وعاد صاحب آمد الى موافقة الاشرف فكتب الى كيقباد ان يرد اليه ما اخذه منه فامتنع فبعث الاشرف عساكره مددًا لصاحب آمد على كيقباد وكان محاصرًا لقلعة الكختا فلقيهم وهزمهم واثخن فيهم وعاد ففتح القلعة

واستفحل امر كيقباد جدًا وقوي شأنه وهابته الملوك واتسع ملكه بما افتتحه . ثم مد يده الى ما يجاوره من البلاد فملك خلاط بعد ان دافع عنها مع الاشرف بن

العادل جلال الدين خوارزم شاه ٠ فنازعه الاشرف في ذلك واستصرخ اخاه الكامل فسار في العساكر من مصر سنة ٦٣١ ﻫ وسار مع الملوك من اهل بيته وانتهى الى النهر الازرق من تخوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من اهل بيته فلقيه كيقباد وهزمه وحصره في خرت برت وكانت للارتقيين ٠ ورجع الكامل بالعساكر الى مصر سنة ٦٣٢ ﻫ وكيقباد في اتباعهم ثم سار الى حران والرها فملكها من يد نواب الكامل وولى عليها من قبله ٠ وسار الكامل سنة ٦٣٣ﻫ فارتجعها ٠ ثم توفي كيقباد بن كيخسرو سنة ٦٣٤ ﻫ ٠

٣٧٤ - كيخسرو بن كيقباد

من سنة ٦٣٤ — ٦٥٤ ﻫ او من سنة ١٢٣٦ — ١٢٥٦ م

ولما توفي كيقباد بن كيخسرو تولى بعده ابنه كيخسرو بن كيقباد وفي هذه المدة انقرضت الدولة السلجوقية من بلاد المسلمين واختلت الدولة الخوارزمية وخرج التتر من مفازة الترك وراء النهر واستولى جنكزخان سلطانهم على الممالك وانتزعها من يد بني خوارزم شاه وفر جلال الدين آخرهم الى الهند ثم رجع واستولى على اذربيجان وعراق العجم ٠ وكانت الدولة الايوبية في ذلك الوقت المالكة على مصر والشام وارمينية كما سنذكر ذلك في اماكنه ان شاء الله ٠

وانتشر التتر في سائر النواحي وعاثوا فيها واستفحل ملكهم فسارت منهم طوائف الى بلاد الروم سنة ٦٤١ ﻫ فاستنجد كيخسرو ببني أيوب وغيرهم من الترك في جواره وجاءه المدد من كل جانب ولكنه انهزم امام التتر مع كثرة عساكره ونجا بعياله وامواله الى قلعته فتحصن فيها ثم راسل التتر ودخل تحت طاعتهم واستقامت اموره معهم الى ان مات سنة ٦٥٤ ﻫ

٣٧٥ ـ علاء الدين كيقباد بن كيخسرو الثاني

من سنة ٦٥٤ — ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٦ — ١٢٥٧ م

وتولى بعده ابنه كيقباد الثاني وهو اكبر اخوته ومع ذلك خطب لاخويه عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج ارسلان معه وامرهم واحد . وكان جنكزخان ملك التتر قد توفي وتولى بعده على كرسي سلطنتهم بقراقوم ابنه طلوخان ثم توفي وملك بعده ابنه منكوخان فبعث اخاه هولاكوخان لفتح العراق فسار لذلك وملك العراقين وفتح بغداد

وفي سنة ٦٥٤ هـ ارسل الخان الاكبر منكوخان الى بلاد الروم اميرًا من امراء المغل اسمه بيكو في العساكر فسار الى ارزن الروم وملكها عنوة ثم ملك قيسارية ومسيرة شهر معها واستولى على اكثر بلاد الروم وكثر عيث التتر الذين مع بيكو في مملكة كيقباد حتى عزم على المسير الى الخان الاعظم منكوخان ليقدم عبوديته ويؤكد تابعيته لكي يرجع عنه بيكو ومن معه . فسار من قونية سنة ٦٥٥ هـ ومعه سيف الدين طرنطاي من موالي ابيه وأخذ معه من الهدايا والاموال للخان الاكبر شيئًا كثيرًا . ولما سار كيقباد قاصدًا قراقوم كرسي التتر وثب اخوه عز الدين كيكاوس على المملكة واستولى عليها واعتقل اخاه الاكبر ركن الدين قلج ارسلان . اتفق موت كيقباد اثناء طريقه الى قراقوم فخلصت بلاد الروم لاخيه عز الدين كيكاوس .

٣٧٦ — عز الدين كيكاوس الثاني بن كيخسرو

من سنة ٦٥٥ — ٦٥٩ هـ او من سنة ١٢٥٧ — ١٢٦٠ م

وضايق بيكو المغولي عز الدين كيكاوس وهزمه مرارًا فهرب كيكاوس امامه وبيكو يتعقبه حتى جاء في اتباعه الى قونية فهرب عز الدين كيكاوس الى بلاد الساحل ونزل بيكو على قونية وحاصرها حتى استامن له اهلها على يد خطيبهم فرفع عنهم الحصار وامنهم

وفي هذه الاثناء قدم هولاكو لفتح بغداد فارسل يستدعي بيكو من بلاد الروم فسار اليه في عساكره وحضر معه فتح بغداد ثم استشعر هولاكو باستبداد بيكو وميله الى العصيان فدس له من سمه . ولما انتهى هولاكو من امر بغداد تقدم الى الشام وحاصر حلب وبعث من هناك يطلب عز الدين كيكاوس وركن الدين قلج ارسلان ومعين الدين سليمان البرنواه وزير دولتهم والمدبر لها فحضروا واعجب هولاكو بفصاحة البرنواه فاقر كيكاوس على بلاده واحسن الى وزيره البرنواه

وفي سنة ٦٥٩ هـ حصلت فتنة بين كيكاوس وبين اخيه قلج ارسلان وانحاز الوزير سليمان البرنواه الى ركن الدين قلج ارسلان واستمدا هولاكو على قتال كيكاوس فامدهم فهزمهم كيكاوس اولا ثم امدهم هولاكو بالعساكر مرة اخرى فانهزم كيكاوس وهرب ولحق بالقسطنطينية واستولى اخوه ركن الدين قلج ارسلان على البلاد

٣٧٧ ـ قلج ارسلان بن كيخسرو

من سنة ٦٥٩ ــ ٦٦٠ هـ او من سنة ١٢٦٠ ـ ١٢٦١ م

ولما استولى ركن الدين قلج ارسلان على البلاد استحكم عليه البرنواه واراد الاستبداد بالامر فعارضه قلج ارسلان فيما يريد ثم وضع له من قتله غيلة سنة ٦٦٠ هـ

٣٧٨ ـ غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج ارسلان

من سنة ٦٦٠ ــ ٦٨٢ هـ او من سنة ١٢٦١ ــ ١٢٨٣ م

ولما قتل البرنواه قلج ارسلان اقام بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وكان صبياً وقام هو بتدبير الدولة وصارت اليه جميع الامور وله الامر والنهي بلا معارض ولا منازع . وكان التتر لما استولوا على البلاد وضعوا لهم فيها من يقوم مقامهم ويعرف ذلك في تلك الايام بالشحنة (كالقنصل في هذه الايام) وكان الشحنة

في ذلك الوقت في بلاد الروم اميراً من التتر اسمه طغا فسمع هذا الشحنة ان الملك الظاهر صاحب مصر قد تقدم لقتال التتر فاستمد ابقا بن هولا كو فامده باميرين هما كدوان وترقو لحماية بلاد الروم من الظاهر . ثم زحفوا الى الشام وسار اليهم الظاهر من مصر وهزمهم مراراً حتى وصل الى قيسارية واستولى عليها فارسل اليه البرنواه واستحثه للوصول الى بلاده . و بلغ ابقا بن هولا كو خبر الواقعة وهزيمة عساكره امام الظاهر فزحف في جموع المغل الى قيسارية وكان الظاهر قد عاد الى مصر فاستولى على قيسارية وعلم بمكاتبة البرنواه للظاهر فقبض عليه وقتله واستعمل على بلاد الروم مع كيخسرو اخاه قنطغرطاى بن هولا كو ثم عاد الى بغداد . فعظم امر قنطغرطاي ببلاد الروم وصار امير المغل بها . ولما توفي ابقا بن هولا كو واستولى بعده اخوه احمد تكرار بن هولا كو ارسل الى اخيه قنطغرطاي في القدوم اليه فامتنع خوفاً منه على نفسه ثم حمله غياث الدين كيخسرو على اجابة اخيه وسار معه فقتل تكرار اخاه قنطغرطاى . فاتهم المغل غياث الدين بانه علم براي تكرار فيه . ولما ولي ارغون بن ابقا بعد تكرار عزل غياث الدين كيخسرو عن بلاد الروم وحبسه سنه ٦٨٢ هـ .

٣٧٩ - مسعود بن كيكاوس

من سنة ٦٨٢ — ٧١٨ هـ او من سنة ١٢٨٣ — ١٣١٨ م

وتولى بعده ابن عمه مسعود بن كيكاوس واستعمل ارغون معه هولا كو من امراء التتر فصار هذا الاخير صاحب الامر والنهي ولم يكن لمسعود من الملك سوي الاسم واستمر الحال كذلك الى سنة ٧١٨ هـ فاصاب مسعود الفقر وانحل امره و بقي الملك للتتر ثم فشل امرهم واضمحلت دولتهم واستولت الدولة العثمانية على جميع هذه البلاد ولا تزال في يدها الى الان . والله غالب على امره يوتي الملك من يشاء وهو العزيز الحكيم

٣٨٠ - الدولة البورية (بنو تتش بن الب ارسلان ومواليهم) بالشام وحلب

(تمهيد) لما قدم السلجوقيون طالبين للملك واستولوا على العراق كما تقدم ذكر ذلك ارسل السلطان ملك شاه السلجوقي احد امراء السلجوقية المدعو اتسز ابن اتق الى الشام ففتح الرملة وبيت المقدس واقام فيهما الدعوة العباسية ومحا الدعوة العلوية ثم حاصر دمشق مرارا حتى ملكها سنة ٤٦٨ ﻫ

وفي سنة ٤٧٠ ﻫ اقطع السلطان ملك شاه اخاه تتش بن الب ارسلان بلاد الشام وما يفتحه من تلك النواحي فسار الى حلب وحاصرها وكان اتسز (قيل ان اسمه اقسس) يقاتل اهل بيت المقدس لغدرهم باصحابه فافتتحها عنوة واستباحها ثم قدم الى دمشق فارسل بدر الجمالي العساكر من مصر لطرد اقسس من الشام فاستنجد اقسس بتتش بن الب ارسلان فسار الى دمشق ولما قرب منها رحل عنها عسكر المصريين وركب اقسس لتلقاه بالعرب من المدينة فلامه تتش على تأخره عن الطلوع الى القائد وقبض عليه وقتله وملك تتش دمشق واحسن السيرة في اهلها وسمي تاج الدولة وكان ملكه دمشق سنة ٤٧٢ ﻫ وهذا بداية ملكه .
والدولة البورية هذه هي فرع من فروع الدولة السلجوقية كما لا يخفى وهذا نسب تتش مؤسس هذه الدولة . هو تتش بن الب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق

٣٨١ - تتش بن الب ارسلان

من سنة ٤٧١ – ٤٨٨ ﻫ او من سنة ١٠٧٨ – ١٠٩٥ م

وفي سنة ٤٨٥ ﻫ استولى تتش بن الب ارسلان على حمص وقلعة عرقة وقلعة افامية وغيرها من بلاد الشام . ثم عزم تتش على المسير الى بغداد لعيادة اخيه السلطان ملك شاه لانه كان مريضاً فلما وصل الى هيت بلغه موته فاخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق وقد طمع في السلطنة فجمع العساكر وسار نحو

حلب وملكها واطاعه في طريقه صاحب انطاكية وصاحب الرها وحران وخطبوا له في بلادهم . وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها في محرم سنة ٤٨٦ هـ وخطب فيها لتتش بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فلم يقبلهم اهلها فحاصروها وافتتحوها عنوة وقتلوا من اهلها خلقاً كثيراً . ثم قصد تتش الموصل واستولى عليها وعلى غيرها حتى استتب له الامر في جميع تلك النواحي فسار الى ديار بكر واستولى على ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان . وسار منها الى اذربيجان يفتح المدن في طريقه حتى اتسعت مملكته وبلغت من العظمة شاواً بعيداً . فخاف السلطان بركيارق بن السلطان ملك شاه القائم على السلطنة السلجوقية العظمى بعد ابيه من زيادة سطوة عمه لئلا ينازعه الملك وكان بركيارق في ذلك الوقت بنصيبين فعبر دجلة وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقي بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير الف فارس فارسل اليه عمه احد الامراء اتباعه لقتاله فقاتله وانهزم بركيارق شر هزيمة فلحق باصفهان وبها اخوه الملك محمود فلم يقبله اهل اصفهان ولكن اتفق موت اخيه بعد قليل فقبلوه واقاموه عليهم ملكاً بدلاً من اخيه فعظم شانه وكثر عسكره . وعزم تتش بن الب ارسلان على المسير الى اصفهان للاستيلاء عليها من ابن اخيه بركيارق وكان بركيارق وقتئذ مريضاً بالجدري فامهل تتش حتى شفي بركيارق لربما يسلم اليه الملك بلا قتال فلما شفي بركيارق جمع العساكر وسار لقتال عمه تتش والتقوا بقرب الري وبعد قتال شديد انهزم تتش بن الب ارسلان وقتل في هذه الوقعة وذلك سنة ٤٨٨ هـ

ولما توفي تتش بن الب ارسلان وقع الاختلاف بين ولديه رضوان ودقاق وحارب احدهما الآخر واستولى رضوان على حلب واورثها بنيه واستولى دقاق على دمشق واورثها بنيه فانقسمت هذه الدولة الى دولتين احداها قاعدتها حلب وهي لبني رضوان والاخرى قاعدتها دمشق وهي لبني دقاق وسنتكلم على كل منهما على حدة فلنبدأ بدولة رضوان والله ولي التوفيق

القسم الاول

٣٨٢ - رضوان بن تتش

من سنة ٤٨٨ - ٥٠٩ هـ او من سنة ١٠٩٥ - ١١١٥ م

كان تتش بن الب ارسلان قد عهد بالملك بعده لابنه رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير من الامراء فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها اليه تتش وحكمه في البلد والقلعة . فنزلوا اولاً كالاضياف على ابي الحسن القاسم ابن علي لتحكمه في البلد . ثم استمال رضوان جند القلعة اليه فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على ابي القاسم وخطب لرضوان على منابر حلب وقوي امره حتى اغار على ما حوله

وفي الوقت نفسه كان دقاق بن تتش قد استولى على دمشق فطمع رضوان في انتزاعها من يده فسار اليه سنة ٤٩٠ هـ وحاصره ولكن امتنعت دمشق عليه وعاد بخفي حنين فطمع دقاق في قصد حلب وساعده على ذلك باغيسيان صاحب انطاكية فاستنجد رضوان بسكمان من سروج في امم من التركمان والتقوا بقنسرين فانهزمت عساكر دقاق ونهب سوادهم وعاد رضوان الى حلب ودقاق الى دمشق ثم سعى بينهما بالصلح على ان يخطب لرضوان بدمشق وانطاكية قبل دقاق فانعقد ذلك بينهما

وفي هذه السنة (٤٩٠ هـ) ارسل المستعلي بالله الفاطمي من مصر الى الملك رضوان بن تتش يدعوه الى الخطبة له على ان يساعده على اخيه وبذل له الاموال في ذلك فخطب له في جميع اعماله ما عدا انطاكية وحلب والمعرة . ثم حضر عنده سكمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية فانكرا ذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية في ذات السنة

وفي سنة ٥٠٩ هـ توفي رضوان بن تتش صاحب حلب وكان قد قتل اخويه ابا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في اموره ويداخلهم

٣٨٣ — الب ارسلان بن رضوان

من سنة ٥٠٩ — ٥١٠ هـ أو من سنة ١١١٥ — ١١١٦ م

لما توفي رضوان بن تتش بن الب ارسلان تولى بعده ابنه الب ارسلان وكان صغيراً فقام بتدبير الدولة اتابكه لؤلؤ فاستبد بالامور وصار النافذ الكلمة فعارضه الب ارسلان في بعض اجراءاته فلما شعر لؤلؤ بمعارضة الب ارسلان قام عليه وقتله وكان ذلك سنة ٥١٠ هـ

٣٨٤ — سلطان شاه بن رضوان

من سنة ٥١٠ — ٥١١ هـ او من سنة ١١١٦ — ١١١٧ م

لما قتل لؤلؤ مولاه الب ارسلان ولى في الملك بعده اخاه سلطان شاه بن رضوان بن تتش واستبد في دولته اكثر من استبداده في دولة اخيه حتى ضجر ارباب الدولة وبالاخص الجند الاتراك من استبداده

وفي سنة ٥١١ هـ خرج لؤلؤ قاصداً قلعة جعبر ليجتمع بصاحبها فلما كان عند قلعة نادر قتله عسكره الاتراك وانتهبوا خزانته فخرج عليهم اهل حلب فاستعادوا ما اخذوه . وولى اتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص يرقتاش فبقى شهراً وعزلوه وولى بعده ابو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وارتبكت الاحوال وساد الاضطراب فخاف أهل حلب على مدينتهم من الصليبيين فاستقدموا نجم الدين ايلغازي وسلموه المدينة وانحل امر بني رضوان والبقاء لله وحده

القسم الثاني

٣٨٥ - دقاق بن تتش

من سنة ٤٨٨ - ٤٩٧ هـ او من سنة ١٠٩٥ - ١١٠٣ م

كان تتش بن الب ارسلان قد بعث ابنه دقاقاً الى اخيه السلطان ملك شاه ببغداد فاقام هناك الى ان توفي ملك شاه فسار مع ابنه محمود وامه خاتون الجلالية الى اصفهان ثم ذهب عنهم سراً الى بركيارق ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التي قتل فيها فلما قتل ابوه تتش بن الب ارسلان (فصل ٣٨١) سار به مولاه تكين الى حلب واقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سراً يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سراً وجد في السير فارسل اخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به ساوتكين وملكه المدينة وجعله مستقلاً عن اخيه رضوان وساعده على ذلك كثيرون من خواص ابيه . وفي هذه الاثناء وصل معتمد الدولة طغدكين ومعه جماعة من خواص تتش (وكان طغدكين زوج والدة دقاق) فمال اليه وثبت امره ولكن كان باغضاً لساوتكين فاغرى اصحاب دقاق على قتله فقتلوه

وفي سنة ٤٩٠ هـ قدم رضوان الى دمشق بقصد انتزاعها من يد اخيه دقاق فلم يقدر وعاد خائباً فطمع دقاق في الاستيلاء على ما بيد رضوان فانهزم امامه كما تقدم ذلك (راجع فصل ٣٨٢) وانتهى الحال بينهما بالصلح على ان يخطب دقاق لاخيه الملك رضوان في بلاده

وفي سنة ٤٩٦ هـ استولى الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق على الرحبة والسبب في ذلك أن الرحبة كانت لكربوقا فلما قتل استولى عليها قايماز من موالي السلطان الب ارسلان فطمع دقاق فيها وسار هو واتابكه طغدكين اليها

سنة ٤٩٥ ﻫ فامتنعت عليهم فعادوا عنها . ثم توفي قايماز في صفر سنة ٤٩٦ ﻫ وقام بامر الرحبة حسن من موالي الاتراك فابعد عنه كثيرًا من جنده وخطب لنفسه فسار دقاق اليه وحاصره في القلعة حتى استأمن وخرج اليه واقطعه بالشام اقطاعات كثيرة وملك دقاق الرحبة واحسن الى اهلها وجعل فيها من يحفظها ثم رجع الى دمشق .

وفي رمضان سنة ٤٩٧ ﻫ توفي دقاق بن تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وخطب اتابكه طغدكين لولد له صغير سنه سنة واحدة ثم قطع خطبته وخطب اعمه بكتاش بن تتش وعمره اثنتا عشرة سنة . ثم طمع طغدكين في الملك فاشار على بكتاش بن تتش بالمسير الى الرحبة وقتال اهلها لانهم عصوا عليه فخرج وملك الرحبة وعاد فلم يمكنه طغدكين من دخول دمشق . فمضى الى الملك بودوين ملك الصليبيين بالشام واستنجده على طغدكين فحرضه بودوين على الافساد في اعمال دمشق وتخريبها ففعل ولكن بودوين لم ينجده فيئس من اخذ دمشق من هذا المغتصب . واستقر الامر بدمشق لطغدكين

٣٨٦ اتابك طغدكين

من سنة ٤٩٧ — ٥٢٢ ﻫ أو من سنة ١١٠٣ — ١١٢٨ م

هكذا استتب الامر لاتابك طغدكين بدمشق وتمكن بحسن سياسته ان يستولي على الملك من يد بني مولاه . وكان طغدكين شجاعاً مهاباً حارب الصليبيين مرارًا وانتصر عليهم حتى لم يجسروا على قصد دمشق مدة . وكان اذا قصدوه يستنجد بمن حوله من ملوك المسلمين عليهم و يشتت شملهم .

وفي سنة ٥٢٢ ﻫ توفي اتابك طغدكين صاحب دمشق وكان حسن السيرة مؤثرًا للعدل محبًا في الجهاد ولقبه ظهير الدين

٣٨٧ - بوري بن طغدكين

من سنة ٥٢٢ — ٥٢٦ ﻫ او من سنة ١١٢٨ - ١١٣١ م

لما توفي طغدكين تولى بعده اكبر اولاده بوري بن طغدكين فاقر وزير ابيه ابا علي طاهر بن سعد المزدغاني على وزارته . وكان المزدغاني يرى راى الرافضية الاسماعيلية وكانوا كثيرين بدمشق فقوي بهم وتحكم في البلد . وجاء الخبر الى بوري بان وزيره المزدغاني والاسماعيلية قد راسلوا الافرنج بان يملكوهم دمشق فقتل المزدغاني وامر بقتل الاسماعيلية حيثما وجدوا . وقدم الافرنج الى دمشق وحاصروها وضيقوا عليها فاستصرخ بوري بالعرب والتركمان وبذل كل جهده في مدافعة الافرنج عن المدينة حتى لما لم يفدهم حصارها شيئاً رجعوا عنها خائبين واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون . وفي سنة ٤٢٥ ﻫ ثار الاسماعيلية على بوري وطعنوه فاصابته جراحة واندملت ثم انتقضت عليه في رجب من سنة ٥٢٦ ﻫ فتوفي منها لاربع سنين ونصف من ولايته

٣٨٨ - شمس الملوك اسماعيل بن بوري

من سنة ٥٢٦ - ٥٢٩ ﻫ او من سنة ١١٣١ - ١١٣٤ م

لما توفي بوري بن طغدكين تولي بعده ابنه شمس الملوك اسماعيل وخالف عليه اخوه محمد ببعلبك فسار اليه اسماعيل وحاصره حتى طلب الامان فامنه وعاد الى دمشق . ثم سار الى باناس وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح واخذوا جماعة من تجار دمشق في بيروت فسار اليها حتى وصلها في صفر سنة ٥٢٧ ﻫ وقاتلها ونقب اسوارها وملكها عنوة ونكل بالافرنج الذين بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استامنوا وملكها ورجع الى دمشق ثم بلغه ان المسترشد زحف الى الموصل فطمع هو في حماة وسار آخر رمضان وملكها يوم الفطر من غده فاستامنوا اليه فامنهم وعاد الى دمشق . وكان شمس الملوك سيء السيرة في رعيته كثير الظلم والعدوان وبالغ

في العقوبات لاستخراج الاموال لانه كان بخيلاً دنيء النفس فكرهته رعيته كرهاً زائداً فراسل عماد الدين زنكي ليحضر اليه ليسلمه دمشق وحثه على سرعة الوصول واخلى المدينة من الذخائر والاموال ونقل الجميع الى صوبه . وتابع رسله الى زنكي يقول له « ان اهملت المجيء سلمت البلاد للافرنج » فسار زنكي وظهر الخبر في المدينة فامتعض اصحاب ابيه وجده واقلقهم وذكروا الحال لوالدته . فساءها واشفقت منه ووعدتهم بالراحة من هذا الامر ثم انها ارتقبت الفرصة في الخلوة من غلمانه فلما راته على ذلك امرت غلمانها بقتله فقتل وكان قتله في رابع عشر ربيع الآخر سنة ٥٢٩ هـ

٣٨٩ ــ شهاب الدين محمود بن بوري

من سنة ٥٢٩ ــ ٥٣٣ هـ او من سنة ١١٣٤ ــ ١١٣٨ م

لما قتل شمس الدين اسماعيل بن بوري تولى بعده اخوه شهاب الدين محمود ابن بوري وفي اول ولايته وصل اتابك زنكي وحاصر دمشق فدافع عنها اهلها دفاعاً محموداً . ثم وصل رسول المسترشد الى اتابك زنكي يامره بمسالمة صاحب دمشق شهاب الدين محمود وصلحه معه فرحل عن دمشق منتصف السنة

وكانت مدينة حمص لذلك الوقت لقيرجان بن قراجا وكان عماد الدين زنكي كثيراً ما يتعرض له حتى ضايقه . فلما كثر تعرض وتضييق عماد الدين على مدينة حمص راسل اهلها سنة ٥٣٠ هـ شهاب الدين محمود بن بوري في ان يسلموها اليه ويعطيهم عوضاً عنها تدمر فاجابهم الى ذلك . وسار اليهم وتسلمها منهم وسلم اليهم تدمر واقطع حمص مملوك جده معين الدين انز وعاد عنها الى دمشق . فلما علم عماد الدين زنكي باستيلاء شهاب الدين على حمص سار اليها في شعبان سنة ٥٣١ هـ وراسل واليها معين الدين انز في تسليمها فلم يفعل وحاصرها فامتنعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة وعاد اليها مراراً بلا فائدة .

وكان لام شهاب الدين محمود بن بوري المسماة مردخاتون ابنة جاولي اليد الطولى في تدبير المملكة فافتكر عماد الدين زنكي ان هو تزوجها تسهل عليه ملك حمص وغيرها حتى دمشق نفسها فخطبها الى ابنها وتزوجها ولكنه لم يظفر بما امله في دمشق فقط سلموا له حمص وقلعتها

وفي شوال سنة ٥٣٣ ﻫ قتل شهاب الدين محمود بن بوري على فراشه غيلة قتلهُ ثلاثة من غلمانه كانوا ينامون عنده فقتلوه وخرجوا من القلعة وهربوا

٣٩٠ ـ جمال الدين محمد بن بوري

من سنة ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ﻫ او من سنة ١١٣٨ ـ ١١٣٩ م

وتولى بعده اخوه جمال الدين محمد بن بوري وفوض امر دولته الى مملوك جده معين الدين انز واقطعه بعلبك واستقامت اموره . وعلمت مردخاتون بقتل ابنها شهاب الدين محمود فارسلت الى زوجها (الجديد) زنكي بالخبر وكان بالجزيرة وسالت منه الطلب بثار ابنها فسار الى دمشق واستعدوا للحصار فعدل الى بعلبك وجد في حربها ونصب عليها المجانيق حتى استامن اليه اهلها وملكها في ذي الحجة سنة ٥٣٣ ﻫ ثم سار الى دمشق وبعث الى صاحبها جمال الدين في تسليمها والنزول عنها على ان يعوضه عنها فلم يجب الى ذلك فزحف عليها وحاصرها من جميع الجهات وضيق عليها .

ثم توفي جمال الدين محمد بن بوري رابع شعبان سنة ٥٣٤ ﻫ وزنكي محاصر به وهو معه في مراوضة الصلح

٣٩١ ـ مجير الدين آبق بن محمد

من سنة ٥٣٤ ـ ٥٤٩ ﻫ او من سنة ١١٣٩ ـ ١١٥٤ م

لما توفي جمال الدين محمد بن بوري طمع زنكي في الاستيلاء على دمشق

وهجم عليها بقوة غريبة ولكن اهل دمشق كانوا في غاية التيقظ فدافعوا عنها بكل قواهم واقاموا مجير الدين آبق بن محمد مكان ابيه وقام بامر دولته معين الدين انز مملوك جده فارسل الى الافرنج يستنجدهم على مدافعة زنكي على ان يحاصر قاشاش فاذا فتحها اعطاهم اياها فاجابوه الى ذلك حذراً من استطالة زنكي بملك دمشق . فسار زنكي للقائهم قبل اتصالهم بعسكر دمشق ونزل حوران في رمضان من السنة فخام الافرنج عن لقائه واقاموا ببلادهم فعاد زنكي الى حصار دمشق في شوال من السنة ثم احرق قرى المرج والغوطة ورحل عائداً الى بلاده . ثم وصل امداد الافرنج الى دمشق بعد مسيره عنها فسار معهم معين الدين انز الى قاشاش فملكها وسلمها للافرنج كما وعدهم

وفي سنة ٥٤٣ هـ قصدت عساكر الافرنج (وفي مقدمتها ملك اورشليم وهو حينذاك بودوين الثالث ومن خلفه نصارى المشرق ومن بعدهم عسكر لويس ملك فرنسا وملك المانيا في ساقة الجيش يحفظ المحاربين من وثوب عدو من الوراء) مدينة دمشق وحاصروها وجد المسلمون على القتال بيسالة عند عدوة النهر الذى يخترق البساتين . ولما راى كونراد ملك الالمان ذلك اسرع بفريق من رجاله الى مقدمة الجيش وانقض على المسلمين كصاعقة فوثب عليه رجل من المسلمين طويل القامة شديد الباس فعاجله ملك الالمان بضربة سيف بين العنق والكتف فشقه نصفين فارتاع المسلمون وانهزموا الى المدينة وبقي الافرنج مالكين عدوة النهر وايقن سكان دمشق بعجزهم وهموا ان يخلوا المدينة والقوا على ابوابها ومداخل الافرنج منها حجارة ضخمة ليتيسر لهم الفرار بعيالهم واموالهم قبل ان يدركهم الفرنج وتبقن هؤلاء امتلاك دمشق ووقع بينهم الاختلاف في من منهم يكون الامير عليها فادى ذلك بينهم الى الخصام والنزاع واخذ بعضهم يعملون على احباط مساعي البعض الآخر . وبينما الافرنج يتخاصمون على من يستولي على دمشق منهم اتاهم الخبر بان اميري حلب والموصل قادمان بجيش جرار لقتالهم فعادوا عن دمشق بالخزي والفضيحة

وفي سنة ٥٤٤ هـ توفي معين الدين انز مدبر دولة ابق والمتغلب عليه

وفي سنة ٥٤٩ هـ استولى نور الدين محمود بن زنكى على مدينة دمشق والسبب في ذلك ان الافرنج كانوا استولوا على عسقلان في السنة السالفة فلم يجد نور الدين طريقاً اليهم ليزيحهم عنها لاعتراض دمشق في طريقه بينه وبين عسقلان . وقويت شوكة الافرنج بعد ملكهم عسقلان حتى استعرضوا كل مملوك وجارية من النصارى بدمشق فمن اراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى الوطن اخذوه قهراً من مجير الدين . وكان للافرنج على اهل دمشق كل سنة قطيعة يأخذونها منهم . فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملكها الفرنج فلا يبقى للمسلمين بالشام مقام فراسل مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق به وكاتب من بها من الاحداث واستمالهم فوعدوه ان يسلموا المدينة اليه. وسار نور الدين الى دمشق فارسل مجير الدين الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه فشرعوا في امداده ولكن نور الدين اسرع الى دمشق وتسلمها قبل ان يجمعوا هم عساكرهم فعادوا بخفي حنين ودخل نور الدين دمشق من الباب الشرقي وحصر مجير الدين في القلعة وراسلهُ في تسليمها و بذل له اقطاعاً في جملته مدينة حمص فسلم القلعة اليه وسار الى حمص فاعطاه عوض حمص بالس فلم يرض بها مجير الدين وسار عنها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها داراً وانقرض ملك الدولة البورية من دمشق وصارت دمشق تحت حكم الدولة الزنكية وسيأتي ذكرهـا ان شاء الله والملك لله يؤتيه من يشاء وهو ولي التوفيق

٣٩٢ - الدولة الارتقية بماردين وديار بكر

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية لان مؤسسها ارتق ابن اكسك كان من مماليك السلطان ملك شاه بن الب ارسلان ملك السلجوقية وكان له مقام محمود في دولتهم . وكان على حلوان وما اليها من اعمال العراق . ولما بعث السلطان ملك شاه عساكره لحصار الموصل مع فخر الدولة بن جهير سنة ٤٧٧ ﻫ أمده بعسكر آخر مع ارتق فهزمه مسلم بن قريش وحصره بآمد ثم داخله في الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه ونجا الى الرقة ثم خشي ارتق من فعلته ولحق بتتش بن الب ارسلان بحلب طامعاً في الاستيلاء على حلب من يده فهزمه تتش فلحق ارتق بالرها واستولى عليها وعلى سروج وما زال كذلك الى ان توفي سنة ٤٨٣ ﻫ

٣٩٣ ــ سقمان بن ارتق

من سنة ٤٨٣ ــ ٤٩٨ ﻫ او من سنة ١٠٩٠ ــ ١١٠٤ م

لما توفي ارتق بن اكسك تولى بعده ابنه سقمان . وفي سنة ٤٩١ ﻫ لما ملك الافرنج انطاكية اجتمعت الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر وحاصروها وكان لسقمان في ذلك المقام المحمود ثم تخاذلوا وافترقوا وعاد سقمان الى الرها . وكان بينه وبين كربوقا صاحب الموصل فتن وحروب الى ان توفي كربوقا سنة ٤٩٥ ﻫ وولي الموصل بعده موسى التركاني فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل فاستنجد موسى بسقمان بن ارتق على ان يعطيه حصن كيفا فانجده وسار اليه وافرج عنه جكرمس واستولى سقمان على حصن كيفا .

وفي سنة ٤٩٧ ﻫ استولى سقمان على مدينة ماردين .

وفي سنة ٤٩٨ ﻫ توفي سقمان ابن ارتق وكان حازماً حسن السياسة صادق

الجهاد و بعد موته انقسمت الدولة الى قسمين مستقلين فاستبد اخوه ايلغازي بماردين واورثها بنيه و بقي ابنه ابراهيم بن سقمان بحصن كيفا واورثه اخوته و بنيه واتباعاً لمجرى الاحوال نتكلم على كل من القسمين على حدته .

القسم الاول

٣٩٤ - ابراهيم بن سقمان

لما توفي سقمان ابن ارتق اجتمع اصحابه و بايعوا ابنه ابراهيم بن سقمان فملك حصن كيفا واستمر به الى ان توفي

٣٩٥ - داود بن سقمان

ولما توفي ابراهيم بن سقمان تولى بعده اخوه داود بن سقمان واستمر ملكه بحصن كيفا الى ان توفي

٣٩٦ - فخر الدين قرا ارسلان بن داود

لما توفي داود بن سقمان تولى بعده ابنه فخر الدين قرا ارسلان بن داود فعظم شأنه وملك اكثر ديار بكر مع حصن كيفا وتوفي سنة ٥٦٢ ه

٣٩٧ - نور الدين محمد بن قرا ارسلان

من سنة ٥٦٢ - ٥٨١ ه او من سنة ١١٦٦ - ١١٨٥ م

ولما توفي فخر الدين قرا ارسلان بن داود ملك بعده ابنه نور الدين محمد وكانت بينه وبين صلاح الدين الايوبي مواصلة و مظاهرة . ظاهر صلاح الدين

على الموصل على ان يظاهره على آمد فظاهره صلاح الدين وحاصرها من صاحبها ابن سان سنة ٥٦٩ هـ وصارت من اعمال نور الدين . ثم توفي نور الدين محمد سنة ٥٨١ هـ .

٣٩٨ — قطب الدين سقمان بن محمد

من سنة ٥٨١ — ٥٩٧ هـ او من سنة ١١٨٥ — ١٢٠٠ م

وتولى بعده ابنه قطب الدين سقمان بن محمد وقام بتدبير دولته العوام بن سماق وكان عماد الدين (عم قطب الدين سقمان) اخو نور الدين محمد قد سار في العساكر مهددًا لصلاح الدين على حصار الموصل فلما بلغه الخبر بوفاة اخيه سار لملك البلد لصغر اولاد اخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على خرت برت وانتزعها منهم وملكها واورثها بنيه . فلما افرج صلاح الدين عن الموصل لقيه قطب الدين سقمان فاقره صلاح الدين على ملك ابيه بكيفا وابقى بيده آمد التي ملكها لابيه واشترط عليه مراجعته في احواله ولوقوف عند اوامره . وكان لقطب الدين سقمان اخ اسمه محمود وهو المرشح للامارة بعده الا ان سقمان كان شديد البغضاء له فاشخصه الى حصن منصور من آخر عمله واصطفى مملوكه اياسًا وزوجه باخته وجعله ولي عهده . واستقر ملك قطب الدين بكيفا وآمد وما اليهما الى ان توفي سنة ٥٩٧ هـ

٣٩٩ — اياس مملوك قطب الدين

من سنة ٥٩٧ — ٥٩٧ هـ او من سنة ١٢٠٠ — ١٢٠٠ م

لما توفي قطب الدين سقمان بن محمد تولى بعده مملوكه اياس كعهده له ولكن ارباب الدولة دسوا الى محمود بن محمد وهو بمحبسه بالقدوم اليهم ليولوه الملك فقدم اليهم وحارب اياسًا وانتصر عليه وحبسه واستولى على ملك ابيه وجده

٤٠٠ – محمود بن محمد

من سنة ٥٩٧ – ٦١٩ هـ او من سنة ١٢٠٠ – ١٢٢٢ م

ولما استولى محمود على الملك اساء السيرة وظلم الرعية وكان ينتحل العلوم الفلسفية فكرهته رعيته كرهاً زائداً . وبقي كذلك الى ان توفي سنة ٦١٩ هـ غير ماسوف عليه .

٤٠١ – المسعود بن محمود

لما توفي محمود تولى بعده ابنه المسعود وحدثت بينه وبين الافضل بن العادل فتنة واستنجد عليه اخاه الكامل فسار في العساكر من مصر ومعه داود صاحب الكرك والمظفر صاحب حماة فحاصروه بآمد الى ان نزل عنها وجاء الى الكامل فاعتقله وانقرض ملك بني سقمان

القسم الثاني

٤٠٢ – ايلغازي بن ارتق

من سنة ٤٩٨ – ٥١٦ هـ او من سنة ١١٠٤ – ١١٢٢ م

كان ايلغازي بن ارتق في ذلك الوقت شحنة بغداد وله اليد الطولى في تدبير أمور المملكة فلما توفي اخوه سقمان بن ارتق سار الى ماردين واستولى عليها

وفي سنة ٥٠٨ هـ كتب السلطان محمد السلجوقي الى جميع أمراء السلجوقية بالشام وأسيا الصغرى والعراق وارمينية للاجتماع والاتحاد على قتال الافرنج فسار جميع الامراء كامر السلطان محمد لا ايلغازي بن ارتق فسار اليه البرسقي ونازله بماردين حتى اذعن وأرسل عسكراً مع ابنه اياز فسار البرسقي منه الى الرها ونازلها

ثم سار الى سميساط و بلد سروج ثم عاد الى شيحان وهناك قبض على اياز بن ايلغازي حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردين . فسار ايلغازي الى حصن كيفا واستنجد ابن اخيه داود بن سقمان فسار معه في عسكره الى البرسقي فلقيهم اواخر السنة واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم البرسقي وعسكره وخاص اياز بن ايلغازي من الاسر فارسل السلطان محمد الى ايلغازي يتهدده فخافه وسار الى الشام واقام عند طغدكين صاحب دمشق ثم اتفق ايلغازي وطغدكين على الامتناع والالتجاء الى الافرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وحالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغدكين الى دمشق وسار ايلغازي الى الرستن على عزم قصد ديار بكر فقصده الامير قرجان بن قراجا صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازي جميع اصحابه فظفر به قرجان وأسره وارسل الى السلطان محمد يعرفه ذلك ليرسل اليه من يستلم ايلغازي فطال الامد ولم يرد السلطان بشيء فعدل الى الصلح مع ايلغازي على ان يطلقه و يأخذ ابنه اياز رهينة فاجابه الى ذلك فاطلقه وتحالفا وسلم اليه ابنه اياز . وسار ايلغازي من حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قرجان .

وفي هذه الاثناء كان السلطان محمد السلجوقي قد جهز جيشاً عظيماً وسيره بقيادة الامير برسق بن برسق لقتال الافرنج وأمرهم بقتال ايلغازي اولا ثم طغدكين بدمشق فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الافرنج وقاتلوهم فوصل هذا الجيش العرمرم الى حمص وكان ايلغازي محاصراً لها فافرج عنها وسار الى حلب وسار طغدكين اليها ايضاً وحصنوا المدينة واستعدوا للحصار . وتقدم الامير برسق بعساكره وحاصر حلب فامتنعت عليه فساروا الى حماة من اعمال طغدكين وبها ذخائره ففتحوها عنوة ونهبوها وسلموها للامير قرجان صاحب حمص فاعطاهم اياز بن ايلغازي وكان رهينة عنده كما تقدم وبقي الامير برسق بعساكره ولم يتقدم لقتال الافرنج لكثرة جموعهم من جهة ولظنه انه متى دخل الشتاء تفرقوا من جهة أخرى فلما دخل الشتاء ولم يتفرقوا عاد برسق بالعساكر الى العراق فتعقبه الافرنج وهزموه ومن معه

فرجع الى بلاده بالخزي والعار . وكان اياز بن ايلغازي أسيراً عنده فقتله الموكلون به سنة ٥٠٩ هـ وعاد طغدكين الى دمشق وايلغازي الى ماردين

وفي سنة ٥١١ هـ كتب اهل حلب الى الامير ايلغازي بن ارتق يطلبون منه ان يقدم اليهم ويستلم مدينتهم لضعف أمرائهم بهـا وعدم مقدرتهم مدافعة الافرنج فاجاب طلبهم وسار الى حلب وملكها واستخلف بها ابنه حسام الدين تمرتاش وعاد الى ماردين

ولما عاد ايلغازي عن حلب تاركاً بها ابنه طمع الافرنج في الاستيلاء عليها وتقدموا اليها وحاصروها وضيقوا عليها فجاء ايلغازي لقتالهم ومنعهم عن المدينة فهزموه فعاد وجمع عسكراً آخر واستأنف القتال فهزم الافرنج ودخل حلب فاصلح أمورها ثم عبر الفرات الى ماردين بعد ان استخلف على حلب ابنه سليمان . ومما مدح به ايلغازي في هذه الواقعة قول الدظيبي

قل ما تشاء فقولك المقبول   وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته   وبكى لفقد رجاله الانجيل

وفي سنة ٥١٥ هـ عصى سليمان بن ايلغازي على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذراً فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك وقتلهم بعد ان مثل بهم واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمنعته رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغدكين يشفع فيه فلم يجبه ايلغازي الى ذلك واستناب بحلب سليمان بن اخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

وفي سنة ٥١٦ هـ توفي ايلغازي بن ارتق بميافارقين

٤٠٣ — حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي

من سنة ٥١٦ — ٥٤٧ هـ او من سنة ١١٢٢ — ١١٥٢ م

لما توفي ايلغازي بن ارتق تولى بعده بماردين ابنه حسام الدين تمرتاش وملك ابنه الآخر سليمان ميافارقين وكان بحلب سليمان ابن اخيه عبد الجبار بن ارتق فاستولى عليها وبقي تمرتاش بماردين واستمر ملكه بها وكان مستولياً على كثير من قلاع ديار بكر ثم استولى سنة ٥٣٢ هـ على قلعة الهياح وكانت بيد بعض بني مروان . ولم يزل تمرتاش ملكاً بماردين الى ان توفي سنة ٥٤٧ هـ .

٤٠٤ — البي بن تمرتاش وابنه ايلغازي

لما توفي حسام الدين تمرتاش تولى بعده بماردين ابنه البي بن تمرتاش وبقي ملكاً الى ان توفي وولي بعده ابنه ايلغازي بن البي الى ان توفي ولم يقع الى تاريخ وفاتهما

٤٠٥ — بولق ارسلان بن ايلغازي

لما توفي ايلغازي تولى بعده ابنه بولق ارسلان وكان صغيراً فقام بتدبير الدولة وزيره النظام . وعلى عهد بولق هذا قصد العادل ابو بكر بن ايوب ماردين وخشيه ملوك الجزيرة ولم يقدروا على منعه فحاصر ماردين وضيق عليها حتى غلت الاقوات فيها فبعث اليه النظام وزير بولق بالطاعة وتسليم القلعة لاجل معلوم على ان يدخل اليهم الاقوات فأجابه العادل الى ذلك ووضع ابنه على بابها ان لا يدخلها من القوت الا ما يكفي اهلها يوماً بيوم فصانعوا الولد بالمال وشحنوها بالاقوات وبينما هم في ذلك جاء نور الدين صاحب الموصل لانجادهم وقتال عدوهم فانهزم عسكر العادل وخرج أهل القلعة فاوقعوا بعسكر الكامل ابنه فرحلوا جميعاً منهزمين . ونزل بولق ارسلان الى نور الدين وشكره

ثم توفي بولق ارسلان بن ايلغازي صاحب ماردين بعد ذلك بقليل

٤٠٦ – ارتق المنصور بن ايلغازي

لما توفي يولق ارسلان نصب لؤلوء الخادم اخاه الاصغر ناصر الدين ارتق بن ايلغازي فقام النقش بتدبير دولته كما كان في ايام اخيه · وازداد استبداد النقش وحجره على ارتق الى درجة لا تطاق · فصار ارتق ينتهز الفرص للخلاص منه

وفي سنة ٦٠١ ﻫ مرض النقش فجاء ارتق لعيادته وقتل لؤلؤاً خادمه ثم رجع الى النقش فقتله في فراش مرضه واستقل ارتق بعد موت النقش بالملك وتلقب الملك المنصور · ثم توفي سنة ٦٣٦ ﻫ ·

٤٠٧ – السعيد نجم الدين غازي بن ارتق

من سنة ٦٣٦ — ٦٥٨ ﻫ او من سنة ١٢٣٨ — ١٢٥٩ م

ولما توفي ارتق بن ايلغازي تولى بعده ابنه السعيد نجم الدين غازي بن ارتق واستمر ملكاً الى ان توفي سنة ٦٥٨ ﻫ

٤٠٨ – المظفر قرا ارسلان بن ارتق

من سنة ٦٥٨ ـ ٦٥٩ ﻫ او من سنة ١٢٥٩ — ١٢٦ م

ولما توفي السعيد نجم الدين غازي بن ارتق تولى بعده اخوه المظفر قرا ارسلان ابن ارتق ولم تطل مدته اذ توفي سنة ٦٥٩ ﻫ

٤٠٩ ـ نجم الدين غازي بن قرا ارسلان

من سنة ٦٥٩ ـ ٧١٢ ﻫ او من سنة ١٢٦٠ ـ ١٣١٢ م

لما توفي المظفر قرا ارسلان بن ارتق تولى بعده ابنه نجم الدين غازي بن قرا

ارسلان وطال ملكه الى ان توفي سنة ٧١٢ ﻫ لاربع وخمسين سنة من ولايته

٤١٠ - المنصور احمد بن غازى

من سنة ٧١٢ ـ ٧١٦ ﻫ او من سنة ١٣١٢ ـ ١٣١٦ م

ولما توفي نجم الدين غازى تولى بعده ابنه احمد بن غازي وملك الى ان توفي سنة ٧١٦ ﻫ

٤١١ - الصالح محمود بن احمد

من سنة ٧١٦ ـ ٧١٦ ﻫ او من سنة ١٣١٦ ـ ١٣١٦ م

ولما توفي المنصور احمد بن غازي تولى بعده ابنه الصالح محمود بن احمد ولكنه لم يهنأ بالملك طويلاً لان عمه المظفر فخر الدين داود بن المنصور قام عليه لاول ولايته وخلعه من الملك واغتصب المملكة لنفسه ولم يملك محمود الا اربعة اشهر

٤١٢ - المظفر فخر الدين داود بن المنصور

من سنة ٧١٦ ـ ٧٧٨ ﻫ او من سنة ١٣١٦ ـ ١٣٧٦ م

واستتب الامر للمظفر فخر الدين داود بن المنصور في المملكة وطالت ايامه ثم توفي سنة ٧٧٨ ﻫ

٤١٣ - مجد الدين عيسى بن داود

ثم تولى بعده ابنه مجد الدين عيسى بن داود فلم يزل ملكاً على ماردين حتى استولى عليها العثمانيون من يده وهي في يدهم للآن . وانقرضت الدولة الارتقية والملك لله يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم .

٤١٤ ـ دولة الشاهات بارمينية

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية أيضاً لان مؤسسها سكمان كان من موالي قطب الدين اسماعيل بن يافوتي بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وكان ينسب اليه فيقال سكمان القطبي وكان شهماً عادلاً في احكامه . وكانت خلاط وارمينية لبني مروان ملوك ديار بكر وكانوا في آخر دولتهم قد اشتد عسفهم وظلمهم وساء حال اهل البلد معهم فاجتمع اهل خلاط وكاتبوا سكمان هذا واستدعوه ليملكوه عليهم فسار اليهم سنة ٥٠٢ ﻫ

٤١٥ ـ سكمان القطبي شاه ارمن

من سنة ٥٠٢ ـ ٥٠٩ ﻫ او من سنة ١١٠٨ ـ ١١١٥ م

لما سار سكمان الى خلاط واستولى عليها خالف عليه اهل ميافارقين فحاصرها وضيق عليها حتى افتتحها في ذات السنة

وفي سنة ٥٠٩ ﻫ ارسل السلطان محمد السلجوقي ملوك وامراء المسلمين لقتال الافرنج وكان سكمان القطبي شاه ارمن منهم ففتحوا عدة حصون ثم حاصروا الرها فامتنعت عليهم ثم تل باشر كذلك . واستدعاهم رضوان بن تتش صاحب حلب فلما ساروا اليه امتنع من لقائهم . وفي هذه الاثناء مرض سكمان القطبي هنالك فرجع عنهم وتوفي في طريقه ببالس

٤١٦ ـ ظهير الدين ابراهيم بن سكمان

من سنة ٥٠٩ ـ ٥٢١ ﻫ او من سنة ١١١٥ ـ ١١٢٧ م

لما توفي سكمان القطبي ملك خلاط وارمينية بعده ابنه ظهير الدين ابراهيم بن سكمان فأحسن السيرة واتبع طريقة ابيه الى ان توفي سنة ٥٢١ ﻫ

٤١٧ — احمد بن سكمان

من سنة ٥٢١ — ٥٢٢ ﻫ أو من سنة ١١٢٧ — ١١٢٨ م

ولما توفي ظهير الدين ابراهيم بن سكمان ملك بعده اخوه احمد بن سكمان ولم تطل ايام ملكه لانه توفي سنة ٥٢٢ ﻫ لعشرة اشهر من ملكه .

٤١٨ — شاه ارمن سكمان بن ابراهيم

من سنة ٥٢٢ — ٥٨١ ﻫ او من سنة ١١٢٨ — ١١٨٥ م

ثم ملك بعده ابن اخيه شاه ارمن سكمان بن ابراهيم وكان صبياً فاستبدت عليه جدته ام ابراهيم ثم عزمت على قتله فقتلها اهل الدولة سنة ٥٢٨ ﻫ واستبد شاه ارمن وقوي امره وكان بينه و بين الكرج وقائع مشهورة .

وفي هذه الاثناء كان صلاح الدين الايوبي ملك مصر والشام قد استفحل امره وعلا صيته فكاتبه مظفر الدين كوكبري واغراه بملك الجزيرة ووعده بخمسين الف دينار . وسار صلاح الدين الى سنجار وحاصرها وهو مجمع المسير الى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكي فاستنجد بشاه ارمن صاحب خلاط . فبعث شاه ارمن مولاه مكتمر الى صلاح الدين شفيعاً فلم يقبل صلاح الدين شفاعته فرجع عنه مغاضباً واخبر شاه ارمن الخبر وخوفه عاقبة الاهمال والتواني عن صلاح الدين . فسار شاه ارمن من خلاط وكان مخيماً بظاهرها الى ماردين وصاحبها حينئذ نجم الدين البي وهو ابن اخت شاه ارمن وابن خال عز الدين فاستدعاه شاه ارمن فخرج معهم ومعه دولة شاه صاحب بدليس وارزن . وكان صلاح الدين قد ملك سنجار وسار عنها الى حران وفرق عساكره في نواحيها فلما سمع باجتماعهم ضده سار عن حران الى رأس عين فلما سمعوا بمسيره تفرقوا كل منهم الى بلده .

ثم توفي شاه ارمن سكمان بن ابراهيم سنة ٥٨١ هـ ولم يلد ولداً ذكراً

٤١٩ — مكتمر مولى سكمان

من سنة ٥٨١ — ٥٨٩ هـ أو من سنة ١١٨٥ — ١١٩٢ م

لما توفي شاه ارمن سكمان بن ابراهيم كان مولاه مكتمر بميافارقين فاسرع الى خلاط واستولى على كرسي بني سكمان وولي على ميافارقين اسد الدين برتقش من موالي شاه ارمن . وكان شمس الدين البلهوان بن ايلدكز صاحب اذربيجان قد زوج شاه ارمن على كبر سنه بنتاً له ليجعل ذلك طريقاً الى ملك خلاط وأعمالها . فلما بلغه وفاة شاه ارمن كاتب صلاح الدين وكان محاصراً للموصل (وقد عزم على قصد خلاط ليملكها لخلوها من السلطان) ان لا يقصد خلاط وحسن له استمرار الحصار بالموصل حتى يفتحها . وكان ذلك مكراً منه لكي يتمكن من الاستيلاء على خلاط فسار اليها . فلما علم أهل خلاط بمسيره اليهم كاتبوا صلاح الدين يستدعونه ليدفع عنهم البلهوان فسار صلاح الدين الى خلاط وفي مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفرالدين بن زين الدين وغيرهما ونزلوا قريباً من خلاط فتردد الرسل بين صلاح الدين والبلهوان واتفقوا ان يترك البلهوان وصلاح الدين خلاط لمكتمر مولى سكمان ففعلوا وعادوا عنها . واقام مكتمر اميراً بخلاط وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن وحروب يطول شرحها . وكان مكتمر لاول ولايته قد اختص اقسنقر من موالي شاه ارمن وزوجه بنته وجعله اتابكه فاقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكتمر وتربص به حتى امكنته الفرص فقام عليه وقتله وكان قتله سنة ٥٨٩ هـ .

٤٢٠ – اقسنقر

من سنة ٥٨٩ – ٥٩٤ هـ أو من سنة ١١٩٢ – ١١٩٧ م

ولما قتل اقسنقر مكتمر كما تقدم استقل بملك خلاط وارمينية واعتقل محمد ابن مكتمر وابنه في بعض القلاع . واستمر ملكه الى ان توفي سنة ٥٩٤ هـ .

وقام أحد الارمن بملك خلاط بعده ولكن الاهالي لم يرضوا به وخلعوه لسبعة ايام من ولايته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من محبسه وملكوه عليهم

٤٢١ محمد بن مكتمر

من سنة ٥٩٤ – ٦٠٤ هـ أو من سنة ١١٩٧ – ١٢٠٧ م

واستولى محمد بن مكتمر على خلاط وارمينية وتلقب الملك المنصور واستوزر شجاع الدين قطلغ القنجاقي داودار شاه ارمن فقام بما عهد اليه خير قيام الى سنة ٦٠٣ هـ وفيها قبض محمد بن مكتمر على وزيره هذا مع حسن سيرته واعتقله فهاج الجند لهذا الفعل . وعكف محمد بن مكتمر بعد نكبته الوزير على لذاته فاجتمع اهل خلاط وجندها وكبيرهم بلبان مملوك شاه ارمن وكتبوا الى ارتق بن ايلغازي بن البي صاحب ماردين يستدعونه للملك . وجاهر بلبان ومن معه بالعصيان وساروا الى ملاذكرد واستولوا عليها واجتمع الجند على بلبان فسار يريد خلاط ووصل ارتق بن ايلغازي لموعدهم ونزل قريباً من خلاط فبعث اليه بلبان « ان الجند والرعية اتهموني فيك فارجع واذا ملكت البلد سلمته اليك » فتنحى قليلاً . وكان الاشرف موسى بن العادل بن ايوب صاحب الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طمع فيها لنفسه وخشي أن يزداد قوة عليهم فخالفه الى ماردين واقام بتدليس وجبى ديار بكر حتى استوعبها وعاد الى حران . أما بلبان فجمع العساكر وجدد الحصار على خلاط ومحمد بن مكتمر منعكف على لذاته

غير سائل عما يكون فقام عليه أهل خلاط وقبضوه ومكنوا بلبان منه فدخل الى خلاط واستولى عليها ولكنه لم تطل ايامه لان الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل الايوبي حاصره فيها واستولى عليها سنة ٦٠٤ هـ فصارت ارمينية جزءاً من المملكة الايوبية وانقرضت دولة الشاهات والله غالب على امره . وهو ولي التوفيق

٤٢٢ ــ دولة الموحدين بمراكش

(تمهيد) راس هذه الدولة محمد بن تومرت الملقب بالمهدي واصله من هرغة من بطون المصامدة . وزعم بعض المؤرخين ان نسبه يتصل باهل البيت والاغلب غير ذلك . نشاء في جبل السوس اقصى بلاد المغرب ثم رحل الى المشرق في شبيته طالباً للعلم فانتهى الى العراق واجتمع بابي حامد الغزالي والكيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم فتلمذ لابي حامد الغزالي وحصل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي واصول الفقه والدين ثم حج واقام بمكة وكان ورعاً ناسكاً متقشفاً لا يصحبه من متاع الدنيا الا العصا والركوة وكان شجاعاً فصيحاً في لساني العرب والمغرب شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في امر الله بغير اظهاره وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملاً للاذى من الناس بسببه فناله بمكة من المكروه بسبب ذلك ما حبب اليه مفارقتها فخرج منها الى مصر وبالغ في الانكار فزادوا في اذاه وطردته الدولة وكان اذا خاف من البطش وايقاع الناس به خلط في كلامه فينسب الى جنون . فخرج من مصر الى الاسكندرية ومنها بحراً الى بلاده فانتهى الى المهدية وملكها يومئذ الامير يحيى ابن تميم الصنهاجي وذلك في سنة ٥٠٥ هـ فنزل فيها وجلس على الطريق ينظر الى المارة فلا يرى منكراً من آلة الملاهي او اواني الخمر الا نزل اليها وكسرها فتسامع الناس به في البلد فجاءوا اليه وبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه ولما راى ورعه اكرمه وساله الدعا فقال له « اصلحك الله لرعيتك » . ولم يقم بعد ذلك بالمهدية الا اياماً

يسيرة ثم انتقل الى بجاية فاقام بها مدة وفيها وجد عبد المؤمن بن علي فتوسم محمد ابن تومرت في عبد المؤمن بن علي النجابة والفصاحة فاصطحبه معه وسار الى مراكش دار مملكة امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فراى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه قبلاً فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه . وبينا هو في بعض الايام في طريقه اذ راى اخت امير المسلمين في موكبها ومعها من الجواري الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات (وكانت عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال) فحين راى النساء كذلك انكر عليهن وامرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت اخت امير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى امير المسلمين وانه يتحدث في تغيير الدولة . فامر علي بن يوسف باحضاره واحضر جماعة من علماء البلد ليناظروه فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبغي منا فانتدب له قاضي المرية واسمه محمد بن اسود وقال مخاطباً محمد بن تومرت « ما هذا الذي يذكر عنك من الاقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد الى الحق المؤثر طاعة الله تعالى على هواه » فقال له محمد بن تومرت « اما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه اقوال واما قولك ان الملك يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم بتعريه عن هذه الصفة انه مغرور بما تقولونه له وتطرونه به مع علمكم ان الحجة عليه متوجهة فهل بلغك يا قاضي ان الخمرة تباع جهاراً وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ اموال اليتامى» وعدد من ذلك شيئاً كثيراً

فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه واطرق حياء ففهم الحاضرون من فحوى كلامه انه طامع في المملكة لنفسه . ولما راوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم احد منهم فقال مالك بن وهيب (وزير الملك علي بن يوسف) وكان كثير الاجتراء على الملك :

« ايها الملك ان هذا سيفتح علينا باباً يعسر علينا سده وان عندى لنصيحة ان

قبلتها حدث عاقبتها وان تركتها لم تامن غائلتها . فقال الملك « ما هي » فقال : « انى خائف عليك من هذا الرجل وارى ان تعتقله واصحابه وتنفق عليهم كل يوم دينارًا لتكتفي شره وان لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها ثم لا ينفعك ذلك » فقبل الملك هذا الاقتراح ولكن قام رجل من الملثمين وشفع في محمد بن تومرت فاطلقه الملك . فلحق محمد بن تومرت ومن معه بجبل السوس الذي فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة سنة ٥١٤ هـ فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به اهل تلك النواحي فوفدوا عليه وحضر اعيانهم بين يديه فجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها وما حدث من الظلم والفساد وانه لا يجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل الواجب قتالهم ومنعهم عما هم فيه . فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمي اتباعه الموحدين واعلمهم ان النبي بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلاً وان مكانه الذي يخرج منه المغرب الاقصى . فقام اليه عشرة رجال احدهم عبد المؤمن بن على وقالوا له لا يوجد هذا الا فيك فانت المهدي فبايعوه على ذلك . وسمع الامير على بن يوسف بمبايعته فارسل عسكرًا لقتاله فهزم اصحاب ابن تومرت عسكر على بن يوسف مع كثرتهم وقلتهم فقوى ظنهم بالمهدي واقبلت اليه افواج القبائل وانتهى خبره الى امير المسلمين ثانيًا فاحضره مرة اخرى وقال له « ايها الرجل اتق الله في نفسك الم انهك عن عقد الجموع والمحازب وامرتك بالخروج من البلد » فقال « ايها الملك قد امتثلت امرك وخرجت من البلد واشتغلت بما يعنيني فلا تسمع لاقوال المبطلين » فتوعده امير المسلمين وهم بالقبض عليه ثم عصمه الله منه ليقضي الله امرًا كان مفعولاً

فخرج محمد بن تومرت حتى اتى مدينة تينملل فاقام بها ثم لحق به اصحابه العشرة السابقون الى دعوته والمصدقون بامامته وهم عبد المؤمن بن علي الكومى وابو محمد البشير الونشريسي وابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى وابو يحيي بن يكيت الهنتاتى وابو حفص عمر بن على آصناك وابراهيم بن اسماعيل الخزرجي وابو محمد عبد الواحد الحضرمي وابو عمران موسى بن تمار وسليمان بن خلوف وعاشر . فاقاموا بتينملل

وعظم صيت محمد بن تومرت في جبل درن وكثر اتباعه، فلما راى ذلك اظهر دعوته ودعى الناس الى بيعته وخطب فيهم واعلمهم انه المهدي المنتظر فبايعوه بيعة عامة. ثم بث دعاته في بلاد المصامدة يدعون الناس الى بيعته و يزرعون محبته في قلوبهم بالثناء عليه و وصفه بالزهد وتحرى الحق و اظهار الكرامات فانثال الناس عليه من كل جهة فلقنهم عقائد التوحيد باللسان البربرى وجعل لهم فيه الاعشار والاحزاب والسور وقال لهم من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد لا تجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته. فاستولت محبته على قلوبهم وعظموه ظاهرًا وباطنًا حتى كانوا يستغيثون به في شدائدهم وينوهون باسمه على منابرهم ولم تزل الوفود تترادف عليه حتى اجتمع عليه جمع غفير. فلما علم ان ناموسه قد رسخ وسلطانه قد تمكن قام فيهم خطيباً وندبهم الى جهاد المرابطين واباح لهم دماءهم واموالهم فانتدب الناس لذلك و بايعوه على الموت فانتخب منهم عشرة آلاف من انجاد الموحدين وقدم عليهم ابا محمد البشير وعقد له راية بيضاء ودعى لهم وانصرفوا فساروا الى مدينة غمات وانتهى الخبر الى امير المسلمين فجهز لقتالهم جيشاً من الحشم والاجناد فلما التقوا انتصر الموحدون وهزموا المرابطين واتبعوهم بالسيف حتى ادخلوهم مراكش وحاصروها اياماً ثم افرجوا عنها حين تكاثرت عليهم جيوش المرابطين وكان ذلك ثالث شعبان سنة ٥١٦ هـ.

وقسم المهدي الغنائم التي غنموها من المرابطين. وانتشر ذكر المهدي بجميع اقطار المغرب والاندلس ثم غزا مراكش فقام محاصرًا لها ثلاث سنين يباكرها بالقتال و يراوحها من سنة ٥١٦ ـ ٥١٩ هـ

ولما ضجر من مقامه هنالك نهض الى وادي نفيس وانحدر مع مسبلة يدعو الناس لطاعته ويقاتل من ابى منهم فانقاد له اهل السهل والجبل وبايعته كدميوة ثم غزا بلاد ركراكة فاخذهم بالدعاء الى توحيد الله وشرائع دينه وسار في بلاد المصامدة يقاتل من ابى ويسالم من اجاب ففتح بلادًا كثيرة ثم رجع الى تينملل فاقام بها شهرين ريثما استراح الناس ثم غزا مدينة اغمات وبلاد هزرجة وانتصر

عليها ثم غزا اهل درن ففتح قلاعه وحصونه واطاعه جميع من فيه من قبائل هرغة وهنتانة وكنفيسة وغيرهم وعاد الى تينمال ظافراً غانماً . وبعد ان استراح اصحابه انتدبهم الى غزو مراكش وقتال المرابطين وقدم عليهم عبد المؤمن بن علي وابا محمد البشير وخص عبد المؤمن بامامة الصلاة فساروا حتى انتهوا الى اغمات فلقيهم ابو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من لمتونة وقبائل صنهاجة فاقتتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية ايام ثم انتصر عليهم الموحدون فهزموا ابا بكر وجيشه الى مراكش وقتلوهم في كل طريق وحصروا مراكش اياماً ثم رجعوا الى تينمال فخرج المهدي للقائهم فرحب بهم وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح

وتوفي المهدي عقب هذه الحادثة وكانت وفاته يوم الاربعاء ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٥٢٤ هـ وكان المهدي رجلاً ربعة اسمر عظيم الهامة غائر العينين حاد النظر خفيف العارضين ذا سياسة ودهاء عظيم وكان مع ذلك عالماً فقيهاً راوياً بالحديث عارفاً بالاصول والجدل فصيح اللسان مقداماً على الامور العظام غير متوقف في سفك الدماء ويهون عليه اتلاف عالم في بلوغ غرضه وكان كثيراً ما يتمثل بقول ابي الطيب المتنبي

اذا غامرت في شرف مروم   فما تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير   كطعم الموت في امر عظيم

٤٢٣ — عبد المؤمن بن علي الكومي

من سنة ٥٢٤ — ٥٥٨ هـ أو من سنة ١١٢٩ — ١١٦٢ م

لما توفي المهدي تشوق كل واحد من العشرة اخصائه الى الخلافة بعده وكانوا من قبائل شتى وأحبت كل قبيلة ان يكون الخليفة منها وان لا يتولى عليها من هو من غيرها فتنافسوا في ذلك فاجتمع العشرة وتآمروا فيما بينهم وخافوا على انفسهم النفاق وان تفسد نياتهم وتفترق جماعتهم فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن بن علي

لكونه كان غريباً بين اظهرهم ليس من المصامدة لان المصامدة من البرانس وكومية قبيلة عبد المؤمن من البتر فقدموه لذلك مع ما كانوا يرون من ميل المهدي الخصوصي اليه فتم له الامر بعد مضي سنتين من موت المهدي وبويع البيعة العامة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوماً من ربيع الاول سنة ٥٢٦ ﻫ

وفي سنة ٥٢٨ ﻫ تسمى عبد المؤمن بن علي امير المؤمنين (واعلم ان لقب امير المؤمنين كان في صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من الراشدين او بني امية او من بني العباس بعدهم . ولما قام عبيد الله المهدي اول ملوك العبيديين بافريقية تسمى امير المؤمنين لانه كان يرى انه احق بالخلافة من بني العباس المعاصرين له بالمشرق فهو اول من زاحم الخليفة في هذا اللقب ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الاموي صاحب الاندلس وراى ان له في الخلافة حقاً اقتداء بسلفه الذين كانوا خلفاء بالمشرق . وكلاهما اعني العبيدي والاموي قرشي من بني عبد مناف . ثم لم يتجاسر احد لا من ملوك العجم بالمشرق ولا من ملوك البربر بالمغرب على التلقب بامير المومنين لانه لقب الخليفة الاعظم القرشي الى ان جاءت دولة المرابطين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغربين والاندلس وعظم سلطانه واتسعت مملكته وخاطب الخليفة العباسي بالمشرق فولاه على ما بيده وتسمى بامير المسلمين ادبا مع الخليفة . ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بامير المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده . اه

وفي سنة ٥٢٩ ﻫ امر عبد المؤمن ببناء رباط مدينة تازا فبنيت وحصن سورها

ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوته الطويلة التي مكث فيها سبع سنين واجلت عن فتح المغربين معاً الاقصى والاوسط خرج لها من تينملل في صفر سنة ٥٣٤ وقصد جبال غمارة وخرج تاشفين بن على (في حياة ابيه) بعساكره يحاذيه في البسيط والناس يفرون منه الى عبد المؤمن . ثم نزل تاشفين بازاء عين القديم وذلك في فصل الشتاء فقام بذلك المنزل شهرين حتى احرق اهل محلته اوتاد اخبيتهم ورماحهم وهدموا بيوتهم وخيامهم . ثم اشتعلت نار

الفتنة والغلاء بالمغرب واقشعت الرعايا من البلاد وتوفي خلال ذلك امير المسلمين علي بن يوسف سنة ٥٣٧ هـ وتولى بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور في غزاته هذه . وتمادى عبد المؤمن في غزاته الى جبال غياثة وبطوية فافتتحها ثم نازل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى الى بلاد زناتة فطاعته قبائل مديونة ثم رحل الي تلمسان وسار اليهم الى هناك تاشفين بن علي بن يوسف امير المسلمين من المرابطين فهزمه الموحدون مرارًا فلحق بوهران وبعث ابنه ولي عهده ابراهيم بن تاشفين الي مراكش في جماعة من لمتونة . وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي (جد الملوك الحفصيين اصحاب تونس) ومعه بنو ومانوا من زناتة فتقدموا الى بلاد زناتة ونزلوا منداس وسط بلادهم واجتمع بنو يادين كلهم وبنو يلومي وبنو مرين ومغراوة فثخن فيهم الموحدون حتى ازعنوا للطاعة ودخلوا في دعوتهم . ثم سار عبد المؤمن في جموع الموحدين الى وهران فلجاء تاشفين الى رابية هناك فاحدقوا بها واضرموا النيران حولها حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكبًا فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل ومات لسبع وعشرين من رمضان سنة ٥٣٩ هـ (وبه انقرضت دولة المرابطين وتلتها دولة الموحدين التي نحن بصددها الآن) ولما مات تاشفين ايقن عبد المؤمن ببلوغ امله فعاد الى تلمسان وحاصرها وافتتحها عنوة وعفا عن اهلها . ثم سار الى مدينة فاس وحاصرها حصارًا شديدًا وافتتحها ثم رحل عبد المؤمن من فاس عامدًا الى مراكش فوافته في طريقه بيعة اهل سبتة فولى عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هنتاتة ومر على مدينة سلا فافتتحها ثم تمادى عبد المؤمن الى مراكش وهناك اجتمع بقائده ابي حفص عمر بن يحيى باقي جيشه فتحدوا جميعاً على حصار مراكش والمرابطون يدافعون جهدهم حتى اعياهم الجوع فبرزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون بالقتل فاقتحموا عليهم المدينة في اخريات شوال سنة ٥٤١ هـ وقتل عامة المرابطين ومحى اثرهم واستولى الموحدون على جميع البلاد فسبحان من يغير ولا يتغير

وما صدق عبد المؤمن ان انتصر على المرابطين واستتب له الامر حتى ظهر له عدو آخر هو محمد بن هود السلاوي اصله رجل من سوقة اهل سلا لحق بعبد المؤمن عند ما ظهر وشهد معه فتح مراكش ثم فارقه وظهر برباط ماسة من ناحية السوس ودعا لنفسه وتسمى بالهادي وتمكن ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة ثم بايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد المؤمن الا مراكش .
فسرح اليه عبد المؤمن عسكراً من الموحدين بقيادة يحيى بن اسحق فالتقى بالماسي وقاتله فانتصر الماسي عليه وعاد مهزوماً الى عبد المؤمن فسرح اليه عبد المؤمن الشيخ ابا حفص الهنتاتي في جيش عظيم فاتح ذي القعدة سنة ٥٤٢ هـ فانصرف الشيخ ابو حفص في جيوش الموحدين حتى انتهوا الى رابطة ماسة فبرز اليهم محمد ابن هود في نحو ٦٠ الفاً من اصحابه وبعد قتال شديد انهزم اصحاب محمد بن هود وقتل في المعركة فكفى الله عبد المؤمن شره بعد ان كاد يفسد عليه امره

ولما غزا عبد المؤمن غزوته الطويلة التي مر ذكرها واستولى على المغربين كما تقدم اتته وفود اهل الاندلس ليرسل اليها الجيوش ويستولي عليها من يد المرابطين فارسل معهم عبد المؤمن عسكراً فاجازوا الى الاندلس ونزلوا على بلدة شريش ففتحوها في ذي الحجة سنة ٥٣٩ هـ ثم زحف الموحدون الى لبلة ثم الى شلب وبطليوس وباجة ففتحوا الجميع ثم تقدموا الى مدينة اشبيلية فحاصروها براً وبحراً الى ان فتحوها في شعبان سنة ٥٤١ هـ ثم استولوا على قرطبة سنة ٥٤٣ هـ ثم فتحوا غرناطة بعد ذلك وصارت جميع بلاد المسلمين بالاندلس تابعة لدولة عبد المؤمن بن علي أو بالحري دولة الموحدين

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب افريقية بسبب تنازع ملوكها من بني زيري بن مناد الصنهاجيين واستطالة العرب عليهم بها فاجمع على غزوها فخرج من مراكش اواخر سنة ٥٤٦ هـ واستخلف عليها الشيخ أبا حفص الهنتاتي وسار عبد المؤمن مجداً لا يلوي على شيء حتى دخل الجزائر في غفلة من اهلها فاطاعوه ثم تقدم الى مدينة بجاية وافتتحها عنوة واطاعه يحيى بن عبد العزيز ونزل له عن

قسطنطينة فنقله عبد المؤمن معه الى مراكش باهله وخاصته فسكنها وأحسن عبد المؤمن اليه

وفي سنة ٥٥٠ ﻫ أمر عبد المؤمن بن علي باصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه وبتغيير المنكرات ما كانت وامر مع ذلك بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة كتب الحديث واستنباط الاحكام منها وكتب بذلك الى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة ·

وفي سنة ٥٥٢ ﻫ نقل عبد المؤمن مصحف امير المؤمنين عثمان بن عفان من قرطبة الى مراكش وفيها بناء جامع الكتبيين بمراكش ·

وفي سنة ٥٥٣ ﻫ غزا عبد المؤمن افريقية وافتتح المهدية وطرابلس وصفاقس وسوسة وجبال نفوسة وقابس وبالجملة فانه استخلص في هذه السنة جميع بلاد افريقية من القائمين بها

وفي سنة ٥٥٥ ﻫ أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد افريقية والمغرب فكسر من برقة في جهة الشرق الى بلاد نول من السوس الاقصى في جهة الغرب بالفراسخ والاميال طولاً وعرضاً ثم اسقط من التكسير الثلث في الجبال والغياض والانهار والسباخ وما بقي قسط عليه الخراج والزم كل قبيلة بقسطها وهو أول من احدث ذلك بالمغرب

وفي هذه السنة ٥٥٥ ﻫ أمر عبد المؤمن ببناء جبل الفتح وتحصينه وهو جبل طارق فبني وشيد حصنه ·

وفي سنة ٥٥٦ ﻫ عبر عبد المؤمن الى جبل طارق والسبب في ذلك أنه بلغه أن محمد بن مردنيش الثائر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان وأطاعه واليها محمد بن علي الكومي ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها وغدر بقرمونة وملكها ثم رجع الى قرطبة وخرج ابن يكيت لحربه فهزمه ابن مردنيش وقتله · فكتب عبد المؤمن الى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افريقية عليه وأنه واصل اليهم فلما نهض من تلمسان في رجعته هذه عدل الى طنجة فدخلها في ذي

الحجة سنة ٥٥٥ هـ وأقام بها الى أن دخلت سنة ٥٥٦ هـ فعبر منها الى الاندلس ونزل بجبل طارق فاقام به شهرين واستشرف من احوال الاندلس ووفد عليه قوادها واشياخها فامر بغزو غرب الاندلس (بلاد البرتغال) فنهض اليه الشيخ ابو محمد عبدالله بن أبي حفص الهنتاتي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدين ففتح حصن المرنكش من احواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارى وخرج الفونس من طليطلة لاغاثته فانهزم امام ابن أبي حفص والموحدين وساق المسلمون السبي الى قرطبة واشبيلية

وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة ويابورة وحصن القصر فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد الى مراكش ولما استتب الامر لعبد المؤمن بالمغربين وافريقية والاندلس تاقت نفسه الى الجهاد فامر بتجهيز العساكر وبناء المراكب فتم له ما اراد وبنى اربعماية سفينة حربية ولكنه لم يلبث طويلاً بعد تمامها حتى عاجلته المنية سنة ٥٥٨ هـ وكان قد خرج من مراكش قاصداً الاندلس للجهاد فلما وصل الى رباط سلا ابتداء به مرضه الذي توفي فيه فلما تمادى به المه خاف ان يفاجئه الحمام فأمر بعزل ولده محمد من ولاية العهد (وكان ولاه ولاية عهده قبل ذلك بمدة) واسقاط اسمه من الخطبة لما ظهر له من العجز عن القيام بامر الخلافة . ثم اشتد مرضه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جمادي الاخرى من سنة ٥٥٨ هـ وكان عالماً فصيحاً فقيهاً عالماً بالاصول والجدل والحديث مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية ذا حزم وسياسة واقدام في الحرب ومهمات الامور سري الهمة ميمون النقيبة . لم يقصد قط بلداً الا فتحه ولا جيشاً الا هزمه . محباً لاهل العلم والادب مكرماً لوفادتهم منفقاً لبضاعتهم ذكر بعضهم ان الفقيه أبا عبد الله محمد بن ابي العباس لما انشده :

ماهزّ عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

اشار اليه ان يقتصر على هذا البيت وأمر له بالف دينار . والله اعلم .

٤٢٤ - يوسف بن عبد المؤمن بن علي

من سنة ٥٥٨ — ٥٨٠ هـ او من سنة ١١٦٢ — ١١٨٤ م

لما توفي عبد المؤمن بن علي بويع بالخلافة بعده ابنه يوسف بن عبد المؤمن وامتنع من بيعته اخواه السيد ابو محمد صاحب بجاية والسيد ابو عبد الله صاحب قرطبة فكف عنهم ولم يطالبهم ببيعته فلما راوا اجتماع الناس عليه قدم اخواه مبايعين في سنة ٥٥٩ هـ فوصلهم امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بالاموال والخلع واحسن اليهم

وفي سنة ٥٥٩ هـ ثار مزدغ الصنهاجي من صنهاجة وضرب السكة باسمه وكتب فيها « مزدغ الغريب نصره الله عن قريب » وكانت ثورته ببلاد غمارة فبايعه خلق كثير وافسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقاً كثيرا فبعث اليه امير المؤمنين يوسف جيشاً من الموحدين فقتل وحمل راسه الى مركش

وفي سنة ٥٦٠ هـ كانت واقعة الجلاب بالاندلس بين السيد ابي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الافرنج مع ابن مردنيش فانهزم ابن مردنيش ومن معه من الافرنج وكتب السيد ابو سعيد بالفتح الى اخيه امير المؤمنين يوسف

وفي سنة ٥٦١ هـ ثار سبع بن منغفاد بجبل تيزيران من بلاد غمارة وعظمت الفتنة في قبائلها فبعث اليهم يوسف بن عبد المؤمن عساكر الموحدين بقيادة الشيخ ابي حفص الهنتاتي ثم تعاظمت الفتنة في غمارة وصنهاجة فخرج اليهم امير المؤمنين بنفسه واوقع بهم واستاصلهم وقتل سبع بن منغفاد وحمل راسه الى مراكش وعقد يوسف لاخيه السيد ابي علي الحسن على سبتة وسائر بلادهم

وفي سنة ٥٦٤ هـ بعث امير المؤمنين الشيخ ابا حفص الهنتاتي في جيوش الموحدين الى الاندلس لاستنقاذ بطليوس من حصار العدو فلما انتهوا الى اشبيلية بلغه ان الموحدين واهل بطليوس هزموا العدو واسروا قائد جيشه فسار الشيخ ابو حفص الى قرطبة

وفي سنة ٥٦٥ هـ وجه يوسف بن عبد المؤمن اخاه السيد ابا حفص الى الاندلس برسم الجهاد فعبر البحر من قصر المجاز الى طريف في عشرين الفاً من الموحدين والمتطوعة فدخلوا بلاد العدو ثم نهضوا الى مرسية ومعهم ابراهيم بن همشك (كان من قواد ابن مردنيش فنزع عنه الى الموحدين) فحاصروا ابن مردنيش الثائر بمرسية واعمالها واستولوا على اكثر بلاده

ولما اتصل بامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد ابي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مردنيش تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو فنهض الى الاندلس في مائة الف من العرب والموحدين فوصل قرطبة سنة ٥٦٧ هـ ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية فخافه محمد بن مردنيش وحمل على قلبه فرض ومات فجاء اولاده واخوته الى امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وهو باشبيلية فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت لابيهم فاحسن اليهم امير المؤمنين وتزوج اختهم واصبحوا عنده في اعز منزلة

ثم خرج امير المؤمنين غازياً بلاد العدو ولكنه لم ينجح كثيراً في غزوته هذه فرجع الى اشبيلية في ذات السنة (٥٦٧) . وفي هذه السنة شرع يوسف بن عبد المؤمن في بناء جامع اشبيلية فتم وصليت فيه الجمعة في ذي الحجة منها . ثم ارتحل الخليفة من اشبيلية راجعاً الى مراكش سنة ٥٧١ هـ .

وفي سنة ٥٧٥ هـ ثار احد بني الرند بقفصة بافريقية وعصا الخليفة يوسف ابن عبد المؤمن فسار الخليفة اليه في ذات السنة وحاصر قفصة وضيق عليها واقتحمها عنوة وظفر بابن الرند القائم بها وقتله وذلك سنة ٥٧٦ هـ ثم عاد الى مراكش فدخلها سنة ٥٧٧ هـ وقدم عليه ولاة الاندلس ورؤساؤها يهنونه بالاياب ما كرم وفادتهم وانصرفوا ثم بلغه ان الفونس نازل قرطبة وشن الغارات على جهة مالقة ورندة وغرناطة ثم نزل استجة وتغلب على حصن شنتبلة واسكنه الافرنج وانصرف . فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على معاودة الجهاد فخرج من مراكش سنة

٥٧٩ ﻫ وسار الى سبتة ومنها امر الناس بالجواز الى الاندلس فلما استكمل الناس الجواز عبر هو في آخرهم في الحاشية والعبيد وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر سنة ٥٨٠ ﻫ فنزل بجبل الفتح ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ثم سار الى اشبيلية ثم نهض الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الاندلس فانتهى اليها في السابع من ربيع الاول من السنة وحاصرها وقاتل اهلها ثم حصل سوء تفاهم بين عساكر المسلمين في بعض الاوامر المعطاة لهم فرحلوا عن المدينة والخليفة غير عالم بذلك ولم يبق معه الا القليل من خواصه فلما راى الافرنج المحصورون بالمدينة قلة من مع يوسف فتحوا ابوابها وخرجوا اليه وقاتلوه حتى اصابه هو في هذه المعركة جراح الفئة فانهزم اصحابه وساروا به الى اشبيلية ثم اراد الخليفة العبور الى المغرب فاشتد المه ومات في الطريق . وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٠ ﻫ وكان محباً للعلوم راغباً في تحصيلها مع حسن سيرة وسياسة

٤٢٥ — المنصور بالله يعقوب بن يوسف

من سنة ٥٨٠ — ٥٩٥ ﻫ او من سنة ١١٨٤ — ١١٩٨ م

لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المومن بويع ابنه ابو يوسف يعقوب بن يوسف ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واقب المنصور بالله واستوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاتي واستنفر الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى فاستولى على بعض الحصون واثخن في بلاد العدو ثم اجاز البحر الى الحضرة وتمت له البيعة بالمغرب ايضاً وكان اول شيء فعله انه اخرج مائة الف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها في الضعفاء من بيوتات المغرب ورد المظالم التي ظلمها العمال في ايام ابيه واكرم الفقهاء وراعى الصلحاء . واهم ما حدث في دولته ثورة بني غانية المسوفيين أصحاب جزيرة ميورقة واعمالها فلنأت بشيء من ذلك

كان امير المسلمين يوسف بن تاشفين قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة ويابسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية

فتوارثها بنوه من بعده الى ايام يوسف بن عبد المومن فبعث اليه محمد بن اسحق بن محمد المسوفي بالطاعة فقبل ذلك يوسف بن عبد المومن و بعث اليه قائده علي بن الروبرتير ليختبر امره و يعقد له البيعة عليه و يؤكد الامر في ذلك . وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمونه في الرئاسة فلما انتهى اليهم ابن الروبرتير وعلموا الامر الذي قدم لاجله نكروا على اخيهم ذلك لانه لم يكن اعلمهم بمكاتبته يوسف بن عبد المؤمن فقبضوا عليه وعلى الروبرتير وقدموا مكانه اخاهم علي بن اسحق بن محمد ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المومن وولاية ابنه يعقوب المنصور فركب علي بن اسحق اسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من اهلها وعليها يومئذ السيد ابو الربيع بن عبد المومن وكان خارجاً في بعض مذاهبه فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة ٥٨١ هـ .

وكان اقتحام ابن غانية لمدينة بجاية يوم الجمعة فعمد الى الجامع الاعظم وادار به الخيل والرجل فمن بايعه خلى سبيله ومن توقف عن بيعته ضرب عنقه ثم استولى علي بن اسحق على مازونة ثم على مليانة ثم على القلعة ثم نازل قسطنطينة فامتنعت عليه واتصل الخبر بالمنصور فسرح ابا زيد بن ابي حفص بن عبد المومن وعقد له على حرب ابن غانية . فوصل السيد ابو زيد افريقية وشرد ابن غانية عنها الى الصحراء . ثم عاود ابن غانية الاجلاب على بلاد افريقية فسار اليه المنصور بنفسه فمهد افريقية وشرد ابن غانية في خبر يطول شرحه ثم عاد الى مراكش فدخلها سنة اربع وثمانين وخمسمائة للهجرة

وفي ايام المنصور هذا قدم العرب من بلادهم الى افريقية واستوطنوها بحللهم وخيامهم كذلك وصارت ارض المغرب منقسمة بين امتين امة العرب اهل اللسان العربي وامة البربر اهل اللسان البربري بعد ان كانت بلاده خاصة بالبربر لان العرب الذين وفدوا اليه قبل هذا التاريخ كان قصدهم الغزو والجهاد وليس الاستيطان فمتى قضوا وطرهم عادوا لبلادهم او اقاموا قيام المحتلين

وفي سنة ٥٨٥ هـ تحرك امير المومنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غربها وهي اول غزواته فعبر من قصر المجاز الى الجزيرة الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول من السنة المذكورة ثم نهض من الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة لشبونة وانحائها فقطع الثمار واحرق الزرع وقتل وسبا واضرم النيران في القرى وابلغ فى النكاية وانصرف الى العدوة فدخل فاساً في آخر رجب من السنة المذكورة

وفي هذه الاثناء كانت الحروب الصليبية بالشام واستولى الافرنج على بيت المقدس

وغيره منها وقام صلاح الدين لجهادهم فارسل صلاح الدين الى يعقوب المنصور هدايا جمة نفيسة وطلب منه تسيير اساطيله لغزو الافرنج بالشام واستخلاصه منهم ولكن صلاح الدين لم يخاطبه في رسالته بامير المومنين فلم يجبه الى حاجته

وفي سنة ٥٨٦ هـ عاد ابن غانية الى افريقية فنهض المنصور اليها من فاس فالفى بلاد افريقية ساكنة وقد فر ابن غانية منها الى الصحراء حين سمع بقدومه .

ولما علم الافرنج بالاندلس ان المنصور مشتغل عنهم بابن غانية طمعوا في البلاد واستولوا في هذه السنة على مدينة شلب و باجة و يابورة من غرب الاندلس . واتصل الخبر بالمنصور وهو بافريقية فغاظه ذلك جداً فعاد الى فاس سنة ٥٨٧ هـ وكان قد مرض في طريقه فدخل فاساً واقام بها مريضاً سبعة اشهر فلما شفي من علته نهض الى مراكش فاقام بها الى سنة ٥٩١ هـ ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد فخرج من مراكش يوم الخميس ٢٨ جمادى الاولى سنة ٥٩١ هـ وعبر البحر من قصر المجاز فوصل الجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة ٢٠ رجب من السنة المذكورة فاقام بها يوماً واحداً ثم نهض قاصداً سرعة الجهاد في الافرنج خوفاً من ان تفسد نيات المسلمين او يقل عزمهم اذا طال عليهم الامد فسار حتى بقي بينه و بين حصن الارك (اليه تنسب هذه الغزوة) الذي كان قاعدة الاعمال الحربية للافرنج نحو مرحلتين فجمع عساكره ورتبهم واستحثهم على الثبات وحسن النية في الجهاد . فلما راي الفونس وهو بحصن الارك تقدم جيوش المسلمين اليه امر فرقة من عسكره بمهاجمتهم وصدهم عن التقدم فهجمت هذه الفرقة على المسلمين بقلوب لا تهاب الموت ودارت رحى الحرب بين الفريقين وحمي وطيسها وكاد ينتصر الافرنج انتصاراً عظيماً لولا شجاعة الشيخ ابي يحيى بن ابي حفص الذي مات شهيد حماسته و بسالته تخلد له ذكراً مجيداً فانه بحسن تدبيره وجهاده تمكن من حصر فرقة الافرنج المهاجمة وملاشاتها حتى لم ينج منها الا طويل العمر فلما انهزمت هذه الفرقة هجم الفونس في جموعه وتكاثرت عليه عساكر المسلمين واختلط الحابل بالنابل وتحول ابن آدم الى وحش ضار يفترس اخاه و بعد قتال قلما يحدث اشد منه انتصر المسلمون انتصاراً باهراً وفر الفونس فيمن نجا من اصحابه وغنم المسلمون شيئاً كثيراً . ثم عاد امير المؤمنين يعقوب بن يوسف الى اشبيلية ظافراً منصوراً . ولم يلبث بها طويلاً حتى اضطر الى معاودة قتال الافرنج لان الفونس لما ولى منهزماً سار الى طليطلة عاصمة مملكته وجمع جيشاً آخر وعاود الهجوم على بلاد المسلمين فقاتله يعقوب مرة اخرى وانتصر عليه

ثانية فطلب الفونس من امير المؤمنين هدنة خمس سنوات فاجابه الى ذلك ثم عاد الى مراكش سنة ٥٩٤ هـ

وفي سنة ٥٩٥ هـ توفي امير المؤمنين يعقوب المنصور بن يوسف وكان ذا حزم ودين وسياسة ومدحه كثير من الشعراء فما مدح به قول بعض شعراء عصره حين طلب منه الفونس الصلح فاجابه اليه

اهل بان يسعى اليه و يرتجى　　و يزار من اقصى البلاد على الرجا
من قد غدا بالمكرمات مقلداً　　وموشحاً ومختما ومتوجا
عمرت مقامات الملوك بذكره　　وتعطرت منه الرياح تأرجا

٤٢٦ - الناصر لدين الله محمد بن يعقوب

من سنة ٥٩٥ — ٦١٠ هـ او من سنة ١١٩٨ — ١١٣ م

لما توفي يعقوب بن يوسف بويع بالخلافة على المغرب وافريقية والاندلس بعده ابنه محمد بن يعقوب ولقب الناصر لدين الله وثار عليه لاول ولايته علودان الغاري بجبال غمارة فسار امير المؤمنين محمد بن يعقوب اليه وفتح جبال غمارة واخذها من يد هذا المغتصب ثم رجع الى مراكش

قد ذكرنا في خلافة يعقوب بن يوسف خبر نزوع يحيي بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية واستيلائه على افريقية ثم استرجاعها منه وهروبه الى الصحراء امام يعقوب بن يوسف . فلما توفي يعقوب بن يوسف طمع ابن غانية في البلاد فرجع من الصحراء واستولى على طرابلس والمهدية و بلاد الجريد ثم نازل تونس سنة ٥٩٩ هـ وافتتحها عنوة ثم دخل في دعوته اهل القيروان وقوي امره وانتظمت مملكته وخطب فيها للخليفة العباسي ببغداد . فاتصل بامير المؤمنين الناصر لدين الله هذا كله فاستشار اصحابه فيما يفعله فاشار عليه الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص بالنهوض اليه والمدافعة عنها فعمل على رايه ونهض

اليها سنة ٦٠٠ هوبعث اسطولاً في البحر بقيادة يحيى بن ابي ذكريا المزرجي . واتصل ذلك بابن غانية فبعث ذخائره وحرمه الى المهدية وخرج هو من تونس الى القيروان ثم الى قفصة ثم الى جبل بني دمر فتحصن به ووصل الناصر الى تونس ثم سار في اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ثم عاد الى المهدية فعسكر عليها واستمد لحصارها وسرح الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص لقتال ابن غانية في اربعة آلاف من الموحدين سنة ٦٠٢ هـ فلقيه بجبل تاجورة من نواحي قابس واوقع به وبعث براسه الى الناصر . اما الناصر فانه استمر محاصراً المهدية وبها يومئذ علي بن الغاني وكان يدعى بالحاج وكان بطلاً شجاعاً اظهر من مكايد الحرب ما يقصر عنه الوصف واثخن الموحدين وبالغ في نكايتهم فكانوا يسمونه بالحاج الكافر ثم نزل على الامان واحسن اليه الناصر احساناً تاماً وسماه الحاج الكافي بالياء بدل الراء لما راي من مراعاته لصاحبه وحسن عهده معه واستشهد الحاج الكافي هذا في وقعة العقاب الآتي ذكرها . وكان فتح المهدية في ٢٧ جمادي الاولى سنة ٦٠٢ هـ وولى الناصر عليها محمد بن يغمور الهرغي وارتحل عنها فدخل تونس غرة رجب من السنة واقام بها بقية السنة واكثر التي بعدها

وفي رمضان سنة ٦٠٣ هـ عاد الناصر من تونس الى المغرب الاقصى بعد ان استخلف على تونس الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاتي جد الدولة الحفصية بتونس وهذا بداية امرها وسيأتي ذكرها في غير هذا المحل ان شاء الله

ولما قتل يحيى بن اسحق المسوفي ارسل المنصور اسطولاً بقيادة السيد ابي العلاء والشيخ ابي سعيد بن ابي حفص لفتح جزيرة ميورقة من يد بني غانية المسوفيين فافتتحوها عنوة وقتلوا صاحبها عبد الله بن اسحق المسوفي وانصرف السيد ابو العلاء الى مراكش بعد ان ولى عليها عبدالله بن طاع الله الكومي

وفي ايام الناصر لدين الله هذا ظهر عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن فرس وكان من العلماء ببلاد جزولة وانتحل الامامة وادعى أنه القحطاني المراد بقوله (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه يملاءها عدلاً

كما ملئت جوراً) – الحديث – وكان مما ينسب اليه من الشعر قوله

قولا لابناء عبد المؤمن بن علي		تأهبوا لوقوع الحادث الجلل
قد جاء سيد قحطان وعالمها		ومنتهى القول والغلاب للدول
والناس طوع عصاه وهو سائقهم		بالامر والنهي بحر العلم والعمل
وبادروا امره فالله ناصره		والله خادع اهل الزيغ والحيل

فبعث اليه الناصر الجيوش فهزموه وقتل وسيق رأسه الى مراكش فنصب بها وسكنت الفتنة

(غزوة العقاب) ثم علم الناصر ان الافرنج بالاندلس قد استطالوا على بلاد المسلمين نهباً وسبياً فاقلقه ذلك وأمر بتجهيز العساكر للجواز الى الاندلس لجهاد الافرنج . فجمع جيشاً يجل عن الحصر واجاز بهم البحر من قصر المجاز في ذي القعدة سنة ٦٠٧ هـ وسار الى اشبيلية وعساكره في زيادة مستمرة لما ينضاف اليهم من اهل الاندلس حتى بلغ عددهم على ما قيل ٦٠٠ الف مقاتل فلما علم الافرنج بقدومه بهذا الجيش العرمرم خافوه جداً وسألوه الصلح مراراً فلم يجبهم اليه بل خرج من اشبيلية في اواخر صفر سنة ٦٠٨ هـ غازياً بلاد قشتالة فسار حتى وصل الى حصن سبطرة (وهو حصن منيع على قنة جبل ليس له مسلك الا من طريق واحد في مضايق واوعار) فنزل عليه الناصر وادار به الجيوش ونصب عليه اربعين منجنيقاً فلم يقدر ان يفتحه واستمر محاصراً له ثمانية اشهر بلا فائدة حتى فنيت ازواد عساكره وقلت علوفاتهم ووهنت عزائمهم وانقطعت الامداد عن المحلة فغلت بها الاسعار ودخل فصل الشتاء فاشتد البرد واصاب المسلمين كل ضر .

وعلم الفونس ما آل اليه امر المسلمين من الضجر والضعف فجمع جيشاً عظيما وخالف الناصر الى قلعة رباح فنازلها وبها يومئذ ابو الحجاج يوسف بن قادس فدافع عن الحصن دفاعاً اوجب له الفخر وكتب للناصر مراراً يستمده فكان وزير الناصر يخفي كتب ابي الحجاج لئلا يترك حصن سبطرة ويذهب لامداده . فلما

طال الحصار على ابن قادس ويئس من امداد الناصر سلم الحصن لالفونس وسار هو الى الناصر ليعلمه الحال بنفسه وذهب معه صهر له . فلما دخل الى الناصر واعلمه ابن قادس بما كان امر بقتله وقتل صهره فقتلا وذلك بسعاية ابن جامع وزير الناصر فحقدت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر . واحس ابن جامع بذلك فابعد من العساكر كل من خشي منه

ولما استولى الفونس على قلعة رباح وهي احصن قلعة للمسلمين بالاندلس زحف الى الناصر فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان وهجم الافرنج على المسلمين ودارت رحى حرب يشيب لهولها الولدان فانهزم المسلمون هزيمة لم يسبق لها نظير وقتل منهم ١٥٠ الفاً فذهبت هذه الهزيمة بقوة المسلمين بالمغرب والاندلس ولم تنصر لهم بعدها راية مع الفرنج الا فيما ندر . وكانت هذه المعركة الكبرى يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ٦٠٩ هـ . ولحق الناصر باشبيلية وقتل كل من اساء فيه الظن ثم عاد الى مراكش وقد اثرت الهزيمة فيه تأثيراً سيئاً فلما وصل رباط الفتح من سلا توفي به ليلة الثلاثاء ١٣ شعبان سنة ٦١٠ هـ .

٤٢٧ – المنتصر بالله يوسف بن محمد

من سنة ٦١٠ – ٦٢٠ هـ أو من سنة ١٢١٣ – ١٢٢٣ م

ولما توفي الناصر محمد بن يعقوب بويع بعده ابنه يوسف بن محمد وهو ابن ست عشرة سنة ولقب بالمنتصر بالله وغلب عليه الوزير أبو سعيد بن جامع ومشيخته الموحدين فقاموا بأمره واستبدوا عليه . واشتغل المنتصر عن تدبير امر المملكة وانعكف على الشرب واللهو وعشرة النساء فاستبد ولاة الاطراف على ما بايديهم وطمع الافرنج بالاندلس في المسلمين واستولوا على كثير من المدن التي بيدهم وظهر الهرم على دولة الموحدين

وفي سنة ٦١٣ هـ ظهر بنو مرين بجهة فاس وكانوا موطنين بصحراء فيجيج

وما والاها فاقتحموا المغرب في هذه السنين لخلائه من الحامية واكتسحوا بسائطه بالغارات وانحازت رعاياه الى المعاقل والحصون وكثرت الشكايات بهم الى المنتصر وهو مقيم بمراكش فكتب الى السيد ابي ابراهيم صاحب فاس يامره بغزوهم فخرج اليهم وهم ببلاد الريف فاوقعوا به وقعة شنعاء كانت باكورة فتحهم وعاد السيد مفلولاً الى فاس (و بنو مرين هؤلاء هم الذين الفوا الدولة المرينية التي استولت على المغرب الاقصى بعد انقراض دولة الموحدين وسيأتي ذكرها)

وفي سنة ٦١٤ هـ هزم المسلمون بقصر ابي دانس بالاندلس امام الافرنج هزيمة تقرب من هزيمة العقاب واستولى الافرنج على قصر ابي دانس

اما يوسف المنتصر فاستمر مقيما بمراكش على لذاته الى ان توفي وكان من خبر وفاته أنه كان مولعاً باتخاذ الحيوان واستنتاجه فكان يؤتي اليه باصناف البقر من الاندلس فيرسلها في بستانه الكبير من حضرة مراكش ويحمل بعضها على بعض للتناسل فخرج ذات يوم للتطوف على تلك البقر والنظر اليها فتوسط قطيعاً منها فانكرته بقرة شرود فطعنته في صدره طعنة كانت القاضية على حياته . وكانت وفاته يوم السبت ١٣ ذي الحجة سنة ٦٢٠ هـ ولم يكن في بني عبدالمؤمن احسن منه وجهاً ولا ابلغ في المخاطبة

٤٢٨ - عبد الواحد بن يوسف

من سنة ٦٢٠ — ٦٢١ هـ او من سنة ١٢٢٣ — ١٢٢٤ م

لما توفي المنتصر يوسف بن محمد اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا للسيد ابي محمد عبد الواحد بن يوسف وهو اخو المنصور فاستقام له الامر نحو شهرين وخطب له جميع اعمال الموحدين ما عدا مرسية فان ابن اخيه السيد ابا محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعادل كان والياً عليها وكان وزيره بها الشيخ ابا زيد

ابن يرجان المعروف بالاصفر وكان من دعاة الموحدين فاغراه بالتوثب على الامر وشهد له انه سمع من المنصور العهد له بالخلافة من بعد الناصر وقل له فيما قال « انك احق بالخلافة من عبد الواحد انت ولد المنصور واخو الناصر وعم المنتصر ولك الراي وحسن السياسة والحزم ولو دعوت الموحدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان » فسمع السيد ابو محمد عبد الله بن المنصور كلام وزيره وطلب من اهل مرسية البيعة لنفسه فبايعوه وتسمي بالعادل وكان اخوته ابو العلا الاصغر صاحب قرطبة وابو الحسن صاحب غرناطة وابو موسى صاحب مالقة فبايعوه سراً . وكان ابو محمد بن ابي عبد الله بن ابي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالبياسي صاحب جيان وقد عزله عبد الواحد بن يوسف بعمه ابي الربيع بن ابي حفص فانتقض وبايع للعادل وزحف مع ابي العلا صاحب قرطبة وهو اخو العادل الى اشبيلية وبها عبد العزيز اخو عبد الواحد فدخل في دعوتهم . وامتنع السيد ابو زيد بن ابي عبد الله اخو البياسي عن بيعة العادل وتمسك بطاعة عبد الواحد . ثم خرج العادل من مرسية الى اشبيلية ومنها كتب الى اشياخ الموحدين الذين بحضرة مراكش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ووعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والولايات الجليلة فسارعوا الى ذلك ودخلوا الى عبد الواحد وتهددوه بالقتل الان يخلع نفسه ويبايع للعادل فاجابهم الى ذلك فخرجوا عنه ووكلوا بالقصر من يحفظه وكان ذلك يوم السبت ٢١ شعبان سنة ٦٢١ هـ .

وفي يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد واحضروا القاضي والفقهاء والاشياخ فاشهد على نفسه بالخلع وبايع للعادل . ثم دخلوا عليه بعد مضي ١٣ ليلة من خلعه فخنقوه حتى مات وانتهبوا قصره واستولوا على امواله وحريمه فكان عبد الواحد هذا اول من خلع وقتل من بني عبد المؤمن .

٤٢٩ – العادل عبد الله بن المنصور

من سنة ٦٢١ – ٦٢٤ هـ او من سنة ١٢٢٤ – ١٢٢٦ م

بويع له البيعة الاولى بمرسية منتصف صفر سنة ٦٢١ هـ وتلقب بالعادل في احكام الله ثم خاص له الامر وبايعه كافة الموحدين وخطب له بمراكش اواخر شعبان من السنة المذكورة وتوقف عن بيعته السيد ابو زيد بن ابي عبد الله اخو البياسي كما ذكرنا وكان واليا على بلنسية وشاطبة ودانية . ولما راى السيد ابو محمد البياسي امتناع اخيه عن بيعة العادل ثار هو ببياسة وما انضاف اليها من قرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الاوسط وتلقب بالظافر (انما دعي البياسي لقيامه من بياسة) فبعث العادل اخاه السيد ابا العلا الاصغر في جيش كثيف الى البياسي فحاصره ببياسة ولما اشتد عليه الحصار اظهر الطاعة والانقياد وبايع للعادل حتى اذا افرج عنه ابو العلا عاد الى النكث وبعث الى الفونس يستنصره على العادل على ان ينزل له عن بياسة وقيجاطة فانجده الفونس بعشرين الفا من اشداء الافرنج . ولما توافت اليه جموع الفرنج نهض من قرطبة يريد اشبيلية حتى اذا دنا منها خرج اليه السيد ابو العلاء الاصغر فالتقوا وقتلوا فانهزم السيد ابو العلاء واستولى البياسي والفرنج على محلته . ولما راى العادل ما وقع باخيه وجنده خشي ان يتفاقم داء البياسي ويمتد عباب فتنته الى مراكش فترك اخاه ابا العلاء قبالته وعبر البحر الى سلا وسار منها الى مراكش فوصلها بعد ان قاسى في طريقه اليها من العرب شدائد . ولما دخلها استوزر ابا زيد بن عبد الواحد بن ابي حفص ونغيرلا بن يرچان ففسد باطنه وسعى في افساد الدولة . وغلب ابو زكريا بن الشهيد شيخ هنتاتة ويوسف بن علي شيخ تينملل على امر العادل

ثم خالفت عليه عرب الخلط وهسكورة وعاثوا في نواحي مراكش وخربوا بلاد دكالة فخرج اليهم ابن يرچان فلم يغن شيئاً فانفذ اليهم العادل عسكراً من الموحدين بقيادة ابراهيم بن اسماعيل فانهزم وقتل واضطربت الاحوال على العادل .

وخرج ابن الشهيد ويوسف بن على الى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة والعرب فاتفقا ايضاً على خلع العادل واضطربت الامور

ولما انتهى الى ابي العلاء صاحب الاندلس خبر اخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الضعف دعا لنفسه باشبيلية فبويع له بها واطاعه اغلب اهل الاندلس وتلقب بالمامون . وبايع له السيد ابو زيد صاحب بلنسية وهو اخو البيامي وذلك في اوائل سنة ٦٢٤ هـ

ثم كتب المامون ابو العلاء الى الموحدين الذين بمراكش يدعوهم الى بيعته ويعلمهم باجتماع اهل الاندلس والموحدين الذين بها عليه ووعدهم في ذلك ومناهم . فتوقف بعضهم عن اجابته اولاً ثم اتفقوا على مبايعته وخلع اخيه العادل فدخلوا عليه قصره وسالوه ان يخلع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ووضعوا راسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له « لا نتركك او تشهد على نفسك بالخلع » فقال لهم « اصنعوا ما بدا لكم والله لا اموت الا امير المؤمنين » فخنقوه حتي مات وكانت وفاته يوم ٢١ شوال سنة ٦٢٤ هـ وكان خيراً فاضلاً

٤٣٠ – المأمون بن المنصور

سنة ٦٢٤ هـ – ٦٢٩ هـ او من سنة ١٢٢٦ – ١٢٣١ م

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتقاض المملكة على اخيه العادل دعا لنفسه باشبيلية وبايعه اهل الاندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا ولقب المامون

وكان المامون يتخلق باخلاق الحجاج بن يوسف الثقفي في الشدة والصرامة فندم الموحدون بمراكش وتخوفوا ان ياخذهم بدم عمه عبد الواحد المخلوع ثم اخيه العادل فاتفق رايهم على مبايعة يحيى بن الناصر وكان شاباً في السادسة عشرة من عمره فبايعوه بجامع المنصور بمراكش وامتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة

من نيعته وقالوا قد بايعنا المامون فلا ننكث بيعته . وتاخر قدوم المامون الى مراكش وبقي بالاندلس لاسباب ياتي شرحها واقام يحيى بمراكش واستتب امره بعض الشيء وجهز جيشاً من الموحدين لقتال الخلط وهسكورة فانهزم جيش يحيى وعاد مفلولاً الى مراكش . ثم اضطربت الاحوال على يحيى وانتقضت البلاد وغلت الاسعار وعم الخراب والفساد بلاد المغرب واستحوذ بنو مرين على ضواحيه وضايقوا الموحدين في كثير من امصاره واقتضوا جبايته وكثرت الثوار في الاقطار على ما سنذكره ان شاء الله

في سنة ٦٢٥ هـ ثار بجبال غمارة محمد بن ابي الطواجين الكتامي المتنبي وكان ينتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع واظهر انواعاً من الشعبذة فكثر تابعوه ثم اطلعوا على كذبه فنبذوا اليه عهده وزحفت اليه العساكر من سبتة ففر عنهم ثم قتله بعض البرابرة غيلة

وانتقض امراء الاندلس على المامون واستولى كل منهم على ما بيده واستظهر كل منهم على امره بملوك الافرنج ونزلوا لهم عن كثير من الحصون ففسدت ضمائر اهل الاندلس على الموحدين وتصدى للثورة عليهم محمد بن يوسف بن هود من اعقاب الجذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة ومر ذكرهم . فانتقض في سنة ٦٢٥ هـ فسار اليه السيد ابو العباس صاحب مرسية في عسكر كثيف فهزمهم ابن هود وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي ثم زحف اليه السيد ابو زيد بن محمد اخو البياسي من شاطبة وكان والياً بها فهزمه ابن هود فرجع الى شاطبة واستجاش بالمامون وهو يومئذ باشبيلية فخرج في العساكر ولقيه ابن هود فانهزم واتبعه المامون الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت علية فاقلع عنه ورجع الى اشبيلية ثم اجاز الى المغرب كما سياتي ذكره فقوي امر ابن هود وبايعه اهل شاطبة ثم اهل قرطبة واشبيلية ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان .

وفي سنة ٦٢٩ هـ ثار محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر بحصن ارجونة من اعمال قرطبة ودعا لابي ذكريا الحفصي صاحب افريقية ثم دخل في

طاعته اهل قرطبة . وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذبا حبل الملك بها وكانت خطوب استولى الاسبانيوليون فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك واورثه بنيه وسياتي ذكر دولتهم فيما بعد ان شاء الله

وقد تقدم ان الموحدين بمراكش خنقوا العادل وبايعوا اخاه المامون ثم ندموا وبايعوا ابن اخيه يحيى بن الناصر . فوصلت بيعة الموحدين الى المامون وهو باشبيلية فسر بها وامر باقرائها على منابر الاندلس وعزم على الجواز الى مراكش فلما وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر ان الموحدين قد نكثوا بيعته و بايعوا ابن اخيه يحيي فوجم لذلك واطرق مليًا ثم انشد متمثلاً بقول حسان

لتسمعن وشيكاً في ديارهم الله اكبر ياثارات عثمانا

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويساله ان يبعث اليه جيشاً من الفرنج يجوز بهم الى العدوة لقتال يحيي ومن معه من الموحدين فشرط عليه صاحب قشتالة (كستيلة) ان يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وان يبنى بمراكش اذا دخلها الجيش النصارى الذين معه كنيسة لاتمام واجباتهم الدينية فيها وان لا يقبل اسلام من يسلم من النصارى بل يرده الى اخوانه فيحكمون عليه بمقتضى شريعتهم الى غير ذلك من الشروط المجحفة بالحقوق والتي لا يقبلها احد الا من كان على حالة المامون من الضعف والاضمحلال . فاجابه المأمون الى جميع ما طلب منه . وكان يحيي بن الناصر صاحب مراكش لما راى اختلال احواله كما ذكرنا فر بنفسه الى تينملل في سنة ٦٢٦ هـ فقدم اشياخ الموحدين الذين بها والياً يضبطها للمامون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بذلك . واستمر يحيي معتصماً بالجبل اربعة أشهر ثم بدا له فعاد الى مراكش وقتل عامل المامون الذي قدمه الموحدون بها واقام بها سبعة ايام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به واقام منتظراً لقدوم المامون ودفاعه عن مراكش . ثم بعث صاحب قشتالة جيشاً يبلغ اثنى عشر الفاً على الشروط المتقدمة الى المامون وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ٦٢٦ هـ فعبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة

من السنة (وهو اول من ادخل عسكر الفرنج ارض المغرب واستخدمهم) فاراح بسبتة اياماً ثم نهض الى مراكش حتى اذا دنا منها لقيه يحيي بجيوش الموحدين وبعد قتال شديد انهزم يحيي وفر الى الجبل . ودخل المأمون مراكش و بايعه الموحدون

والمأمون هذا هو اول من غير شرائع الموحدين التى سنها لهم محمد بن تومرت المهدي وهو أول من لعن المهدي ومحا اسمه من السكة والخطبة وكان لا يعتبر مهدياً الا عيسى

و بعد ان استتب الامر للمأمون في مراكش امر باشياخ الموحدين الذين نكثوا بيعته فقتلوا عن آخرهم وقيل كان عدد القتلى اربعة آلاف فعلقت رؤوسهم بدائر سور المدينة حتى انتنت . ثم أمر المأمون للنصارى الذين معه ببناء الكنيسة بمراكش حسب شرطهم فبنيت في الموضع المعروف بالسجينة

و بعد أن مكث المأمون بمراكش خمسة اشهر نهض الى الجبل لقتال يحيي ابن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة ٦٢٧ هـ فالتقى معه في الموضع المعروف بالكاعة فانهزم يحيي وقتل من عسكره اربعة الاف

وفي هذه السنة (٦٢٧) استبد الامير زكريا بن الشيخ ابي محمد بن ابى حفص بافريقية وخلع طاعة الموحدين

وفي سنة ٦٢٨ هـ خرجت بلاد الاندلس كلها من ملك الموحدين وتفاهم عنها ابن هود الثائر بها

وفي سنة ٦٢٩ هـ خرج على المأمون اخوه السيد ابو موسى عمران بن المنصور بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد فاتصل الخبر بالمامون فخرج اليه وبلغه في طريقه ان قبائل بني فزاز ومكلاتة قد حاصروا مكناسة وعاثوا في نواحيها فسار اليهم وحسم مادة فسادهم وعاد الى سبتة فحاصر بها اخاه السيد ابا موسى فامتنعت عليه . ولما طالت غيبة المامون عن مراكش اغتنم يحيي بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها عنوة مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومعهم ابو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها . واتصل

الخبر بالمأمون وهو على حصار سبتة فارتحل عنها مسرعاً الى مراكش وذلك في ذي الحجة من السنة ولما ابعد عن سبتة عبر ابو موسى صاحبها الى الاندلس وبايع لابن هود واعطاه سبتة فعوضه ابن هود عنها بالمرية فكان السيد ابو موسى بها الى ان مات

وتوالت هذه الاخبار على المأمون وهو في طريقه فمرض اسفاً ومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبتة وكانت وفاته في اخر يوم من سنة ٦٢٩ ﻫ وكانت أيامه ايام شقاء وعناء ومنازعة وكان مع ذلك شهماً حازماً مقداماً على عظائم الامور . وكان اذا فكر في حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاها من كثرتهم ينشد متمثلاً

تكاثرت الظباء على خداش فما يدري خداش ما يصيد

يشير الى حاله معهم وأنه لا يدري ما يتلافى من ذلك

٤٣١ — الرشيد بن المأمون

من سنة ٦٣٠ — ٦٤٠ ﻫ أو من سنة ١٢٣٢ — ١٢٤٢ م

لما توفي المأمون بن المنصور بويع لابنه عبد الواحد بن المامون بوادي العبيد ثاني يوم وفاة ابيه اعني اول يوم من سنة ٦٣٠ ﻫ ولقب الرشيد فوضع والده في تابوت وسار الى مراكش فخرج اليه يحيى بن الناصر فقاتله الرشيد وهزمه واستولى على مراكش ومكث بها الى سنة ٦٣١ ﻫ وفيها نهض الى الجبل حيثما كان يحيى واصحابه فاوقع بهم وعاد منصوراً

وفي سنة ٦٣٢ ﻫ اوقع الرشيد ببعض رؤساء الخلط لخوفه منهم فاجتمع الخلط وقدموا عليهم يحيى بن هلال بن حميدان واجلبوا على سائر النواحي واعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه وزحفوا لحصار مراكش . وخرجت عساكر الرشيد لقتالهم فانهزموا امامهم وحاصر يحيى بن الناصر ومن معه من الخلط

وهي مذكورة مدينة مراكش وشددوا عليها الحصار فخرج منها الرشيد الى سجلماسة واقتحمها يحيي واصحابه ونهبوها وساء اثرهم فيها واضطربت احوال الخلافة بها

وفي هذه السنة (٦٣٢ هـ) قدم الفرنج الجنويون ونازلوا سبتة وحاصروها حصاراً شديداً ونصبوا عليها المنجنيقات واستمروا على ذلك الى سنة ٦٣٣ هـ فلما طال الحصار على اهل سبتة صالحوا الافرنج في الافراج عنها باربعماية الف دينار فقبلوا واقلعوا عنها

وفي سنة ٦٣٣ هـ خرج الرشيد من سجلماسة قاصداً مراكش وخرج يحيى ابن الناصر لقتاله فانهزم يحيى ودخل الرشيد مراكش ظافراً ولحق يحيي بعرب معقل فغدر به بعضهم وقتله و بعث برأسه الى الرشيد فاستراحت البلاد من غاراته وكفى الله الرشيد شره

وفي سنة ٦٣٥ هـ بايع أهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود الثائر بها .

وفي سنة ٦٣٦ هـ وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وكان قد بايع اولاً ابا زكريا الحفصي صاحب افريقية ثم بدا له فرد البيعة للرشيد

وفي هذه السنة ٦٣٦ هـ استولى الفرنج بالاندلس على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار مملكتها وذلك يوم الاحد ٢٣ شوال من السنة

وفي سنة ٦٣٧ هـ انتشر بنو مرين ببلاد المغرب واشتدت شوكتهم به وانهزم الرشيد امامهم مراراً

وفي سنة ٦٤٠ هـ توفي الرشيد غريقاً في بعض صهاريج بستانه وذلك يوم الخميس ٩ جمادى الاخرة من السنة . وقيل اخرج من الماء حياً فحم لوقته ومات

٤٣٢ – السعيد علي بن المأمون

من سنة ٦٤٠ – ٦٤٦ هـ او من سنة ١٢٤٢ – ١٢٤٨ م

لما توفي الرشيد بن المأمون بويع بعده اخوه ابو الحسن السعيد علي بن المأمون وتلقب المعتضد بالله . وكان ضرر بني مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد اعضل فخرج السعيد سنة ٦٤٢ هـ لتمهيد بلاد المغرب فانتهى الى سجلماسة وكان صاحبها عبدالله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه وقتله فاستولى عليها ثم رجع حتى نزل المقرمدة من ارض فاس وعقد المهادنة مع بني مرين وقفل الى مراكش . فكانت هدنة على دخن فلم يلبث الا يسيرًا حتى عاود النهوض اليهم سنة ٦٤٣ هـ فجمع له اميرهم ابو بكر بن عبد الحق جموع زناتة وعمد نحوه حتى اذا تراءى الجمعان وتهيأ القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى ازمور واستولى عليها وغلب الموحدين عليها فرجع السعيد ادراجه في اتباعه ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فاوقع به واستلحم كثيرًا من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كانون ببني مرين ورجع السعيد الى الحضرة . ثم تقدم الامير ابو بكر بن عبد الحق المريني الى مكناسة فضايقها وخطب طاعة اهلها فثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وخطبوا لابي ذكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيهم بمراكش فبايعه اهل مكناسة بمواطئة الامير ابي بكر بن عبد الحق المريني (فانه كان يدعو اليه في اول امره وكذا اخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بامره عند ما تم له ملك المغرب كما سنبينه ان شاء الله في الدولة المرينية)

وفي هذه السنة بعث اهل اشبيلية واهل شبتة بطاعتهم للامير ابي ذكريا الحفصي . وكان ابو ذكريا قد تغلب على تلمسان و بايعه صاحبها يغمراسن بن زيان العبد وادي فعظم قدر ابي ذكريا وحدثته نفسه بالتوثب على كرسي الخلافة بمراكش

فنظر امير المؤمنين السعيد علي بن المامون كيف اقتسمت الدولة على نفسها واستبد كل واحد على عمله وتاكد ان ذلك يذهب بحياة الدولة فجمع الموحدين وخطب فيهم وحثهم على لم شعث هذه الدولة قبل تمكن اصحاب الاطراف كل في عمله فاجابوه الى ذلك . فحشد السعيد الجنود ونهض من مراكش آخر سنة ٦٤٥ هـ يريد مكناسة و بني مرين اولاً ثم تلمسان و يغمراسن ثانياً ثم افريقيـة وابن ابي حفص ثالثاً

فتقدم السعيد الى مكناسة فراى ابو بكر بن عبد الحق المريني ما لا قبل له به فافرج عن البلاد وتركها للسعيد وخرج اهل مكناسة يطلبون العفو فعفا عنهم ثم سار الى تازا متعقباً ابا بكر ومن معه من بني مرين فخاف ابو بكر وارسل بيعته للسعيد وطلب العفو عن نفسه ومن معه فقبل السعيد منه ذلك ثم تقدم السعيد الى تلمسان فارسل اليه يغمراسن بطاعته فلم يقبل منه ان لم يحضر بنفسه فتثاقل يغمراسن عن القدوم خشية على نفسه فحاصر السعيد تلمسان ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ركب مهراً وقت القيلولة على حين غفلة من الناس ليطوف بالقلعة ويتقرى مكامنها فبصر به فارس من بني عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان فانقض عليه وطعنه طعنة كانت القاضية عليه وذلك منسلخ صفر سنة ٦٤٦ هـ ولما علم عسكر السعيد بموته انهزموا بغير قتال واستولى بنو عبد الواد على معسكرهم

٤٣٣ — عمر المرتضى بن ابي ابراهيم

من سنة ٦٤٦ — ٦٦٥ هـ او من سنة ١٢٤٨ — ١٢٦٦ م

لما توفي السعيد علي بن المامون كان عمر بن المرتضي بن ابي ابراهيم ابن يوسف بن عبد المؤمن والياً من قبله بقصبة رباط الفتح من سلا فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا له البيعة و بعثوا بها اليـه ونهض متوجها الى مراكش فلقيه وفدهم اثناء طريقه بتامسنا واجتمع عليه اشياخ

وخرج ابن الشهيد ويوسف بن علي الى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة والعرب فاتفقا ايضاً على خلع العادل واضطربت الامور

ولما انتهى الى ابي العلاء صاحب الاندلس خبر اخيه العادل بمراكش وما هو فيه من الضعف دعا لنفسه باشبيلية فبويع له بها واطاعه اغلب اهل الاندلس وتلقب بالمامون . وبايع له السيد ابو زيد صاحب بلنسية وهو اخو البيامي وذلك في اوائل سنة ٦٢٤ هـ

ثم كتب المامون ابو العلاء الى الموحدين الذين بمراكش يدعوهم الى بيعته ويعلمهم باجتماع اهل الاندلس والموحدين الذين بها عليه ووعدهم في ذلك ومناهم . فتوقف بعضهم عن اجابته اولاً ثم اتفقوا على مبايعته وخلع اخيه العادل فدخلوا عليه قصره وسالوه ان يخلع نفسه فامتنع فوثبوا عليه ووضعوا راسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له « لانتركك او تشهد على نفسك بالخلع » فقال لهم « اصنعوا ما بدا لكم والله لا اموت الا امير المؤمنين » فخنقوه حتى مات وكانت وفاته يوم ٢١ شوال سنة ٦٢٤ هـ وكان خيراً فاضلاً

٤٣٠ — المأمون بن المنصور

سنة ٦٢٤ هـ — ٦٢٩ هـ او من سنة ١٢٢٦ — ١٢٣١ م

هو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتقاض المملكة على اخيه العادل دعا لنفسه باشبيلية وبايعه اهل الاندلس والموحدون بالحضرة كما قلنا ولقب المامون

وكان المامون يتخلق باخلاق الحجاج بن يوسف الثقفي في الشدة والصرامة فندم الموحدون بمراكش وتخوفوا ان ياخذهم بدم عمه عبد الواحد المخلوع ثم اخيه العادل فاتفق رايهم على مبايعة يحيى بن الناصر وكان شاباً في السادسة عشرة من عمره فبايعوه بجامع المنصور بمراكش وامتنع عرب الخلط وقبائل هسكورة

من بيعته وقالوا قد بايعنا المامون فلا ننكث بيعته · وتاخر قدوم المامون الى مراكش وبقي بالاندلس لاسباب ياتي شرحها واقام يحيى بمراكش واستتب امره بعض الشيء وجهز جيشاً من الموحدين لقتال الخلط وهسكورة فانهزم جيش يحيى وعاد مغلولاً الى مراكش · ثم اضطربت الاحوال على يحيى وانتقضت البلاد وغلت الاسعار وعم الخراب والفساد بلاد المغرب واستحوذ بنو مرين على ضواحيه وضايقوا الموحدين في كثير من امصاره واقتضوا جبايته وكثرت الثوار في الاقطار على ما سنذكره ان شاء الله

في سنة ٦٢٥ هـ ثار بجبال غمارة محمد بن ابي الطواجين الكتامي المتنبي وكان ينتحل صناعة الكيمياء ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع واظهر انواعاً من الشعبذة فكثر تابعوه ثم اطلعوا على كذبه فنبذوا اليه عهده وزحفت اليه العساكر من سبتة ففر عنهم ثم قتله بعض البرابرة غيلة

وانتقض امراء الاندلس على المامون واستولى كل منهم على ما بيده واستظهر كل منهم على امره بملوك الافرنج ونزلوا لهم عن كثير من الحصون ففسدت ضمائر اهل الاندلس على الموحدين وتصدى للثورة عليهم محمد بن يوسف بن هود من اعقاب الجذاميين ملوك الطوائف بسرقسطة ومر ذكرهم · فانتقض في سنة ٦٢٥ هـ فسار اليه السيد ابو العباس صاحب مرسية في عسكر كثيف فهزمهم ابن هود وزحف الى مرسية فدخلها واعتقل السيد بها وخطب للخليفة المستنصر العباسي ثم زحف اليه السيد ابو زيد بن محمد اخو البياسي من شاطبة وكان والياً بها فهزمه ابن هود فرجع الى شاطبة واستجاش بالمامون وهو يومئذ باشبيلية فخرج في العساكر ولقيه ابن هود فانهزم واتبعه المامون الى مرسية فحاصره مدة وامتنعت علية فاقلع عنه ورجع الى اشبيلية ثم اجاز الى المغرب كما سياتي ذكره فقوي امر ابن هود وبايعه اهل شاطبة ثم اهل قرطبة واشبيلية ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان ·

وفي سنة ٦٢٩ هـ ثار محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر بحصن ارجونة من اعمال قرطبة ودعا لابي ذكريا الحفصي صاحب افريقية ثم دخل في

طاعته اهل قرطبة . وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس وتجاذبا حبل الملك بها وكانت خطوب استولى الاسبانيوليون فيها على كثير من حصون الاندلس ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك واورثه بنيه وسياتي ذكر دولتهم فيما بعد ان شاء الله

وقد تقدم ان الموحدين بمراكش خنقوا العادل وبايعوا اخاه المامون ثم ندموا وبايعوا ابن اخيه يحيى بن الناصر . فوصلت بيعة الموحدين الى المامون وهو باشبيلية فسر بها وامر باقرائها على منابر الاندلس وعزم على الجواز الى مراكش فلما وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر ان الموحدين قد نكثوا بيعته و بايعوا ابن اخيه يحيى فوجم لذلك واطرق مليا ثم انشد متمثلاً بقول حسان

لتسمعن وشيكاً في ديارهم الله اكبر ياثارات عثمانا

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين و يساله ان يبعث اليه جيشاً من الفرنج يجوز بهم الى العدوة لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فشرط عليه صاحب قشتالة (كستيلة) ان يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وان يبني بمراكش اذا دخلها الجيش النصارى الذين معه كنيسة لاتمام واجباتهم الدينية فيها وان لا يقبل اسلام من يسلم من النصارى بل يرده الى اخوانه فيحكمون عليه بمقتضى شرعهم الى غير ذلك من الشروط المجحفة بالحقوق والتي لا يقبلها احد الا من كان على حالة المامون من الضعف والاضمحلال . فاجابه المأمون الى جميع ما طلب منه . وكان يحيى بن الناصر صاحب مراكش لما راى اختلال احواله كما ذكرنا فر بنفسه الى تينملل في سنة ٦٢٦ ﻫ فقدم اشياخ الموحدين الذين بها واليا يضبطها للمامون ريثما يقدم عليهم وجددوا له البيعة وكتبوا اليه يخبرونه بذلك . واستمر يحيى معتصماً بالجبل اربعة أشهر ثم بدا له فعاد الى مراكش وقتل عامل المامون الذي قدمه الموحدون بها واقام بها سبعة ايام ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به واقام منتظراً لقدوم المامون و دفاعه عن مراكش . ثم بعث صاحب قشتالة جيشاً يبلغ اثنى عشر الفاً على الشروط المتقدمة الى المامون وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ٦٢٦ ﻫ فعبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة في ذي القعدة

من السنة (وهو اول من ادخل عسكر الفرنج ارض المغرب واستخدمهم) فاراح بسبتة اياماً ثم نهض الى مراكش حتى اذا دنا منها لقيه يحيي بجيوش الموحدين و بعد قتال شديد انهزم يحيي وفر الى الجبل . ودخل المأمون مراكش و بايعه الموحدون

والمأمون هذا هو اول من غير شرائع الموحدين التى سنها لهم محمد بن تومرت المهدي وهو أول من لعن المهدي ومحا اسمه من السكة والخطبة وكان لا يعتبر مهدياً الا عيسى

و بعد ان استتب الامر للمأمون في مراكش امر باشياخ الموحدين الذين نكثوا بيعته فقتلوا عن آخرهم وقيل كان عدد القتلى اربعة آلاف فعلقت رؤوسهم بدائر سور المدينة حتى انتنت . ثم أمر المأمون للنصارى الذين معه ببناء الكنيسة بمراكش حسب شرطهم فبنيت في الموضع المعروف بالسجينة

و بعد أن مكث المأمون بمراكش خمسة اشهر نهض الى الجبل لقتال يحيي ابن الناصر ومن معه من الموحدين وذلك في رمضان سنة ٦٢٧ هـ فالتقى معه في الموضع المعروف بالكاعة فانهزم يحيي وقتل من عسكره اربعة الاف

وفي هذه السنة (٦٢٧) استبد الامير زكريا بن الشيخ ابي محمد بن ابى حفص بافريقية وخلع طاعة الموحدين

وفي سنة ٦٢٨ هـ خرجت بلاد الاندلس كلها من ملك الموحدين وتفاقم عنها ابن هود الثائر بها

وفي سنة ٦٢٩ هـ خرج على المأمون اخوه السيد ابو موسى عمران بن المنصور بمدينة سبتة وتسمى بالمؤيد فاتصل الخبر بالمامون فخرج اليه وبلغه في طريقه ان قبائل بني فزاز ومكلاتة قد حاصروا مكناسة وعاثوا في نواحيها فسار اليهم وحسم مادة فسادهم وعاد الى سبتة فحاصر بها اخاه السيد ابا موسى فامتنعت عليه . ولما طالت غيبة المامون عن مراكش اغتنم يحيي بن الناصر الفرصة فنزل من الجبل واقتحمها عنوة مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى ومعهم ابو سعيد بن وانودين شيخ هنتاتة وعاثوا فيها وهدموا كنيسة النصارى التي بنيت بها . واتصل

الخبر بالمأمون وهو على حصار سبتة فارتحل عنها مسرعاً الى مراكش وذلك في ذي الحجة من السنة ولما ابعد عن سبتة عبر ابو موسى صاحبها الى الاندلس وبايع لابن هود واعطاه سبتة فعوضه ابن هود عنها بالمرية فكان السيد ابو موسى بها الى ان مات

وتوالت هذه الاخبار على المأمون وهو في طريقه فمرض اسفاً ومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبتة وكانت وفاته في اخر يوم من سنة ٦٢٩ ﻫ وكانت أيامه ايام شقاء وعناء ومنازعة وكان مع ذلك شهماً حازماً مقداماً على عظائم الامور . وكان اذا فكر في حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم وما دهاها من كثرتهم ينشد متمثلاً

تكاثرت الظباء على خداش　　فما يدري خداش ما يصيد

يشير الى حاله معهم وأنه لا يدري ما يتلافى من ذلك

٤٣١ — الرشيد بن المأمون

من سنة ٦٣٠ — ٦٤٠ ﻫ أو من سنة ١٢٣٢ — ١٢٤٢ م

لما توفي المأمون بن المنصور بويع لابنه عبد الواحد بن المأمون بوادي العبيد ثاني يوم وفاة ابيه اعني اول يوم من سنة ٦٣٠ ﻫ ولقب الرشيد فوضع والده في تابوت وسار الى مراكش فخرج اليه يحيى بن الناصر فقاتله الرشيد وهزمه واستولى على مراكش ومكث بها الى سنة ٦٣١ ﻫ وفيها نهض الى الجبل حيثما كان يحيى واصحابه فاوقع بهم وعاد منصوراً

وفي سنة ٦٣٢ ﻫ اوقع الرشيد ببعض رؤساء الخلط لخوفه منهم فاجتمع الخلط وقدموا عليهم يحيى بن هلال بن حميدان واجلبوا على سائر النواحي واعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر واستقدموه من مكانه وزحفوا لحصار مراكش . وخرجت عساكر الرشيد لقتالهم فانهزموا امامهم وحاصر يحيى بن الناصر ومن معه من الخلط

وهي كورة مدينة مراكش وشددوا عليها الحصار فخرج منها الرشيد الى سجلماسة واقتحمها يحيى واصحابه ونهبوها وساء اثرهم فيها واضطربت احوال الخلافة بها

وفي هذه السنة (٦٣٢ هـ) قدم الفرنج الجنويون ونازلوا سبتة وحاصروها حصاراً شديداً ونصبوا عليها المنجنيقات واستمروا على ذلك الى سنة ٦٣٣ هـ فلما طال الحصار على اهل سبتة صالحوا الافرنج في الافراج عنها باربعماية الف دينار فقبلوا واقلعوا عنها

وفي سنة ٦٣٣ هـ خرج الرشيد من سجلماسة قاصداً مراكش وخرج يحيى ابن الناصر لقتاله فانهزم يحيى ودخل الرشيد مراكش ظافراً ولحق يحيى بعرب معقل فغدر به بعضهم وقتله و بعث برأسه الى الرشيد فاستراحت البلاد من غاراته وكفى الله الرشيد شره

وفي سنة ٦٣٥ هـ بايع أهل اشبيلية للرشيد ونقضوا طاعة ابن هود الثائر بها .

وفي سنة ٦٣٦ هـ وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وكان قد بايع اولاً ابا زكريا الحفصي صاحب افريقية ثم بدا له فرد البيعة للرشيد

وفي هذه السنة ٦٣٦ هـ استولى الفرنج بالاندلس على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار مملكتها وذلك يوم الاحد ٢٣ شوال من السنة

وفي سنة ٦٣٧ هـ انتشر بنو مرين ببلاد المغرب واشتدت شوكتهم به وانهزم الرشيد امامهم مراراً

وفي سنة ٦٤٠ هـ توفي الرشيد غريقاً في بعض صهاريج بستانه وذلك يوم الخميس ٩ جمادى الاخرة من السنة . وقيل اخرج من الماء حياً فحم لوقته ومات

٤٣٢ - السعيد علي بن المأمون

من سنة ٦٤٠ - ٦٤٦ هـ او من سنة ١٢٤٢ - ١٢٤٨ م

لما توفي الرشيد بن المأمون بويع بعده اخوه ابو الحسن السعيد علي بن المأمون وتلقب المعتضد بالله . وكان ضرر بني مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد اعضل فخرج السعيد سنة ٦٤٢ هـ لتمهيد بلاد المغرب فانتهى الى سجلماسة وكان صاحبها عبدالله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه وقتله فاستولى عليها ثم رجع حتى نزل المقرمدة من ارض فاس وعقد المهادنة مع بني مرين وقفل الى مراكش . فكانت هدنة على دخن فلم يلبث الا يسيرًا حتى عاود النهوض اليهم سنة ٦٤٣ هـ فجمع له اميرهم ابو بكر بن عبد الحق جموع زناتة وعمد نحوه حتى اذا تراءى الجمعان وتهيأ القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى ازمور واستولى عليها وغلب الموحدين عليها فرجع السعيد ادراجه في اتباعه ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فاوقع به واستلحم كثيرًا من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ولحق كانون ببني مرين ورجع السعيد الى الحضرة . ثم تقدم الامير ابو بكر بن عبد الحق المريني الى مكناسة فضايقها وخطب طاعة اهلها فثارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه وخطبوا لابي زكريا الحفصي صاحب افريقية وكان قد استبد على بني عبد المؤمن ورام التغلب حتى على كرسيهم بمراكش فبايعه اهل مكناسة بواسطة الامير ابي بكر بن عبد الحق المريني (فانه كان يدعو اليه في اول امره وكذا اخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بامره عند ما تم له ملك المغرب كما سنبينه أن شاء الله في الدولة المرينية)

وفي هذه السنة بعث اهل اشبيلية واهل شبتة بطاعتهم للامير ابي ذكريا الحفصي . وكان ابو ذكريا قد تغلب على تلمسان و بايعه صاحبها يغمراسن بن زيان العبد وادي فعظم قدر ابي ذكريا وحدثته نفسه بالتوثب على كرسي الخلافة بمراكش

فنظر امير المؤمنين السعيد علي بن المامون كيف انقسمت الدولة على نفسها واستبد كل واحد على عمله وتاكد ان ذلك يذهب بحياة الدولة فجمع الموحدين وخطب فيهم وحثهم على لم شعث هذه الدولة قبل تمكن اصحاب الاطراف كل في عمله فاجابوه الى ذلك . فحشد السعيد الجنود ونهض من مراكش آخر سنة ٦٤٥ ﻫ يريد مكناسة و بني مرين اولاً ثم تلمسان و يغمراسن ثانياً ثم افريقيـة وابن ابي حفص ثالثاً

فتقدم السعيد الى مكناسة فراى ابو بكر بن عبد الحق المريني ما لا قبل له به فافرج عن البلاد وتركها للسعيد وخرج اهل مكناسة يطلبون العفو فعفا عنهم ثم سار الى تازا متعقباً ابا بكر ومن معه من بني مرين فخاف ابو بكر وارسل بيعته للسعيد وطلب العفو عن نفسه ومن معه فقبل السعيد منه ذلك ثم تقدم السعيد الى تلمسان فارسل اليه يغمراسن بطاعته فلم يقبل منه ان لم يحضر بنفسه فتثاقل يغمراسن عن القدوم خشية على نفسه فحاصر السعيد تلمسان ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع ركب مهراً وقت القيلولة على حين غفلة من الناس ليطوف بالقلعة ويتقرى مكامنها فبصر به فارس من بني عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان فانقض عليه وطعنه طعنة كانت القاضية عليه وذلك منسلخ صفر سنة ٦٤٦ ﻫ ولما علم عسكر السعيد بموته انهزموا بغير قتال واستولى بنو عبد الواد على معسكرهم

٤٣٣ — عمر المرتضى بن ابي ابراهيم

من سنة ٦٤٦ — ٦٦٥ ﻫ او من سنة ١٢٤٨ — ١٢٦٦ م

لما توفي السعيد على بن المامون كان عمر بن المرتضي بن ابي ابراهيم ابن يوسف بن عبد المؤمن والياً من قبله بقصبة رباط الفتح من سلا فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا له البيعة و بعثوا بها اليـه ونهض متوجها الى مراكش فلقيه وفدهم اثناء طريقه بتامسنا واجتمع عليه اشياخ

العرب وبايعوه ايضاً واستقام امره وتلقب بالمرتضي وعقد ليعقوب بن كانون على بني جابر ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان . ثم دخل الحضرة واستوزر أبا محمد بن يونس من قرابته

ولما توفي السعيد استولى ابو بكر بن عبد الحق المريني على رباط تازا ومكناسة ثم استولى سنة ٦٤٧ ﻫ على فاس واعمالها فاقتطع عن المرتضي بلاد المغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من سلا الى السوس

ولاول دولة المرتضي هذا استولت دولة الاسبانيين على اشبيلية بالاندلس وهي احدى عواصمه وذلك يوم الاثنين ٥ شعبان سنة ٦٤٦ﻫ وانحصر ملك المسلمين في الاندلس في مقاطعة غرناطة وملوكها بنو الاحمر

وفي سنة ٦٥٣ ﻫ خرج المرتضي من مراكش لاسترجاع فاس واعمالها من يد بني مرين المتغلبين عليها وكان جيشه ٨٠ الف فارس فسار حتى نزل جبل بني بهلول قبلة فاس وكانت هيبة بني مرين وناموسهم قد تمكن من قلوب جيش المرتضي فكانوا مذ قربوا من احواز فاس لا ينامون الاغراراً . فانطلق ذات ليلة فرس لبعض الجنديين وجرى بين الاخبية وجرى الناس خلفه ليمسكوه فظن اهل المحلة ان بني مرين قد اغاروا عليهم فركبوا خيولهم وماج بعضهم في بعض وانقلبوا منهزمين لا يلوون على شيء. واتصل الخبر بابي بكر بن عبد الحق المريني وهو بفاس فخرج للوقت واستولى على جميع ما في محلة الموحدين. وعاد المرتضى الى مراكش واعرض عن بنى مرين سائر ايامه فقوي امرهم واستفحل سلطانهم .

وفي سنة ٦٥٥ ﻫ استولى ابو بكر بن عبد الحق المريني على سجلماسة ثم توفي ابو بكر بعد ذلك بقليل وقام بعده يعقوب بن عبد الحق فضايق الموحدين كثيراً وحاصر مراكش مدة ثم افرج عنها . ومن سوء حظ المرتضي انه فضلاً عن مضايقة المرينيين له ثار عليه عمه ابو العلاء ادريس الملقب بابي دبوس ولحق بيعقوب ابن عبد الحق المريني فاكرم الامير يعقوب وفادته وامده على قتال المرتضى بخمسة الاف من شجعان بني مرين . فسار ابو دبوس حتى وصل الى سلا فكتب منها

الى العرب واشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة المرتضى يدعوهم الى بيعته ويعدهم ويمنيهم فتلقته وفود العرب والمساكرة وصنهاجة آزمور ببعض الطريق فبايعوه وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة . ثم كتب الى خاصته من وزراء المرتضى ان يعلموه بحال البلاد والدولة فراجعوه « ان اسرع السير واقبل ولا تخش شيئاً فانا قد فرقنا الجند في اطراف البلاد وهذا وقت انتهاز الفرصة » فزحف ابو دبوس الى مراكش ومعه عرب سفيان وبني جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفياني فلما دنوا من مراكش اغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رمحه بمصراع الباب

ودخلت سنة ٦٦٥ ﻫ والمرتضى بمراكش غافل عن شان ابي دبوس والاسوار خالية من الحامية والحراس . فقصد ابو دبوس باب اغمات وتسور البلد من هناك ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فهرب المرتضي ناجياً بنفسه من باب الفاتحة ولحق بازمور ونزل على صهر له من بني عطوش كان والياً عليها من قبله . وكان ابن عطوش هذا قد اسره العدو فافتداه المرتضي بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه آزمور . فلما وقعت عليه الكائنة بمراكش ذهب اليه مستجيراً به ومطمئناً اليه فكان من جزائه له ان قبض عليه وقيده وكتب الى ابي دبوس يعلمه فارسل اليه من اخذه وقتله في الطريق وكان قتل المرتضي في شهر ربيع الآخر من سنة ٦٦٥ ﻫ

٤٣٤ — ابو العلاء ادريس الواثق بالله المعروف بابي دبوس

من سنة ٦٦٥ — ٦٦٨ ﻫ او من سنة ١٢٦٦ — ١٢٦٩ م

لما دخل ابو دبوس مراكش وفر منها المرتضي على ما تقدم بايعه كافة الموحدين واهل العقد والحل من الوزراء . واستقل ابو دبوس بمملكة مراكش . ولما علم يعقوب بن عبد الحق المريني بانتصار ابي دبوس ارسل اليه يهنئه ويطلب

منه ماشرطه على نفسه عند ما امده بعساكره . فلما وصل كتاب يعقوب الى ابي دبوس ادركته النخوة وغلب عليه الكبر وقال للرسول « قل ليعقوب بن عبد الحق يغتنم سلامته ويبعث الي ببيعته حتى اقره على ما بيده والا غزوته بجنود لا قبل له بها »

فعاد الرسول الى الامير يعقوب وابلغه الخبر ودفع اليه كتاب ابي دبوس فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلفاء لعمالهم والروساء لخدمهم فتحقق الامير يعقوب نكثه وغدره فنهض اليه في جموع بني مرين وحاصره بمراكش مدة وضيق عليه . فلما راى ابو دبوس عدم امكانه مدافعة يعقوب كتب الى يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان يطلب اليه الاغارة على بلاد المغرب التي بيد بني مرين ففعل والتزم يعقوب ان يخرج عن مراكش ليقاتل يغمراسن وبعد ان حسم مادة فساده عاد قاصداً مراكش مرة اخرى فخرج اليه ابو دبوس في جموع الموحدين فالتقوا بوادي ودغفوا والتحم القتال وقامت الحرب على قدم وساق فلم تمض الا ساعة حتى انهزم الموحدون واطلق ابو دبوس عنانه للفرار يريد مراكش فادركته خيل بني مرين وقتلوه واتوا به الى الامير يعقوب فسجد شكراً لله ثم بعث به الى فاس وتقدم هو الى مراكش فاستولى عليها في اوائل المحرم سنة ٦٦٨ هـ وفر الموحدون الذين كانوا بمركش الى جبل تينملل فبايعوا اسحق بن ابي ابراهيم اخا المرتضي فبقي ذبالة هناك الى سنة ٦٧٤ هـ فقبض عليه وجيء به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق فقتله وانقرضت دولة بني عبد المؤمن من الارض والبقاء لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه

٤٣٥ — الدولة الزنكية بالجزيرة والشام

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع الدولة السلجوقية مؤسسها الاتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر وكان من موالي السطان ملك شاه السلجوقي وعظم امره بين الوزراء حتى ولاه السلطان محمود شحنكية العراق سنة ٥٢١ هـ وكان البرسقي والياً على حلب فقتله الباطنية بالموصل وكان مملوكاً تركياً شجاعاً فاقام ابنه مسعوداً والياً بحلب فلما قتل ابوه سار الى الموصل وملك بها مكان ابيه واستخلف على حلب اميراً اسمه قيماز ثم استخلف بعده رجلاً اسمه قتلغ فاساء السيرة فخلعه اهل حلب وولوا عليهم سليمان بن عبد الجبار

ثم توفى مسعود بن البرسقي امير الموصل هذه السنة (٥٢١ هـ) فولى السلطان محمود السلجوقي عماد الدين زنكي على الموصل وما يليها فسار اليها واستولى عليها وهذا بداية ملكه الى ان كان ما سنذكره ان شاء الله

٤٣٦ — عماد الدين زنكي بن اقسنقر

من سنة ٥٢١ — ٥٤١ هـ او من سنة ١١٢٧ — ١١٤٦ م

لما استولى عماد الدين زنكي على الموصل سنة ٥٢١ هـ ارسل عسكراً الى حلب ومعه توقيع السلطان محمود بالشام فاجاب اهل حلب اليه وسيروا قائد العسكر سليمان ابن عبد الجبار وقتلغ الى زنكي فاصلح بينهما ولم يرد احدهما الى حلب . ثم سار عماد الدين زنكي بنفسه الى حلب وملك منبج في طريقه واستبشر اهل حلب بقدومه فرتب امور حلب وسمل عيني قتلغ فمات

وفي سنة ٥٢٣ هـ عبر عماد الدين زنكي الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بوري بن طغدكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فارسل بوري الى ابنه سونج الذى كان نائباً عن

ابيه بحماة يامره بالمسير الى عماد الدين زنكي فسار اليه فغدر زنكي به وقبض عليه ونهب خيامه واعتقله وجماعة من مقدمي عسكره بحلب وسار زنكي الى حماة فملكها لخلوها من الجند ثم رحل عنها الى حمص وحاصرها مدة وكان قد غدر بصاحبها ايضاً الذي يسمى قيرجان بن قراجا وقبض عليه واحضره معه الى حمص وامره ان يامر ابنه وعسكره بتسليم حمص اليه فامرهم فلم يلتفتوا اليه فلما يئس وازنكي منها رحل عنها عائداً الى الموصل واستصحب سونج وامراء دمشق معه و بذل له بوري مالا في ابنه فلم يجبه الى طلبه .

وفي سنة ٥٢٤ هـ عاد زنكي من الموصل الى الشام وقصد حصن الاثارب القريب من حلب وكان اهله الافرنج يضايقون اهل حلب. وجمع الافرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا زنكي فرحل عن الاثارب وسار الى ملتقاهم و بعد قتال شديد انهزم الفرنج وقتل منهم كثيرون واسر بعض فرسانهم . ثم عاد زنكي الى الاثارب واخذه عنوة وقتل واسر كل من فيه وخربه فبقي خرابا للان

وفي سنة ٥٢٦ هـ كاتب السلطان سنجر عماد الدين زنكي ودبيس بن صدقة وامرهما بقصد العراق فسارا ونزلا بالمنارية من دجيل وعبر الخليفة المسترشد الى الجانب الغربي فنزل بالعباسية والتقى العسكران بحصن البرامكة فابتداء زنكي فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه . وحمل نصر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس وعماد الدين وقتل من عسكرهما جماعة فلحق الاتابك بالموصل .

وفي سنة ٥٢٧ هـ ارسل الخليفة المسترشد الشيخ بهاء الدين ابا الفتوح الاسفرايني الواعظ الى عماد الدين زنكي برسالة فيها عتاب اغلظ فيه وزادها ابو الفتوح غلاظة ثقة بقوة الخليفة وناموس الخلافة . فقبض عليه زنكي واهانه واقيه بما يكره . فسمع الخليفة فسار عن بغداد في ٣٠ الف مقاتل فلما قارب الموصل فارقها اتابك زنكي في بعض عسكره وترك الباقي بها مع نائبه نصير الدين ونازلها الخليفة في رمضان وقاتلها وضيق عليها . فتواطأ جماعة من الجصاصين بالموصل على

تسليم البلد فسمي بهم فصلبوا . وبقي الحصار على الموصل نحو ٣ اشهر ولم يظفر منها بشيء ولا بلغه عن بها وهن ولا قلة ميرة وقوت فرحل عنها عائداً الى بغداد . وفي هذه السنة سار شمس الملوك اسماعيل بن بوري صاحب دمشق الى حماة وهي لعماد الدين زنكي وحصرها فملكها عنوة وطلب اهلها منه الامان فامنهم ثم انحل امر اسماعيل بن بوري وضعفت دولته واستطال عليه الافرنج وخشي عاقبة امرهم فاستدعي الاتابك زنكي سراً ليملكه دمشق ويريح نفسه . وشعر بذلك اهل دولته فشكوا الى امه فوعدتهم خيراً ثم اغتالته وقتلته وجاء الاتابك زنكي الى دمشق وحصرها وضيق على اهلها فقام برفع الحصار مملوك لطغدكين اسمه معين الدين انز واستولى على الامر بسبب ذلك (وقد تقدم ذكر ذلك في الدولة البورية) ولما لم ير زنكي مطمعاً في اخذ دمشق اصطلح مع أهلها ورحل عنها

وفي سنة ٥٣٠ هـ اجتمع الملوك واصحاب الاطراف ببغداد وخرجوا عن طاعة السلطان مسعود السلجوقي وسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر اذربيجان الى بغداد ثم سار اليها عماد الدين زنكي بعده من الموصل وخطب للملك داود ببغداد . ولما بلغ السلطان مسعوداً الخبر جمع العساكر وسار الى بغداد وحصرها نيفاً وخمسين يوماً فلم يظفر بهم فعزم على العود الى همذان فوصله طرنطاي صاحب واسط ومعه سفن كثيرة فعاد اليها فاختلفت كلمة الامراء المجتمعين ببغداد فعاد الملك داود الى بلاده وتفرق الامراء وكان عماد الدين زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الخليفة الراشد وسار معه الى الموصل في نفر يسير من اصحابه . ودخل السلطان مسعود بغداد واستقر بها وجمع القضاة والشهود والفقهاء وعرض عليهم اليمين التي حلف بها الراشد له وفيها بخطه « انه متى جمع او خرج لحرب السلطان فقد خلع نفسه » فافتوا بخلعه ونصب للخلافة المقتفي بن المستظهر فارسل الاتابك زنكي رسوله الى بغداد وهو القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري وبايع للمقتفي بعد ان ثبت عنده الخلع وانصرف الى الاتابك باقطاع

من خاصة الخليفة ولم يكن ذلك لاحد قبله · وانصرف الراشد من الموصل الى اذربيجان سنة ٥٣١ هـ

وكان قد تسلم شهاب الدين محمود صاحب دمشق مدينة حمص وقلعتها سنة ٥٣٠ هـ فان اصحابها اولاد قيرجان بن قراجا ضجروا من كثرة تعرض عماد الدين زنكي لهم فراسلوا شهاب الدين في ان يسلموها اليه و يعطيهم عوضها تدمر فاجابهم الى ذلك فتسلمها واقطعها لمملوك جده معين الدين انز · فلما راى عسكر زنكى بحماة وحلب خروج حمص الى صاحب دمشق تابعوا الغارات على بلادها فارسل شهاب الدين الى زنكي في الصلح فاستقر بينهما وكف عسكر زنكي عن حمص ولم يكن ذلك الا لمدة وجيزة فان زنكي نازل حمص سنة ٥٣١ هـ فلم يمكنه معين الدين انز من فتحها فرحل عنها الى بعرين وهي للفرنج وضيق عليها فاجتمع الفرنج ليدفعوه عن بعرين وجرى بينهم قتال شديد اجلى عن انهزام الفرنج ودخول بعضهم الى حصن بعرين فحصر زنكي الحصن وضيق عليه فطلب الفرنج الامان فقرر عليهم تسليم حصن بعرين وخمسين الف دينار فاجابوه الى ذلك فاطلقهم وتسلم الحصن· ثم فتح المعرة وكفر طاب واخذها من الفرنج

وفي سنة ٥٣٢ هـ سار زنكي الى حماة وسار منها الى بقاع بعلبك فملك حصن المجدل وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس واطاعه ثم سار زنكي الى حمص فحصرها ثانية ثم رحل عنها الى سلمية بسبب نزول الروم على حلب كما سياتي · ثم عاد الى منازلة حمص فسلمت اليه المدينة والقلعة وارسل فخطب ام شهاب الدين محمود صاحب دمشق وهي التي قتلت ابنها شمس الملوك اسماعيل وانما حمله على التزوج بها ما رآه من تحكمها في دمشق فظن انه يملك البلد بالاتصال اليها فلما تزوجها خاب امله ولم يحصل على شيء فاعرض عنها

وكان ملك الروم المدعو يوحنا كمنانس قد خرج سنة ٥٣١ هـ متجهزاً من بلاده فاشتغل بقتال الارمن وصاحب انطاكية وغيره من الفرنج فلما دخلت سنة ٥٣٢ هـ سار الى بزاغة وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصرها وملكها بالامان

ثم غدر باهلها وقتل فيها واسر وسبى فتنصر قاضيها واربع ماية نفس من اهلها واقام فيها عشرة ايام ثم رحل عنها بمن معه الى حلب ونزل على قويق (نهرها) وزحف اليها وجرى بينه وبين اهلها قتال كثير فانهزم الروم ورحلوا الى الاثارب وملكوها وتركوا فيها سبايا بزاغة وتركوا عندهم من الروم من يحفظهم وساروا نحو شيزر فخرج الامير اسوار نائب عماد الدين زنكي بحلب واوقع بمن في الاثارب من الروم واستفك اسرى بزاغة وسباياها . وسار ملك الروم الى شيزر وحصرها ونصب عليها ثمانية عشر منجنيقاً وارسل صاحب شيزر ابو العساكر بن منقذ الكناني الى زنكي يستنجده فسار زنكي ونزل على العاصي بين حماة وشيزر بحيث يراهم الروم . واقام ملك الروم محاصراً شيزر ٢٤ يوماً ثم رحل عنها من غير ان ينال منها غرضاً . وسار زنكي في اثر الروم فظفر بكثير ممن تخلف منهم . ومدح الشعراء زنكي بسبب ذلك ومن هذا ما قاله مسلم بن خضر الحموي من ابيات اولها

بعزمك ايها الملك العظيم تذل لك الصعاب وتستقيم

ومنها

الم تر ان كلب الروم لما تبين انه الملك الرحيم
فجاء فطبق الفلوات خيلاً كأن الجحفل الليل البهيم
فحين رميته بك في خميس تيقن فوت ما امسى يروم
كانك في العجاج شهاب نور توقد وهو شيطان رجيم

وفي سنة ٥٣٣ هـ ملك اتابك زنكي بن اقسنقر بعلبك . وفي سنة ٥٣٤ هـ ملك شهر زور واعمالها . وفي سنة ٥٣٧ هـ فتح اتابك زنكي مدينة الرها من الفرنج وحاصر قلعة البيرة (وهي للفرنج) وضيق عليها وقارب ان يفتحها فجاء خبر قتل نصير الدين نائبه بالموصل فسار عنها . فخاف من بالبيرة من الفرنج ان يعود اليهم فارسلوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلموها اليه فملكها المسلمون

وفي سنة ٥٤١ هـ لخمس مضين من ربيع الآخر قتل اتابك عماد الدين زنكي ابن اقسنقر صاحب الموصل والشام وهو يحاصر قلعة جعبر قتله جماعة من مماليكه

ليلاً غيلة وهربوا الى قلعة جعبر . فصاح من بها من اهلها الى العسكر يعلمونهم بقتله فاظهروا الفرح . فدخل اصحابه اليه فادركوه وبه رمق وفاضت روحه لوقته وكان قد زاد عمره على ستين سنة وقد وخطه الشيب وكان شديد الهيبة على عساكره ورعيته عظيم السياسة وكانت الموصل قبل ان يملكها اكثرها خراب بحيث يقف الانسان قرب محلة الطبالين ويرى الجامع العتيق والعرصة ودار السلطان ليس بين ذلك عمارة . وكان الانسان لا يقدر على المشي في الجامع العتيق الا ومعه من يحميه وهو الان في وسط العمارة . وكانت الموصل من اقل بلاد الله فاكهة فصارت في ايامه وما بعدها من اكثر البلاد فواكه ورياحين

٤٣٧ ـ نور الدين محمود بن زنكي

من سنة ٥٤١ – ٥٦٩ ﻫ او من سنة ١١٤٦ – ١١٧٣ م

لما توفي الاتابك عماد الدين زنكي أخذ ولده نور الدين محمود خاتمه من يده وكان حاضراً معه وسار الى حلب وملكها . وكان أخوه سيف الدين غازي بمدينة شهر زور وهي اقطاعه فارسل اليه زين الدين علي كوجك نائب ابيه عماد الدين زنكي بالموصل يستدعيه الى الموصل فحضر واستقر ملك سيف الدين غازي على البلاد وبقي اخوه نور الدين محمود بحلب وهي له

قد تقدم معنا ان عماد زنكي استولى على مدينة الرها سنة ٥٣٧ ﻫ من التاريخ وكان صاحبها اسمه جوسلين فلما قتل زنكي عند حصاره حصن جعبر اغرى جوسلين سكان الرها النصارى أن يسلموها اليه فدخل اليها وملكها وحاصر قلعتها فدهمه نور الدين بن زنكي في عسكر جرار من حلب وارغمه على ترك الرها ونهب المدينة وأسر أهلها وانهزم بعضهم الى اماكن أخرى اما جوسلين فقبض عليه نور الدين بحيلة وسجنه بحلب حيث توفي سنة ١١٤٩ م (٥٤٤ ﻫ) واستولى نور الدين على الرها ولم يقدر الافرنج على منعها

وفي سنة ٥٤٤ ﻫ توفي سيف الدين غازي بن اتابك زنكي صاحب الموصل بها من

مرض حاد · فلما اشتد مرضه ارسل الى بغداد واستدعى اوحد الزمان ابا البركات فحضر عنده ورأى شدة مرضه فعالجه فلم ينجح الدواء وتوفي آخر جمادي الآخرة وكانت ولايته ٣ سنين وولى امر الموصل والجزيرة بعده اخوه قطب الدين مودود · وكان اخوه نور الدين بحلب فسار الى سنجار وملكها ولم يحاققه أخوه قطب الدين وتسلم هو مدينة حمص والرحبة فبقي نور الدين بالشام واخوه قطب الدين بالجزيرة

وفي هذه السنة (٥٤٤ هـ) هاجم ريموند دي بواتيا امير انطاكية نور الدين بن زنكي على غير روية لانه كان شجاعاً وكانت تتصل به الشجاعة الى التهور فهزمه نور الدين وتقدم قاصداً حصن حارم فدافعه عنه ريموند المذكور ولكن نور الدين انتصر عليه مرة اخري وقتل ريموند في هذه الوقعة

وفي سنة ٥٤٦ هـ جمع نور الدين محمود عسكره وسار الى بلاد جوسلين وهي تل باشر وعنتاب وعزاز وغيرها من حصون شمالي حلب · وكان جوسلين شجاعاً حسن الرأي فسار في عسكره نحو نور الدين فالتقوا واقتتلوا وانهزم المسلمون وأسر منهم وقتل جمع كثير وكان في جملتهم سلاحدار نور الدين فاخذه جوسلين ومعه سلاح نور الدين فسيره الى الملك مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونية واقصرا وقال له « هذا سلاحدار زوج ابنتك وسيأتيك بعده ما هو اعظم منه » · فلما علم نور الدين الحال عظم ذلك عليه واعمل الحيلة على جوسلين وهجر الراحة ليأخذ ثاره واحضر جماعة من الامراء التركمان وبذل لهم الرغائب ان هم ظفروا بجوسلين وسلموه اليه لانه علم عجزه عنه في القتال · فجعل التركمان عليه العيون · فخرج متصيداً فظفر به طائفة منهم وحملوه الى نور الدين أسيراً فسار نور الدين الى قلاع جوسلين وملكها

وفي سنة ٥٤٩ هـ استولى نور الدين محمود بن زنكي على مدينة دمشق وأخذها من صاحبها مجير الدين ازبن محمد بن بوري وكان سبب حرصه على ملكها ان الافرنج كانوا استولوا على عسقلان في السنة السالفة وقويت شوكتهم حتى استعرضوا كل مملوك وجارية من النصارى بدمشق فمن أراد المقام بها تركوه ومن اراد العود الى وطنه اخذوه قهراً شاء صاحبه او ابى وكان لهم على اهلها كل سنة قطيعة يأخذونها منهم فكان رسلهم يدخلون البلد ويأخذونها منهم · فلما رأى نور الدين ذلك خاف ان يملك الفرنج دمشق فلا يبقى للمسلمين بالشام مقام فراسل نور الدين مجير الدين وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه · وسار نور الدين الى دمشق فعام مجير الدين

بغدره فارسل الى الفرنج يبذل لهم الاموال وتسليم قلعة بعلبك اليهم لينجدوه ويرحلوا نور الدين عنه • فشرعوا في جمع فارسهم وراجلهم ليزيحوا نور الدين عن دمشق فقبل ان يجتمع لهم ما يريدون تسلم نور الدين البلد فعادوا بخفي حنين • ودخل نور الدين دمشق من الباب الشرقي وحصر مجير الدين في القلعة وراسله في تسليمها ويبذل له اقطاعاً في جملته مدينة حمص فقبل وسلمه القلعة وسار الى حمص فاعطاه نور الدين عوض حمص بالس فلم يرضها مجير الدين وسار عنها الى العراق واقام ببغداد وابتنى بها داراً • وبعد ان استولى نور الدين على دمشق طمع في كثير من البلاد وكان منصوراً في اكثر حركاته فاستولى في مدة قصيرة على تل باشر وشيزر وبعلبك

وفي سنة ٥٥٤ هـ مرض نور الدين بحلب مرضاً شديداً خيف منه على حياته وكان معه اخوه الاصغر امير اميران فجمع اخوه هذا وحاصر قلعة حلب • وكان شيركوه بن شادي اكبر امرائه بحمص فلما بلغه الارجاف سار الى دمشق ليملكها وعليها اخوه نجم الدين ايوب فكر عليه وامره بالمسير الى حلب حتى يتبين حياة نور الدين من موته فسار الى حلب وصعد القلعة واظهر نور الدين للناس من سطح مشرف فافترقوا عن اخيه امير اميران فسار الى حران فملكها • فلما شفي نور الدين سلمها الى زين الدين علي كجك نائب اخيه قطب الدين بالموصل

وفي سنة ٥٥٩ هـ هرب شاور وزير العاضد الفاطمي من مصر من ضرغام الذي نازعه الوزارة الى الشام ملتجئاً الى نور الدين ومستجيراً به وطلب منه ارسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه على ان يكون لنور الدين ثلث دخل البلاد فتقدم نور الدين بتجهيز الجيوش وقدم عليها اسد الدين شيركوه فتجهزوا وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم • ووصل اسد الدين والعساكر الى بلبيس • فخرج اليهم اخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم • وخرج ضرغام من القاهرة فقتل وقتل اخوه ايضاً • وخلع العاضد على شاور واعيد الى الوزارة • واقام اسد الدين خارج القاهرة فغدر به شاور وعاد عما كان قرره لنور الدين وارسل الى الفرنج يستمدهم فسارعوا الى تلبية دعوته وتجهزوا وساروا • فلما قارب الفرنج مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينة بلبيس وجعلها ظهراً يتحصن به فحصره بها العساكر المصرية والفرنج ثلاثة اشهر وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضاً • فراسل الفرنج اسد

الدين من الصلح والعود الى الشام فاجابهم الى ذلك والسبب الذي حمل الفرنج على مصالحة اسد الدين هجوم نور الدين على قلعة حارم وانتصاره على الفرنج بالشام واسره كونت انطاكية وكونت طرابلس

ولما وصل اسد الدين الى الشام اتحدت عساكره مع عساكر مولاه نور الدين وساروا الى بانياس وفتحوها وكانت بيد الفرنج من سنة ١١٤٩ م

وفي سنة ١١٦٦ م فتح نور الدين حصن المنيطرة

وفي سنة ٥٦٣ هـ فارق زين الدين علي بن سبكتكين النائب عن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة صاحبه بالموصل وسار الى اربل . وكان هو الحاكم في الدولة واكثر البلاد في يده فلما عزم على مفارقة الموصل الى بيته باربل سلم جميع ما كان بيده من البلاد الى قطب الدين مودود وكان شجاعاً عادلاً حسن السيرة سليم القلب كثير العطاء للجند وغيرهم . مدحه الحيص بيص بقصيدة فلما اراد ان ينشده قال «انا اعرف ما تقول ولكني اعلم انك تريد شيئاً» وامر له بخمسماية دينار وفرس وخلعة سنية وثياب مجموع ذلك الف دينار . ولم يزل باربل الى ان مات

وفي سنة ٥٦٤ هـ ملك نور الدين قلعة جعبر . وفيها سار شيركوه بعسكر الى مصر وسبب ذلك تمكن الفرنج من البلاد المصرية وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس قهراً ونهبوها وقتلوا اهلها واسروهم ونزلوا على القاهرة وحصروها فاحرق شاور مدينة مصر القديمة وامر اهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها ٥٤ يوماً فارسل العاضد الخليفة الفاطمي بمصر الى نور الدين يستغيث به وصانع شاور الفرنج على الف الف دينار يحملها لهم وحمل اليهم ماية الف دينار وسالهم ان يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال فرحلوا . وجهز نور الدين العسكر مع شيركوه وارسل معه عدة امراء منهم ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب . ولما قرب شيركوه من مصر رحل الفرنج الى بلادهم واجتمع شيركوه بالعاضد الخليفة فخلع عليه . وطالب شيركوه شاور بما فرض على نفسه لنور الدين واقرار ثلث البلاد له فماطله شاور وعزم على الغدر باسد الدين شيركوه على ان يعمل دعوة لشيركوه وامراء عسكره ويقبض عليهم فمنعه ابنه الكامل وفي الوقت نفسه كان عسكر شيركوه ساعياً في الفتك بشاور . واتفق على ذلك صلاح الدين وغيره من الامراء فنهاهم عن ذلك شيركوه واتفق ان شاور قصد شيركوه

ليزوره على عادته فلم يجده بل وجد صلاح الدين فعند وصوله وثب عليه صلاح الدين ومن معه وقتلوه وارسلوا راسه الى العاضد . ودخل شيركوه بعد ذلك القصر فخلع عليه العاضد خلعة الوزراء ولقبه الملك المنصور امير الجيوش . على ان شيركوه لم يل الوزارة الا شهرين وخمسة ايام واتاه اجله فاحضر العاضد صلاح الدين يوسف بن ايوب وولاه الوزارة وسماه الملك الناصر وثبت قدم صلاح الدين على انه نائب لنور الدين محمود بن زنكي . وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين اباه ايوب واهله فارسلهم نور الدين اليه وشرط عليهم طاعته

وفي سنة ٥٦٥ هـ في شوال مات قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل وكان لما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده لابنه الاكبر عماد الدين زنكي ثم عدل عنه لابنه الاخر وهو سيف الدين غازي وانما فعل ذلك لان القيم بامور دولته كان خادماً يقال له فخر الدين عبد المسيح وكان بكره عماد الدين لانه طوع عمه نور الدين وكان نور الدين يبغض عبد المسيح فاتفق عبد المسيح وخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش ابن ابلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين . ورحل عماد الدين الى عمه نور الدين مستنصراً به ليعينه على اخذ الملك لنفسه . ولما بلغ نور الدين محمود بن زنكي وفاة اخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وملك ولده سيف الدين غازي الموصل وتحكم فخر الدين عبد المسيح عليه انف لذلك وسار بجريدة في قلة من العسكر وعبر الفرات عند قلعة جعبر وملك الرقة والخابور ونصيبين وحاصر سنجار وملكها وسلمها الى عماد الدين ابن اخيه واتى مدينة بلد وعبر دجلة عندها مخاضة الى الجانب الشرقي ونزل الى حصن نينوي

ومن غريب الاتفاق انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة فارسل فخر الدين عبد المسيح الى نور الدين في تسليم البلد اليه على ان يقره بيد سيف الدين ويطلب لنفسه الامان ولماله واهله فاجيب الى ذلك وشرط ان فخر الدين يأخذه معه الى الشام ويعطيه عنده اقطاعاً مرضية فتسلم البلد ودخل القلعة وامر بعمارة الجامع النوري وسلم الموصل الى سيف الدين وسنجار لعماد الدين وعاد الى الشام واستصحب معه فخر الدين عبد المسيح وكان مقامه بالموصل ٢٤ يوماً

قد ذكرنا وزارة صلاح الدين يوسف بن ايوب بمصر للعاضد وانه لم يكن الا نائباً عن نور الدين محمود بن زنكي فلما قوي امر صلاح الدين قطع خطبة العاضد سنة ٥٦٧ هـ

وخطب للمستضيء العباسي واظهر الامتثال لنور الدين وانه يلي مصر من قبله . ولكن وقعت بينهما وحشة باطنة والسبب في ذلك ان صلاح الدين نازل الشوبك وهي للفرنج ثم رحل عنه خوفاً من انه ياخذه فلا يبقى ما يعوق نور الدين عن قصد مصر متى اراد . وبلغ ذلك نور الدين وكتمه وتوحش باطنه لصلاح الدين . وجمع صلاح الدين اقاربه وكبراء دولته وقال « بلغني ان نور الدين يقصدنا فما الرأي » فقال عمر ابن اخيه « نقاتله ونقصده » فانكر ايوب ابوه ذلك وقال « انا ابوكم لو رأيت نور الدين نزلت وقبلت الارض بين يديه بل اكتب الى نور الدين لو جاءني من عندك انسان واحد وربط المنديل في عنقي وجرني اليك سارعت الى ذلك » ثم اخذ صلاح الدين في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين انا كنت اول من يمنعه ولكن اذا اظهرنا نحن ذلك يترك نور الدين جميع ما فيه ويقصدنا ولا ندري ما تكون العاقبة واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل ما به الكفاية عند الله » فكان كما قال ايوب

وفي سنة ٥٦٨ هـ سار صلاح الدين من مصر الى الكرك وحصرها وكان قد واعد نور الدين ان يجتمعا عليها وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم وهو بالقرب من القلعة فخاف صلاح الدين من الاجتماع بنور الدين فرحل عن الكرك وارسل تحفاً الى نور الدين واعتذر ان اباه مريض ويخشى ان يموت فتذهب مصر . فعلم نور الدين مقصده وقبل عذره في الظاهر ورجع صلاح الدين الى مصر ونور الدين الى دمشق

وفي سنة ٥٦٩ هـ توفي نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر يوم الاربعاء ١١ شوال . ولم يكن في سير الملوك احسن من سيرته ولا اكثر تحرياً للعدل منه وكان لا ياكل ولا يلبس ولا يتصرف في الذي يخصه الا من ملك خاص كان له قد اشتراه من سهمه من الغنيمة . ولقد شكت اليه زوجته من الضائقة فاعطاها ثلاثة دكاكين في حمص كانت له يحصل منها في السنة نحو العشرين ديناراً . فلما استقلتها قال لها « ليس لي الا هذا وجميع ما في يدي انا فيه خازن للمسلمين لا اخونهم فيه ولا اخوض نار جهنم لاجلك »

٤٣٨ — الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين

من سنة ٥٦٩ — ٥٧٧ ه او من سنة ١١٧٣ — ١١٨١ م

لما توفي نور الدين محمود بن زنكي تولى بعده ابنه اسماعيل بن نور الدين وتلقب الملك الصالح وكان عمره ١١ سنة واطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له فيها وضرب السكة باسمه . وقام بكفالته وتدبير دولته الامير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم . وكان نور الدين قبلما يتوفي قد كاتب ابن اخيه سيف الدين غازي عامله على الموصل وكمشتكين امير قلعتها بالحضور لديه فسار اليه سيف الدين غازي وكمشتكين في العساكر وبلغهم في طريقهم خبر وفاته وكان كمشتكين في المقدمة فهرب الى حلب . واستولى سيف الدين غازي على مخلفه وسواده وعاد الى نصيبين فملكها وبعث العساكر الى الخابور فاستولى عليها وعلى اقطاعها ثم ثار الى حران وبها قايماز الحراني مولى نور الدين فحاصره اياماً ثم استنزله على ان يقطعه حران فلما نزل قبض عليه وملكها ثم سار الى الرها وبها خادم لنور الدين فتسلمها وعوضه عنها قلعة الزعفراني من جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد قليل ثم سار الى الرقة وسروج وملكها واستوعب بلاد الجزيرة ما عدا قلعة جعبر لامتناعها

وفي سنة ٥٧٠ ه لما ملك سيف الدين غازي الديار الجزرية خاف الامراء الذين في دمشق وحلب لئلاً يعبر اليهم سيف الدين فسيروا الملك الصالح ومعه العساكر الى حلب ليصد سيف الدين عن العبور الى الشام . فلما خلت دمشق من السلطان والعساكر سار اليها صلاح الدين فملكها وملك بعدها حمص وبعلبك وحماة وسار الى حلب فحصرها فركب الملك الصالح وهو صبي عمره اثنتا عشرة سنة وجمع اهل حلب وقال لهم « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه ياخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق » وقال من هذا كثيراً وبكى فابكى الناس واتفقوا على القتال دونه فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه

وفي سنة ٥٧١ ه ملك صلاح الدين قلعة عزاز ونازل حلب ثانية وبها الملك الصالح وقد قام العامة في حفظ البلد المقام المرضي وترددت الرسل بينهم في الصلح فوقعت الاجابة اليه من الجانبين ورحل صلاح الدين عن حلب بعد ان أعاد قلعة عزاز الى الملك

الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختاً له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وقال لها ماتريدين قالت « اريد قلعة عزاز » وكانوا قد علموها ذلك . فسلمها اليهم ورحل

وفي هذه السنة (٥٧١ هـ) كانت وقعة بين صلاح الدين وسيف الدين غازي بتل السلطان وكان مع سيف الدين صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما فانهزم سيف الدين ومن معه واستولى صلاح الدين على اثقال عسكرهم واستولى على كثيرمن بلاد سيف الدين ثم اصطلح صلاح الدين وسيف الدين والملك الصالح وتحالفوا على ان يكونوا كلهم عوناً على الناكث الفاسد

وفي سنة ٥٧٦ هـ توفي سيف الدين غازي بن مودودبن زنكي صاحب الموصل وولي اخوه عز الدين الموصل واعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده معز الدين سنجر شاه واعطى قلعة شوش وبلد الحميدية لابنه الصغير ناصر الدين كبك وكان المدبر لدولة عز الدين مجاهد الدين قيماز واستقرت الامور ولم يختلف اثنان

وفي سنة ٥٧٧ هـ في رجب توفي الملك الصالح اسماعيل بن نورالدين محمود صاحب حلب بها وعمره نحو ١٩ سنة . فلما يئس من نفسه احضر الامراء واوصاهم بتسليم البلد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل

٤٣٩ — عز الدين مسعود بن مودود

من سنة ٥٧٧ — ٥٨٩ هـ او من سنة ١١٨١ — ١١٩٣ م

لما توفي الملك الصالح عهد بالملك بعده لابن عمه عز الدين فسار الى حلب واقام بها شهرين ثم سلمها لاخيه عماد الدين واخذ عوضاً عنها مدينة سنجار

وفي سنة ٥٧٨ هـ عبر صلاح الدين الفرات الى الديار الجزرية وملك الرها وحران والرقة وقرقيسيا وماكسين وعربان ونصيبين وسار الى الموصل وبها عزالدين مسعود صاحبها ونائبه مجاهد الدين قيماز وقد جمعا بها العساكر الكثيرة من فارس وراجل واظهرا من السلاح وآلات الحصار ما حارت له الابصار . فلما قرب صلاح الدين من البلد رأى ما هاله وملأ صدره وصدور اصحابه ومع هذا نزل عليها وانشب القتال وخرج اليه يوماً بعض العامة فنال منه واخذ لالكة من رجله فيها المسامير الكثيرة ورمى

بها اميراً يقال له جاولى الاسدي وهو مقدم الاسدية وكبيرهم فاصاب صدره فوجد لذلك ألماً شديداً وأخذ اللالكة وعاد عن القتال الى صلاح الدين وقال « قد قابلنا اهل الموصل بحماقات ما راينا مثلها بعد » والقى اللالكة وحلف انه لا يعود الى القتال انفة حيث ضرب بها • فلما رأى صلاح الدين انه لا ينال من الموصل غرضاً ولا يحصل على غير العناء والتعب سار عنها الى سنجار وملكها

وفي سنة ٥٧٩ هملك صلاح الدين آمد وسلمها لنور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب الحصن ثم سار الى حلب فنزل بجبل جوشن واظهر انه يريد ان يبني مساكن له ولاصحابه وعساكره • فمال عماد الدين زنكي الى تسليم حلب الى صلاح الدين واخذ العوض عنها فتقرر الصلح على ان يسلم حلب الى صلاح الدين ويأخذ عوضاً عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج • وجرت اليمين على ذلك فباعها بابخس الاثمان اعطى حصناً مثل حلب وأخذ عوضها قري ومزارع فقبح الناس كلهم ما اتى

وفي سنة ٥٨١ ه سار صلاح الدين الى الموصل وحصرها مرة ثانية فسير اتابك عز الدين صاحبها والدته اليه ومعها ابنة عمه نور الدين محمود وغيرهما من النساء وجماعة من اعيان الدولة يطلبون المصالحة وكل من عنده ظنوا انهن اذا طلبن منه الشام اجابهن الى ذلك لا سيما ومعهن ابنة مخدومه وولي نعمته نور الدين • فلما وصلن اليه انزلهن واعتذر باعذار غير مقبولة واعادهن خائبات • فبذل العامة نفوسهم غيظاً وحنقاً لرده النساء • فندم صلاح الدين على رده النساء وجاءته كتب القاضي الفاضل وغيره يقبحون فعله وينكرونه

وكان عامة الموصل يعبرون دجلة فيقاتلون من الجانب الشرقي من العسكر ويعودون فعزم صلاح الدين على قطع دجلة عن الموصل الى ناحية نينوى ليعطش اهل الموصل فيملكها بغير قتال • ثم علم انه لا يمكنه قطعه بالكلية وان المدة تطول والتعب يكثر فاعرض عنه ورحل الى ميافارقين لانه بلغه ان صاحبها مات وتولى عليها مولاه بكتمر فلما ملك ميافارقين عاد الى الموصل سنة ٥٨٢ ه وترددت الرسل بين صلاح الدين وعز الدين في الصلح على ان يتنازل عز الدين لصلاح الدين عن شهر زور واعمالها وولاية القرابلي وما وراء الزاب ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على سكته فاجابه عز الدين على ما طلب

وكان سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود مالكاً على جزيرة ابن عمر

كما تقدم وكان يكره عمه عز الدين حتى صار عيناً عليه يكاتب صلاح الدين باخباره ويغريه به فلما حاصر صلاح الدين قلعة عكا سنة ٥٨٦ هـ واستنفر لها اصحاب الاطراف المتشبثين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصل واخيه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين وسنجر شاه هذا ابن عمه وصاحب كيفا وغيرهم . واجتمعوا عنده على عكا . وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يتظلمون من سنجر شاه فخاف واستأذن في الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بان في ذلك افتراق هذه العساكر . فالح عليه في ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلماً فوعده وانصرف

وكان تقي الدين عمر بن شاه اخي صلاح الدين مقبلاً من حماة في عسكره فارسل اليه صلاح الدين باعتراضه ورده طوعاً او كرهاً وكتب صلاح الدين الى عز الدين صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر فظنها هذا مكيدة وراجعه وطلب اقطاع الجزيرة فاسعفه وسار اليها وحاصرها اربعة اشهر فامتنعت عليه ثم صالحه سنجر شاه سيف الدين على نصف اعمالها ورجع عز الدين الى الموصل

وفي سنة ٥٨٩ هـ توفي صلاح الدين يوسف بن ايوب فطمع عز الدين مسعود في الاستيلاء على بلاد الجزيرة التي كان انتزعها منه صلاح الدين مثل حران والرها وسميساط وميافارقين وكان المستولي عليها العادل ابو بكر بن ايوب . واستشار عز الدين اصحابه في التقدم عليها فاشاروا اليه بذلك وان يستنجد اصحاب الاطراف مثل صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله حرباً ويعاجل البلاد قبل ان يستعد اهله للمدافعة

فسار عز الدين في عساكره من الموصل الى نصيبين واجتمع باخيه عماد الدين وساروا الى الرها وقد عسكر العادل قريباً منهم بمرج الريحان وخافهم فأقاموا اياماً كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع اخيه عماد الدين ورجع الى الموصل .

ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها شهرين واشتد مرضه فتوفي آخر شعبان سنة ٥٨٩ هـ وكان خيراً محسناً حليماً قليل المعاقبة حيياً كثير الحياء لم يكلم جليساً الا وهو مطرق وما قال في شيء مثله الا حياً وكرم طبع

٤٤٠ – نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين

من سنة ٥٨٩ – ٦٠٧ هـ او من سنة ١١٩٣ – ١٢١ م

لما توفى عز الدين مسعود بن مودود تولى بعده ابنه نور الدين ارسلان شاه وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايماز مدبر دولة ابيه

وفي سنة ٥٩٤ هـ توفي عماد الدين بن مودود صاحب سنجار والخابور ونصيبين والرقة وسروج وهي التي عوضه صلاح الدين عن حلب لما اخذها منه. وملك بعده ابنه قطب الدين وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش مولى ابيه

ولما توفي عماد الدين طمع نور الدين في الاستيلاء على بلاده وتجهز في جمادي سنة ٥٩٤ هـ وسار الى نصيبين ولما بلغ قطب الدين الخبر سار في عسكره ليمنعه فسبقه نور الدين الى نصيبين فلما وصل لقيه فهزمه نور الدين ودخل الى قلعة نصيبين مهزوماً ثم سار منها الى حران ومعه نائبه مجاهد الدين برنقش وكاتبوا العادل ابا بكر بن ايوب يستحثونه من دمشق . واقام نور الدين بنصيبين حتى وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل في رمضان من السنة وعاد قطب الدين اليها

ولما عاد قطب الدين الى الموصل سار العادل الى ماردين فحاصرها اياماً وضيق عليها ثم انصرف ثم اعاد العساكر مع ابنه الكامل لحصارها ثانية فعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر وخافوا ان ملكها يغلبهم على امرهم . وهم لم يساعدوا العادل عند تقدمه لقتال نور الدين الا خوفاً منه ولكثرة عساكره فلما رجع الى دمشق وبقي ابنه الكامل على ماردين استهانوا بامره وطمعوا في مدافعته واغراهم بذلك الظاهر والافضل ابنا صلاح الدين لفتنتهم مع عمهم العادل . فتجهز نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وسار اول شعبان سنة ٥٩٥ هـ وانتهى الى دنيسر واقام بها ثم لحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجر شاه بن غازي صاحب جزيرة ابن عمر حتى اذا انقضى عيد الفطر

ارتحلوا وتقدموا الى مزاحمة الكامل على ماردين وكان اهل ماردين خلال ذلك قد ضاق مخنقهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولي على دولة صاحبها الى الكامل يراوده في الصلح وتسليم القلعة له الى اجل مسمى على ان يبيح لهم ما يقوتهم من الميرة فاسعفهم بذلك وبينما هم في ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وزحف الكامل مهزوماً الى معسكره بالربض فخرج اهل القلعة اليهم وقاتلوهم الى المساء ثم اجفل الكامل من ليلة منتصف شوال وعاد الى بلاده ونهب اهل القلعة مخلفه ثم عاد المجتمعون كل الى بلده ونور الدين الى الموصل

وفي سنة ٦٠٥ هـ قتل سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وتولى بعده ابنه محمود

وفي سنة ٦٠٦ هـ ملك العادل ابو بكر بن ايوب بلد الخابور ونصيبين وحصر مدينة سنجار والجميع من اعمال الجزيرة وهي بيد قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود وسبب ذلك ان قطب الدين المذكور كان بينه وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة فلما كانت سنة ٦٠٥ هـ اصهر العادل بن ايوب صاحب مصر والشام الى نور الدين في ابنته فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطمح الى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فاغرى العادل بان يظاهره على ولاية ابن عمه قطب الدين فاجاب الى ذلك العادل واطمع نور الدين في انه يقطع ولاية قطب الدين اذا ملكها لابنه الذي هو صهره على ابنته وتحالفا على ذلك

وسار العادل سنة ٦٠٦ هـ من دمشق لملك الخابور . وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط وانه يملك البلاد كما يحب دونه ان وفى له وان سار نور الدين الى الجزيرة فربما حال بنو العادل بينه و بين الموصل وان انتقض نور الدين عليه سار اليه فاضطرب في امره وملك العادل الخابور ونصيبين واعتزم قطب الدين على ان يعتاض منه عن سنجار ببعض البلاد فمنعه من ذلك احمد بن برتقش مولى ابيه وجهز نور الدين عسكراً مع ابنه القاهر مدداً للعادل كما اتفقا عليه . وفي خلال

ذلك بعث قطب الدين ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل يستنجده فارسل الى العادل شافعاً في امره فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه . فغضب مظفر الدين وارسل الى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو فاجاب نور الدين الى ذلك ورجع عن مظاهرة العادل وارسل هو ومظفر الدين الى الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى صاحب الروم يستجدانهما فاجاباهما وتداعوا الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجار وبعث الخليفة الناصر استاذ الدار ابا نصر هبة الله بن المبارك ابن الضحاك والامير اقباش من خواص مواليه في الافراج عن سنجار وتخاذل اصحابه عن مضايقة سنجار معه وسيما اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه جاهر بخلافه في ذلك فاجاب العادل في الصلح على ان تكون نصيبين والخابور اللذان ملكهما له وتبقى سنجار لقطب الدين وتحالفوا على ذلك ورجع العادل الى حران

وفي سنة ٦٠٧ هـ اواخر رجب توفي نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل وكانت مدة ملكه ثماني عشرة سنة وكان شهماً شجاعاً ذا سياسة للرعية شديداً على اصحابه اعاد ناموس البيت الاتابكي وجاهه وحرمته بعد ان كانت قد ذهبت . ولما حضره الموت رتب في الملك ولده القاهر عز الدين مسعوداً وأمر ان يتولى تدبير مملكته ويقوم بحفظها وينظر في مصالحها مملوكه بدر الدين لؤلؤ لما رأى من عقله وسداد رأيه وحسن سياسته وكمال السيادة فيه

٤٤١ – الملك القاهر بن نور الدين

من سنة ٦٠٧ – ٦١٥ هـ او من سنة ١٢١٠ – ١٢١٨ م

ولما توفي نور الدين ارسلان شاه تولى بعده ابنه الملك القاهر وقام بتدبير دولته مولى ابيه لؤلؤ كوصية ابيه نفسه . فقام لؤلؤ بتدبير الدولة احسن قيام واستمر

الحال كذلك الى ان توفي الملك القاهر سنة ٦١٥ هـ وكانت ولايته سبع سنين وتسعة اشهر

٤٤٢ – نور الدين ارسلان شاه بن الملك القاهر

من سنة ٦١٥ – ٦١٥ هـ او من سنة ١٢١٨ – ١٢١٨ م

لما توفي الملك القاهر تولى بعده ابنه نور الدين ارسلان شاه وعمره حينئذ عشر سنين وصار الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لؤلؤ . وكان عمه عماد الدين زنكي بن ارسلان شاه صاحب العقر يحدث نفسه بالملك فرقع بدر الدين لؤلؤ ذلك الخرق ورتق ذلك الفتق واحسن السيرة مع الخاص والعام وخلع على كافة الناس وغير ثياب الحداد عنهم فلم يخص بذلك شريفاً دون وضيع ولا كبيراً دون صغير . وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين ارسلان شاه بالولاية ولبدر الدين لؤلؤ بالنظر في امور دولته

وكان مظفر الدين كوكوري بن زين الدين صاحب اربل قام في نصر عماد الدين زنكي فملكه قلعة العمادية وباقي قلاع الهكارية والزوزان . فراسله بدر الدين يذكره الايمان والعهود ويطالبه بالوفاء بها . ثم نزل عن هذا ورضي عنه بالسكوت لا لهم ولا عليهم . فلم يكف مظفر الدين كوكوري عن معاضدة عماد الدين فارسل بدر الدين الى الملك الاشرف موسى بن الملك العادل وهو صاحب ديار الجزيرة وخلاط وانتمى اليه وصار في طاعته وطلب منه المعاضدة فاجابه بالقبول وبذل له المساعدة وارسل الى مظفر الدين يقبح هذه الحالة ويقول له ان يرجع الى الحق والا قصده هو بنفسه وعسكره . فلم يجب مظفر الدين بشيء من ذلك الى ان حضرت الرسل من الخليفة الناصر ومن الملك الاشرف في الصلح فاطاعوا .

ولم تطل ايام نور الدين ارسلان شاه لانه توفي في ذات السنة التي تولى فيها وهي سنة ٦١٥ هـ

٤٤٣ — ناصر الدين بن الملك القاهر

من سنة ٦١٥ – ٦٣١ هـ أو من سنة ١٢١٨ – ١٢٣٣ م

ولما توفي نور الدين اقام لؤلؤ بعده اخاه ناصر الدين محموداً وله من العمر نحو ثلاث سنين وركبه بدر الدين فطابت نفوس الناس اذ علموا ان لهم سلطاناً من البيت الاتابكي

ولما مات نور الدين تجدد لعماد الدين ومظفر الدين الطمع لصغر سن ناصر الدين فجمعا الرجال وتجهزا للحركة . فلما بلغ ذلك بدر الدين لؤلؤاً ارسل الى عز الدين ايبك مقدم عساكر الاشرف بنصيبين يستدعيهم ليعتضد بهم فساروا الى الموصل رابع رجب سنة ٦١٥ هـ واستراحوا اياماً ثم عبروا دجلة ونزلوا شرقيها على فرسخ من الموصل . وجمع مظفر الدين عسكره وسار اليهم ومعه عماد الدين زنكي فعبر الزاب وسبق خبره وعند انتصاف الليل سار ايبك بعسكره ولم يصبر الى الصبح فتقطعوا في الليل والظلمة والتقوا هم والخصم على ثلاثة فراسخ من الموصل . فاما عز الدين فحمل على ميسرة مظفر الدين وبها زنكي فهزمها . وميمنة مظفر الدين حملت على ميسرة بدر الدين وهزمتها وبقي بدر الدين في النفر الذي معه في القلب وتقدم اليه مظفر الدين في من معه في القلب اذ لم يفترقوا فلم يمكنه الوقوف فعاد الى الموصل هارباً وعبر دجلة الى القلعة وتبعه مظفر الدين واقام وراء تل حصن نينوى ثلاثة ايام ورحل ليلاً من غير ان يضربوا كوساً ولا بوقاً . ثم ملك عماد الدين قلعة الكواشي وملك بدر الدين تل اعفر وملك الاشرف سنجار وسار يريد الموصل ليجتاز منها الى اربل فاتاه رسل الخليفة ومظفر الدين في الصلح وبذل تسليم القلاع المأخوذة جميعها الى بدر الدين ما عدا قلعة العمادية وطال الحديث في ذلك نحو شهرين . ثم اصطلحوا على ترك الموصل لبدر الدين لؤلؤ فاستبد بها لنفسه دون مولاه ناصر الدين الذي استمر ملكاً بالاسم الى ان توفي سنة ٦٣١ هـ

٤٤٤ — بدر الدين لؤلؤ

من سنة ٦٣١ — ٦٥٧ هـ أو من سنة ١٢٣٣ — ١٢٥٨ م

لما توفي ناصر الدين بن الملك القاهر استولى على ملكه بعده مولى ابيه بدر الدين لؤلؤ واتاه تقليد الخليفة بذلك فخطب له بالسلطنة على منابر الموصل واعمالها وتلقب الملك الرحيم فاستمر على هذا الحال الى ان توفي سنة ٦٥٧ هـ وتولي بعده ولده الملك الصالح الموصل وولده علاء الدين سنجار وولده سيف الدين الجزيرة فابقاهم التتر الذين كانوا قد تغلبوا على البلاد في هذه الايام قليلاً ثم خلعوهم وشردوهم وانقرض ملك الدولة الزنكية ومواليها كأنها لم تكن والبقاء لله وحده

٤٤٥ — الدولة الخوارزمية بايران

(تمهيد) كان لاحد امراء السلجوقية المدعو بلكباك مملوك اسمه انوشتكين وكان قد اشتراه من رجل من غرشتان فظهرت عليه نجابة وفطنة جعلتا مولاه يركن اليه ويسلم له اموره فعلا قدر انوشتكين هذا لدى مولاه بلكباك وخدمه بامانة طول حياته وولد له عنده ولد سماه محمداً واعتني بتربيته اعتناء خصوصياً فشب عالماً حتى جذب انظار الجميع اليه . فلما ولي الامير حبشي (احد امراء السلجوقية) على خراسان نظر في من يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن انوشتكين هذا لما رأى من نجابته ونشاطه وعلمه فولاه خوارزم ولقبه خوارزم شاه فقام بما عهد اليه خير قيام حتى احبته قلوب الرعية . ولما ولي الملك سنجر السلجوقي على خراسان اقر محمد بن انوشتكين على خوارزم كما كان فاستمر كذلك الى ان توفي فولي بعده ابنه اتسز (يقال اتسز والصواب اقسس) فمد ظلال الامن وافاض العدل وكان قد قاد الجيوش ايام ابيه فتدرب على الفنون الحربية فقر به السلطان سنجر السلجوقي وعظمه واعتضد به واستصحبه في حروبه واسفاره

فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدماً وعلواً . واقسس هذا هو اول من حدثته نفسه بالملك بل هو راس الدولة الخوارزمية التي نحن بصددها لانه لما راى في نفسه الكفاية ابى الا ان يكون متبوعاً لا تابعاً واظهر هذا الميل للمقربين اليه فعضدوه عليه فاشهر راية العصيان على السلطان سنجر سنة ٥٣٣ هـ

٤٤٦ — اقسس بن محمد بن انوشتكين

من سنة ٥٣٣ هـ — ٥٥١ هـ او من سنة ١١٣٨ — ١١٥٦ م

ولما علم السلطان سنجر بعصيان اقسس بن محمد بن انو شتكين خوارزم شاه سار اليه بخيله ورجاله وتجهز اقسس خوارزم شاه لدفاعه لكنه لم يكن لذلك الحين قادراً على مدافعة السلطان سنجر فانهزم امامه وقتل كثير من عسكره وقتل ابنه ايضاً فحزن عليه حزناً شديداً . واستولى السلطان سنجر على خوارزم واقطعها ابن اخيه سليمان شاه بن محمد وعاد الى مرو . فلما عاد السلطان سنجر الى مرو رجع اقسس الى خوارزم وكان اهلها يودون عودته اليهم لاحسانه فيهم فقبلوه بفرح ففارقها سليمان شاه واستقر الامر لاقسس فيها

ولم يكن اقسس خوارزم شاه يأمن جانب السلطان سنجر ويعلم عدم مقدرته عن مقاومته فراسل قوم الخطا (الخطا ويقال الخطاى قوم من التتر الشرقيين تملكوا بلاد الصين الشمالية وجزءاً من بلاد التتر) ليقصدوا بلاد السلطان سنجر واطمعهم في ذلك وسهل عليهم امر امتلاكها فقصدوه سنة ٥٣٦ هـ وانهزم السلطان سنجر امامهم هزيمة شنعاء فطمع خوارزم شاه في بلاد خرسان فقصد سرخس في ربيع الاول من سنة ٥٣٦ هـ المذكورة فطلب اهلها الامان فامنهم ثم قصد مرو فامتنع اهلها واستعدوا لدفاعه فقاتلهم وافتتح مرو عنوة يوم ١٧ ربيع الاول من السنة وملكها ثم عاد الى خوارزم وامر الخطيب بقطع الخطبة للسلطان سنجر (وكان لا يزال يخطب له بها) فقطع خطبة السلطان سنجر في ذي القعدة من السنة وخطب لاقسس خوارزم شاه فثار العامة لذلك حتى التزم اقسس ان يامر باعادة الخطبة

السلطان سنجر

ولما علم سنجر بما كان من خوارزم شاه قصده سنة ٥٣٨ ﻫ وحاصر المدينة وضيق عليها وكاد يفتحها لولا عدم تدبير قواده فرجع . فظن خوارزم شاه انه سيجمع له جيشاً اعظم ويقصده مرة اخرى فارسل اليه رسلاً يبذل الطاعة والمال ويعود الى ما كان عليه من الانقياد فاجابه الى ذلك واصطلحا وعاد سنجر الى مرو

واستمر الحال كذلك الى ان توفي اقسس بن محمد بن انو شتكين خوارزم شاه سنة ٥٥١ ﻫ من فالج كان قد اصابه فاستعمل له ادوية شديدة الحرارة بغير امر الاطباء فاشتد مرضه وضعفت قوته فتوفي وكان يقول عند الموت « ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه »

٤٤٧ — ايل ارسلان بن اقسس

من سنة ٥٥١ — ٥٦٨ ﻫ او من سنة ١١٥٦ — ١١٧٢ م

لما توفي اقسس بن محمد تولى بعده ابنه ايل ارسلان واول عمل باشره انه قام على نفر من عمومته وقتلهم وسمل اخاً له فتوفي بعد ثلاثة ايام وارسل الى السلطان سنجر (وكان قد هرب من اسر الغز) يبذل له الطاعة والانقياد فكتب له منشوراً بولاية خوارزم وارسل له الخلع في رمضان من السنة . وساد الامن والسلام في نواحي خوارزم في مدة ايل ارسلان هذا وتجنب هو التداخل في الفتن التي كثرت حوله في مدته الى ان كانت سنة ٥٦٨ ﻫ وفيها عبر الخطا من جيحون يريدون خوارزم . فسار خوارزم شاه في عسكره الى اموية (مدينة مشهورة غربي جيحون) ليقاتلهم ويصدهم فمرض فاقام بها وسير جيشه بقيادة احد امرائه اليهم فلقيهم وانهزم الخوارزميون واسر قائدهم ورجع به الخطا الى ما وراء النهر . وعاد خوارزم شاه الى خوارزم مريضاً وتوفي بها في ذات السنة

٤٤٨ – سلطان شاه محمود بن ايل ارسلان

من سنة ٥٦٨ – ٥٦٨ هـ او من سنة ١١٧٢ – ١١٧٢ م

لما توفي ايل ارسلان بن اقسس تولي بعده ابنه سلطان شاه محمود فثار عليه اخوه الاكبر علاء الدين تكش وقصد ملك الخطا واستمده على اخيه . فسير معه جيشاً كثيفاً فلما قاربوا خوارزم خرج سلطان شاه منها ومعه امه وقصد خراسان وملك تكش خوارزم

٤٤٩ علاء الدين تكش بن ايل ارسلان

من سنة ٥٦٨ – ٥٩٦ هـ أو من سنة ١١٧٢ – ١١٩٩ م

واستتب الامر في خوارزم لعلاء الدين تكش واتبع سيرة ابيه من الخلود الى السكينة حتى اذا مكنته الفرص من الاستيلاء على البلاد هب من نومه لالتهام ما حوله . ولكن هذه الحركة جاءت بعد جمود طويل فجاءت متأخرة لانه لم يلبث طويلاً حتى توفي فتمم ابنه مقاصده كما ستراه أن شاء الله

والسبب في طمع علاء الدين في الاستيلاء على البلاد هو اختلاف الامراء السلجوقيين المستولين عليها لذلك الحين ففي سنة ٥٩٠ هـ خرج السلطان طغرل ابن الب ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي من الحبس وملك همذان وغيرها بعد حروب طويلة جرت بينه و بين قتلغ اينانج ابن البلهوان صاحبها فانهزم قتلغ ولحق بالري ومن هناك ارسل الى علاء الدين تكش خوارزم شاه يستنجده فساراليه فلما قرب منه ندم قتلغ اينانج على استدعائه خوارزم شاه وخاف على نفسه فمضى من بين يديه وتحصن في قلعة له فوصل خوارزم شاه الى الري وملكها وحصر قلعة طبرك وفتحها بعد يومين وراسله طغرل واصطلحا وبقيت الري في يد خوارزم شاه فرتب فيها عسكراً يحفظها وعاد الى خوارزم

وحدث اثناء غياب خوارزم ان اخاه سلطان شاه الذي ذكرنا خبر مسيره الى خراسان انتهز فرصة غياب اخيه وسار الى خوارزم ليأخذها فمنعه اهلها عن ذلك فعاد الى مرو بالخيبة . فلما حضر خوارزم شاه علاء الدين وعلم ما كان من اخيه اسرع اليه في عساكره الى مرو وترددت بينهما الرسل في الصلح . وبينما هم في تقرير الصلح اذ ورد على خوارزم شاه مستحفظ قلعة سرخس لاخيه سلطان شاه يدعوه ليسلم اليه القلعة لانه استوحش من صاحبه سلطان شاه فاسرع خوارزم شاه اليها وتسلمها . وعلم سلطان شاه الخبر فاسقط في يده ومات كمداً

فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته الى مرو وتسلمها واستولى على ما كان لاخيه سلطان شاه ثم عاد خوارزم شاه الى خوارزم بعد ان استخلف على مرو ابنه علاء الدين محمد (وكان يلقب قطب الدين)

وفي هذه الاثناء اغار السلطان طغرل على الري واخرج منها اصحاب خوارزم شاه ووافق ذلك وصول رسول الخليفة الى خوارزم شاه يشكو من طغرل و يطلب منه ان يقصد بلاده واعطاه منشوراً باقطاعه البلاد . فسار الى الري فتلقاه اهلها بالطاعة

ولما علم السلطان طغرل بتقدمه نحوه وكانت عساكره في ذلك الوقت متفرقة فلم يقف ليجمعها وسار في من معه للقاء خوارزم شاه فقتل في المعركة وارسل خوارزم شاه رأسه الى بغداد فنصب بها بباب النوبي عدة ايام . وسار خوارزم شاه الى همذان وملك تلك البلاد جميعها فارسل له الخليفة الناصر لدين الله الخلع السنية

وكان الخليفة الناصر لدين الله قد ارسل عسكراً مدداً لخوارزم شاه على الملك طغرل فوصل هذا المدد بعد رجوع خوارزم شاه من همذان اليها فاخرجوا منها الخوارزميين واستولى عسكر الخليفة عليها وعلى ما حولها

ولما علم خوارزم شاه بما كان من عسكر الخليفة ارسل الى قائد جيوشه

بهمذان (قائد جيوش الخليفة) وهو الوزير موئد الدين بن القصاب يطلب اليه ان ينزل عن البلاد التي اغتصبها من اصحابه و يسلمها اليهم فلم يجبه موئد الدين الى ما طلب فسار خوارزم شاه مجدًا الى همذان وكان موئد الدين قد توفي قبل وصوله بقليل فقاتل عسكر الخليفة وهزمهم واستولى على همذان . ثم حدث ما اضطره الى تركها وعاد الى خراسان

وكان الخطا قد قوي امرهم في تلك النواحي حتى دخل خوارزم شاه وغيره تحت طاعتهم ثم قامت الدولة الغورية وقاتلت الخطا سنة ٥٩٤ ه وهزمتهم هزيمة شنعاء فطمع خوارزم شاه في الامتناع عن اداء ما كان مقررًا عليه لملك الخطا . فسار ملك الخطا الى خوارزم سنة ٥٩٤ ه المذكورة وحصرها واقام عليها مدة ولما لم يجد الى فتحها سبيلاً افرج عنها . فرحل خوارزم شاه في اثارهم وقصد بخارى فنازلها وحاصرها وامتنع اهلها منه وقاتلوه مع الخطا حتى انهم اخذوا كلباً اعور والبسوه قباء وقلنسوة وقالوا « هذا خوارزم شاه » لانه كان اعور وطافوا به على السور ثم القوه في منجنيق الى العسكر وقالوا « هذا سلطانكم » ولم يزل هذا دابهم حتى ملك خوارزم شاه البلد بعد ايام يسيرة عنوة وعفا عن اهله واحسن اليهم وفرق فيهم مالاً كثيرًا واقام عندهم مدة ثم عاد الى خوارزم

وفي سنة ٥٩٦ ه في رمضان منها توفي خوارزم شاه علاء الدين تكش بن ايل ارسلان وكان حسن السيرة مرضي الطريقة

٤٥٠ ـ علاء الدين محمد بن تكش

من سنة ٥٩٦ ـ ٦١٧ ه أو من سنة ١١٩٩ ـ ١٢٢٠ م

لما توفي علاء الدين تكش بن ايل ارسلان تولي بعده ابنه علاء الدين محمد وتلقب لقب ابيه وكان قبلاً يلقب قطب الدين وكان اخوه علي شاه بن تكش باصفهان فارسل اليه يستدعيه فسار اليه فنهب اهل اصفهان خزانته ورحله . فلما وصل الى اخيه ولاه حرب خراسان والتقدم الى جندها وسلم اليه نيسابور

وكان هندوخان بن ملك شاه بن تكش يخاف عمه محمداً فهرب منه ونهب كثيراً من خزائن جده تكش لما مات وكان معه ولحق بغياث الدين ملك الغور واستجار به على عمه علاء الدين محمد بن تكش . وكان غياث الدين الغوري في ابان قوته وفي عنفوان سطوته فاجابه الى ذلك واقام حرباً عواناً على خوارزمشاه محمد بن تكش واستولى على جميع بلاده التي بخراسان واضافها الى مملكته الواسعة وذلك سنة ٥٩٧ هـ

وكان غياث الدين قد استولى على ما استولى بشجاعة اخيه شهاب الدين الذي لم يكن يهداء الا بشن الغارات واقتحام المخاطر فبعد ان استولى على خراسان سار قاصداً بلاد الهند لاخضاعها فانتهز خوارزم شاه الفرصة في غيبته وارسل الى غياث الدين ان ينزل له عن البلاد التي استولى عليها في خراسان وكانت له قبلاً وهدده في جوابه بانه سيستعين عليه بالخطا للاستيلاء على تلك البلاد قوة واقتداراً ان لم يكن بالرضا والتسليم فغالطه غياث الدين في الجواب انتظاراً لعودة اخيه فقبض خوارزمشاه على رسوله واعتقله وسار في عسكر واستولى على بلاده التي كان اغتصبها منه غياث الدين حتى انتهى الى هرات وحاصرها فلم يقدر عليها فرجع عنها . ثم رجع شهاب الدين من الهند وعلم بما كان من خوارزم شاه فعزم على قصد بلاده ثم انشغل عنه قليلاً لوفاة اخيه غياث الدين . ثم سار الى خوارزم سنة ٦٠٠ هـ وحصرها وضيق عليها فاستنجد خوارزم شاه بالخطا فساروا الى بلاد الغورية فلما بلغ شهاب الدين ذلك عاد عن خوارزم وقاتل الخطا وانهزم امامهم وسنذكر ذلك في ذكر الدولة الغورية ان شاء الله

ثم قتل شهاب الدين الغوري سنة ٦٠٢ هـ فطمع خوارزم شاه في الاستيلاء على بلادهم بخراسان فملك مدينة هرات و بلخ وغيرها ثم تقدم الى مدينة ترمذ وحصرها هو من جهة والخطا من جهة فافتتحوها عنوة واعطى خوارزمشاه مدينة ترمذ للخطا سياسة ومكراً منه حتى يساعدوه على اتمام مقاصده وليظهر لهم انه على ولاء ووفاء معهم مع انه على غير ذلك كما ستراه ان شاء الله . ثم تقدم خوارزم

شاه الى بلد الجبل فقاتله اهله وهزموه فعاد مقهوراً

وفي سنة ٦٠٣ هـ ارسل خوارزم شاه عساكره بقيادة ابن خرميل الى اسفزار فحصرها هذا وارسل الى اهلها يقسم بالله لئن سلموها ان يؤمنهم وان امتنعوا اقام عليها الى ان يأخذها فاذا اخذها قهراً لا يبقي على كبير ولا صغير. فخافوا وسلموها له في ربيع الاول من السنة فلم يتعرض لهم بسوء ثم ارسل الى صاحب سجستان يدعوه الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له ببلاده فاجابه الى ذلك. فاقطع خوارزم شاه ابن خرميل مدينة هرات تنشيطاً له

وفي سنة ٦٠٤ هـ عبر علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه نهر جيحون لقتال الخطا وسبب ذلك ان الخطا كانوا قد طالت ايامهم ببلاد تركستان وما وراء النهر وثقلت وطأتهم على اهلها ولهم في كل مدينة نائب يجبي اليهم الاموال. فاتفق ان سلطان سمرقند وبخارى الذي يلقب بسلطان السلاطين وهو من اولاد الخانية عريق النسب في الاسلام والملك انف وضج من تحكم الخطا الكفار على المسلمين فارسل الى خوارزم شاه يقول له :

« ان الله عز وجل قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة » فاجابه الى ذلك وقال له « اخاف انكم لا توفون لي »

فسير اليه صاحب سمرقند وجوه اهل بخارى وسمرقند بعد ان حلفوا لصاحبهم على الوفاء بما تضمنه. فلما وصلوا الى خوارزم شاه وعلم صدقهم سار معهم واستولى على ما وراء النهر بعد ان قاتل الخطا قتالاً شديداً ثم تكاثر الخطا على اصحاب خوارزم شاه وقاتلوهم وهو معهم فانهزم المسلمون واسر خوارزم شاه وعاد الخوارزميون الى خوارزم وليس معهم السلطان فظنوه قتل فاستولى احد اصحابه المدعو كزلك خان على نيسابور واعمالها واخوه علي شاه على طبرستان. ثم خلص خوارزم شاه من اسر الخطا وعاد الى

خوار زم فدخلها في احتفال عظيم وعلم ما كان من كزلك خان بنيسابور ومن اخيه علي شاه بطبرستان فسار الى خراسان في عساكره فاصلح فسادها وعاد ظافراً وكانت واقعته الاخيرة مع الخطا قد جعلته يهتم بامرهم اهتماماً زائداً فجهز العساكر الكثيفة وعبر جيحون لقصد الخطا سنه ٦٠٦ ﻫ واجتمع الخطا لقتاله فحصلت بين الفريقين وقائع تشيب لهولها الولدان واخيراً انهزم الخطا هزيمة شنعاء واستولى خوارزم شاه على ما وراء النهر مدينة مدينة وناحية ناحية حتى بلغ مدينة اوزكند وجعل نوابه فيها وعاد الى خوارزم مستصحباً معه صاحب سمرقند وكان جميل الصورة بهذا المقدار حتى كان اهل خوارزم يتجمعون حتى ينظروا اليه فزوجه خوارزمشاه ابنته ورده الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند وارسل معه حامية لاحتلال المدينة وعاد صاحب سمرقند ومعه من معه من اهل خوارزم فاقاموا معه سنة فراى صاحب سمرقند من سوء سيرة الخوارزميين ما حبب اليه الفتك بهم ومراجعة طاعة الخطا ففعل وعزم على قتل زوجته ابنة خوارزمشاه فامتنعت منه في القلعة وقفلت على نفسها الابواب

ولما علم خوار زم شاه بما كان من صاحب سمرقند استشاط غيظاً وحنقاً وجمع عساكره واسرع الى سمرقند وحصرها وضيق عليها وفتحها عنوة وقتل صاحب سمرقند صبراً ولم يقبل توبته ولا عفا عنه وكان يقول له قبيل قتله « قد فعلت مالم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين مالا يفعله عاقل لا مسلم ولا كافر » .

و بعد ان افتتح خوارزم شاه مدينة سمرقند قدم اليه الخطا في جموع لاتحصى بقيادة ملكهم فكانت بين الفريقين معركة لم يسبق لها نظير فكانت القاضية على الخطا فلم ينج منهم احد

واستولى خوارزم شاه على بلادهم بلا منازع ولا مدافع وعظم شان خوارزم شاه وعلا صيته وخدمه السعد اياماً فاستولى في مدة قريبه غير ما ذكرنا على بلاد كرمان ومكران والسند و باميان وغزنة واعمالها سنة ٦١٢ ﻫ وعلى بلد الجبل سنة ٦١٤ ﻫ

ولما استولى خوارزم شاه على ما استولى عليه وانتزع البقية الباقية من السلجوقيين طمع في الخطبة له على منابر بغداد فارسل الى الخليفة في ذلك فلم يقبل الخليفة طلبه . فعزم على قصد بغداد فسار حتى انتهى الى عقبة سر اباد فاصابه هناك ثلج كثير أهلك الحيوانات وعفن ايدي الرجال وارجلهم حتى قطعوها فرجع عن قصده ودخل خوارزم سنة ٦١٥ هـ

و بعد ان بلغت دولة خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش الى اعلى درجات المجد والعظمة سقطت بغتة الى الحضيض لظهور دولة التاتار بقيادة الفاتح العظيم جنكزخان

والسبب الذي حمل جنكزخان على قصد بلاد خوارزم شاه ان بعض تجار التاتار ساروا الى مدينة اترار وكان العامل عليها من قبل خوارزم شاه شخصاً يقال له غاير خان فطمع في اخذ مامع هؤلاء التجار التتر وطالع السلطان محمداً في امرهم وحسن له ابادتهم واغتنام مالهم فاذن له في ذلك فقتلهم واستولى على ما معهم وهرب واحد من هولاء التجار وسار الى ملكهم جنكزخان واعلمه بما كان من غاير خان وخوارزم شاه فاغتاظ جنكزخان جداً وهجر النوم وجهز العساكر وسار الى تركستان وحصر مدينة اترار واخذها عنوة وقتل غاير خان في هذه المعركة ثم تقدم جنكزخان الى مدينة بخارا سنة ٦١٧ هـ وحصرها من جميع نواحيها . وكان بها من عسكر السلطان محمد خوارزم شاه عشرون الفاً بقيادة كوك خان وسونج وكشلي خان فلما تحققوا عجزهم عن مقاتلة المغول خرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فادركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر جيحون فاوقعوا فيهم وقتلوهم كافة ولم يبقوا منهم اثراً . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطلب الامان فخرج الائمة والاعيان الى خدمة جنكزخان يتضرعون اليه ويطلبون حقن دمائهم . فتقدم باخراج كل من بالمدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده طولي الى المدينة فوقف على باب مسجد الجامع وقال « هذا دار السلطان » فقالوا « لا بل خانة يزدان » أي بيت الله . فنزل ودخل الجامع

وصعد الى المنبر وقال لاكابر بخارا « ان الصحراء خالية عن العلف فانتم اشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار » ففتحوها وصاروا ينقلون ما فيها من الغلات . ورمى التاتار ما في الصناديق من الكتب وجعلوها اواريّ للخيل واحضروا الطعام والشراب في الجامع واكلوا وشربوا وطربوا . ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الائمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم :

« ان الله ملك الكل ارسلني لاطهر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة » وذكر لهم ما فعله غاير خان امير اترار باذن سلطانه بالتجار الى غير ذلك ثم امرهم ان يميزوا الاغنياء واصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم فبلغوا ٢٨٠ الفاً فقال لهم « ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعلامها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض » فقبلوا بالسمع والطاعة . ووكلوا مع كل قوم باسقاقا يستخرج الاموال واشار سرًّا الى المستخرجين ان لا يكلفوهم ما لا يطيقونه ويرفقوا بهم لما رأى من حسن اجابتهم الى ما امروا به . ولان جماعة من عسكر السلطان كانوا مختفين بالمدينة امر فرموا في محالها النار فاحترقت المدينة باسرها لان جل عمائرها من خشب فبقيت عرصة بخارا قاعاً صفصفاً وتفرق اهلها منتزحين الى خراسان

وفي ربيع الاول من السنة (٦١٧ هـ) نزل جنكزخان على مدينة سمرقند واستولى عليها بعد قتال شديد ثم تقدم الى ضواحي خوارزم وانفذ الرسل الى اهلها يدعوهم الى الالية (القسم) والدخول في طاعته وشغلهم اياماً بالوعد والوعيد والتأميل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمى بها . ولان صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعاً كالحجارة ويرمون بها وملاءوا الخندق بالتراب والخشب والهشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها واضرموا النار فيها فاتت على اكثر دورها وما فيها فيئس المغول من الانتفاع بشيء منها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلة محلة لان اهلها كانوا

يمتنعون فيها اشد الامتناع . ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل المحال واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وبعد ان فرزوا الصناع والمحترفين والنساء اللواتي ينتفع بهن قتلوا كل الباقي

ولما نزلت هذه النازلة على خوارزم شاه وبلاده هرب تائهاً في البلاد يستغيث ولا مغيث وينادي ولا مجيب

ثم ارسل جنكزخان بعض اصحابه لاقتفاء اثار خوارزم شاه وقال لهم : « اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتاخذوه » فطاردوه وهو هارب امامهم حتى توفي في بعض قلاعه وهو هارب منهم وكانت وفاته سنة ٦١٧ هـ المذكورة . وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة وشهوراً تقريباً وكان قد اتسع ملكه وعظم محله ولم يملك بعد السلجوقية احد مثل ملكه فانه ملك من حد العراق الى تركستان وملك بلاد غزنة وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبل وخرسان وفارس واذاق الخطا الامرين . وكان فاضلاً عالماً مكرماً للعلماء محباً لهم محسناً اليهم يكثر مجالستهم ومناظرتهم بين يديه . وكان صبوراً على التعب فسبحان من يغير ولا يتغير هو مالك الملك وحده

٤٥١ – جلال الدين بن محمد

من سنة ٦١٧ – ٦٢٩ هـ او من سنة ١٢٢٠ – ١٢٣٠ م

لما توفي خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش واستولى التاتار على بلاده هرب ابنه جلال الدين الى مدينة غزنة واستقر بها قليلاً واجتمع اليه من سلم من عسكر ابيه وبايعوه على الموت . ولم يكن التتر بغافلين عنه لكنهم انشغلوا عنه قليلاً بفتح البلدان حتى استولوا على كل ايران ثم قصدوا غزنة اخيراً وبها جلال الدين ابن محمد خوارزم شاه . فرحل جلال الدين عنها وعزم على قصد بلاد الهند

ليتخلص من هذه النازلة . ولما وصل جنكزخان الى غزنة وعلم بمسير جلال الدين عنها لم يستقر ورحل في الحال وحمل على نفسه بالمسير حتى لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وتقدم جنكزخان ان يمسك حياً . فلما راى جلال الدين خطارة الموقف وعلم انه ماخوذ على اي حال لم يرض باقل من ان يقاتل حتى يقتل فحمل على المغول حملات منكرة وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضروه حياً الى جنكزخان كطلبه فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عاين تضييق الحلقة عليه نزل فودع اولاده وخواصه باكياً كثيباً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنيبه وهو كالاسد الغيور وهم بالعبور . واقتحم فرسه النهر فانقحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه ويتاملونه حيارى

ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً والتفت الى ولديه وقال لهما « من اب مثل هذا الابن ينبغي ان يولد . اذا نجا من هذه الوقعة فوقائع كثيرة تجري على يديه . ومن خطبه لا يغفل من يعقل »

واراد جماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فمنعهم جنكزخان قائلاً « انتم لستم من رجاله لانه كان يرامي المغول وهو في وسط الشط » فلما فاتهم اخذوا امر الخان باحضار حرمه واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع . ولان جلال الدين عند ما اراد الخوض في النهر القى جميع ما كان صحبته من آنية الذهب والفضة فيه امر الغواصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه . وكان هذا الامر الذي هو من عجائب الانام ودواهي الايام في رجب فقيل في المثل « عش رجباً ترعجباً »

وتعذر على جلال الدين المقام ببلاد الهند فسار عنها الى كرمان ووصل الى اصفهان فوجد اخاه غياث الدين قد استولى عليها لنفسه فاخذها جلال الدين منه وتقدم الى فارس . وكان اخوه قد اغتصب من صاحبها بلاداً فاعادها جلال الدين اليه وصالحه ووصل الى تستر وحصرها شهرين ولم يقدر عليها فتركها وسار الى

يعقوبا ومنها الى دقوقا فامتنع اهلها منه فحاصرهم وافتتحها عنوة وامر عساكره بنهبها فمثلوا بها تمثيلاً شنيعاً . ثم تقدم جلال الدين الى اذربيجان واستولى عليها جميعها وقاتل الكرج وانتصر عليهم . فعاشت نفسه بعد الموت واسس في تلك النواحي مملكة غير التي اغتصبها منه التاتار الا انها لم تدم طويلاً كما ستراه ان شاء الله

وفي سنة ٦٢٣ هـ تقدم جلال الدين الى مدينة تفليس وكان الكرج قد استعدوا لدفاعه استعداداً كبيراً فقاتلهم وانتصر عليهم واستولى على تفليس ثم بلغه ان اهل كرمان قد عصوا عليه فسار الى هناك واخضع الثائرين ثم عاد مسرعاً الى تفليس لوصول رسول من وزيره بتفليس يعرفه ان عسكر الملك الاشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره واوقعوا بهم ويحثه على العود الى تفليس ففعل

ولما وصل جلال الدين الى تفليس جمع عسكره وسار الى خلاط وحصرها مدة ولم يقدر على فتحها ثم رجع عنها لنزول الثلج بكثرة في بقاعها

وفي سنة ٦٢٤ هـ وصل الكرج مدينة تفليس ولم يكن جلال الدين بها فقاتلوا من بها من عسكره واحرقوا المدينة فلما بلغ جلال الدين الخبر سار في من عنده من العساكر ليدركهم فلم ير منهم احداً لانهم كانوا قد فارقوا تفليس لما احرقوها

وفي سنة ٦٢٦ هـ حصر جلال الدين مدينة خلاط واستولى عليها فخرب اصحابه خلاط واكثروا فيها القتل والنهب ما لم يسمع بمثله . فلما سمع الملك الاشرف انزعج وارسل جريدة الى ابلستين . فلقاه صاحب الروم علاء الدين كيقباذ من فراسخ واجتمعا ولحقت الملك الاشرف عساكره وخرج علاء الدين بعساكره الى اق شهر هو والملك الاشرف وخرج جلال الدين الخوارزمي من خلاط للقائهم وكان في ٤٠ الفاً والتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً في يوم الجمعة وكانت الغلبة فيه للملك الاشرف وعلاء الدين وباتوا ليلة السبت على تعبيتهم الى الفجر من يوم السبت فالتقوا واقتتلوا فانهزم جلال الدين هزيمة عظيمة وقتل من اصحابه خلق لا يحصى عددهم الا الله وانهزم مثلهم واسر مثلهم وبلغت هزيمتهم الى جبال طرابيزون فوقع منهم في شقيف هناك ١٥٠٠ رجل . ولحق خوارزم شاه بخرتبرت فوصلها في يوم

وليلة ونجا بنفسه ومضى الى بلاد العجم فاقام في خوى

ولم يقم بها طويلاً حتى علم بقصد التتر اياه فتوجه الى تبريز وارسل رسولاً الى الخليفة وآخر الى الملك الاشرف وآخر الى السلطان علاء الدين صاحب الروم يستجيشهم و يعلمهم كثرة عساكر التاتار وحدة شوكتهم وشدة نكايتهم وانه اذا ارتفع هو من البين يعجزون عن مقاومتهم وانه كسد الاسكندر يمنعهم عنهم فالراي ان يساعده كل منهم بفوج من عسكره ليرتبط بذلك جاش اصحابه ويحجم بهم العدو عن البلاد فينحجم . قال من هذا النوع واكثر واستصرخهم فلم يصرخوه واستغاثهم فلم يغيثوه فشتى بارمية واشنوا . وفي الربيع توجه الى نواحي ديار بكر وصار يصرف اوقاته بالتمتع واللهو والشراب والطرب كانه يودع الدنيا وملكها الفاني

و بينما هو في ذلك يسر لابل يغر فجئه هجوم التاتار ليلاً فتكلف للانتباه وعاين نيران المغول بالقرب من مكانه فتقدم الى الامير اورخان ان يلم به الجماعة ويشغل المغول عند الصبح بالاقدام تارة والاحجام اخرى . وفر هو مع ثلاثة نفر من مماليكه تائهاً في جبال ديار بكر . فلما اصبحوا ظن المغول ان جلال الدين خوارزم شاه فيهم فجدوا في طلبهم طاردين في اعقابهم وهم منهزمون بين ايديهم ولما تحققوا انه ليس معهم رجعوا عنهم

اما جلال الدين خوارزم شاه فاوقع به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه وقدروه من بعض جند الخوارزميين فقتلوه والمملوكين الذين معه طمعاً في ثيابهم وخيلهم وسلاحهم . استنبط ذلك من جهة ان بعد مدة يسيرة دخل بعض اولئك الاكراد الى آمد وعليه من سلاح جلال الدين فعرفه مملوك له كان قد لجاء الى صاحب آمد فقبض الكردي وقرر فاقر بما افعله هو واصحابه فاحضرهم صاحب آمد وقتلهم حنقاً عليهم . وكان قتل جلال الدين خوارزم شاه سنة ٦٢٨ هـ وبموته انقرضت الدولة الخوارزمية والملك لله يوءتيه من يشاء . والبقاء لله وحده

٤٥٢ ـ الدولة الغورية بافغانستان والهند

(تمهيد) كما ان الدولة الخوارزمية قامت من موالي الدولة السلجوقية هكذا قامت الدولة الغورية هذه من موالي الدولة الغزنوية من آل سبكتكين وهي تنسب الى محمد بن حسين الغوري الذي كان من موالي بهرام شاه الغزنوى فعظم امره حتي اقطعه بلاد الغور ثم كانت الفتنة بين بهرام شاه واخيه ارسلان فمال محمد بن حسين الغورى الى ارسلان وارتاب به بهرام لذلك ثم انقضى امر ارسلان وسار محمد بن حسين في جموعه الى غزنة سنة ٥٤٣ ﻫ مظهراً للزيارة وهو يريد الغدر به فشعر بهرام شاه بذلك فحبسه ثم قتله واستوحش الغورية لذلك

٤٥٣ ـ سام بن حسين

من سنة ٥٤٣ ـ ٥٤٣ ﻫ او من سنة ١١٤٨ ـ ١١٤٨ م

لما قتل محمد بن حسين الغوري تولى بعده اخوه سام بن حسين ولكنه لم تطل مدته اذ اصابه جدري فمات منه لشهور من ولايته

٤٥٤ ـ سوري بن حسين

من سنة ٥٤٣ ـ ٥٤٤ ﻫ او من سنة ١١٤٨ ـ ١١٤٩ م

لما توفي سام بن حسين تولى بعده اخوه سوري بن حسين وقوى امره وتمكن ملكه وجمع عسكره وسار الى غزنة طالباً بثار اخيه المقتول وقاصداً ملك غزنة فلما وصل اليها ملكها في جمادي الاولى سنة ٥٤٣ ﻫ وفارقها بهرام شاه الى بلاد الهند وجمع جموعاً كثيرة وعاد الى غزنة وقاتل سورى فيها وانضم عسكر غزنة الى بهرام شاه وقبضوا على سوري وسلموه اليه فصلبه بهرام شاه في المحرم من سنة ٥٤٤ ﻫ واستولى على غزنة

٤٥٥ – علاء الدين الحسين بن حسين

من سنة ٥٤٤ – ٥٥٦ هـ او من سنة ١١٤٩ – ١١٦٠ م

ولما قتل سوري بن حسين تولى بعده اخوه الحسين وتلقب علاء الدين وملك جبال الغور ومدينة فيروزكوه بالقرب من غزنة ثم طمع في الاستيلاء على ماجاوره من البلاد فسار الى بلخ واستولى عليها وكانت من اعمال السلطان سنجر السلجوقي فلما علم هذا بما فعله علاء الدين سار اليه وقاتله وهزم الغورية وأسر علاء الدين واحضره بين يديه وقال له « ياحسين لوظفرت بي ما كنت تفعل » فاخرج له قيداً من الفضة وقال « كنت أقيدك بهذا واحملك الى فيروزكوه » فخلع عليه سنجر واطلقه ورده الى فيروزكوه فبقي بها مدة . ثم قصد غزنة وبها بهرام شاه فلم يثبت بها بين يدي علاء الدين بل فارقها الى مدينة كرمان فاستولى علاء الدين على غزنة واحسن السيرة في اهلها واستعمل عليهم اخاه سيف الدين ثم رجع الى بلد الغور . فاقام سيف الدين بغزنة محسناً السيرة في اهلها الا ان اهل غزنة لم يحفظوا له معروفه عليهم واحسانه اليهم بل عاملوه بدل الخير شراً وبيان ذلك انه لما دخل الشتاء ووقع الثلج وعلم اهل غزنة ان الطريق انقطع اليهم كاتبوا بهرام شاه واستدعوه اليهم . فسار اليهم في عسكر فلما قرب من المدينة ثار اهلها على سيف الدين فاخذوه بغير قتال . وكان العلويون هم الذين تولوا أمر سيف الدين . وانهزم اصحاب سيف الدين فمنهم من نجا ومنهم من اخذ . ثم انهم سودوا وجه سيف الدين واركبوه بقرة وطافوا به البلد ثم صلبوه

وعلم علاء الدين بما جرى على اخيه سيف الدين فاقسم ان لا يترك غزنة حتى يخربها ويأخذ بثار اخيه .

وفي هذه الاثناء توفي بهرام شاه وتولى بعده خسروشاه وتجهز علاء الدين وساروا الى غزنة سنة ٥٥٠ هـ ففارقها خسروشاه الى لهاور وملكها علاء الدين ونهبها ثلاثة ايام وفتك بالعلويين الذين اسروا اخاه وقتل كل من ساعد في ذلك

او كان على الاقل راضياً عنه . واقام بغزنة حتى اصلح حالها ثم عاد الى فيروزكوه وقد قوي امره بهذا الانتصار وعظم صيته وخافته الملوك . ثم التفت علاء الدين لتنظيم داخلية البلاد التى استولى عليها واصلاحها فرتب العمال والجباة والسعاة . وكان بين عماله ونوابه على البلاد ابنا اخيه سام وهما غياث الدين ابوالفتح محمد وشهاب الدين ابو المظفر محمد فلما استعملهما احسنا السيرة في عملهما وعدلا و بذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين وقال له « انهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك » فارسل عمهما يستدعيهما اليه فامتنعا فارسل اليهما عسكرًا فهزما عسكر عمهما فسار اليهما بنفسه وقاتلهما فانتصرا عليه واسراه

فلما اسر غياث الدين وشهاب الدين عمهما احضراه واجلساه على التخت ووقفا في خدمته . فبكي علاء الدين من الفرح لما رآه من معاملة ابني اخيه له وزوج غياث الدين بنتًا له وجعله ولي عهده وبقي الحال كذلك الى ان توفي علاء الدين سنة ٥٥٦ هـ . وكان عادلاً من احسن الملوك سيرة في رعيته

٤٥٦ — غياث الدين محمد بن سام

من سنة ٥٥٦ — ٥٩٩ هـ او من سنة ١١٦٠ — ١٢٠٢ م

لما توفي علاء الدين الحسين بن حسين تولى بعده ابن اخيه غياث الدين محمد ابن سام وهذا اشرك اخاه شهاب الدين معه في الملك لشجاعته وحسن سياسته وتضافر الاخوان واغارا على البلاد اما شهاب الدين فحول عنان فتوحاته الى بلاد الهند فسار الى لهاور وبها خسروشاه الغزنوى فاستولى عليها وقتل خسرو شاه و بقتله انقرضت الدولة الغزنوية

ثم سار الى مدينة آجر واستولى عليها وقاتل الهنود مرارًا وهزمهم وشتت شملهم واستولى على كل ما كان للدولة الغزنوية بالهند . اما غياث الدين فوجه

عنان فتوحاته الى بلاد خراسان فاستولى على هرات وغيرها من مدن تلك النواحي ففي مدة يسيرة استوليا على جزء عظيم من المعمورة والفا دولة قوية

وكان لعلاء الدين الحسين بن حسين الملك السابق ابن يدعي محمد افانتهز فرصة اشتغال غياث الدين وشهاب الدين بفتوحاتهما واستولى على بلاد الغور بعد ابيه فقام عليه بعض الغزنة سنة ٥٥٨ هـ وقتله فكفى الله بذلك غياث الدين واخاه مؤونة مقاومته

ثم استتب امر غياث الدين وشهاب الدين في البلاد التي استوليا عليها ولم ينازعا احداً ولا احد نازعهما الى ان كانت سنة ٥٨٦ هـ وفيها اغار سلطان شاه ابن خوارزم شاه على بلاد غياث الدين فجمع غياث الدين عساكره وسار اليه وقاتله وانتصر عليه وملك عدة مدن من بلاده وعاد الى غزنة

وكان شهاب الدين قد غزا الهند سنة ٥٨٣هـ فانهزم امامهم فتاثر جداً وعزم على الانتقام الشديد فجهز عسكراً وسار سنة ٥٨٧ هـ الى بلاد الهند وقاتل الهنود وانتصر عليهم ومثل بهم تمثيلا شنيعا واستولى على مدينة اجمير من بلادهم

وفي سنة ٥٩٣ هـ استولى شهاب الدين على قلعتي بهنكر وكوالير من بلاد الهند

وفي سنة ٥٩٤ هـ ارسل غياث الدين عسكراً الى مدينة بلخ واستولوا عليها وكانت بيد الخطا في ذلك الحين فهاج الخطا لذلك وعبروا جيحون الى ناحية خراسان وعاثوا فيها فساداً فقاتلهم الغورية وهزموهم وارجعوهم على اعقابهم خاسرين

وفي هذه الاثناء كانت الدولة الخوارزمية قد عظم شانها ايام علاء الدين خوارزم شاه فضايقوا ملك الغورية في خراسان فاهتم غياث الدين وشهاب الدين لذلك وسارا في عساكرهما الى خراسان واستولوا على كل ما كان لخوارزم شاه من البلاد فيها ورجعا

ولما عاد غياث الدين وشهاب الدين من خراسان سار شهاب الدين الى بلاد الهند وقصد مدينة نهرولة فوصلها سنة ٥٩٨ هـ وقاتل الهنود عليها وانتصر عليهم

واستولى عليها فانتهز خوارزم شاه فرصة غياب شهاب الدين بالهند وارسل الى غياث الدين برد البلاد التي اخذها منه ويهدده ان لم يفعل فغالطه غياث ولكن مغالطته لم تنجح لدى خوارزم شاه فقصد بلاد خراسان واستولى على البلاد التي انتزعها منه الغورية وتقدم الى هرات وحصرها ولم يقدر عليها فرجع عنها

ثم توفي غياث الدين محمد بن سام سنة ٥٩٩ هـ وكان مظفرًا منصورًا وكان قليل المباشرة للحروب بنفسه انما كان له دهاء ومكر . وكان كثير الصدقات والوقوف بنى المساجد والمدارس بخراسان لاصحاب الشافعي وبنى الخانكاهات في الطرق واسقط المكوس

٤٥٧ ـ شهاب الدين بن سام

من سنة ٥٩٩ ـ ٦٠٢ هـ او من سنة ١٢٠٢ ـ ١٢٠٥ م

كان شهاب الدين شريكاً لاخيه في الملك كما تقدم فلما توفي غياث الدين استقل شهاب الدين بملك غزنة وخراسان والهند وكان قد عاد من الهند قريباً وتجهز لقصد خوارزم شاه واقام بطوس يستعد للحركة فتوفي اخوه كما تقدم فجلس في العزاء فيه وبعد انتهاء مدة الجناز سار الى خوارزم وحصرها وضيق عليها وكاد يفتحها فاستنجد خوارزم شاه بالخطا فارسلوا عسكراً لقصد بلاد شهاب الدين فلما علم شهاب الدين بذلك افرج عن خوارزم وسار لرد الخطا عن بلاده وبعد قتال شديد انهزم شهاب امام الخطا ثم صالحهم واستقر ببلاده

ولما انهزم شهاب الدين امام الخطا طمع فيه الهنود الساكنون في الجبال بين لهاور والملتان ورفعوا راية العصيان فسار اليهم وقطع مادة فسادهم وعاد ظافرًا وكان ذلك سنة ٦٠٢ هـ

وفي سنة ٦٠٢ هـ قتل شهاب الدين ملك الغور قتله بعض الاشقياء داخل خيمته في شعبان من السنة

٤٥٨ — محمود بن غياث الدين

من سنة ٦٠٢ — ٦٠٥ هـ او من سنة ١٢٠٥ — ١٢٠٨ م

لما توفي شهاب الدين بن سام وقع الاضطراب في المملكة وقام الامراء يتنازعون الولاية فبعضهم طلب تولية محمود بن غياث الدين وبعضهم طلب تولية بهاء الدين سام ابن اخت شهاب الدين وكان بين اولئك المختلفين شخص يقال له تاج الدين الذر وهو من موالي شهاب الدين واخصهم به فطمع في ملك غزنة واظهر القيام بدعوة غياث الدين محمود بن غياث الدين واقام بغزنة بالنيابة عن غياث الدين المذكور

اما بهاء الدين فكان مقيماً بباميان وهي اقطاعة من ايام خاله شهاب الدين فلما علم ان بعض الامراء يعضده طمع بالملك وارسل اليهم يامرهم بحفظ الاموال واقامة الخطبة له بغزنة حتى يحضر اليهم . ثم سار الى غزنة فتوفي في طريقه اليها فقطعت جهيز قول كل خطيب . وكان له ابن يدعى علاء الدين فاستولى على باميان بعده

واما غياث الدين محمود بن غياث الدين فكان في هذه الاثناء في اقطاعه في بست ولما علم بمقتل عمه دعا لنفسه واتته طاعة تاج الدين الذر من غزنة ثم سار الى فيروزكوه وقبض على جماعة من اصحاب علاء الدين وسار الى دار ابيه فسكنها واعاد الرسوم وقدم اليه عبد الجبار محمد بن العشير الى وزير ابيه فاستوزره واقتفى خطوات ابيه في العدل والاحسان

ولما استقر علاء الدين بباميان على ما تقدم كثرت جموعه فطمع في ملك غزنة وكان بها الذر نائباً عن غياث الدين فقاتله عليها فانهزم الذر وهرب الى بلد كرمان واستولى علاء الدين على غزنة فاقام بها شهرين جمع في اثنائها الذر كل ما قدر على جمعه من العساكر وعاد الى غزنة لاستخلاصها من يد علاء الدين فحصرها وضيق عليها حتى استأمن اليه علاء الدين وسلمه المدينة فقبض الذر عليه واعتقله

وكتب الى غياث الدين بالفتح

ولتوالي هذه الفتن الداخلية التي نشأت في الدولة الغورية ضعفت هذه الدولة طبعاً وطمع الملوك بهـا وخصوصاً خوارزم شاه الذي كان ينتظر سقوطها بفروغ صبر فلما راى ما بلغت اليه من الضعف لم يعد يهاب سطوتها كما كان واغار على املاكها بخراسان واستولى عليها . ثم على ترمذ والطالقان ولم يقدر الغورية على استرجاعها لما تولاهم من الوهن

وكان لخوارزم شاه اخ يدعى علي شاه خالف عليه ولحق بغياث الدين فاجاره غياث الدين وابى ان يسلمه لخوارزم شاه فغضب خوارزم شاه لذلك وسار الى هرات واستولى عليها ثم ارسل الى فيروزكوه وملكها وامر غياث الدين واخاه علي شاه وقتلها سنة ٦٠٥ هـ

٤٥٩ — تاج الدين الذر مولى غياث الدين

من سنة ٦٠٥ — ٦١٣ هـ او من سنة ١٢٠٨ — ١٢١٦ م

وكان الذر بغزنة كما تقدم فاستقل بها . اما خوارزم شاه فانه بعدما استولى على فيروزكوه وعامة خراسان سار الى باميان وملكها ثم ارسل الى تاج الدين الذر صاحب غزنة في الخطابة والسكة وان يقرر الصلح على غزنة بذلك . فاستشار الذر اصحابه فاشاروا عليه بالامتناع من ذلك فامتنع فسار خوارزم شاه الى غزنة واستولى عليهـا وهرب الذر الى لهاور وكان صاحبها ناصر الدين قباجة من موالي شهاب الدين وله معها ملتان وآجر والديبل الى ساحل البحر وله من العسكر ١٥ الفاً وجاء الذر في ١٥٠٠ مقاتل فقاتله على التعبية ومعه الفيلة فانهزم الذر اولاً ثم صدق الحملة فانهزم قباجة وعسكره وملك الذر مدينة لهاور ثم سار الى الهند ليملك مدينة دهلي وغيرها من بلاد المسلمين بالهند وكان صاحبهـا قطب الدين ايبك قد توفي ووليها بعده مولاه شمس الدين فسار اليه والتقيا عند مدينة سمانا واقتتلا فانهزم

الذر وعسكره واسر ثم قتل وذلك سنة ٦١٣ هـ

وكان محمود السيرة في ولايته كثير العدل وبموته انقرضت الدولة الغورية والبقاء لله وحده

٤٦٠ — الدولة الايوبية بمصر والشام

(تمهيد) راس هذه الدولة صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي كان ابوه ايوب وعمه شيركوه من قواد السلطان نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام . وكانت الدولة الفاطمية بمصر قد ذهبت سطوتها وضاعت هيبتها وتحكم الوزراء فيها على الخلفاء

فلما كانت سنة ٥٥٨ هـ ايام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بمصر قام وزيره شاور السعدي وقتل الصالح بن رزيك الوزير قبله واستبد على الخليفة العاضد ثم خاف عليه الضرغام احد القواد لتسعة اشهر من ولايته وغلبه واخرجه من القاهرة فلحق بالشام وسار الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي واستنجده على الضرغام وطلب ان يعيد اليه وزارة مصر على ان يكون نائبه عليها ويدفع له ثلث خراجها فاجاب نور الدين دعوته وارسل معه شيركوه (عم صلاح الدين) واعاده الى منصبه ولكنه لم يلبث طويلاً حتى غدر ونكث عهده ولم يدفع لشيركوه شيئاً مما قرره لنور الدين واستعان بالافرنج على اخراج شيركوه من مصر فعاد الى الشام وفي نفسه من شاور غصة

ثم استطال الفرنج في مصر على شاور وملكوا بلبيس وقتلوا اهله وقصدوا القاهرة فاحرق شاور مدينة الفسطاط وارسل يستنجد نور الدين مرة اخرى فارسل اليه شيركوه المذكور وارسل معه جماعة من الامراء منهم صلاح الدين يوسف بن ايوب ابن اخي شيركوه وغيره

فلما قربوا من القاهرة صالح شاور الفرنج على الف الف دينار على ان يرحلوا

عن المدينة ودفع لهم منها ماية الف دينار مقدماً وطلب اليهم ان يرحلوا لكي يتمكن من جمع باقي مطلوبهم فرحلوا

اما شيركوه فعسكر خارج القاهرة وعزم شاور على الفتك به بان يدعوه الى وليمة هو وقواد جيشه ويقتلهم لكن الفرص لم تمكنه من اتمام قصده

وفي الوقت نفسه كان صلاح الدين وجماعة من الامراء يتشاورون في الفتك بشاور وشيركوه يمنعهم عن قصدهم . فاتفق ان شاور جاء الى معسكر شيركوه ليزوره كالمعتاد فلم يجده بل وجد صلاح الدين وبعض الامراء فقام عليه صلاح الدين وقتله وارسل راسه الى العاضد فاظهر البشر والسرور واستوزر مكانه شيركوه سنة ٥٦٤ هـ

ولم تطل مدة وزارة شيركوه فعاجلته المنية في ٢٢ جمادي الثانية من تلك السنة لشهرين وخمسة ايام من وزارته . فتولى الوزارة مكانه ابن اخيه يوسف صلاح الدين ولقب الملك الصالح وكاد امره لا يتم لهياج العساكر السورية وعدم قبولها به لصغر سنه ولكنه تمكن بحسن سياسته من استرضائهم فارضخوا الى السكينة بعد ذلك الهياج

ثم قام عدو آخر لصلاح الدين هو موتمن الخلافة الخصي فحدثته نفسه بالقيام على صلاح الدين وخلعه وشاور بعض الامراء المصريين في ذلك فاستحسنوا رايه على ان يستعين بالفرنج فمتى جاؤوا واشتغل صلاح الدين بقتالهم ثاروا هم بالقاهرة واتحدوا مع الفرنج على قتاله واخراجه من الديار المصرية

فقر رايهم على هذا الراي وارسل موتمن الخلافة كتاباً للفرنج يستنجدهم ووضع الكتاب في نعل جديد وسلمه للرسول فسار مجداً حتى اذا بلغ بلبيس وجده احد اصحاب صلاح الدين فانكر حاله وقبض عليه واخذ النعل منه وشقه فوجد فيه الكتب فارسله والكتب الى صلاح الدين فعلم الحقيقة وامر اصحابه بقتل موتمن الخلافة اينما وجد فلم يخرج موتمن الخلافة من منزله مدة حتى اذا طال المدى ظن ان امره نسي فخرج الى منظرة له في بستان بناحية الخرقانية فقام عليه جماعة

من اصحاب صلاح الدين وقتلوه وهاج العسكر المصري على صلاح الدين لقتل موئتمن الخلافة واقاموا على صلاح الدين حرباً عواناً كاد ينهزم فيها الا انه انتصر اخيراً وقتل من السودان مقتلة عظيمة فعادت السكينة الى ما كانت عليه وهاب الاهالي صلاح الدين واستتب له الامر في مصر بلا منازع ولا معارض وصار صاحب الامر والنهي حتى لم يبق للخليفة العاضد الفاطمي الا الاسم فقط . فلاح لنور الدين صاحب الشام بقطع الخطبة العاضدية واقامة الخطبة العباسية بمصر وارسل لصلاح الدين في المعنى فاحجم عن ذلك مدة خوفاً من المصريين حتي اذا كانت الجمعة الاولى من محرم سنة ٥٦٧ هـ قام فارسي يدعى امير عالم واخذ على عاتقه ان يباشر قطع الخطبة الفاطمية ويعيد الخطبة العباسية في مصر فسار الى اكبر جوامع القاهرة وصعد المنبر وخطب في الناس وصلي باسم الخليفة المستضيء بالله العباسى فلم يختلف عليه اثنان

فلما علم صلاح الدين بذلك امر ان يعاد ذلك في الجمعة القادمة في جميع جوامع القاهرة فكان كما امر ولم يعارض احد . اما الخليفة العاضد الفاطمي فكان في ذلك الوقت مريضاً فلم يخبره احد بما كان من قطع الخطبة له وعاجلته المنية بعد ذلك بايام قليلة فتوفي يوم ١١ محرم سنة ٥٦٧ هـ وقد تقدم ذكر ذلك اكثر وضوحاً في فصل (١٦٢)

٤٦١ — صلاح الدين يوسف بن ايوب

من سنة ٥٦٧ — ٥٨٩ هـ او من سنة ١١٧١ — ١١٩٣ م

ولما توفي الخليفة العاضد وضع صلاح الدين يده على القصر واستولى على كل ما وجد فيه من الجوهرات وكان شيئاً كثيراً يفوق الوصف وقبض على باقي العائلة الفاطمية واعتقلهم . وارسل الى نور الدين صاحب الشام يعلمه باتباع اوامره وقطع الخطبة العاضدية بمصر واقامة الخطبة العباسية ويعلمه ايضاً بموت

العاضد . فارسل نور الدين بشارة بهذين الخبرين المسرين الى الخليفة المستضيء بنور الله العباسي ببغداد فارسل هذا الى نور الدين سيفين علامة الملك على الشام ومصر وارسل الى صلاح الدين خلعاً والشعار العباسي الاسود . فصارت مصر من ذلك الوقت تحت سلطنة نور الدين محمود بن زنكي وصلاح الدين نائب عنه فيها

وكان للفاطميين في مصر احزاب لم يرضوا بما كان الا ان صوتهم كان ضعيفاً جداً لم ينفذ سور المجتمعات التي كانوا يجتمعون فيها وذهب حثهم سدى

وطمع صلاح الدين منذ تولى وزارة مصر بالاستيلاء عليها واستخلاصها لنفسه فاجتهد في جذب الاحزاب اليه بكل وسيلة ممكنة حتى صارت ارض مصر في قبضة يده يديرها كيف شاء

واحس نور الدين بذلك فارسل الى صلاح الدين يامره بالقدوم اليه في عساكره الى الكرك نجدة له على الفرنج (وذلك ليمتحنه) فاظهر صلاح الدين الامتثال وسار نحوه ثم رجع بغتة بداعي حدوث ما يوجب الرجوع الى مصر فتحقق نور الدين ما سمعه عن صلاح الدين وعزم على قصد مصر لاخراج صلاح الدين منها وعلم صلاح الدين ذلك فجمع عائلته وكبراء دولته وقال لهم « بلغنا ان نور الدين يقصدنا فما الراي » فقال عمر ابن اخيه « نقاتله ونقصده » فانكر ايوب ابوه ذلك وقال « انا ابوكم لو رايت نور الدين لنزلت وقبلت الارض بين يديه والراي عندي ان تكتب الى نور الدين كتاباً تقول فيه . بلغني انك تريد الحركة الى هذه البلاد فاي حاجة الى هذا يرسل المولى نجاباً يضع في رقبتي منديلاً وياخذني اليك وما ههنا من يمنع » ثم اخذ صلاح الدين في خلوة وقال له « لو قصدنا نور الدين انا كنت اول من يمنعه ولكن اذا اظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا ولا ندري ما تكون العاقبة واذا اظهرنا له الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية عند الله » فاتبع صلاح الدين وصية ابيه وفعلاً كان كما قال

فلما وصلت كتب صلاح الدين الى نور الدين سكن روعه وترك ما عزم عليه من قصد مصر وعاد للاهتمام بامر الصليبيين

اما صلاح الدين فكان لا يزال خائفاً من نور الدين واتفق هو واهله وكبراء دولته على اخذ مملكة غير مصر حتى اذا هزمهم نور الدين عن مصر التجاوا الى تلك المملكة فجهز صلاح الدين اخاه توران شاه الى اليمن فاستولى عليها واستقرت في ملك صلاح الدين

وعاد النفور والجفاء يتفاقم بين نور الدين وصلاح الدين حتى عزم نور الدين نهائياً على قصد مصر واخذها من صلاح الدين . وبينما هو يتجهز لذلك اتاه امر الله الذي لا مرد له فتوفي في دمشق في ٨ رمضان سنة ٥٦٩ هـ وقام بعده ابنه الملك الصالح وعمره احدي عشرة سنة واظهر صلاح الدين الطاعة له . واصغر من الملك الصالح بن نور الدين اختلف عليه الامراء بالشام وقام كل منهم يطلب الرئاسة لنفسه . واتفق ان شمس الدين بن الداية المقيم بحلب ارسل يستدعي الملك الصالح بن نور الدين الى حلب ليكون مقامه بها فسار اليها واخذ معه سعد الدين كمشتكين مديراً لملكه فلما تمكن كمشتكين قبض على شمس الدين بن الداية وعلى غيره من اعيان حلب واستبد بتدبير الملك فخافه ابن المقدم الذي كان يدبر الملك في دمشق واتفق مع غيره من الامراء بدمشق وكاتبوا صلاح الدين واستدعوه ليملك عليهم فسار من مصر ولما بلغ دمشق التقاه عساكرها ونزل بدار والده ايوب المعروفة بدار العقيقي وعصت عليه القلعة وكل من فيها من العساكر فاستمالهم صلاح الدين بالمال حتى سلموا اليه القلعة فصعد اليها صلاح الدين واخذ ما فيها من الاموال وبعد ان قرر امر دمشق استخلف فيها اخاه سيف الاسلام طغتكين وسار الى حمص فملكها وعصت عليه القلعة فترك حولها من يضيق عليها ورحل الى حماة فملكها وكان بقلعتها الامير عز الدين جرديك فامتنع في القلعة فارسل صلاح الدين يقول له « ان لا غرض له سوى حفظ البلاد للملك الصالح ابن نور الدين وانما هو نائبه ويريد ارسال جرديك في رسالة له الى حلب » وسار

جرديك بتلك الرسالة الى حلب واستخلف اخاه في قلعة حماة . فلما وصل جرديك الى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه وعلم اخوه بذلك فسلم القلعة لصلاح الدين. ثم سار صلاح الدين الى حلب سنة ٥٧٠ هـ وحصرها وبها الملك الصالح . فجمع الملك الصالح اهل حلب وقال لهم « قد عرفتم احسان ابي اليكم ومحبته لكم وسيرته فيكم وانا يتيمكم وقد جاء هذا الظالم الجاحد احسان والدي اليه ياخذ بلدي ولا يراقب الله ولا الخلق » وقال من هذا كثيراً وبكى فابكى الناس واتفقوا على القتال دونه . فكانوا يخرجون ويقاتلون صلاح الدين عند جبل جوشن ولا يقدر على القرب من البلد فرحل عنه لنزول الفرنج على حمص فسار اليهم فرحل الفرنج عن حمص ودخلها صلاح الدين واستولى على قلعتها التي كانت عصت عليه اولاً . وسار الى بعلبك فملكها . وارسل الملك الصالح من حلب الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين فجهز جيشاً وارسله بقيادة اخيه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فوصل هذا الجيش الى حلب وانضم اليهم عسكر حلب وقصدوا صلاح الدين . فارسل هو يبذل حمص وحماة وان تقر بيده دمشق وان يكن فيها نائباً للملك الصالح فلم يجيبوه الى ذلك وساروا الى قتاله واقتتلوا عند قرون حماة فانهزم عسكر الموصل وحلب وغنم عسكر صلاح الدين اموالهم وتبعوهم حتى حصروهم في حلب

وقطع حينئذ صلاح الدين خطبة الملك الصالح بن نور الدين وازال اسمه عن السكة واستبد بالسلطنة فراسلوه في الصلح على ان يكون له ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقي بيده منه فصالحهم على ذلك ورحل عن حلب في العشر الاول من شوال سنة ٥٧٠ هـ المذكورة ووصل الى حماة ووصلت اليه بها خلع الخليفة مع رسوله

وفي شهر شوال المذكور حاصر صلاح الدين قلعة بعرين ونصب عليها المجنيقات وادام قتالها فسلمها اليه واليها بالامان فلما ملكها عاد الى حماة فاقطعها خاله شهاب الدين واقطع حمص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وسار منها الى دمشق

فدخلها اواخر شوال من السنة المذكورة

وفي سنة ٥٧١ هـ كانت وقعة بين صلاح الدين وسيف الدين غازي وكان مع سيف الدين صاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرها فانهزم سيف الدين ومن معه مرعوبين واستولى صلاح الدين على اثقال عسكرهم وسار الى بزاغة فحصرها وتسلمها والى منبج فحصرها وملكها عنوة ثم سار الى قلعة عزاز وملكها ثم سار الى حلب وحصرها وبها الملك الصالح . فطلب اهل حلب الصلح فاجابهم صلاح الدين الى ذلك . ورحل عن حلب بعد ان اعاد قلعة عزاز الى الملك الصالح فانه اخرج الى صلاح الدين اختاً له صغيرة طفلة فاكرمها صلاح الدين وقال لها « ما تريدين » قالت « اريد قلعه عزاز » وكانوا قد علموها ذلك فسلمها اليهم ورحل ثم عاد الى مصر بعد ان استقر له ملك الشام واستخلف عليه اخاه توران شاه فوصل مصر في ٢٠ المحرم سنة ٥٧٢ هـ

وكان صلاح الدين قد استخلف على مصر عندما سار الى الشام وزيره الامير بهاء الدين الاسدى الملقب بقراقوش وهو خصي فارسي فعهد اليه تدبير الاحكام وامره ان يقيم البنايات اللازمة لرونق البلاد ومنعتها فانفذ بهاء الدين ما عهد اليه بغيرة ونشاط . وكانت الجسور المقامة لتنظيم مجرى النيل عند الفيضان قد اهمل شأنها من مدة فاتلف النيل بسبب ذلك كثيراً من البلاد والاراضي لانه اذا زاد اغرق واذا نقص اشرق فوجه بهاء الدين التفاته الى هذا الامر الذي يعد حياة مصر وحفر الترع واقام الجسور والسدود فانتظمت الزراعة

فلما رجع صلاح الدين امر بهاء الدين ببناء قلعة الجبل وترميم سور القاهرة ففعل بهاء الدين ما امر به وشاد عند الطرف الشمالي من جبل المقطم قلعة منيعة لارهاب الاهالي اذا حاولوا العصيان وجعل فيها قصراً لبلاط صلاح الدين . وكان في ذلك المكان بناء قديم من عمل الدولة الطولونية يعرف بقصر الهوى فهدمه واقام القلعة على انقاضه واتى بحجارتها من خرائب منف والاهرام وغيرها فجاءت قلعة منيعة الجانب تشرف على كل المدينة ولا تزال باقية لهذا العهد وتعرف

بقلعة القاهرة

وجعل بهاء الدين في القلعة بئرًا نقرًا في الصخر عميقاً جدًا ولا يزال البئر والقصر للآن يعرفان باسمه يدعى البئر بئر يوسف ويظن بعض العامة انها سميت هكذا نسبة الى يوسف الصديق بن يعقوب والصحيح انها نسبة الى يوسف صلاح الدين

واتهم الاهالي بهاء الدين بالظلم والاستبداد ولقبوه (بقراقوش) اي الطير الاسود وهو العقاب · ونسبوا اليه احكاماً يبعد صدورها منه لان صلاح الدين كان معتمدًا في احوال المملكة عليه ولولا وثوقه بمعرفته وكفاءته لم يفوضها اليه · وكان بهاء الدين رجلاً مسعودًا وصاحب همة عالية

ولما عاد صلاح الدين من الشام الى مصر غزا الفرنج بعض الاعمال في ناحية انطاكية · وعلم صلاح الدين بتوجيه عساكرهم الى تلك الناحية فاغتنم الفرصة ليسطو عليهم في فلسطين فخرج من مصر سنة ٥٧٣ هـ وسار الى ساحل الشام ووصل الى عسقلان فنهب وتفرق عسكره في الاغارة والغنيمة في السهول فاحرقوا الرملة وخربوا عمل اللد وانهزم الاهلون امامهم وعظم رعبهم

فلما علم بذلك ملك اورشليم قصده في عسكر الافرنج وقاتله فانهزم صلاح الدين ومن معه وغنم الافرنج ما كان في معسكرهم وعاد المصريون مدحورين

وفي سنة ٥٧٥ هـ سار صلاح الدين الى الشام وفتح حصناً كان الفرنج قد بنوه عند مخاضة الاحزان بالقرب من بانياس ودكه الى الارض وعاد ظافرًا

وفي سنة ٥٧٨ هـ سار صلاح الدين من مصر الى الشام ومن عجيب الاتفاق انه لما برز من القاهرة وخرج الاعيان لوداعه وكان كل منهم يقول شيئاً في الوداع وفراقه انشده معلم بعض اولاده قول الشاعر

تمتع من شميم عرار نجد　　فما بعد العشية من عرار

فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه لان ذلك شعر بانه لا يعود الى مصر وكان كذلك مع طول مدة حياته

والسبب في هذه الحملة على سورية ان الملك الصالح بن نور الدين كان قد

توفي واستخلف عز الدين ملك الموصل فنقض هذا المعاهدة التي كانت بين صلاح الدين والملك الصالح واستنجد الافرنج على الاستيلاء على بلاد صلاح الدين بالشام . فاسرع صلاح الدين الى سورية فجاء حلب وحصرها فسلمت اليه ثم استولى على الرها ورقة ونصيبين وسروج والخابور وسنجار وحران وحاصر الموصل ولما راى حصارها يطول سار عنها الى آمد واستولى عليها بعد حصار وقتال شديدين ثم عاد الى دمشق ظافرًا منصورًا . وقوي امر صلاح الدين وذاع صيته وصار الملك المطلق في مصر والشام والجزيرة واليمن ولا يوجد من يخالفه الا الصليبيين وهم محصورون في وسط املاكه

وكانت شوكة الافرنج قد ضعفت وهيبتهم قد زالت لتوالي الفتن وحب الرئاسة بينهم حتى تمكن صلاح الدين من الانتصار عليهم والاستيلاء على بيت المقدس وغيره من المدن التي بايديهم كما ستراه ان شاء الله

وكأني بالفرنج قد علموا بضعفهم فهادنوا صلاح الدين الى اجل مسمى ولكن لعدم انقياد بعضهم لاوامر البعض الآخر لم يراع المدعو رانود دي شاتيلون والي الكرك شروط الهدنة وهجم في سنة ٥٨٣ هـ على قافلة للمسلمين وغنمها واسر رجالها

وعلم صلاح الدين بذلك فارسل اليه ان يرد اسرى المسلمين ويعطيهم ما اخذه منهم احترامًا لشروط الهدنة فابى وتكبر . فاغتاظ صلاح الدين جدًا واقسم ان يبيد النصارى واعلن انتقاض الهدنة واستفز المسلمين للجهاد . ولما جمع السلطان صلاح الدين العسكر اغار على الكرك وضايقها وارسل فرقة اخرى مع ولده الملك الافضل فاغاروا على عكا ونواحيها وغنموا شيئًا كثيرًا

ثم تقدم السلطان صلاح الدين ونزل على طبرية وحصرها وفتحها عنوة وتاخرت القلعة وكانت اريموند كونت طرابلس وكان قد هادن السلطان ودخل في طاعته فارسل اليه الفرنج ينهونه عن موافقة السلطان ويوبخونه فصار معهم . واجتمع الفرنج لملتقى السلطان فركب صلاح الدين من طبرية والتقى الجمعان في

حطين (اليها تنسب هذه الوقعة) ودارت بينهم رحى الحرب وحمي وطيسها واشتد الامر على الافرنج من الحر والعطش واحدق المسلمون بهم احداق السوار بالمعصم فقاتلوا مستميتين الى ان تمت الهزيمة عليهم بعد ان قتل اكثر فرسانهم واسر الملك جفري ملك اورشليم ورانود صاحب الكرك وغيرهما من الامراء

فلما انقضى المصاف جلس السلطان في خيمته واجلس جفري ملك الفرنج الى جانبه وكان الحر شديداً فسقاه ماء مثلوجاً فشرب ثم اعطى رانود صاحب الكرك فشرب . فقال السلطان للترجمان قل للملك « انت الذي سقيت هذا الملعون اما انا فما سقيته » لان العرب من عاداتهم اذا اكل الاسير عندهم أوشرب صار امناً فقصد السلطان بقوله هذا ان الملك جفري امن اما رانود فلا

وكان السلطان في غاية الحنق على رانود لامره المسلمين اثناء الهدنة كما تقدم فقام وضرب عنقه بنفسه . فارتعدت فرائص الملك جفري عند ذلك فسكن السلطان جاشه . ثم عاد الى طبرية وفتح قلعتها بالامان

ثم سار السلطان الى عكا فاظهر اهله الامتناع اولاً ثم طلبوا الامان فخيرهم صلاح الدين بين الاقامة او الخروج فخرجوا منها واخذوا كلما قدروا على اخذه من اموالهم وتركوا الباقي فغنمه المسلمون وكان شيئاً يفوق الاحصاء . وفي مدة اقامة السلطان بعكا تفرق عسكره الى الناصرة وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والفولة وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فملكوها ونهبوها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفالها

ثم ارسل السلطان عسكراً الى نابلس فاتي سبسطية (السامرة) وبها قبر زكريا فاخذه من ايدي النصارى وسلمه للمسلمين ووصل الى نابلس فدخلها وحصر قلعتها واستنزل من بها بالامان وتسلم القلعة

ثم سار صلاح الدين بنفسه الى تبنين لان اهلها امتنعوا على عسكره فحاصرها وضايقها فاطلق اهلها الاسرى المسلمين الذين عندهم فلم يرض السلطان ان يتركهم

على ذلك بل ضايقهم حتى ارغموا الى طلب الامان فامنهم ووفى لهم . وسار الى صيدا واجتاز في طريقه الى صرفند فاخذها بلا قتال

ولما سمع صاحب صيدا بمسيره نحوه رحل عنها وتركها خاوية فتسلمها صلاح الدين ساعة وصوله اليها وسار عنها من يومه الى بيروت فامتنع اهلها وقاتلوا صلاح الدين قتالاً شديداً وما زالوا يقاتلون حتى سمعوا من البلد جلبة عظيمة وهياج زائد واتاهم من اخبرهم ان المسلمين دخلوا المدينة من جهة اخرى فارسلوا ينظرون ما الخبر فلم يجدوا صحة لهذا الخبر لكنهم لم يتمكنوا من تسكين هياج الناس وخوفهم فخافوا على انفسهم من عاقبة هذا الاختلاف الواقع فارسلوا الى صلاح الدين يطلبون الامان فامنهم على نفوسهم واموالهم وتسلم المدينة بعد حصار ثمانية ايام ثم ارسل سرية من رجاله الى جبيل من اعمال لبنان فاستلمتها

وكان صلاح الدين لما هزم الافرنج بطبرية ارسل يبشر اخاه العادل بمصر ويامره بالمسير الى بلاد الفرنج من جهة مصر فتسارع الى ذلك ونازل حصن مجدل وحصره وغنم ما فيه وسار منه الى مدينة يافا فحصرها وملكها عنوة ونهبها وقتل رجالها واسر نساءها ومثل باهلها تمثيلاً شنيعاً لم يسمع بمثله

وكان صلاح الدين يهتم كثيراً جداً لفتح عسقلان و بيت المقدس لانه اذا اخذهما لم يبق للافرنج ملجاء . فسار قصداً عسقلان وفتح في طريقه عدة اماكن كالرملة والداروم ولما وصل الى عسقلان حصرها ونصب عليها المنجنيقات وقاتلها قتالاً شديداً حتى تسلمها . ثم بعث سرية من عسكره الى غزة و بيت جبريل والنطرون فاخذوها بغير قتال

ولما استولى صلاح الدين على كل ما تقدم ذكره من البلاد لم يعد يهتم بشيء سوى فتح بيت المقدس فجمع جنده وسار قاصداً بيت المقدس فوصله في ١٥ رجب سنة ٥٨٣ هـ . وكان الافرنج قد علموا بقصد صلاح الدين فجمعوا فرسانهم وكل من نجا منهم في الوقائع السابقة وحصنوا بيت المقدس على قدر ما في امكانهم . ولكنهم كانوا عبثاً يحاولون رد القضاء النازل عليهم . اما صلاح الدين فلما وصل الى بيت

المقدس نزل في الجانب الغربي منه ثم راى ذلك المكان حصيناً ومشحوناً من الخيالة فانتقل الى الجانب الشمالي في ٢٠ رجب سنة ٥٨٣ هـ المذكورة وهناك نصب المنجنيقات وضيق على المدينة تضييقاً شديداً

فلما راي الفرنج ان المدينة لا بد ماخوذة ارسلوا الى صلاح الدين يطلبون الامان. فامتنع صلاح الدين من اجابتهم وقال « لا افعل بكم الا كما فعلتم باهل هذا البلد حين ملكتموه »

ولما رجع الرسول بالخيبة خرج الى صلاح الدين باليان بن بيرزان وقابل صلاح الدين ورغبه في الامان فلم يجبه واستعطفه فلم يعطف واسترحمه فلم يرحم. فلما يئس من كل ذلك قال له « ايها السلطان اعلم اننا في هذه المدينة خلق كثير وانما يفرون عن القتال رجاء انك تجيبهم الى الامان وهم يكرهون الموت ويرغبون في الحياة فاذا راينا الموت لا بد منه فوالله لنقتلن اولادنا ونساءنا ونحرق اموالنا وامتعتنا ولا نترككم تغنمون منا ديناراً واحداً ولا تسبون وتاسرون رجلا ولا امرأة واذا فرغنا من ذلك اخربنا الصخرة والمسجد الاقصى وغيرها من المواضع ثم نقتل من عندنا من اسرى المسلمين وهم خمسة آلاف اسير ولا نترك لنا دابة ولا حيواناً الا قتلناه ثم نخرج اليكم مقاتلين قتال من يحمي دمه ونفسه وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل امثاله ونموت اعزاء او نظفر كراماً »

ففكر صلاح الدين ملياً واستشار اصحابه فقر رايهم على بذل الامان لاهل بيت المقدس فامنوهم وتسلموه . فعاد بيت المقدس الى المسلمين كما كان قبل قدوم الصليبيين

ومدح الشعراء صلاح الدين بعد هذا الفتح المبين فمن ذلك ما قاله عبد الرحمن ابن بدر في قصيدته التي يقول في مطلعها :

هذا الذي كانت الايام تنتظر   فليوف لله اقوام بما نذروا

وهي طويلة تزيد على مائة بيت

وبعد فتح بيت المقدس سار صلاح الدين لفتح صور فجاء عكا ونزل فيها

ونظر في امورها ثم سار عنها الى صور في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٥٨٣ هـ فنزل قريباً منها وحصرها براً واستقدم اسطوله من مصر لحصارها بحراً . ثم ارسل من حاصر هونين فسلمت . اما الصوريون فارسلوا اسطولهم الى اسطول المسلمين فاسروا منه خمس قطع وقتلوا كثيرين من المسلمين فعظم ذلك على صلاح الدين وضاق صدره . وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الامطار فاستشار اصحابه ففضلوا الرجوع عن صور وابقاء امرها لما بعد الشتاء فافرجوا عنها وساروا الى عكا

وفي سنة ٥٨٤ هـ سار صلاح الدين من عكا الى قلعة كوكب لحصرها ونازلها وكان يظن انه يسهل عليه الاستيلاء عليها فلما رآها منيعة يتعذر الوصول اليها سار الى دمشق وترك اخاه العادل ليستديم حصارها وحصار قلعة صفد والكرك . فنازل العادل الكرك وضيق عليها حتى عدم اهلها القوت واكلوا دوابهم فطلبوا الامان فامنهم وتسلم القلعة وما يجاورها كالشوبك وغيرها

وفي جمادي الاولى من السنة فتح صلاح الدين ومن انضم اليه من امراء المسلمين مدن ترسون وجبلة . وفتح صهيون في جمادي الاخرة ثم سير عدة من رجاله استولوا على عدة قرى كبلاطس وغيرها ثم اتى بكاس وهي قلعة حصينة على نهر العاصي ففتحها عنوة وهدم قلعتها ومنها سار الى قلعة برزنة الشهيرة ففتحها وفتح غيرها من القلاع

وفي شعبان من السنة ارسل اهل انطاكية يطلبون الصلح فصالحهم

وفي اوائل رمضان سار يريد صفد فحاربها واستولى عليها بالامان . وفيه سلمت الكرك ايضاً

ولما ضعف امر الصليبيين بالشام الى هذا الحد ذهب المحرضون الى اوربا منادين بحروب صليبية ومستحثين الافرنج لاسترجاع ما اخذ من اخوانهم بالشام . فلبت اوربا دعوتهم وسارت هذه التجريدة الثالثة الى الشام بقيادة ريشارد الملقب بقلب الاسد ملك انكلترا وفيليب ملك فرانسا وفردريك ملك المانيا وسار بعضهم

بحرًا وبعضهم برًا الى الاراضي المقدسة فنزلوا على عكا سنة ٥٨٥ هـ وحاصروها برًا وبحرًا ولم يبق للمسلمين اليها طريق فسار اليهم صلاح الدين وقاتلهم وحمل تقي الدين عمر صاحب حماة من ميمنة السلطان عليهم فازالهم عن موقفهم والتزق بالسور وانفتح الطريق الى المدينة فادخل صلاح الدين عسكرًا اليها نجدة . وبقيت الحرب سجالاً ثم صافوا السلطان وحملوا على قلب جيش المسلمين فازالوه واخذوا يقتلون في المسلمين الى ان بلغوا خيمة السلطان فقاتلهم السلطان حتى قتل منهم نحو العشرة الاف وانهزم بعض المسلمين ووصل بعضهم الى طبرية وبعضهم الى دمشق

وحصل للسلطان قولنج فاشار عليه الاطباء بالانتقال من ذلك المحل فرحل عن عكا الى الخروبة فتمكن الافرنج من حصر المدينة ثانية وانبسطوا في تلك الارض وحصنوا مواقفهم واصطنعوا ثلاثة ابراج من خشب . ولما انقض الشتاء عاد صلاح الدين من الخروبة وعادت نار الحرب تتأجج فاحرق المسلمون الابراج المذكورة وبعد مغالبات كثيرة بين المسلمين والفرنج ارتاع المسلمون وضايقهم الافرنج واصاب صلاح الدين مرض اعجزه عن ان يشهد الحرب مع جنوده فطلب المسلمون الامان فاجابهم الافرنج اليه . وتسلم الفرنج عكا في ١٣ يوليو سنة ١١٩١ م بعد حصارها نحو سنتين

وبعد ان استقر الافرنج بعكا ساروا قاصدين يافا فبعد ان عبروا غابة ارسوف وجدوا في الصحراء هناك ٣٠٠ الف مقاتل من المسلمين فدارت رحى الحرب وحمي وطيسها وكان ريشارد ملك انكلترا وبطل الصليبيين يسارع الى حيث يجد حاجة اليه فانهزم المسلمون هزيمة شنعاء وتقدم الفرنج الى يافا واستولوا عليها . وبعد ان جددوا اسوارها عزموا على قصد بيت المقدس فردهم صلاح الدين على اعقابهم . فشرعوا في تحصين القلاع التي في ايديهم مثل عسقلان ويافا وغيرها على عزم قصد بيت المقدس بعد الفراغ من ذلك

وفي هذه الاثناء وصلت الاخبار الى ريشارد قلب الاسد ملك انكلترا بان

اخاه يوحنا يغدر به ويريد اخذ ملكه فعزم على الرجوع الى بلاده . ولكنه صعب عليه ان يترك الشام على هذه الحال فعقد مع صلاح الدين هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر تكون في خلالها ابواب بيت المقدس مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونه بلا سلاح

وبعد ان قرر ريشارد الهدنة اقام على فتوحاته في فلسطين ابن اخيه هنري كونت شمبانيا ملكاً ثم عاد الى بلاده

اما صلاح الدين فبعد ان عقد الهدنة مع الفرنج عزم ان يغزو اسيا الصغرى وياخذ ما فيها للمسلمين وملك الروم ويفتتح القسطنطنية ويتطرق الى الفرنج في بلادهم الا انه ليس كل ما يتمنى المرء يدركه . فانه خرج الى شرقي دمشق متصيداً وغاب خمسة عشر يوماً وعاد ثم خرج لملتقى الحجاج ورجع بين البساتين الى القلعة فكانت هذه آخر ركباته فقد اصابته حمى واخذ المرض في التزايد وقصده الاطباء فلم تنجع به ادواؤهم وغشي الناس من الحزن والبكاء عليه بما لم يسمع بمثله وتوفي ليلة ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ ودفن في قلعة دمشق وخلف سبعة عشر ولداً ذكراً وبنتاً واحدة ولم يخلف صلاح الدين في خزائنه غير سبعة واربعين درهماً وهذا دليل قاطع على فرط كرمه . وكان حسن الخلق صبوراً على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب اصحابه يسمع من احدهم ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان طاهر المجلس لا يذكر احد في مجلسه الا بالخير

ولما توفي صلاح الدين كان معه بدمشق ابنه الافضل نور الدين فملك دمشق والساحل وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الاعمال الى الداروم وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها . وكان بحلب ابنه الظاهر غازي فاستولى عليها وعلى اعمالها مثل حارم وتل باشر وعزاز وبرزية وغيرها واطاعه صاحب حماة ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شيركوه وله مع حماة سلمية والمعرة ومنبج . وكان بحمص شيركوه بن محمد فاطاع الملك الافضل وكان الملك العادل بن أيوب بالكرك فامتنع فيه ولم يبايع لاحد من ولد اخيه فارسل

اليه الملك الافضل وهدده ان لم يحضر لدمشق ويبايع له ففعل . وبهذه الكيفية انقسمت الدولة الايوبية الى ثلاث دول مصر وهي للعزيز . ودمشق وهي للافضل . وحلب وهي للظاهر .

ولأن صاحب مصر في اغلب الاحيان كانت له السيادة على باقي الملوك . فسأذكر ما يلي من الفصول تحت اسم الملوك الذين تولوا على مصر مع اهم حوادث باقي الممالك الايوبية في غير مصر حسب تاريخ وقوعها وبالله التوفيق



ش (١) نقود صلاح الدين

٤٦٢ - العزيز بن يوسف

من سنة ٥٨٩ — ٥٩٥ هـ او من سنة ١١٩٣ — ١١٩٨ م

وعلى ما تقدم استقر العزيز بن يوسف بمصر والافضل بدمشق والظاهر بحلب . وكان للدولة الايوبية اعداء الداء لم يظهروا ايام صلاح الدين لخوفهم منه وعجزهم عن مقاومته . فلما توفي انفتح باب للمساجلة . ومن هؤلاء الاعداء عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فانه لما سمع بوفاة صلاح الدين عزم على قصد ديار الجزيرة مثل حران والرها وغيرها ليسترجعها لكنه لم يتم له ماتمنى لان المرض اصابه في طريقه ورجع الى الموصل فمات في رجب من السنة

وكان مع العزيز بمصر موالي ابيه وهم منحرفون عن طاعة الافضل فخوفوا العزيز منه واغروه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة ٥٩٠ هـ وحصر اخاه الافضل بدمشق . فارسل الافضل يستنجد عمه العادل واخاه الظاهر صاحب حلب وابن عمه المنصور صاحب حماة فساروا الى دمشق واصلحوا بين الاخوين ورجع العزيز الى مصر ورجع كل ملك الى بلده

وفي سنة ٥٩١ هـ عاود الملك العزيز قصد الشام ومنازلة اخيه الملك الافضل فسار نحو دمشق فاضطرب عليه بعض عسكره وفارقوه فعاد الى مصر بمن بقي معه . وكان الملك الافضل قد استنجد عمه الملك العادل . فلما رحل اخوه العزيز الى مصر تبعه الملك الافضل والملك العادل ومن انضم اليهما طالبين مصر فساروا حتى نزلوا على بلبيس وقد ترك العزيز فيها جماعة من الصلاحية فقصد الملك الافضل مناجزتهم بالقتال فمنعه عمه الملك العادل وقصد الافضل المسير الى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمه العادل ايضاً وقال «مصر لك متى شئت» وكاتب العزيز بالباطن وامره بارسال القاضي الفاضل ليصلح بين الاخوين فاصلح بينهما واقام الملك العادل عند العزيز بمصر وعاد الافضل الى دمشق

وفي سنة ٥٩٢ هـ اتفق العزيز والعادل على قصد دمشق واخذها من الافضل وتسليمها للعادل فتم لها ذلك وسار الافضل الى قلعة صرخد .

وفي سنة ٥٩٣ هـ ملك العادل يافا من الافرنج وملك الفرنج بيروت من المسلمين

وفي سنة ٥٩٥ هـ توفي الملك العزيز صاحب مصر بعد ان ملك ست سنين الا شهراً



ش (٢) نقود العزيز بن صلاح الدين

٤٦٣ — المنصور بن العزيز

من سنة ٥٩٥ — ٥٩٦ ه او من سنة ١١٩٨ — ١٢٠٠ م

ولما توفي العزيز بن يوسف تولى بعده ابنه ناصر الدين محمد ولقب الملك المنصور ولانه كان صغيراً لم يتجاوز الثامنة من عمره استدعى ارباب الدولة بمصر عمه الملك الافضل ليكن وصياً عليه · فارسلوا اليه بصرخد فجاء الى مصر مختفياً خوفاً من عمه العادل فلما وصلها نودي به اتابكاً على ابن اخيه الملك المنصور · فلما استقر قدمه بمصر ارسل اليه اخوه الظاهر صاحب حلب واشار عليه ان يقصد دمشق و يأخذها من عمه الملك العادل فسار الملك الافضل الى دمشق و بلغ الملك العادل مسيره وهو محاصر ماردين فسار الى دمشق ووصل اليها قبل الملك الافضل ثم وصل الافضل الى دمشق وزحف اليها وجرى بينهما قتال وانجد الملك الظاهر اخاه الافضل فضاق الامر على العادل حتى كاد يسلم المدينة فحصل بين الاخوين الافضل والظاهر خلاف ادى الى ترك حصار دمشق وعاد الملك الافضل الى مصر والظاهر الى حلب

وفي سنة ٥٩٦ ه خرج الملك العادل من دمشق وسار في اثر الافضل الى مصر ولما وصل الافضل اليها تفرقت عساكره فادركه عمه العادل فخرج الافضل بمن بقي عنده من العسكر وضرب معه مصافاً بالسائح فانكسر عسكر الافضل وانهزم هو الى القاهرة · ونازل العادل القاهرة فاجاب الافضل الى تسليمها على ان يعوض عنها ميافارقين وحاني وميمساط فاجابه العادل الى ذلك ولم يف له به ودخل العادل القاهرة في ٢١ ربيع الآخر من السنة · وسافر الافضل الى صرخد



ش (٢) نقود المنصور بن العزيز

٤٦٤ — العادل بن ايوب

من سنة ٥٩٦ — ٦١٥ ﻫ او من سنة ١٢٠٠ — ١٢١٨ م

دخل العادل القاهرة على انه اتابك الملك المنصور محمد بن العزيز ولكنه خلعه بعد مدة يسيرة واستقل بالملك . ولما علم الملك الافضل والملك الظاهر باستقلال عمهما الملك العادل بمصر وقطع خطبة ابن اخيهما خافا من عمهما واتحدا معًا على اخذ بلاده على ان تكون دمشق للملك الظاهر ومصر للملك الافضل . وعلى هذا الاتفاق سارا بجيوشهما الى دمشق وبها المعظم بن العادل فحاصراها وضيقا عليها . وسار العادل بعساكره من مصر لمنعهما فلم يجسر على التقدم اليهما . ولم يكن الا قليلاً على فتح دمشق حتى اختلف الاخوان وطمع كل منهما في الملك دون الآخر فتفرقت جموعهما وعاد الظاهر الى حلب . فتقدم حينئذ العادل ودخل دمشق ثم سار منها الى حماة قاصدًا اخذ حلب فعلم الظاهر بقدومه فارسل الى عمه العادل يطلب الامان على ان يخطب له في حلب ويكون نائبه فيها . فاجابه الى ذلك وبذلك توحدت الدولة الايوبية مرة اخرى وصارت مملكة واحدة تحت تصرف الملك العادل

وفي سنة ٥٩٩ ﻫ سار الملك المنصور صاحب حماة الى بعرين مرابطًا للافرنج وكتب الملك العادل الى صاحب بعلبك وصاحب حمص ان يجداه واجتمع الافرنج من حصن الاكراد وطرابلس وغيرهما وقصدوا الملك المنصور ببعرين وبعد قتال شديد انهزم الافرنج هزيمة شنيعة واسر المسلمون وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا

وفي سنة ٦٠٠ ﻫ وصل كثير من الفرنج بحرًا وارسوا بعكا قاصدين بيت المقدس ثم ساروا ونهبوا كثيرًا من بلاد المسلمين بنواحي الاردن وسبوا وفتكوا بالمسلمين فخرج الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور بالقرب من عكا في قبالة الفرنج ودام ذلك الى آخر السنة

وفي سنة ٦٠١ ﻫ كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج وسلم اليهم يافا والناصرة وغيرها ونصف اللد والرملة . ولما استقرت الهدنة سار الملك العادل الى مصر فاغار الفرنج على حماة فامتلأت ايديهم من المكاسب ثم هادن صاحب حماة الفرنج

وفي سنة ٦٠٣ ﻫ سار الملك العادل من مصر الى الشام فنازل في طريقه عكا

فصالحه اهلها على اطلاق جمع من الاسرى ثم وصل الى دمشق وكان الافرنج الذين بطرابلس وحصن الاكراد قد اكثروا الاغارة على حمص ولم يقدر صاحبها أسد الدين شيركوه على دفعهم فاستنجد الظاهر صاحب حلب وغيره من ملوك الشام فلم ينجده الا الظاهر فانه سير له عسكراً اقاموا عنده ومنعوا الفرنج عن ولايته الى ان سار الملك العادل من دمشق ونزل على بحيرة قدس وجاءته الامداد من الشرق وديار الجزيرة ودخل بلاد طرابلس وحاصر موضعاً اسمه القليعات واخذه صلحاً واطلق صاحبه وغنم ما فيه من دواب وسلاح وخربه وتقدم الى طرابلس فنهب وأحرق وسبى وغنم وعاث عسكره في بلادها وقطع قناتها وعاد الى بحيرة قدس وترددت الرسل بينه وبين الفرنج فلم تستقر قاعدة ودخل الشتاء وطلبت العساكر الشرقية العود الى بلادها فنزلت طائفة من العسكر بحمص وعاد الملك العادل الى دمشق فشتى بها

وفي سنة ٦٠٦ هـ سار الملك العادل من دمشق وقطع الفرات وجمع العساكر والملوك ونزل حران وسار منها فنازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود وحاصرها وطال الحصار • ثم خامرت العساكر التي صحبت الملك العادل ونقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح مع عمه العادل فرحل الملك العادل عن سنجار وعاد الى حران واستولى على نصيبين وكانت لقطب الدين وعاد الى دمشق ثم الى مصر

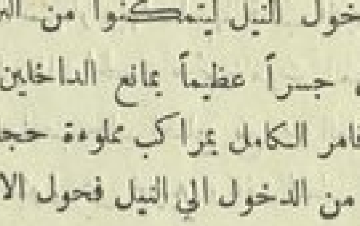
وفي سنة ٦١٣ هـ توفي الملك الظاهر صاحب حلب بعد ان عهد بالولاية من بعده لابنه الاصغر الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن عبد العزيز وحلف الامراء والاكابر على ذلك وكانت مدة ملكه بحلب من حين وهبها ابوه له ٣١ سنة

وفي سنة ٦١٤ هـ وصل امداد الافرنج الى عكا وكان العادل بمصر فسار الى الشام فوصل الى الرملة ومنها الى لد وقصده الافرنج من عكا فسار هو الى نابلس فسبقه الافرنج اليها فنزل على بيسان فتقدم الفرنج اليه وكان عسكره قليلا فلم ير ان يلقاهم فيمن معه خوفاً من هزيمة تكون عليه ففارق بيسان وسار الى دمشق ليجمع العساكر وتقدم الفرنج الى بيسان فاخذوا كل ما فيها ونهبوا البلاد من بيسان الى بانياس ثم رجعوا الى عكا بعد ان غنموا شيئاً كثيراً • ثم جاؤا الى صور وقصدوا بلد الشقيف ونهبوا صيدا والشقيف وعادوا الى عكا ثم نازلوا قلعة الطور (على رأس جبل بالقرب

من عكا) وكادوا يملكونها فقتل بعض امرائهم فتركوا القلعة وعادوا الى عكا • فتوجه الملك المعظم بن العادل ودك قلعة الطور الى الارض لانها بالقرب من عكا ويتعذر حفظها

اما الافرنج فاقاموا بعكا الى سنة ٦١٥ هـ وساروا في البحر الى دمياط وارسوا بسواحلها في صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين تمر منه الى سور دمياط سلاسل من الحديد محكمة تمنع السفن من البحر المالح ان تصعد الى النيل فلما نزل الفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط • وبعث العادل الى ابنه الكامل بمصر ان يخرج في العساكر ويقف قبالتهم ففعل وخرج من مصر في عساكر المسلمين فنزل قريباً من دمياط بالعادلية • والح الافرنج على قتال ذلك البرج اربعة اشهر حتى ملكوه ووجدوا السبيل الى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط • فبنى الكامل عوض السلاسل جسراً عظيماً يمانع الداخلين الى النيل فقاتلوا عليه قتالا شديداً حتى قطعوه • فامر الكامل بمراكب مملوءة حجارة وخرقوها وغرقوها وراء الجسر تمنع المراكب من الدخول الى النيل فحول الافرنج مجرى النيل واصعدوا مراكبهم اليه

واشتد خوف العادل من نزول الفرنج على دمياط فرحل من مرج الصفر الى عالقين فنزل به المرض ومات في جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ • وكان قد قسم البلاد في حياته بين بنيه فمصر للكامل ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما اليها للمعظم عيسى • وخلاط وما اليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للاشرف موسى والرها وميافارقين لشهاب الدين غازي وقلعة جعبر للحافظ ارسلان شاه • فلما توفي استقل كل منهم بعمله وتجزأت الدولة مرة ثانية





ش (٤) نقود العادل بن ايوب

٤٦٥ – الكامل بن العادل

من سنة ٦١٥ – ٦٣٥ ﻫ او من سنة ١٢١٨ – ١٢٣٨ م

توفي العادل والفرنج محاصرون دمياط وعلم الناس بذلك فازداد الفرنج قوة والمسلمون وهناً وقام الامير عماد الدين بن المشطوب الكردي وهيج الامراء والعسكر بعدم قبول الكامل سلطاناً عليهم مكان ابيه وتمليك اخيه الملك الفائز وبلغ الخبر الملك الكامل ففارق موقفه مقابل الفرنج ليلاً وسار مسرعاً الى قرية اشمون طناح واصبح العسكر وقد فقدوا سلطانهم فتركوا خيامهم وذخائرهم واموالهم ولحقوا بالكامل . فعبر الفرنج حينئذٍ الى النيل آمنين بغير منازع الى بر دمياط فغنموا ما في معسكر المسلمين واحاطوا بدمياط وضيقوا عليها براً وبحراً واشتد القتال على الدمياطيين وتعذرت عليهم الاقوات فسلموا البلد الى الافرنج

وفي هذه الاثناء وصل الملك المعظم عيسى بن العادل الديار المصرية نجدة لاخيه الكامل فاشتد قلب الكامل وقوي ظهره واتحد هو واخوه واخرجوا ابن المشطوب الى الشام فاتصل بالملك الاشرف صاحب ديار الجزيرة وصار من جنده

اما الفرنج فلما ملكوا دمياط اقاموا بها وبثوا سراياهم في ما جاورها من البلاد

وشرعوا في تحصينها . وسمع الفرنج في بلادهم بفتح دمياط فاقبلوا من كل فج اليها يهرعون

وعاد الملك المعظم الى الشام فخرب اسوار البيت المقدس خوفاً من ان ياخذه الفرنج فلا ينفعهم اخذه

اما الملك الكامل فلما علم بفتح دمياط رحل حتى نزل قبالة طلخا على رأس بحر اشموم ورأس بحر دمياط ليمنع الفرنج من التقدم الى داخلية البلاد واقام معسكراً في محلة المنزلة وامر بتحصين المعسكر فامر ببناء الدور والفنادق والحمامات والاسواق . وصارت هذه المدينة تدعى بعد ذلك الحين بالمنصورة اشارة الى انتصاره على الصليبيين هناك . وكتب الى اخويه المعظم في دمشق والاشرف في الجزيرة يستنجدهما ويحثهما على الحضور بانفسهما . وكان الملك الاشرف مشغولاً عن نجدته بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه ولما استقامت له الامور سار هو واخوه صاحب دمشق سنة ٦١٨ ﻫ الى مصر . وكان الفرنج قد تركوا دمياط وقصدوا الملك الكامل ونزلوا قبالته وبينهما بحر اشمون واوقدوا الحرب عليه . وسمع الملك الكامل بدنو اخيه الملك الاشرف فلقيه واستبشر هو والمسلمون بقدومه . واما الملك المعظم فقصد دمياط ليمنع الفرنج من الرجوع اليها . وزحف الكامل والاشرف الى الفرنج واشتد القتال وغنم المسلمون ثلاث قطع من مراكبهم بمن فيها من الرجال فقويت نفوس المسلمين . ثم ترددت الرسل بين الفريقين بتقرير قاعدة الصلح وبذل المسلمون للفرنج تسليم بيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة وصيدا واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين الا الكرك على ان يسلمهم الفرنج دمياط فلم يرضوا وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضاً عن تخريب اسوار البيت المقدس ليعمروه بها فلم يتم بينهم امر وعادوا الى القتال وقطع المسلمون النيل فركب الماء اكثر الارض التي عليها الفرنج ولم يبق لهم جهة يسلكون منها غير جهة واحدة ضيقة . ونصب الكامل على النيل جسوراً عبر المسلمون عليها فملكوا الطريق الذي يسلكه الفرنج ان ارادوا العود الى دمياط . فانحصر الفرنج في تلك البقعة وضاقت

بهم المذاهب وندموا لانهم لم يقبلوا شروط الصلح التي قدمها المسلمون . ولما يئسوا من النجاة احرقوا خيامهم واثقالهم وزحفوا الى المسلمين فحالت الاوحال دون ما يرغبون وقلت الاقوات بينهم وكشرت المنايا لهم عن انيابها فراسلوا الملك الكامل يطلبون الامان ليسلموا دمياط بغير عوض وبينما المراسلات مترددة اقبل جيش الملك المعظم صاحب دمشق الذي كان قد جعل طريقه على دمياط فاشتدت ظهور المسلمين وزادوا الفرنج خذلاناً وتمموا الصلح على اخذ دمياط ولما دخل المسلمون دمياط وجدوها محصنة تحصيناً عظيماً فكان هذا ظفراً لهم لم يكن في حسابهم . وكان دخول المسلمين اليها في ١٩ رجب سنة ٦١٨ ﻫ

وفي سنة ٦١٩ ﻫ قصد الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حماة ليملكها لان الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله اليه اذا ملك حماة فملكها ولم يف . فنزل الملك المعظم بيعرين وجرى بينه وبين الملك الناصر قتال قليل ثم ارتحل الملك المعظم الى سلمية فاستولى على حواصلها ثم توجه الى المعرة فاستولى عليها واقام فيها والياً من جهته وقرر امورها ثم عاد الى سلمية فاقام بها على قصد منازلة حماة

وفي سنة ٦٢٠ ﻫ بلغ الملك الاشرف ما فعله اخوه المعظم بصاحب حماة فعظم عليه ذلك واتفق مع اخيه الملك الكامل على انكار ما فعله المعظم وازاحته عن حماة فارسل اليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسي فقال له « السلطان يأمرك بالرحيل » فقال السمع والطاعة ورحل مغضباً على اخويه الكامل والاشرف ورجعت سلمية والمعرة الى الملك الناصر

وفي سنة ٦٢٢ ﻫ توفي الملك الافضل بن صلاح الدين بسميساط وكان له علم وفطنة لكنه كان ضعيف الرأي قليل العزم كثير الغفلة عما يجب للدول وتدبير الممالك . وكان لما اخذت منه البلاد كتب الى الخليفة الناصر كتاباً ضمنه شكاية عمه العادل واخيه العزيز حيث اخذا منه البلاد ونكثا عهد ابيه له بها . وكتب في اول الكتاب بيتين من الشعر عملهما واحسن فيهما وهما

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد اخذا بالسيف حق علي
فانظر الى حرف هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاقى من الاول

يريد بأبي بكر عمه العادل و بعثمان اخاه العزيز و بعلي نفسه . فاجابه الناصر عن كتابه بكتاب كتب فيه

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً بالصدق يخبر ان اصلك طاهر
غصبوا علياً حقه اذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

وفي سنة ٦٢٤ هـ توفي الملك المعظم بن الملك العادل صاحب دمشق بقلعة دمشق بالدوسنطاريا وعمره تسع واربعون سنة . وكان شجاعاً وكان يجامل اخاه الكامل صاحب مصر ويخطب له ببلاده ولا يذكر اسمه معه . وكان قليل التكلف جداً لا يركب بالسناجق السلطانية كعادة الملوك . وكان عالماً فاضلاً بالفقه والنحو واللغة وكان حنفياً متعصباً لمذهبه مع ان جميع اهل بيته كانوا شافعية . وولي بعده ابنه داود ولقب الملك الناصر

وفي سنة ٦٢٥ هـ ارسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن اخيه الناصر داود حصن الشوبك فلم يجبه الى طلبه فسار الملك الكامل من مصر ونزل علي تل العجول بظاهر غزة . وكان مع الملك الكامل المظفر صاحب حماة وقد وعده الكامل ان ينتزع حماة من الناصر ويسلمها اليه

ولما علم الملك الناصر بقصد عمه الكامل استنجد بعمه الملك الاشرف فقدم الى دمشق ووجد الناصر يستعد ويتجهز للحصار فمنعه عما هو فيه وحلف له على المساعدة والحفظ له ولبلاده وراسل الملك الكامل واصطلحا . وظن الناصر انه معها في الصلح ثم سار الاشرف الى اخيه الكامل الى غزة واتفقا في الباطن على اخذ دمشق من ابن اخيهما الناصر وتعويضه عنها بحران والرها والرقة من بلاد الاشرف وان تكون دمشق للملك الاشرف ويكون له الى عقبة افيق وما عدا ذلك من بلاد دمشق يكون للملك الكامل صاحب مصر . وعلم الناصر وهو بنابلس

باتحاد الاشرف والكامل عليه فسار الى دمشق وسار الاشرف في اثره وحصره في دمشق

وفي سنة ٦٢٦ هـ وصل الشام فردريك الثاني ملك المانيا ونزل عكا واستولى على كثير من مدن المسلمين المجاورة لبيت المقدس ولم يقدر الكامل على دفعه فراسله وهو بغزة في الصلح واستقرت القاعدة بينهم على ان يسلموا اليه (الى فردريك) بيت المقدس ومواضع اخرى على ان تستمر اسواره خراباً فاستعظم المسلمون ذلك واكبروه ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه

ولما عقد الكامل الهدنة مع فردريك ملك المانيا على ما تقدم من الشروط سار لمعاونة اخيه الاشرف في حصار دمشق واشتد الحصار فاستولى الملك الكامل على دمشق وعوض الناصر صاحبها بالكرك والبلقاء والصلت والاغوار والشوبك . وتسلم الملك الاشرف دمشق واخذ الكامل لنفسه البلاد الشرقية التي كانت قد عينت للناصر وهي حران والرها وغيرها

وفي سنة ٦٢٧ هـ استولى الملك الاشرف صاحب دمشق على بعلبك واخذها من الملك الامجد بهرام من الايوبيين ايضاً وعوضه عنها الزبداني وقصير دمشق الذي شماليها ومواضع اخرى . وتوجه الملك الامجد واقام بداره التي داخل باب النصر بدمشق المعروفة بدار السعادة (وهي التي ينزلها النواب) وكان الاشرف قد حبس بعض مماليكه في داره وجلس قدام الباب يلعب بالنرد ففتح المملوك الباب واخذ سيفاً ضرب به الامجد ثم طلع الى سطح الدار والقى نفسه الى وسطها فمات . وكان الامجد اشعر بني ايوب وشعره مشهور

وفي سنة ٦٣٠ هـ استولى الملك العزيز صاحب حلب على شيزر وكانت بيد شهاب الدين يوسف من ولد عثمان بن الداية من امراء نور الدين بن زنكي . وفيها اخذ المظفر صاحب حماة بعرين من اخيه قلج ارسلان لانه خشي ان يسلمها الى الفرنج لضعفه وجرى ذلك باذن الكامل

وفي سنة ٦٣٤ هـ توفي الملك العزيز صاحب حلب وتولى بعده ولده الملك الناصر يوسف وعمره سبع سنين فصار مرجع امور المملكة الى جدته والدة الملك العزيز واسمها ضيفة خاتون بنت الملك العادل

وفي هذه السنة قويت الوحشة بين الملك الكامل وبين اخيه الملك الاشرف صاحب دمشق وسبب ذلك ان الملك الكامل قصد بلاد الروم فاتفق الملك الاشرف مع شيركوه صاحب حمص ومع صاحبة حلب ضيفة خاتون ومع باقي الملوك (الا الملك المظفر صاحب حماة) على مخالفة الملك الكامل وتهدد الاشرف الملك المظفر باخذ بلاده منه ان لم يتحد معهم فخاف وقدم الى دمشق ووافقهم على قتال الكامل . ولم يتم للاشرف ما اراد من انتزاع البلاد من يد اخيه الكامل لان المنية عاجلته فتوفي في دمشق سنة ٦٣٥ هـ وتولى بعده على دمشق اخوه الملك الصالح اسماعيل بعهده له بذلك

ولما استقر الملك الصالح اسماعيل في دمشق كتب الى الملوك يجدد عهودهم لقتال الكامل فانقادوا اليه ووافقوه ما عدا الملك المظفر صاحب حماة فانه كتب الى الكامل يعتذر عن انقياده اولاً للاشرف خوفاً منه فقبل الكامل عذره ووعده بانتزاع سلمية من صاحب حمص وتسليمها اليه

ولما علم الكامل بموت أخيه الاشرف سار الى دمشق وحصرها وبها اخوه الملك الصالح اسماعيل المتولي بعد الاشرف فقاتل عنها بما في امكانه ولما لم يجد فائدة من الدفاع سلم دمشق للكامل واخذ عوضاً عنها بعلبك والبقاع وبصرى . وبعد ايام مرض الكامل واشتد مرضه وسببه انه لما دخل قلعة دمشق اصابه زكام فدخل الحمام وسكب على نفسه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة الى معدته وتورمت منها وحصلت له حمى فمات سنة ٦٣٥ هـ المذكورة . وكان عاقلاً فاضلاً حسن السياسة كثير الاصابة سديد الرأي شديد الهيبة عظيم الهمة محباً للفضائل واهلها .

٤٦٦ – العادل بن الكامل

من سنة ٦٢٥ – ٦٣٧ ﻫ او من سنه ١٢٣٨ – ١٢٤٠ م

ولما علم الامراء بمصر بموت الكامل بايعوا ابنه سيف الدين ابا بكر الملقب بالملك العادل وهو حينئذ نائب ابيه بمصر فخفوا له واقاموا في دمشق نائباً له الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل . ولما علم اهل حلب بموت الملك الكامل طمعوا في الاستيلاء على ما للملك المظفر صاحب حماة لموافقته الكامل فسار عسكرهم الى المعرة فانتزعها من يد المظفر وحاصر قلعتها فاخذها ايضاً ثم ساروا وفي مقدمتهم المعظم توران شاه بن صلاح الدين الى حماة ونازلوها وبها الملك المظفر واستمر الحصار حتى انقضت سنة ٦٣٥ ﻫ فضجرت نفوسهم من هذا الحصار ولم يجدوا بحماة مطمعاً فامرت ضيفة خاتون صاحبة حلب بالرحيل عنها فرحلوا واستمرت المعرة في يد الحلبيين ولم يبق للمظفر الا حماة وبعرين وخاف ان تخرج بعرين بسبب قلعتها فهدم هذه القلعة الى الارض

وفي سنة ٦٣٦ ﻫ ارسل العادل الى الجواد نائبه بدمشق لكي ينزل عن دمشق على ان يعوضه عنها اقطاعاً بمصر فلم يرد الجواد ذلك بل اتفق مع الملك الصالح ايوب بن الكامل صاحب سنجار والرقة على ان يتبادلا الامارات فاستولى الملك الصالح على دمشق وسار الجواد الى سنجار . وخاف العادل بمصر من هذا التبادل لئلا يطمع الصالح في مصر وقد صارت قريبة منه . وكان خوفه في محله لان الصالح لما استقر بدمشق كاتب المصريين وكاتبوه واتفقوا سراً معه على تسليمه مصر فتقدم الصالح الى مصر وسار العادل الى بلبيس ليمنع دخوله

وفي يوم الجمعة ٨ ذي الحجة سنة ٦٣٨ ﻫ احاط جماعة من المماليك الاشرفية ومقدمهم ايبك الاسمر بالملك العادل وقبضوا عليه وجعلوه في خيمة صغيرة وعليه من يحفظه وارسلوا الى الصالح ايوب يستعجلونه فسار هو والناصر داود الى مصر وزينت له البلاد وفرح الناس بقدومه وكانت مدة ملك العادل نحو سنتين

٤٦٧ — الصالح ايوب بن الكامل

من سنة ٦٣٧ — ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٤٠ — ١٢٤٩ م

ولما استقر الملك الصالح ايوب بمصر قبض في سنة ٦٣٨ هـ على ايبك الاسمر وعلى غيره من الامراء والمماليك الذين قبضوا على اخيه العادل واودعهم السجون وشرع في بناء قلعة الجزيرة بمصر واتخذها مسكناً لنفسه

وفي سنة ٦٣٨ هـ المذكورة توفي الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل الذي كان قد تولى دمشق ثم عوض عنها بسنجار وعانة فباع عانة للخليفة المستنصر وسار لؤلؤ صاحب الموصل وحاصر سنجار ويونس غائب واستولى عليها فلم يبق بيد يونس شيء من البلاد فسار الى غزة وارسل الى الملك الصالح ايوب صاحب مصر يساله في المسير اليه فلم يجبه الى ذلك فسار يونس الى عكا واقام مع الفرنج فارسل الصالح اسماعيل صاحب دمشق حينئذ وبذل مالاً للفرنج وتسلم يونس المذكور واعتقله ثم خنقه هذه السنة

وفي هذه الاثناء قدم الخوارزميون هاربين امام جنكزخان ملك التتر الى سورية الشرقية ونزلوا على حدودها فارسل اليهم الملك الصالح ايوب ملك مصر رسلاً عقدوا معهم صلحا وعاهدوهم على محاربة الافرنج وامراء سورية الذين على دعوتهم . فتجند الخوارزميون واخترقوا سورية الى ان بلغوا غزة فحاربوا الفرنج عند اسوارها وانجدهم الملك الصالح من جهة مصر فانهزم الفرنج فتتبعوهم حتى استولوا على غزة والبيت المقدس باسم الملك الصالح ووصلت الاسرى والرؤوس الى مصر ودقت بها البشائر عدة ايام وذلك سنة ٦٤٢ هـ . ثم سار عسكر مصر والخوارزمية الى دمشق وحاصروها فتسلموها سنة ٦٤٣ هـ وعوضوا صاحبها الصالح اسماعيل بعلبك وبصرى والسواد . ولم يف الملك الصالح ايوب للخوارزمية ما وعدهم به فانقلبوا ضده وساعدوا الصالح اسماعيل الذي اخذ بعلبك وانضم اليهم صاحب الكرك وعادوا فحاصروا دمشق حتى غلت فيها الاقوات وقاسى اهلها شدة عظيمة

وفي سنة ٦٤٣ هـ اتفق اهل حلب والملك المنصور صاحب حمص مع الملك الصالح صاحب مصر وقصدوا الخوارزمية وهم محاصرون دمشق فرحل الخوارزميون عن دمشق وساروا الى حلب فالتقوا بالحلبيين سنة ٦٤٤ هـ وحصل بين الفريقين قتال شديد في محل يقال له القصب فانهزم الخوارزمية هزيمة قبيحة تشتت شملهم بعدها وقتل متقدمهم حسام الدين وحمل رأسه الى حلب

وفي سنة ٦٤٤ هـ توفي الملك المنصور صاحب حمص وتولى بعده ابنه الملك الاشرف موسى

وفي سنة ٦٤٥ هـ استرد الملك الصالح صاحب مصر عسقلان وطبرية من يد الافرنج بعد محاصرتها مدة

وفي سنة ٦٤٦ هـ ارسل الملك الناصر صاحب حلب عسكراً مع شمس الدين لؤلؤ الارمني فحاصر الملك الاشرف موسى بحمص مدة شهر بن فسلم اليهم حمص وتعوض عنها تل باشر مضافاً الى ما في يده من تدمر والرحبة

ولما بلغ ذلك الملك الصالح صاحب مصر عظم عليه الامر وسار الى الشام لاسترجاع حمص من الحلبيين فمرض في الطريق ووصل الى دمشق فارسل عسكراً الى حمص ونصبوا منجنيقاً مغربياً يرمي بحجر زنته ١٤٠ رطلاً شامياً واستمر الحصار الى ان وصل الخبر الى الملك الصالح بدمشق بوصول الفرنج الى دمياط وكان مرضه قد اشتد ووصل رسول من قبل الخليفة وسعى بالصلح بين الملك الصالح والحلبيين وان تستقر حمص بيد الحلبيين فاجاب صاحب مصر الى ذلك وامر عسكره فرحلوا عن حلب وعاد هو الى مصر محمولاً في محفة لشدة مرضه

وفي سنة ٦٤٧ هـ وصل الملك لويس التاسع ملك فرنسا الى دمياط في جيش عظيم بقصد الاستيلاء عليها والدخول منها الى الديار المصرية . وكان الملك الصالح قد شحنها بآلات عظيمة وذخائر وافرة وجعل فيها بني كنانة وهم مشهورون بالشجاعة فلما وصل الفرنساويون امد الصالح بني كنانة بجيش عظيم بقيادة فخر الدين بن الشيخ ليكونوا قبالة الافرنج بظاهر دمياط . ولما وصل الافرنج عبر

فخر الدين من البر الغربي الى البر الشرقي ووصل الفرنج الى البر الغربي وقاتلوا بني كنانة وهزموهم . فهرب بنو كنانة واهل دمياط منها وتركوا ابوابها مفتوحة فتملكها الفرنج بغير قتال واستولوا على ما بها . وعظم ذلك على الملك الصالح وامر بشنق بني كنانة فشنقوا عن آخرهم . ووصل الملك الصالح الى المنصورة ونزل بها وقد اشتد مرضه فتوفي في سنة ٦٤٧ هـ المذكورة

وكان عالي الهمة طاهر اللسان وقوراً كثير الصمت وجمع من المماليك الترك ما لم يجتمع لغيره من اهل بيته حتى كان اكثر عسكره مماليكه وجمع منهم جماعة حول دهليزه سماهم البحرية

٤٦٨ — المعظم توران شاه بن الصالح

من سنة ٦٤٧ — ٦٤٨ هـ او من سنة ١٢٤٩ — ١٢٥٠ م

كان للملك الصالح ثلاثة اولاد توفي منهم اثنان و بقي واحد فقط هو المعظم توران شاه صاحب حصن كيفا . فلما توفي الصالح لم يوص بالملك من بعده لاحد وكان للملك الصالح جارية تدعى شجرة الدر عاقلة ذات رأي وحسن سياسة فكتمت وفاته ووقفت في جمهور الامراء والاعيان وقالت « ان السلطان يأمركم ان تبايعوا بعده ابنه الملك المعظم غياث الدين توران شاه وقد عين الامير فخر الدين اتابكاً لادارة الاحكام » فبايع جميع الامراء ثم ارسلت هذه الاوامر الى القاهرة فبايع جميع من فيها وكانت تبعث الرسائل مختومة بختم السلطان الملك الصالح فكان الجميع يظنون انها خطه ثم ارسل فخر الدين قاصداً لاحضار الملك المعظم من حصن كيفا فشاع بين الناس موت السلطان ولكن لم يجسر احد ان يفوه بذلك

وتقدم الفرنج من دمياط الى المنصورة وكان الامير فخر الدين المذكور في الحمام في المنصورة فركب مسرعاً وصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه . ثم حمل المسلمون والترك البحرية على الافرنج فردوهم على اعقابهم . ووصل الملك المعظم

توران شاه الى المنصورة في آخر سنة ٦٤٧ هـ واشتد القتال بين المسلمين والفرنج براً وبحراً وغنم المسلمون اثنين وثلاثين مركباً من الفرنج فضعفت نفوسهم وارسلوا يطلبون القدس وبعض الساحل على ان يرحلوا عن دمياط فلم يجب طلبهم وضاق بهم الامر وفنيت ازوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط فان المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط اليهم فلم يبق لهم صبر على المقام فرحلوا ليلة الاربعاء ٣ محرم سنة ٦٤٨ هـ . متوجهين الى دمياط فركب المسلمون اكتافهم وبذلوا فيهم السيف فلم يسلم منهم الا القليل وبلغت عدة القتلى منهم ٣٠ الفاً على ما قيل وانحاز لويس التاسع ملك فرنسا في جماعة من خواصه الى بلد هناك وطلبوا الامان فامنهم الطواشي محسن الصالحي ثم احتيط عليهم واحضروا الى المنصورة وقيد لويس التاسع وجعل في الدار التي كان ينزلها فخر الدين ووكل به الطواشي صبيح المعظمي ولم يزل سجيناً حتى فداه الفرنساويون بتسليم دمياط للمسلمين وذلك بعد ان توفي الملك المعظم وتولت شجرة الدر انما ذكرناه هنا اتماماً للحديث ولئلا تضيع الفائدة المقصودة

فلما تم الصلح بين المسلمين والفرنساويين تسلم المسلمون دمياط وسار الفرنساويون بحراً الى عكا . وانشرح المسلمون لهذا الفتح وقالوا فيه الاشعار فمن ذلك قول جمال الدين بن مطروح نائب دمشق

قل للفرنسيس اذا جئته ... مقال صدق عن قؤول فصيح
آجرك الله على ما جرى ... من قتل عباد يسوع المسيح
اتيت مصراً تبتغي ملكها ... تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقك الحين الى ادهم ... ضاق بهم في ناظريك الفسيح
وكل اصحابك اودعتهم ... بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون الفاً لا يرى منهم ... الا قتيل او اسير جريح
وفقك الله لامثالها ... لعلنا من شركم نستريح
ان كان باباكم بذا راضياً ... فرب غش قد اتى من نصيح

اوصيكم خيرا به انه　　لطف من الله اليكم اتيح
لوكان ذا رشد على زعمكم　　ما كان يستحسن هذا القبيح
فقل لهم ان اضمروا عودة　　لاخذ ثار او لقصد قبيح
دار بن لقمان على حالها　　والقيد باق والطواشي صبيح

وكان الملك المعظم قد احضر معه من كيفا بعض مماليكه فتسلطوا على موالي ابيه واغروا الملك المعظم بقتلهم لاستبدادهم عليه فسمع المعظم وشايتهم وعزم على الفتك بماليك ابيه فنفرت قلوبهم منه واجتمعت البحرية على قتاله وهجموا عليه بالسيوف وكان اول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطانا فيما بعد فهرب الملك المعظم منهم وصعد الى برج من خشب كان هناك فاضرموا فيه النار فلما وصلت اليه وشاطة رمى نفسه الى الخليج النيلي فجاؤا اليه ورموه بالنشاب وهو في الماء فمات غريقا جريحا وكان ذلك في اواخر المحرم سنة ٦٤٨ هـ

٤٦٩ — شجرة الدر

سنة ٤٦٨ هـ او سنة ١٢٥٠ م

ولما قتل الملك المعظم وقعت الفتنة بين الامراء وتنازعوا الملك فاستدركت شجرة الدر الامر وطلبت الامر لنفسها فبايعها الجميع على ان يكون عز الدين ايبك الصالحي اتابك العساكر وحلفوا على ذلك . وخطب لشجرة الدر على المنابر وضربت السكة باسمها وسميت والدة الخليل (نسبة الى ابن كان لها اسمه خليل توفي صغيراً)

وأول عمل باشرته عقد الصلح مع الفرنساويين على اطلاق سراح ملكهم مقابل نزولهم لها عند دمياط فتسلمت دمياط ورفعت عليها العلم السلطاني في ٣ صفر سنة ٦٤٨ هـ

ولما استقر الامر لشجرة الدر بمصر ارسل الامراء المصريون الى الامراء الذين

بدمشق في الخطبة لها فلم يجيبوا اليه بل كاتبوا الملك الناصر يوسف صاحب حلب فسار اليهم وملك دمشق ودخلها في ٨ ربيع الآخر من السنة وطاعته سورية كلها

فلما رأى المصريون ان سورية خرجت من ملكهم عظم عليهم الامر وتحققوا انه اذا استمر امر المملكة في يد امرأة على ما هو عليه بتمليك شجرة الدر تفسد الامور فاقاموا عز الدين ايبك الذي كان اتابك العساكر ملكاً عليهم ولقبوه بالملك المعز وابطلت السكة والخطبة التي كانت باسم شجرة الدر وتزوج ايبك بشجرة الدر فانضم حزبها الى حزبه ولكن ذلك لم يفد شيئاً لان الامراء اجتمعوا واتفقوا على ان لابد من اقامة شخص من بني ايوب في السلطنة. واختاروا لذلك الملك الاشرف موسى ابن يوسف صاحب اليمن وقرروا ان يكون ايبك المذكور اتابك العسكر له

٤٧٠ — الاشرف بن يوسف

من سنة ٦٤٨ — ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٠ — ١٢٥٧ م

ثم الى سنة ٦٥٩ هـ او ١٢٦١ م

ولما استقر الامر للاشرف بن يوسف بمصر وحس الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب من ذلك فسار من دمشق قاصداً مصر وصحبته كثيرون من الامراء الايوبيين. ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه وبرزوا الى السائح وتركوا السلطان الاشرف بقلعة الجبل بمصر والتقى العسكران المصري والشامي بالقرب من العباسة فانهزم المصريون اولاً فخامر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر وانحازوا الى المعز ايبك اتابك صاحب مصر فانهزم الشاميون وحمل المعز ايبك على الملك الناصر فولى منهزماً الى جهة الشام. واسر ايبك جماعة من امراء الايوبيين وعاد بهم الى مصر معتزاً منصوراً وهناك اعتقل بعضهم وقتل بعضهم

وسار بعد ذلك فارس الدين اقطاي بثلاثة آلاف فارس الى غزة فاستولى

عليها وعاد الي مصر وبقي الامر على ذلك الى سنة ٦٥١ هـ حين ارسل الخليفة العباسي فاصلح بينهم على ان يكون للمصر بين نهر الاردن وللملك الناصر صاحب دمشق وحلب ما وراء ذلك

وكان المعز ايبك طموحاً الى الاستبداد والى خلع الاشرف وتبوء منصته وكان اقطاي الجامدار من امراء البحرية يدافعه عن ذلك فارصد له ايبك ثلاثة من المماليك اغتالوه سنة ٦٥٢ هـ . وكان لاقطاي هذا حزب قوي من المماليك البحرية فثاروا لما علموا باغتياله ولحقوا بصاحب دمشق

واستبد ايبك بمصر وخلع الاشرف وقطع الخطبة له فكان آخر امراء بني ايوب بمصر وخطب ايبك لنفسه . ولما وصل البحرية الى دمشق اطمعوا صاحبها في ملك مصر واستحثوه فتجهز وسار الى غزة وبرز ايبك بعساكره الى العباسة . ودخلت سنة ٦٥٣ هـ واستراب المعز بالعزيزية المقيمين معه فابعدهم عنه فلحقوا بصاحب دمشق . وترددت الرسل بين صاحب دمشق وايبك صاحب مصر فاصطلحوا على ان يكون التخم بينهم العريش

وفي سنة ٦٥٥ هـ قتل المعز ايبك قتلته شجرة الدر غيلة في الحمام غيرة من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصل فتولى بعده ابنه علي ولقب بالمنصور فاخذ بثار ابيه وقتل شجرة الدر

وفي سنة ٦٥٥ هـ المذكورة اتصل بالملك الصالح صاحب دمشق ان المماليك البحرية الذين كانوا مقيمين عنده بعد مقتل اقطاي يريدون ان يفتكوا به فاستوحش خاطره منهم وطلب انتزاحهم عن دمشق فساروا الى غزة وانتموا الى الملك المغيث صاحب الكرك وارسل صاحب دمشق عسكراً في اثرهم فكبسهم فانهزموا الى البلقاء ملتجئين الى صاحب الكرك فانفق فيهم اموالاً جزيلة واطمعوه في ملك مصر فجهزهم وساروا الى جهة مصر وخرجت عساكر مصر لقتالهم والتقى الفريقان بالعباسة فانهزم البحرية وعسكر صاحب الكرك وكان في جملة البحرية بيبرس البندقداري الذي صار بعد ذلك ملكاً . وبعد ان انهزم البحرية عن مصر عادوا الى الكرك وما زال صاحب الشام واجساً منهم ومن صاحب الكرك فبعث اليهم عسكره من دمشق

فظفروا به واستفحل امرهم بالكرك . فسار الناصر صاحب دمشق اليهم بنفسه سنة ٦٥٧ ﻫ ومعه صاحب حماة فنزلوا على الكرك وحاصروها فارسل صاحبها الى الناصر في الصلح فشرط عليه ان يحبس البحرية فاجاب الى شرطه واتصل الخبر الى بيبرس اميرهم فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر صاحب الشام

وفي هذه الاثناء قدمت عساكر التتر الى الشام وتملكوها وهرب الناصر الى مصر اولاً ثم الى بلاد العرب ثم حسن له اصحابه ان يقصد هولاكو ملك التتر فاقبل عليه ووعده برده الى ملكه وابقاه عنده

ثم اجتمعت عساكر المسلمين وساروا الى الشام مع صاحب مصر وهو حينئذ الملك المظفر قطز فانهزم التتر وقتل اميرهم النائب عن هولاكو . فاحضر هولاكو الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه امر الشام فاعتذر الناصر له فلم يقبل عذره ورماه بسهم فقتله ثم قتل الظاهر والصالح بن الاشرف صاحب حمص فانقرض بذلك ملك بني ايوب من الشام كما انقرض ملكهم من مصر وذلك سنة ٦٥٩ ﻫ

وقبل ان انتقل من ذكر الدولة الايوبية الى غيرها اذكر للقارىء الكريم احوال الصليبيين في هذه المدة اعني من بدء ظهور الدولة الايوبية الى انقراضها كما وعدت بذلك وبالله التوفيق

٤٧١ — احوال الصليبيين مدة الدولة الايوبية

من سنة ٥٦٦ — ٦٥٩ ﻫ او من سنة ١١٧٠ — ١٢٦١ م

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين في فصل(٦٢) برحيلهم عن القاهرة ورجوعهم الى الشام وبقي الحال كذلك الى ان توفي نور الدين محمود سنة ٥٦٨ ﻫ فقلق اصحاب الاقطاعات بسورية وهمّ كل منهم ان يستبد بعمله ويزيده ما امكن فراسلوا الفرنج وعقدوا معهم عهدات على ان يغزوهم جزية ان حاربوا صلاح الدين . فطمع الملك

اموري ملك اورشليم في المسلمين وحاصر بانياس التي كان نور الدين قد اخذها فاسترضاه الامراء المتولون دمشق بالمال وباطلاق بعض الاسرى النصارى فعاد الى اورشليم وبعد ايام توفي بها في ١١ يوليه سنة ١١٧٣ م

وبعد وفاة اموري (الاول) تولى بعده ابنه وسمي بودوين الرابع ولم يكن عمره وقتئذ الا ثلاث عشرة سنة وقام بتدبير دولته ريموند دي سان جيل كونت طرابلس . وبعد مدة قليلة اصيب بودوين الرابع بالبرص ثم بالعمي فتغلب ريموند على امور المملكة ولم يكن لبودوين الا مجرد الاسم فقط . واهم الاحداث في ايام بودوين الرابع ظهور صلاح الدين وغزوه الشام تارة يقاتل المسلمين ليستولي على ما للدولة الزنكية هناك واخرى يقاتل الفرنج ليستولي على ما بايديهم . فضعف امر الصيلبيين في هذه المدة الى درجة لم يسبق لها مثيل

ولما راى بدوين الرابع بعد اصابته بالبرص والعمى انه لم يعد في امكانه القيام بمهام الملك اختار بحضرة امراء مملكته والملكة امه وهرقل بطريرك اورشليم كوى لوستيان كنت يافا وعسقلان مدبرًا للمملكة . وكان متزوجاً بسيبيلا بنت اخى الملك اموري . وابقى الملك لنفسه السلطة المطلقة ولم يمض كثير زمن حتى راى اموري ان كوى ليس اهلاً لما اسند اليه فخلعه وتنازل اموري الرابع عن الملك لابن اخته سيبيلا المذكورة وسماه بودوين الخامس وتوجه باحتفال (وكانت اخته قد تزوجت اولاً بالمركيز دي مونتي فراتا فرزقت منه هذا الولد وتزوجت ثانية بكوى دي لوستيان) وذلك في ٢٠ اكتوبر سنة ١١٨١ م ولم يكن عمر هذا الملك الحديث حينئذ الا خمس سنين فلم يثبت العقلاء خلع كوى لبقاء الملك دون مالك لعجز بدوين الرابع وصغر بدوين الخامس فانزوى كوى دي لوستيان في عسقلان وابى طاعة الملك الجديد جهارًا . وسمي الملك ريموند كونت طرابلس مدبرًا لملك ابن اخته

ولما راى الفرنج سوء حالهم وازدياد سطوة صلاح الدين وقوته ارسلوا الى اوربا هرقل بطريرك اورشليم وارنورد رئيس الفرسان الهيكليين وروجه رئيس

فرسان الاسبيتال (الاسبيتال جمعية اسست للعناية بالحجاج والمرضى منهم) فمضوا اولاً الى فارونا (بايطاليا) حيث كان البابا لوشيوس وفردريك ملك المانيا فشرحوا لهما حالة النصارى الغربيين بسورية ودموعهم تتساقط من عيونهم وطلبوا امدادهم وانجادهم فدفع اليهم البابا رسائل توصية الى ملكي فرنسا وانكلترا . وقبل ان يبارحوا فارونا مات رئيس الهيكليين فسار البطريرك هرقل ورئيس الاسبتاليين الى فرنسا وبلغا باريس في ١٥ يناير سنة ١١٨٥ م فقابلهم فيليب اوغسطس ملك فرنسا بكل ترحاب ووعدهم بالمساعدة وحث الاساقفة ان يعظوا في الكنائس محرضين رعاياهم على السفر الى اورشليم

ثم سار البطريرك ورفيقه الى انكلترا فقابلهما الملك اريكس الثاني ملك انكلترا بالاكرام ووعدهما بالمساعدة بالمال والرجال على ان لايذهب بنفسه الى سورية . فلم يقبل هرقل ذلك وعاد الى اورشليم حزيناً

وتوفي الملك بودوين الرابع الابرص سنة ١١٨٥م وكان خليفته ابن اخته بدوين الخامس ولكن هذا لم تطل مدته بعد وفاة خاله لانه توفي سنة ١١٨٦ م فتوجت سيبيلا (التي سمح لها ان تختار من تشاء ملكاً على اورشليم مكان ابنها) زوجها كوى دى لوسنيان فاستاء الامراء لهذا الامر جداً ولم يوافقوا عليه وخصوصاً ريموند كنت طرابلس الذي لشدة غيظه كاتب صلاح الدين بانه مستعد ان ينجده اذا قدم لقصد الصليبيين . فانتهز صلاح الدين هذه الفرصة وسار الى الشام وحصل بينه وبين الافرنج واقعة حطين الشهيرة وبعدها استولى على عدة مدن من ايدي الافرنج واخيراً انتزع منهم اورشليم وقد تقدم ذكر ذلك مفصلاً في تاريخ صلاح الدين (راجع فصل ٤٦١)

ولما استولى صلاح الدين على اورشليم سير الفرنج وفوداً الى المغرب يستنجدون ملوكه ولما بلغت هذه الاخبار اوربا عم الحزن والكآبة سكانها وكان البابا اوربانس الثالث في فرارا (بايطاليا) وكان شيخاً فاخذ الحزن به كل ماخذ حتى مرض ومات في ١٩ اكتوبر سنة ١١٨٧ م فانتخب مكانه البابا غريغوريوس الثامن

فاهتم للامر جداً و باهتمامه قامت التجريدة الصليبية الثالثة سنة ١١٩٠م تحت راية فيليب ملك فرنسا والامبراطور فردريكوس ملك جرمانيا وريكاردوس (ريشارد) الاول ملك انكلترا الملقب بقلب الاسد وغيرهم من الامراء فنهضوا جميعاً وقصدوا بلاد فلسطين بمئتي سفينة مشحونة بالعساكر والمهمات وعند وصولهم الى صور وهي المدينة الوحيدة الباقية يومئذ في ايدي الصليبيين تقدموا منها الى مدينة عكا وحاصروها واستمر القتال بين الفريقين نحو سنتين حتى اشتد الامر على المسلمين وانقطع عنهم المدد ونفدت ذخائرهم فسلموا عكا في ١٢ يوليه سنة ١١٩١ م

و بعد افتتاح عكا عزم ريكاردوس على حصار عسقلان فزحف اليها ولما اشرف عليها وافاه صلاح الدين بثلاث مئة الف مقاتل وانتشبت بينهما حروب هائلة فاز فيها ريكاردوس بالنصر واستولى على عسقلان و باقي مدن اليهودية. اما صلاح الدين فالتجاء الى بيت المقدس وحصن قلاعها وابراجها وملاها بالعساكر والجنود وكان فصل الشتاء قد دخل و بسبب شدة البرد توقفت الحروب بين الفريقين

وفي بداية فصل الربيع زحف ريكاردوس بجيشه على القدس وهي جل قصده وغاية اربه فهاج الاهالي واعتراهم الخوف والرعب عند قدوم هذا الجبار فاقام الحصار على المدينة وضيق عليها ولكنه وجد صعوبة في فتحها وكانت عساكره قد ضجرت القتال فانسحب عن البيت المقدس وامر باصلاح القلاع التي استولى عليها وتحصينها على عزم العود الى اورشليم بعد الانتهاء من ذلك

وفي هذه الاثناء اتصل بالملك ريكاردوس (ريشارد) قلب الاسد ان اخاه يوحنا غدر به وعزم على اخذ ملكه فاضطر ريكاردوس على ترك الشام والعود الى بلاده فعقد مع صلاح الدين هدنة لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر تكون في خلالها ابواب اورشليم مفتوحة للزائرين من النصارى يدخلونها بلا سلاح

وحزن الصليبيون جداً لاضطرار ريكاردوس ان يبرح عنهم وهم في هذه الحال وسالوه ان يختار قبل سفره ملكاً لاورشليم فقال لهم « من ترون اهلاً لذلك »

فاجمع رايهم على المركيس كنراد والي صور ولم يكن ريكاردوس يحبه ولكن كان يقدر شجاعته ودرايته حق قدرها - فرضيه وارسل ابن اخيه كنت شمبانيا يبشره بذلك . وكان كنراد عقد سرًّا مع صلاح الدين معاهدة واتفقا معاً فدهش من اختيار ريكاردوس اياه ملكاً ولم يقدر ان يخفي سروره . ولكي يبرئ نفسه ويظهر ورعه رفع عينيه الى السماء وقال «الهي ملك الملوك مر بتتويجي ملكاً ان رايتني اهلاً والا فابعد عن رامي هذا الاكليل »

وبعد ان توج كنراد ملكاً على اورشليم بايام قليلة قتل فوقعت انظار اهل صور على هنري كنت شمبانيا . وكان هنري نسيباً لريكاردوس ملك انكلترا فسالوه ان يملك عليهم وان يتزوج ارملة كنراد ايزابلا بنت الملك اموري فتزوجها واعترف به الفرنج ملكاً عليهم واثبته ريكاردوس وتخلى له عن كل ما اخذه من فلسطين ثم رجع ريكاردوس الى بلاده واستتب الامر بفلسطين لهنري كنت شمبانيا

وفي سنة ١١٩٧ م سقط هنري كنت شمبانيا وملك اورشليم من شباك فانشج راسه ومات فتزوجت امراته ايزبال بنت الملك اموري زيجة ثالثة باموري دي لوسينيان اخي كوي دي لوسينيان ملك قبرس وتتوج ملكاً على اورشليم باسم اموري الثاني

وفي سنة ١٢٠٢ م جهز البابا اينوشنسيوس تجريدة صليبية رابعة بقيادة فولك خوري نوبلي بفرنسا وبودوين التاسع كونت فلاندرا وبونيفاشيوش مركيس مونتا فراتا بايطاليا وهنري دندولو دوق (حاكم) البندقية ولما اجتمع هولاء مع عساكرهم في البندقية عزموا ان يسافروا الى مصر لكنهم ساروا اولاً سنة ١٢٠٢م فحاصروا زارا (مدينة بدلماسيا) اجابة الى طلب البنادقة لان اهل هذه المدينة كانوا قد ثاروا عليهم . وبعد ان نهبوها ساروا الى قسطنطينية ووصلوا اليها سنة ١٢٠٣ م وكان الكسيس الرابع ملك الروم استنجدهم فنجدوه على منازعيه واقروه في تخت الملك ولكن نهض عليه دوكاس مرسوفل واخذ ملكه سنة ١٢٠٤م وسمي

الكسيس الخامس فطرده الصليبيون وملكوا القسطنطنية فاقاموا بودوين التاسع ملكاً . واستمر ملك الصليبيين في قسطنطنية من سنة ١٢٠٤ م الى سنة ١٢٦١ م حين استردها الملك ميخائيل الثامن باليولوغوس

على ان فريقاً من رجال الحملة الرابعة سافروا من مرسيليا وبروج تواً الى عكا ولان الهدنة التي كانت عقدت بين ريكاردوس وصلاح الدين لم تنته بعد مدتها فاقاموا بعكا حتى سئمت نفوسهم من الاقامة بعكا بدون حرب فزايل كثيرون منهم فلسطين وساروا الى امير انطاكية الذي كان يحارب ملك الارمن ولكنهم لم ياخذوا من يهديهم الطريق فوقعوا بيد المسلمين الذين ارسلهم عليهم امير حلب فشتتوا شملهم وقتلوا واسروا كثيرين منهم وهذه هي وقعة بعرين

وفي سنة ١٢٠٥ م توفي اموري الثاني ملك اورشليم ثم توفيت بعده امراته ايزبال فاجتمعت الافرنج بسورية ليختاروا لهم ملكاً فلم يتفقوا على احد فارسلوا الى فيليب اغسطس ملك فرنسا ليختار لهم ملكاً فاختار يوحنا دي بريانا ليتزوج بمريم وريثة ملك اورشليم (ابنة ايزبال التي ولدت لها من زوجها كنراد دي مونتا فراتا) ويملك على اورشليم . فسار يوحنا المذكور الى سورية وتزوج بمريم المذكورة في ١٤ سبتمبر سنة ١٢٠٩ م في عكا. ثم توج ملكاً على اورشليم في ٢٠ من الشهر المذكور

وفي هذه الاثناء شاع في الشام ان ملوك المغرب يجهزون حملة كبرى لانجاد الفرنج في سورية فخاف الملك العادل من هذه الاخبار وكادت مدة الهدنة تنقضي فعرض على الفرنج ان يسلم اليهم عشر قلاع حباً في استمرار السلم فاشار بعض الفرنج بقبول هذا الاقتراح ورفضه البعض الآخر ولما رأى العادل ترددهم سار في عسكره الى فلسطين وحاصر طرابلس وهدد عكا فقاتل الملك يوحنا مع النزر اليسير الذين معه جيوش العادل وابدى من آيات الشجاعة والبسالة ما خلد له ذكراً حميداً لكنه لم يقو على انقاذ بلاد النصارى من عدو قدير كالعادل

ولما راى الفرنج قلة عددهم وعدم مقدرتهم مقاومة العادل ندموا لانهم لم

يقبلوا شروطاً في غاية الموافقة قدمت لهم عنوًا . وارسل الملك يوحنا الى البابا اينو شنسيوس الثالث والى ملوك اوربا ليمدوه . فنادى البابا المذكور في اوربا بوجوب انقاذ نصارى فلسطين مما هم فيه فتالبت جموع كثيرة سنة ١٢١٧ م بقيادة اندراوس ملك المجر فكانت هذه الحملة الخامسة وعند مرورهم بقبرس صحبهم لوسينيان ملكها واجتمعوا في عكا وخرجوا منها بامرة ملك المجر وملك اورشليم وملك قبرس وساروا نحو مرج ابن عامر وصلوا الى الاردن ولم يمارضهم احد . ووقع الرعب في قلوب المسلمين فسكن الملك العادل روعهم قائلاً « عما قليل سيقع الخلاف بين الفرنج وجيشهم الكثيف اشبه بسحابة تنقشع باقل ريح »

وعزم النصارى ان يحملوا على جبل طابور حيث تحصن المسلمون ولما بلغوا الى سفح الجبل اخذ المسلمون يقلبون عليهم الصخور الضخمة ويمطرون عليهم النبال ولم يثن هذا عزيمة الفرنج بل هجموا ببسالة غريبة فانهزم المسلمون وتبعهم الفرنج الى باب القلعة

وبينا المسلمون يرتجفون خوفاً من الفرنج توهم هولاء ان ملك دمشق سيكبسهم فانصرفوا عن القلعة والخجل يعلو وجوههم . وساروا بجيشهم نحو فونيق وكان البرد قارساً فاضر بكثيرين من الجيش وبينا كانوا مخيمين بين صور وصيدا ثار عليهم عاصف وبروق ورعود ومطر غزير فاقلب خيامهم وشتت متاعهم وقتل بعض خيلهم حتى ظنوا ان الله ابى الا اذلالهم . ورأوا ان اقامة جيشهم في محل واحد قد تضر بهم فانقسموا اربعة اقسام توجهوا الى اربع جهات على وعد الاجتماع بعد مضي الشتاء . ولكنه لم يمض الشتاء حتى كانت جموعهم قد تفرقت شذر مذر لان ملك قبرص اعتراه مرض فمات وملك المجر يئس من الفوز وبعد ان اقام ثلاثة اشهر في فلسطين عاد الى مملكته

وبعد سفر ملك المجر الى بلاده قدم الى عكا جمع غفير من فرنسا وايطاليا ولما كانت انفس الفرنج تتوق على الاستيلاء على الديار المصرية وكان البابا قد حرضهم على ذلك ساروا من عكا بحرًا سنة ٦١٥ هـ وتوجهوا الى الديار

المصرية فاستولوا على دمياط وحصنوا اسوارها وكانت الاهالي تخافهم وتهابهم حتى انهم طلبوا اليهم ان يعقدوا معهم صلحاً تحت شروط مرضية للصليبيين ولكنهم رفضوا طلبهم . واستمروا منتشرين على شواطئ النيل حتى اضعفهم الزمان وقلة الوسائط فاضطروا ان يتنازلوا للمصريين عن تملكاتهم في مصر ليسمحوا لهم بالرجوع الى فلسطين . وقد تقدم ذكر ذلك اكثر تفصيلاً في فصل (٤٦٥)

و بعد ان استرد المسلمون دمياط سار يوحنا دي بريان ملك اورشليم الى الى اوربا مستنجداً ووصل اولاً رومه فشكا الى البابا انوريوس الثالث باكياً سوء حالة النصارى في سورية ومصر فعرض البابا انوريوس الثالث على فردريك الثاني ملك المانيا ان يتزوج بيولاند ابنة ملك اورشليم ووريثة ملكه ويسمى ملك اورشليم على ان يتعهد بالذهاب الى المشرق واستنقاذه من ايدي المسلمين فتعهد فردريك الثاني بذلك وتزوج بيولاند وريثة ملك اورشليم في رومية باحتفال عظيم . وسر ملك اورشليم يوحنا دي بريان المذكور لان ملك المانيا صار صهره ونصيره ولكن لم يدم هذا الفرح لان ملك المانيا تغير على زوجته واهملها ونازع اباها ملك اورشليم وسمى نفسه ملك اورشليم . ولم يبد ملك اورشليم اقل اعتراض متوقعاً سنوح الفرص ليأخذ بثاره

ثم توفي البابا انوريوس الثالث سنة ١٢٢٧ م فخلفه البابا غريغوريوس التاسع فطالب ملك المانيا فردريك المذكور بعهوده فتقاعد هذا عن اجابة طلبه فاغتاظ البابا لذلك واعلن حرمه . فاستاء فردريك لذلك واستعد لمقاومة البابا المذكور فذهب الى رومية واهانه واذله ثم الزمه ان يخرج من رومية قهراً

وفي هذه الاثناء انقسم الامراء الايوبيون على انفسهم وخالف بعضهم بعضاً فخاف الكامل على نفسه من قبل اخوته وكان قد اشتهر بتجهيز ملك المانيا العساكر ليغزو المشرق وحصول النفرة بينه وبين البابا فافتكر الكامل ان يراسل ملك المانيا ويحالفه . فارسل يستدعيه اليه واعداً اياه باعطاء اورشليم

فنهض فريدريك سنة ١٢٢٨ م بالتجريدة الصليبية السادسة الى عكا ومنها

الى القدس بدون ان يعارضه معارض ولا ينازعه منازع . ثم عقد مع الكامل هدنة لمدة عشر سنين ونصف وبموجب شروط الهدنة هذه تنازل الكامل لفردريك الثاني ملك المانيا عن القدس ويافا وبيت لحم والناصرة وتوابعها

اما عامة الصليبين فلم يسروا باعمال فردريك ولم يقبلوا شروطه ومعاهداته السلمية لانهم كانوا يعتبرونه محروماً ومرفوضاً من قبل الكرسي الروماني ولذلك رفضوا طاعته حتى ان بطريرك اللاتين لم يرض ان يحضر احتفال تتويجه فحينئذٍ مد فريدريك يده وأخذ التاج عن قبر المسيح ووضعه على رأسه

وبعد مدة يسيرة عاد راجعاً الى بلاده في ٢٩ مايو سنة ١٢٢٩ م . ولما برح فردريك سورية لم يقم من يدافع عن الفرنج فيها فسار بطريرك انطاكية وبطريرك اورشليم الى المغرب يستصرخان الحبر الروماني وامراء اوربا لنجدة نصارى المشرق المنكودي الحظ فعقد البابا غريغوريوس التاسع مجمعاً في سبولاتو بايطاليا سنة ١٢٣٤ م وقرروا انه لا لزوم لرعاية الهدنة التي عقدت مع الملك الكامل بل يلزم امداد نصارى المشرق لان المسلمين دخلوا اورشليم بعد الهدنة

فتجهزت في سنة ١٢٣٩ م تجريدة سابعة مؤلفة من انكليز وفرنساويين تحت قيادة بعض الاشراف . فسبق الفرنساويون الى سورية وحاربوا فيها جملة حروب كان الاستظهار فيها للمسلمين

وفي السنة التالية حضرت العساكر الانكليزية وكان قائدها الاميرال كورنوال وعند ما وجد هذا الامير ان تملكات الصليبيين وحقوقهم الممنوحة بموجب عهود وشروط من المسلمين عن يد ملك المانيا قد نقضت ورفضت وان خصومهم قد سلكوا معهم مسلك الجور والعدوان اسرع في قيام الحرب على المسلمين واذ كان السلطان يومئذ مشغولاً في محاربة اخيه في دمشق عقد صلحاً مع الامير المشار اليه وتنازل له عن القدس و بيروت والناصرة و بيت لحم وجبل طابور وقسم كبير من الاراضي المجاورة . و بعد ذلك عاد الاميرال كورنوال الى بلاده

وفي هذه الاوقات بعينها ظهر جنكزخان الطاغية التتري واقام الحرب على ساق

وقدم بين طوائف العرب والعجم فازعج تلك البلاد واقلق بغاراته العباد فترا كضت الشعوب والقبائل مهزومة من امام وجهه ومن جملتهم شعوب خوارزم الذين احاطوا بسورية وتغلبوا عليها وفتكوا باهاليها واتخذهم الملك الصالح ايوب بن الكامل سلطان مصر سلاحاً يقاتل به الفرنج ففتكوا بهم ولم يرحموا شيخاً ولا امراة ونهبوا بيت المقدس واستولوا عليه بدعوة الملك الصالح

ثم بلغ اهل المغرب ماصنعه الخوارزمية باورشليم واستيلاء سلطان مصر عليها. وكان فردريك الثاني ملك المانيا قد عاد الى السطو على الكرسي الرسولي حتى فر البابا اينوشنسيوس الرابع من رومية الى ليون بفرنسا . فلما بلغته هذه الاخبار هناك عقد مجلساً عاماً سنة ١٢٤٥ م وكان بين الحضور فالريان اسقف بيروت فابان حالة الباس التي كان عليها الفرنج بسورية فقر المجمع المذكور بارسال نجدة للنصارى بالمشرق . وكان لويس التاسع ملك فرنسا قد مرض مرضاً شديداً فنذران يتجند للدفاع عن الاراضي المقدسة فابتداء يتجهز لوفاء نذره

وفي ٢٥ اغسطس سنة ١٢٤٨ م سافر الملك لويس من فرنسا في ٥٠ الف مقاتل ووصل مصر في ٤ يونيه سنة ١٢٤٩ م (وهذه هي التجريدة الثامنة) فوصل الى دمياط وامتلكها وتقدم منها الى داخلية البلاد ولكن قبل بلوغ آماله انقرضت عساكره بالمرض والجوع فوقع هو مع من بقي من جيوشه اسيراً في ايدى المسلمين وبقي في اسرهم الى ان فدى نفسه وسار بباقي رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه الى اوربا سنة ١٢٥٤ م . ومن هذا الوقت الى سنة ١٢٦١ م التي فيها انقرضت الدولة الايوبية لم يحدث شيء يستحق الذكر سوى قدوم التتر بقيادة الفاتح هولاكوخان الى سورية فاشتغل المسلمون عن الفرنج بهم وقد تقدم ذكر ذلك وما كان من هولاء التتر وكيف انقرضت الدولة الايوبية على يدهم . اما بقية اخبار الصليبيين لحين تركهم فلسطين فسنذكرها ان شاء الله في دولة المماليك بمصر والشام والله ولي التوفيق

٤٧٢ – دولة المغول او التتر بايران

(تمهيد) ذكرنا في فصل ٦٠ كيف ابتدات دولة التتر التي نحن بصددها الآن ولكن لا بأس من اعادة ما ذكرناه فنقول :

المغول او المغل قبيلة من التتر كانت تقيم حوالي بحيرة بيكال في جنوبي سيبيريا وتاريخهم القديم مظلم لانهم لم يظهروا الا بظهور جنكزخان الذي لم يكن والده الا أميراً على ١٣ قبيلة من المغول تحت رعاية الخان الاكبر المدعو اونك خان بعهود متبادلة بينهما

ولد جنكزخان سنة ٥٤٨ ﻫ فسموه تموجين وهو اسمه الذي كان يعرف به في نشأته الاولى . وبعد اربع عشرة سنة توفي ابوه فاستخف رؤساء القبائل بتموجين وتمردوا عليه واصبح كل منهم يطلب السيادة لنفسه . وكان تموجين شديد البطش من حداثته فجمع رجاله وحارب الثائرين وتغلب عليهم فهابه الناس . الا انه لم يستغن عن استنجاد الخان الاكبر فانجده فاكرمه وثبته في امارة ابيه وأزوجه ابنته

وكان تموجين قد شب على ظهور الخيل وتعلم رمي النشاب وضرب السيف واتقن الفروسية بسائر فروعها . وكان قوي البدن شديداً صبوراً على التعب والجوع والبرد والالم وعود رجاله على ذلك فاجتمعت كلمتهم على نصرته وانقادوا لامره . ولما علت منزلة تموجين عند الخان الاكبر هاجت عوامل الحسد في أعضاء اسرته وغيرهم من رجال الدولة وكان تموجين قد اغرى الخان الاكبر بهؤلاء الامراء فضيق الخان عليهم فاوغرت صدورهم فثاروا عليه (على الخان الاكبر) وشقوا عصا الطاعة وحاربوه وغلبوه فاستنجد تموجين فانجده واعاده الى كرسيه ومثل باعدائه حتى القي ٧٠ رجلاً منهم في الماء الغالي وهم احياء

فلما ظهر تموجين واظهر القسوة والشدة خافه حموه وحسده . فادرك تموجين ذلك فسعى في اصلاح ما بينهما بالحسنى فلم ينجح . وعزم الخان الاكبر اونك خان على اغتيال تموجين والقبض عليه . فانضم الى تموجين غلامان من غلمان اونك خان واعلماه القضية وعينا له الليلة التي فيها يريد اونك خان كبسه . وفي الحال امر تموجين اهله باخلاء البيوت وتركها على حالها منصوبة . وكمن هو مع الرجال بالقرب من البيوت وفي وقت السحر هجم اونك خان واصحابه على بيوت تموجين فلقيها خالية . وكرّ عليه

تموجين واصحابه من الكمين واوقعوا بهم وناوشوهم القتال واثخنوا فيهم وهزموهم ٠ وحاربوهم مرتين حتى قتل الخان الاكبر اونك خان وابطاله وسبوا ذراريه

وبعد قتل الخان الاكبر تولى تموجين عرش المغول ٠ وحارب تموجين بعد ذلك حروباً فاز فيها فازداد امراؤه تعلقاً به ٠ فاحتفلوا بتهنئته احتفالاً عظيماً في سهل على ضفاف سلكنا فاجتمع الامراء والخانات فخطب فيهم وكان قوى العارضة فابدع ثم جلس على لبادة سوداء فرشوها له هناك (واصبحت تلك اللبادة اثراً مقدساً عندهم من ذلك الحين) ثم وقف بعض الحضور وكان من اهل التقوى والنفوذ وقال « مهما بلغ من قوتك فانها من الله وهو شياخذ بيدك ويشد ازرك فاذا افرطت في سلطانك صرت اسود مثل هذه اللبادة ونبذك رجالك نبذ النواة » وفي هذا القول من حرية البداوة والجراءة مثلما كان يحصل من جراءة العرب على خلفائهم وامرائهم في صدر الاسلام

ثم تقدم سبعة امراء انهضوه باحترام وساروا بين يديه حتى اجلسوه على عرشه ونادوا باسمه ملكاً على المغول ٠ وكان في جملة الحضور شيخ يعتقدون فيه الكرامة والقداسة فتقدم وليس عليه كساء وقال « يا اخوتي قد رأيت في منامي كأن رب السماء على عرشه الناري تحدق به الارواح وقد اخذ بمحاكمة اهل الارض فحكم ان يكون العالم كله لمولانا تموجين وان يسمى جنكزخان (اي الملك العام) ثم التفت الى الملك تموجين وقال لبيك ايها الملك فانك تدعى منذ الآن جنكزخان بامر الله »

ولم يعد يعرف بعد ذلك الا بهذا الاسم

٤٧٣ – جنكزخان

من سنة ٥٩٩ — ٦٢٤ ﻫ او من سنة ١٢٠٣ — ١٢٢٧ م

واستتب الامر لجنكزخان بالكيفية المتقدم ذكرها وذلك سنة ٥٩٩ ﻫ ثم ارسل الى جميع شعوب الترك فكان من اطاعه وتبعه سعد ومن خالفه خزل وبعد ان خضعت له جميع امم التتر والترك اخترق سور الصين وانتصر على الصينيين في وقائع كثيرة واحتل باكين عاصمة مملكتهم ثم عاد الى بلاده وسنّ القوانين وشرع الشرائع لحفظ نظام المملكة

وكان لجنكزخان اربعة اولاد ولاهم الامور العظام في مملكته ٠ الاول توشي ولي امر الصيد والطرد وهو احب الامور اليهم ٠ والثاني جقاتاي ولي امر الحكومات

والسياسة اي الناموس والقضاء · والثالث اوكتاي ولي تدبير الممالك لغزارة عقله واصابة رأيه · والرابع تولي ولي امر الجيوش وتجهيز الجنود والنظر في مصالح العسكر

وكان لجنكزخان اخ يقال له اوتكين فعين له ولكل واحد من الاولاد بلاداً يقيمون بها · اما اوتكين فاقام بحدود الخطا · وتوشي اقام بحدود قباليغ وخوارزم الى اقصى سقسين وبلغار · وجقاتاي اقام بحدود بلاد الايغور بالقرب من الماليغ الى سمرقند وبخارى · واقام اوكتاي بحدود ايميل وقوتاق وجاوره تولي ايضاً في تلك النواحي

وبعد ان قسم جنكزخان مملكته بالكيفية المتقدمة سمي نفسه خاقاناً · وقام اولاده واخوه بما عهد اليهم خير قيام فكانوا ساعده اليمين

وفي سنة ٦٠٩ هـ قصد ثلاثة نفر من تجار بخارى بلاد التتر فاشترى منهم جنكزخان ما معهم وردهم بغاية الاكرام واصحبهم ببعض تجار التتر ليشتروا له من نفائس البلاد وظرائفها ما يصلح له وارسل معهم رسولاً الى السلطان محمد خوارزم شاه يقول له « ان التجار وصلوا الينا وقد اعدناهم الى مامنهم سالمين غانمين وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من ظرائف تلك الاطراف فينبغي ان يعودوا الينا آمنين ليتاكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين »

فلما وصل التجار الى مدينة اترار طمع اميرها غاير خان فيما معهم من الاموال فطالع خوارزم شاه في امرهم وحسن له ابادتهم واغتنام مالهم فاذن له في ذلك فقتلهم الا واحداً منهم هرب من السجن · ولما رأى ما جرى على اصحابه لحق ببلاد التاتار واعلمهم بالمصيبة · فعظم ذلك عند جنكزخان وتاثر منه الى الغاية وهجر النوم وصار يحدث نفسه ويفتكر فيما يفعله · وقيل انه صعد الى رأس تل عال وكشف رأسه وتضرع الى الباري تعالى طالباً اليه نصره على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلاثة ايام بلياليها صائماً · وفي الليلة الثالثة رأى في منامه راهباً عليه السواد وبيده عكازه وهو قائم على بابه يقول له « لا تخف افعل ما شئت فانك مؤيد » · فانتبه مذعوراً ذعراً مشوباً بالفرح وعاد الى منزله وحكى حلمه لزوجته وهي ابنة اونك خان (وكانت مسيحية على ما يقال) فقالت له هذا زي اسقف كان يتردد الى ابي ويدعو له ومجيئه اليك دليل انتقال السعادة اليك · فسأل جنكزخان من في خدمته من نصارى الايغور هل هنا احد من الاساقفة فقيل له عن الاسقف دنحا · فلما طلبه ودخل عليه بالبيرون

الاسود قال « هذا زي من رأيت في منامي لكن شخصه ليس ذاك » فقال الاسقف « يكون الخان قد رأى بعض قديسينا »

ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظن بهم ويكرمهم . وابتدأ جنكزخان يتجهز لاخذ ثار التجار الذين قتلهم غاير خان بمصادقة خوارزم شاه ظلماً وعدواناً .

وفي سنة ٦١٦ هـ قصد جنكزخان بلاد السلطان محمد خوارزم شاه ولما وصل الى مدينة اترار سير جنكزخان ابنه الكبير في تومانين عسكر الى جانب جنخند وتوجه هو بنفسه الى بخارى ورتب على محاصرة اترار ولديه جقاتاي واوكتاي فدام القتال عليها خمسة اشهر لان السلطان محمداً كان قد سير اليها غاير خان في خمسة آلاف فارس وقراجا خاص حاجب في عشرة آلاف وكانوا كلهم بها

ولما ضاقت الحيلة بمن في المدينة وعجزوا عن المقاومة شاور قراجا لغاير خان في الصلح وتسليم البلد . فابى غايرخان الا المجاهدة حتى الموت لعلمه ان المغول لا يبقون عليهم . فتوقف قراجا الى هجوم الليل وخرج في اكثر عسكره الى خارج باب دروازه الصوفي فعوقوه الى الصبح ثم حمل الى ابني جنكزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنه احوال البلد وامرا بقتله وقتل كل من كان معه قائلين « اذا كنت ما ابقيت على مخدومك وولي نعمتك فلا تبقي ولا علينا »

وزحف العسكر الى المدينة ودخلوها واخرجوا اهلها جميعهم الى ظاهرها واغاروا على ما فيها وبقي غاير خان في ٢٠ الفاً من اصحابه متفرقين في دروب المدينة لم تتمكن منهم المغول وكانوا يخرجون خمسين خمسين يكاوحون ويطعنون في عسكر المغول ويقتلون ثم يقتلون . وكان هذا دأبهم شهراً الى ان بقي غاير خان ومعه نفران يجالدون في سطح دار السلطنة وكان جنكزخان قد امر بعدم قتل غاير خان بل احضاره اليه حياً . فلذلك كثر التعب معه وقتل حاجباه وبقي وحده يقاتل بالاجر الذي كان الجواري يناولنه من الجدار . فلما عجز عن المناولة احاط به المغول وقبضوه وحملوه الى جنكزخان بعد عوده من بخارى الى سمرقند وقتل هناك في كوك سراي

وفي سنة ٦١٧ هـ في اوائل المحرم نزل جنكزخان في عساكره على مدينة بخارى واحاط بها العسكر من جميع جوانبها . وكان بها من عسكر السلطان محمد خوارزم شاه عشرون الفاً بقيادة كوك خان وسونج وكشلي خان . ولما تحققوا عجزهم عن مقاومة المغول خرجوا من الحصار بعد غروب الشمس فادركهم المحافظون من عسكر المغول على نهر

جيحون فاوقعوا فيهم وقتلوهم كافة ولم يبقوا منهم مخبرًا . فلما فارق المقاتلون المدينة لم يبق لاهلها حيلة الا التسليم والخروج وطلب الامان . فخرج الايمة والاعيان الى خدمة جنكزخان يتضرعون اليه يطلبون حقن دمائهم حسب . فتقدم باخراج كل من في المدينة الى ظاهرها فخرجوا ودخل هو وولده تولى الى المدينة فوقف على باب مسجد الجامع وقال « هذا دار السلطان » فقالوا « بل خانة يزدان » اي بيت الله . فنزل ودخل الجامع وصعد الى المنبر وقال لاكابر بخارى « ان الصحراء خالية من العلف فانتم اشبعوا الخيل مما عندكم في الانبار » ففتحوها وساروا ينقلون ما فيها من الغلات . اما التتر ففتحوا الصناديق التي في الجامع ورموا ما فيها من الكتب وجعلوها اواري للخيل واحضرو الطعام والشراب هناك واكلوا وشربوا وطربوا . ثم خرج جنكزخان الى منزله وجمع الايمة والمشايخ والسادات والعلماء وقال لهم « ان الله ملك الكل ارسلني لاطهر الارض من بغي الملوك الجائرة الفسقة الفجرة » وذكر لهم ما فعله اميز اترار باذن سلطانه بالتجار الى غير ذلك . ثم امرهم ان يعتزلوا الاغنياء واصحاب الثروة بمعزل عن الفقراء فعزلوهم وكانوا ٢٨٠ الفًا وقال لهم « ان الاموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استعلامها منكم وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي تحت الارض . فقبلو بالسمع والطاعة . ووكلوا مع كل قوم شخصًا يستخرج المال واشار سرًا الى المستخرجين ان لايكلفوهم مالا يطيقونه و يرفقوا بهم وذلك لما رأى من حسن اجابتهم الى ما امروا به . ولان جماعة من عسكر السلطان كانوا مختفين بالمدينة امر فرموا في محالها النار فاحترقت المدينة باسرها لان جل عمائرها من خشب فبقيت عرصة بخارى قاعًا صفصفًا وتفرق اهلها منتزحين الى خراسان

وفي ربيع الاول من السنة نزل جنكزخان على مدينة سمرقند وكان السلطان محمد خوارزم شاه قد رتب فيها ١٠٠ الف وعشرة الاف فارس يقومون بحراستها فلما نازلها منع اصحابه عن المقاتلة وانفذ جيشًا مؤلفًا من ٣٠ الف محارب بقيادة سنتاي نوين في اثر السلطان محمد خوارزم شاه وقال لهم « اطلبوا خوارزم شاه اين كان ولو تعلق بالسماء حتى تدركوه وتحضروه » فطاردوه وهو هارب امامهم من قلعة الى قلعة ومن حصن الى حصن الى ان توفي في بعض قلاعه غما على مالحق به . وانفذ جيشًا آخر بقيادة غلاق نوين وبسور نوين الى جانب الطالقان . وامر باقي العسكر بحصار سمرقند فاحاطوا بها وقت سحر فبرز اليهم مبارزو الخوارزمية وناوشوهم القتال وجرحوا جماعة كثيرة من التاتار

واسروا جماعة وادخلوهم المدينة

فلما كان الغد ركب جنكزخان بنفسه ودار على العسكر وحثهم على القتال فاشتد القتال ذلك اليوم بينهم ودام النهار كله ووقف الابطال من المغول على ابواب المدينة ولم يمكنوا احداً من المجاهدين من الخروج فحصل عند الخوارزمية فتور كثير ووقع الخلف بين اكابر المدينة وتلونت الآراء فبعض مال الى المصالحة والتسليم وبعض لم يامن على نفسه وان اومن خوفاً من غدر التاتار . فقوي عزم القاضي وشيخ الاسلام على الخروج فخرجا الى خدمة جنكزخان وطلبا الامان لهما ولاهل المدينة فلم يجبهما الا الى امان انفسهما ومن يلوذ بهما . فدخلا الى المدينة وفتحا ابوابها فدخل المغول واشتغلوا ذلك اليوم بتخريب مواضع من السور وهدم بعض الابرجة ولم يتعرضوا الى احد الى ان هجم الليل فدخلوا الى المدينة وصاروا يخرجون من الرجال والنساء ماية ماية بالعدد الى الصحراء ولم يتكفوا الا عن القاضي وشيخ الاسلام وعمن التجأ اليهما فاحتمى بهما نيف وخمسون الفاً من الخلق ولما اصبح الصباح شرع المغول في نهب المدينة وقتل كل من وجدوه مختبئاً في المغائر ومتوارياً بالستائر وقتلوا تلك الليلة نحو ثلثين الف تركي وقنقلي وقسموا بالنهار ٣٠ الفاً من الاولاد والامراء واطلقوا الباقي ليرجعوا الى المدينة ويجمعوا من بينهم ٢٠٠ الف دينار ثمن ارواحهم وكان المحصل لهذا المال ثقة الملك والامير عميد وهما من اكابر سمرقند والشحنة طايغور . ومن هناك توجه جنكزخان بعساكره الى نواحي خوارزم وانفذ الرسل اليهم يدعوهم الى مبايعته والدخول في طاعته وشغلهم اياماً بالوعد والوعيد والتاميل والتهديد الى ان اجتمعت العساكر ورتب آلات الحرب من منجنيق وما يرمي بها . ولان صقع خوارزم لم يكن فيه حجر كان المغول يقطعون من اشجار التوت قطعاً كالحجارة ويرمون بها وملأوا الخندق بالتراب والخشب والهشيم وانشبوا الحرب والقتال على المدينة من جميع جوانبها حتى عجز من فيها عن المقاومة فملكوا سورها واضرموا النار في محالها فاتت على اكثر دورها وما فيها فيئس المغول من الانتفاع بشيء منها فاعرضوا عن الحريق وصاروا يملكون محلة محلة لان اهلها كانوا يمتنعون فيها اشد امتناع . ولم يزالوا كذلك الى ان ملك المغول كل المحال واخرجوا الخلائق كافة الى الصحراء وفرزوا الصناع والمحترفين الى ناحية واسروا البنين والبنات والنساء اللواتي ينتفع بهن وقسموا الباقي من الرجال والنساء العجائز على العسكر ليقتلوهم فقتل كل واحد منهم اربعاً وعشرين شخصاً

وفي اوائل سنة ٦١٨ هـ عبر جنكزخان نهر جيحون وقصد مدينة بلخ فخرج اليه

اعيانها و بذلوا الطاعة وحملوا الهدايا وانواعاً من الترغو (اي الماكل والمشرب) فلم يؤمنهم بسبب ان السلطان جلال الدين بن محمد خوارزم شاه كان في تلك النواحي يهيء اسباب الحرب و يستعد للقتال فامر جنكزخان بخروج اهل بلخ الى الصحراء ليعدوهم كالعادة فلما خرجوا باسرهم رمى فيهم السيف . ومن هناك توجه نحو الطالقان وقتل اكثر اهلها واسر من صلح للاسر وابقى البعض . ثم سار الى الباميان فعصى اهلها وقاتلوا قتالاً شديداً واتفق ان أصيب بعض اولاد جقاتاي بن جنكزخان بسهم فقضى نحبه وكان من احب احفاد جنكزخان اليه فعظمت المصيبة بذلك واضطرمت النيران في قلوب المغول وجدوا في القتال الى ان فتحوها وقتلوا كل من فيها حتى الدواب والبقر والاجنة التي في بطون الحبالى ايضاً ولم يأسروا منها احداً قط وتركوها قفراً

ولم يزل جنكزخان ينتقل في بلاد خراسان من مدينة الى مدينة ومن قلعة الى قلعة يقتل ويأسر وينهب الى ان دوخ تلك النواحي وأزال معالم المدنية منها . ولما فرغ جنكزخان من تخريب بلاد خراسان سمع ان السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه قد استظهر بالعراق فسار نحوه ليلاً ونهاراً بحيث ان المغول لم يتمكنوا من طبخ لحم اذا نزلوا . فحين وصلوا الى غزنة اخبروا ان جلال الدين من خمسة عشر يوماً رحل عنها وهو عازم ان يعبر نهر السند . فلم يستقر جنكزخان ورحل في الحال وحمل على نفسه بالسير حتى لحقه في اطراف السند فطاف به العسكر من قدامه ومن خلفه وداروا عليه دائرة وراء دائرة كالقوس الموتورة ونهر السند كالوتر وهو في وسط . وبالغ المغول في المكاوحة وتقدم جنكزخان ان يقبض حياً ووصل جقاتاي واوكتاي ايضاً من جانب خوارزم

فلما راى جلال الدين انه ماخوذ على اي حال عزم ان يقاتل حتى يقتل فحمل عليهم حملات وشق صفوفهم مرة بعد مرة وطال الامر بمثل ذلك لامتناع المغول عن رميه بالنشاب ليحضروه حياً امام جنكزخان امتثالاً لمرسومه فكانوا يتقدمون اليه قليلاً قليلاً . فلما عاين تضييق الحلقة عليه نزل فودع اولاده وخواصه باكياً كثيباً ثم رمى عنه الجوشن وركب جنيبه وهو كالاسد الغيور وهم بالعبور واقتحم فرسه النهر فاقتحم وعام وخلص الى الساحل وجنكزخان واصحابه ينظرون اليه ويتأملون حيارى . ولما شاهد ذلك جنكزخان وضع يده على فمه متعجباً والتفت الى ولديه وقال لهما : من اب مثل هذا الابن ينبغي ان يولد اذا نجا من هذه الوقعة

فوقائع كثيرة تجري على يديه • ومن خطبه لا يغفل من يعقل »

وأرادجماعة من البهادورية ان يتبعوه في الماء فمنعهم جنكزخان قائلاً « انكم لستم من رجاله لانه كان يرامي المغول بالسهام وهو في وسط الشط » فلما فاتهم اخذوا امر الخان باحضار حرمه واولاده وتقدم بقتل جميع الذكور حتى الرضع

ولان جلال الدين عند ما اراد الخوض في النهر القى جميع ما كان صحبته من آنية الذهب والفضة والنقرة فيه امر الغواصين فاخرجوا منها ما امكن اخراجه • وكان هذا الامر الذي هومن عجائب الانام ودواهي الايام في رجب فقيل في المثل : عش رجباً تر عجباً »

وفي سنة ٦٢٤ ﻫ رجع جنكزخان من الممالك الغربية الى منازله القديمة الشرقية ثم رحل من هناك الى بلاد تنكوت وهناك عرض له مرض من عفونة ذلك الهواء الوخيم • ولما قوي مرضه استدعى اولاده وقال لهم « اني قد ايقنت مفارقة الدنيا لعجز قوتي عن حمل ما بي من الآلام ولا بد من شخص يقوم بحفظ المملكة على حالها والذب عنها وقد اعلمتكم غير مرة ان ابني اوقتاى يصلح لهذا الشان لما رأيت من مزية رايه المتين وعقله المبين • والآن فقد جعلته ولي عهدي وقلدته ما بيدي من جميع الممالك فما قولكم »

فجثا اولاده على ركبهم وقالوا « جنكزخان هو الملك للرقاب ونحن العبيد السامعون المطيعون في جميع ما يتقدم به على وفق مراده ومرسومه »

وعند فراغه من الوصية اشتد مرضه وتوفي لاربع مضين من شهر رمضان سنة ٦٢٤ ﻫ وكان مدة ملكه نحو خمس وعشرين سنة دمر فيها الارض تدميراً وجاء ضربة من الله وسخطاً على بني آدم وفتك بالالوف والملايين

وكان جنكزخان مع قدرته الهائلة في الحروب رجلاً مدبراً حكيماً

٤٧٤ — قاآن بن جنكيزخان

من سنة ٦٢٤ — ٦٤٣ ﻫ او من سنة ١٢٢٧ — ١٢٤٥ م

لما توفي جنكزخان اجتمع اولاده وامراء مملكته ليحتفلوا بتتويج اوقتاى كوصية جنكزخان التي تقدم ذكرها • فاستفالهم اوقتاى الولاية قائلاً « ان امر

الوالد وان كان لا اعتراض عليه لكن ههنا اخ اكبر مني واعمام هم اولى مني بها» فلم يقبلوه اياها واصروا على انه لا بد من امتثال مرسوم الوالد وداموا على اصرارهم ٤٠ يوماً وما زالوا يتضرعون اليه ويلحون عليه حتى اجابهم الى ذلك فكشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذ جقاتا اخوه الكبير بيده اليمنى واوتكين عمه بيده اليسرى واجلساه على سرير المملكة ولقباه قاان

ولما فرغوا من حفلة تتويجه وجلوسه على كرسي المملكة اعطى كل واحد من اخوته ما قسمه لهم والدهم في حياته والتفت هو الى توسيع دائرة مملكته اتماماً لمقاصد ابيه فجهز جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف مقاتل وسيره بقيادة جورماغون الى ناحية خراسان وجيشاً آخر بقيادة سنتاى بهادر الى بلاد قفجاق وسقسين وبلغار وآخر الى بلاد التيبت وقصد هو بنفسه بلاد الخطا

فسار جورماغون ومهد الامور في بلاد خراسان ثم علم برجوع جلال الدين ابن خوارزم شاه من الهند وتغلبه على اذربيجان وغيرهـا من تلك النواحي فتقدم اليه ولحق به في ديار بكر فارسل له بعض قواده المدعو بايماس نو ين . وكان جلال الدين في ذلك الوقت يزجي اوقاته بالتمتع واللهو والشراب والطرب كانه يودع الدنيا وملكها الفاني . وبينما هو في ذلك فجأه هجوم بايماس نو ين في عسكره ليلاً فتكلف للانتباه وعاين نيران المغول بالقرب من مكانه فتقدم الى الامير اورخان ان يلم به الجماعة ويشغـل المغول عند الصبح بالاقدام تارة والاحجام اخرى وفر هو مع ثلاثة من مماليكه تائهاً في جبال ديار بكر . فلما اصبحوا ظن المغول ان جلال الدين خوارزم شاه فيهم فجدوا في طلبهم طاردين في اعقابهم وهم منهزمون بين ايديهم ولما تحققوا انه ليس معهم رجعوا عنهم . اما جلال الدين خوارزم شاه فاوقع به قوم من الاكراد ببعض جبال آمد ولم يعرفوه وقدروه من بعض جند الخوارزمية فقتلوه والمملوكين طمعاً في ثيابهم وخيلهم وسلاحهم

اما قاان نفسه فسار الى بلاد الخطا وسير في مقدمته اخويه جقاتاي والغ نوين وباقي الاولاد في عساكر عظيمة . فساروا ونازلوا اولاً مدينة يقال لها حرجا بنو

يقسين (ويقال خوجا بنو يقسين) وهي على شط قراموران (معناه النهر الاسود) فاحاطوا بها وحصروها مدة اربعين يوماً وكان فيها عشرة الاف من فرسان الخطا فلما راوا العجز عن مقاومة المغول ركبوا السفن التي كانوا اعدوها هاربين. وطلب اهل البلد الامان فامنوا ورتب المغول عندهم الشحاني وقصدوا باقي المواضع

وجهز قا ان اخاه الغ نوين وولده كيوك وسيرهم في عشرة الاف فارس في المقدمة وسار هو في عقبهم فتمهل ومعه العسكر الكبير. فجيش التون خان ملك الخطا ماية الف من شجعانه وانفذهم للقاء المغول فلما وصلوا اليهم استحقروهم لقلتهم بالنسبة اليهم وتهاونوا في امرهم وارادوا ان يسوقوهم كما هم الى ملكهم التون خان ليفرجوا بهم عنه غمه. فشغلهم المغول بفنون المكافحة واطمعوهم الى ان وصلت الافواج التي مع قا ان فاوقعوا بعسكر الخطا ولم يفلت منهم الا النزر. وكان التون خان بمدينة نامكيك فلما بلغه الخبر بما جرى على اصحابه الابطال ارتاع ويئس من الحياة وجمع اولاده ونساءه وكل من يعز عليه ودخلوا بيتاً من بيوت الخشب وامر بضرب النار فيه فاحترق هو ومن معه انفةً من الوقوع في اسر المغول. ودخلت عساكر المغول الى المدينة ونهبوا واسروا البنين والبنات وامنوا الباقي. وفتحوا غيرها من المدن المشهورة ورتب بها قا ان الشحاني وقفل الى مواضعه القديمة وبنى بها مدينة سماها اردوباليق (وهي مدينة قراقوم) وجعلها عاصمة ملكه واسكنها خلقاً من اهل الخطا وتركستان والفرس والمستعربين

وبينما هم مسرورون بفتح بلاد الخطا توفي تولي خان بن جنكزخان وكان احب الاخوة الى قاان فاغتم لذلك كثيراً وامر ان زوجته المسماة سرقتني بيكي وهي ابنة اخي اونك خان تتولى تدبير عساكره وكان لها من الاولاد اربعة بنين مونككا وقوبلاي وهولاكو واريغ بوكا. فاحسنت تربية الاولاد وضبط الاصحاب وكانت لبيبة عاقلة تدين بالنصرانية. وفي مثلها قال الشاعر

فلو كان النساء كمثل هذه   لفضلت النساء على الرجال

وبعد قليل مات ايضاً الاخ الكبير المسمى توشي فولى قاان ابنه باتو على البلاد

التي كانت بيد ابيه وهو الذي غزا بلاد الروس واللان والبلغار واخضعهم تحت سلطانه بعد ان مثل بهم تمثيلاً شنيعاً ثم عزم على غزو القسطنطينية فاستنجد ملكها باهل اوروبا فانجدوه خوفاً من تقدم التاتار في بلادهم وجرت بينهم حروب كثيرة انجلت عن كسرة المغول وهزيمتهم فقفلوا من غزاتهم هذه ولم يعودوا يتعرضون الى تلك النواحي مرة اخرى

وفي سنة ٦٣٣ ﻫ غزا التاتار نينوي ونزلوا الى قرية ترجلة وكرمليس فهرب اهل كرمليس ودخلوا كنيستها وكان لها بابان فدخلها المغول وقعد اميران منهم كل واحد على باب واذنوا للناس في الخروج عن الكنيسة فمن خرج من احد بابيها قتلوه ومن خرج من الباب الآخر اطلقوه ولم يعلم سبب ذلك

وفي سنة ٦٣٤ﻫ غزا التاتار بلاد اربل وهرب اهل المدينة الى قلعتها فحاصروها ٤٠ يوماً ثم اعطوا مالاً فرحلوا عنها وقصدوا العراق ووصلوا الى تخوم بغداد الى موضع يسمى زنكاباد والى سامرا (سر من راى) فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين اقبال الشرابي في عساكرهما فلقو المغول وهزموهم. ثم عاد التاتار الى بغداد ووصلوا الى خانقين فلقيهم جيوش بغداد فانكسروا وعادوا منهزمين الى بغداد بعد ان قتل منهم خلق كثير وغنم المغول غنيمة عظيمة وعادوا

وذاع خبر تقدم التاتار الى العراق وانتصارهم على المسلمين فخاف غياث الدين كيخسرو السلجوقي سلطان اسيا الصغرى وجهز العساكر من جميع البلاد وسار سنة ٦٤٠ ﻫ لمحاربة التاتار فالتقى العسكران بنواحي ارزنكان ببلاد ارمينية وانهزم المسلمون بدون قتال فانهزم السلطان مبهوتاً فاخذ نساءه واولاده من قيسارية وسار الى مدينة انقورا وتحصن بها . واقام المغول يومهم ذلك مكانهم ولم يجسروا على التقدم لانهم ظنوا ان هناك كميناً اذ لم يروا قتالاً يوجب هزيمة جيوش السلطان مع كثرة عددهم . فلما تحققوا الامر انتشروا في بلاد الروم فنازلوا اولاً مدينة سواس فملكوها بالامان واخذوا اموال اهلها عوضاً عن ارواحهم واحرقوا ما وجدوا بها من آلات الحرب وهدموا سورها . ثم قصدوا مدينة قيسارية فقاتل اهلها اياماً

ثم عجزوا ففتحوها عنوة ورموا فيها السيف وابادوا اكابرها واغنياءها وسبوا النساء والاولاد وخربوا الاسوار ثم عادوا وساروا الى مدينة ارزنكان وملكوها عنوة وقتلوا رجالها وسبوا الذراري ونهبوها وخربوا سورها ومضوا . ولما رأى السلطان غياث الدين كيخسرو عجزه عن مقاومة التاتار ارسل اليهم يطلب الصلح فصالحوه على مال وخيل واثواب وغيرها يعطيهم كل سنة مبلغاً معيناً

وفي سنة ٦٤٣ هـ توفي قاان بن جنكزخان وكان قد ارسل رسولاً في طلب ابنه كيوك ليراه قبل مفارقته الحياة وليوليه عهده من بعده فلم يمهله القضاء ليجتمع به

٤٧٥ — كيوك خان بن قاان

من سنة ٦٤٣ هـ الى سنة ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٤٥ — ١٢٤٩ م

لما توفي قاان بن جنكزخان اجتمع امراء المغول وبايعوا ابنه كيوك خان واستخدم كثيرين من المسيحيين حتى ان اتابكه كان مسيحياً فارتفع شان الطوائف المسيحية في ايامه حتى خيل للناس ان المملكة صارت مسيحية

ولم تطل مدة ملك كيوك خان لانه في سنة ٦٤٧ هـ توفيت والدته توراكينا خاتون . فتشاءم من المقام بقراقوم ورحل عنها متوجهاً الى البلاد الغربية ولما وصل الى ناحية كمستكي ادركه اجله في تاسع ربيع الآخر من السنة

ولما توفي كيوك خان اجتمع امراء المغول وبايعوا مونككا بن تولي بن جنكزخان فاستولى على كرسي السلطنة بقراقوم وقسم المملكة على اخوته واقاربه بن آل جنكزخان فكانت بلاد ايران من حصة اخيه هولاكو بن تولي بن جنكزخان وان يكن قد تولاها تحت نظر اخيه مونككا المذكور الا انه اورثها بنيه حتى صارت دولة مستقلة بذاتها . واذ لا يهمنا من اخبار الدولة التترية (المغولية) الا ما كان متعلقاً منها ببلاد المسلمين فسنترك مونككا واخباره والممالك التترية الاخرى

وما حدث فيها ونتقدم الى ذكر هولاكو بن تولي واخباره وبنيه من بعده لانهم هم الذين تولوا بلاد ايران فنقول وعلى الله الاتكال

٤٧٦ – هولاكو بن تولى

من سنة ٦٥٠ – ٦٦٤ هـ او من سنة ١٢٥٢ – ١٢٦٦ م

اقطع مونككا بن تولي اخاه هولاكو بلاد ايران سنة ٦٥٠ هـ فسار اليها من قراقوم في جيش عظيم سنة ٦٥١ هـ فوصل الى مروج سمرقند في شهر شعبان سنة ٦٥٣ هـ واقام بها اربعين يوماً . وكان الوقت شتاء شديد البرد لا يقشع الغيم ولا ينقطع وقوع الثلج من تلك البقاع . فامر هولاكو الامراء ان يقصدوا في عساكرهم قلاع الملاحدة (١)

وكان مقدم الاسماعيلية يومئذٍ ركن الدين خورشاه بن علاء الدين فاخرب خمس قلاع من قلاعه التي لم يكن فيها ذخائر للحصار

فلما وصل هولاكو الى عباساباذسير ركن الدين الى العبودية صبياً عمره نحو سبع او ثماني سنين وذكر انه ولده . فلم يخف صنيعه على هولاكو ولكن لم يكاشفه بذلك بل اعز الصبي واكرمه ثم اعاده اليه . وبعد وصول هذا الابن المزور الى ركن الدين سير اخاه شيرانشاه في ثلاثمائة رجل على سبيل الخدمة . فسير هولاكو الثلثمائة الى جمالا باذ من بلد قزوين واعاد اخاه محملاً رسالة اليه وهي :

---

(١) الملاحدة ويقال لهم الاسماعيلية والباطنية ايضاً هم من بقايا القرامطة الخوارج واصحاب حسن بن صباح قويت شوكتهم بعد موت ملك شاه السلجوقي وتغلبوا على عدة حصون وخصوصاً حصن الالموت بالقرب من مدينة قزوين . وبث حسن اصحابه الى الجهات فسار قوم منهم الى سورية وتحصنوا في الجبال المجاورة لطرسوس وعليهم امير اسمه ابو طاهر ويعرف بشيخ الجبل يطيع للامير الكبير الذي في بلاد فارس .

ودامت سلطة الاسماعيلية من سنة ٤٨٣ – ٦٥٣ هـ او من سنة ١٠٩٠ – ١٢٥٥ م

« انه الى خمسة ايام ان لم يصل بنفسه الى الخدمة يحكم قلعته ويستعد للحرب » فارسل اليه ركن الدين رسولاً يقول « انه لا يتجاسر على الخروج خوفاً من حشمه الذين معه داخل القلعة لئلا يثبوا عليه فاذا وجد فرصة جاء »

فعرف هولاكو انه مماطل مدافع من وقت الى آخر فرحل رابع شوال سنة ٦٥٤ هـ من بيشكام ونزل على القلعة المحازية لميمون دره وتقدم بقتل الثلثمائة رجل من الملاحدة الذين كانوا بجالاباذ قزوين سراً . ولما عاين ركن الدين نزول هولاكو بالقرب سير رسولاً يقول « ان سبب تماطلي لم يكن الا خوفاً من اهل القلعة والان انا نازل اليوم او غداً » فلما عزم على الخروج ثاوره الغلاة من الملاحدة وواثبه الفدائيون ولم يمكنوه من الخروج . فسير الى هولاكو واعلمه ماهم عليه من التمرد . فامره ان يداري الوقت معهم محافظاً نفسه منهم وكيفما كان يحتال للنزول ولو متنكراً . ثم امر هولاكو عساكره بالتقدم الى القلعة وقتال الملاحدة . فلما اشتغل الملاحدة بقتال المغول نزل ركن الدين ومعه ولده وخواصه الى عبودية هولاكو فاكرم هولاكو مثواه وطمن خاطره . فلما تحقق من بالقلعة ما نال صاحبهم من الطمانينة والكرامة سلموا القلعة ونزلوا عنها فحاول المغول هدمها وفتحوا ايضاً جميع القلاع التي في ذلك الوادي . ثم عادوا الى القلعة وافتتحوها عنوة وخربوا جميع قلاع الاسماعيلية وهي تزيد على خمسين قلعة حصينة

ثم ارسل هولاكو ركن الدين الى الخاقان مونككا بقراقوم في تسعة انفار من اصحابه فلما وصلوا الى بخارا تخاصم ركن الدين مع اصحاب هولاكو المرسلين معه وتسافه عليهم فحقدوا عليه

فلما وصلوا الى قرا قوم قالوا لمونككا بما كان من نور الدين فامر بقتله وانفذ الى اخيه هولاكو بقتل جميع الاسماعيلية وازالتهم من وجه الارض ففعل . ثم رحل هولاكو عن همذان نحو مدينة بغداد . وكان في ايام محاصرته قلاع الملاحدة قد سير رسولاً الى الخليفة المستعصم العباسي يطلب منه نجدة فاراد ان يسير ولم يقدر ولم يمكنه الوزراء والامراء وقالوا « ان هولاكو رجل صاحب احتيال وخديعة

وليس محتاجاً الى نجدتنا وانما غرضه اخلاء بغداد عن الرجال فيملكها بسهولة» فتقاعدوا بسبب هذا الخيال عن ارسال الرجال

ولما فتح هولاكو تلك القلاع ارسل رسولاً آخر الى الخليفة وعاتبه على اهماله تسيير النجدة . فشاوروا الوزير فيما يجب ان يفعلوه فقال « لا وجه غير ارضاء هذا الملك الجبار ببذل الاموال والهدايا والتحف له ولخواصه » وعند ما اخذوا في تجهيز ما يرسلونه قال الدويدار الصغير واصحابه« ان الوزير انما يدبر شان نفسه مع التاتار وهو يروم تسليمنا اليهم فلا نمكنه من ذلك » فبطل الخليفة بهذا السبب تنفيذ الهدايا الكثيرة واقتصر على شيء نذر لا قدر له . فغضب هولاكو وقال : «لا بد من مجيئه هو بنفسه او يسير احد ثلاثة نفر اما الوزير او الدويدار اوسليمان شاه » فلم يجيبوه الى ما طلب . فامر هولاكو بايجو نوين وسونجاق نوين ليتوجها في مقدمته على طريق اربل وتوجه هو على طريق حلوان

وفي منتصف شهر المحرم سنة ٦٥٦ هـ وصل هولاكو الى باب بغداد وفي يوم وليلة بنى المغول سوراً بالجانب الشرقي وآخر بالجانب الغربي وحفروا خندقاً عميقاً داخل السور ونصبوا المنجنيقات بازاء سور بغداد من جميع الجوانب ورتبوا العرادات والات النفط

وكان بدء القتال ٢٢ محرم فلما عاين الخليفة العجز في نفسه والخذلان من اصحابه ارسل الى هولاكو في طلب الصلح فلم يجبه الى ذلك بل امر اصحابه المغول بالتشديد على المدينة وان يكتبوا على سهامهم التي يرمون بها من في بغداد بالعربية هذه الجملة « كل من ليس يقاتل فهو آمن على نفسه وامواله وحريمه» واشتد القتال على بغداد من جميع الجوانب الى اليوم السادس والعشرين من محرم . ثم ملك المغول الاسوار وكان الابتداء من برج العجمي . فلما عاين الخليفة ان المغول سيدخلون المدينة لا محالة استاذن هولاكو بان يحضر بين يديه فاذن له وخرج رابع صفر ومعه اولاده واهله . ثم شرع المغول في نهب بغداد ودخل هولاكو بنفسه الى بغداد ليشاهد دار الخليفة وامر باحضار الخليفة فاحضروه ومثل بين يديه وقدم

جواهر نفيسة ولآلي ودررًا معباة في اطباق ففرق هولاكو جميعها على الامراء . ثم قبض هولاكو على الخليفة المستعصم وقتله هو واولاده واهله وبقي النهب يعمل في بغداد سبعة ايام قتل المغول في خلالها مليونًا وثلاث مئة الف مسلم على ما قيل وان كان في هذا التقدير بعض المبالغة فلا اقل من ان يفيد ان الخسارة كانت جسيمة جدًا مما لم يسبق له نظير واستولوا على ما في قصور الخلافة والقوا كتب العلم التي كانت في خزائنهم في دجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن . وعزم هولاكو على اضرام بيوتهم نارًا فلم يوافقه اهل مملكته

وبعد فتح بغداد ارسل هولاكو بالعساكر الى ميافارقين وبها الكامل محمد ابن غازي بن العادل فحاصروها سنتين حتى جهد الحصار اهلها ثم افتتحوها عنوة واستلحموا حاميتها

وفي سنة ٦٥٨ هـ سار هولاكو ومعه ٤٠٠ الف مقاتل الى الشام ونزل بنفسه على حران وتسلمها بالامان وكذلك الرها ولم يدن لاحد فيهما بسوء واما اهل سروج فانهم اهملوا امر المغول فقتلوا عن آخرهم . وتقدم هولاكو فنصب جسرًا على الفرات قريبًا من مدينة ملطية وآخر عند قلعة الروم وآخر عند قرقيسيا وعبرت العساكر جملتها وقتلوا عند منبج مقتلة عظيمة . ثم تفرقت العساكر على القلاع والمدن . وسار بعض العسكر الى حلب فخرج اليهم الملك المعظم من بني ايوب فالتقاهم وانهزم امام المغول ودخل المدينة منهزمًا . وبعضهم وصل الى المعرة وخربوها . وتسلموا حماة بالامان وكذلك حمص . فلما بلغ ذلك الملك الناصر اخذ اولاده ونساءه وجميع ما يعز عليه وتوجه منهزمًا الى برية الكرك والشوبك . وعندما وصل المغول الى دمشق خرج اعيانها اليهم وسلموها لهم بالامان ولم يلحق باحد منهم اذى

اما هولاكو فنزل بنفسه الى حلب وشدد عليها الحصار وملكها في ايام قلائل ورمى المغول في اهلها السيف فقتلوا فيها اكثر مما قتلوا في بغداد . ثم سار هولاكو الى قلعة حارم وطلب تسليمها فامتنع اهلها ان يسلموها لغير فخر الدين والي قلعة

حلب فاحضره هولاكو وسلموها اليه ولكن ذلك اغضب هولاكو فامر بهم فقتلوا عن آخرهم . ثم عاد هولاكو الى المشرق بعد ان استخلف على الشام قائده كتبغا وهذا جعل همه البحث عن الملك الناصر المنهزم في البراري حتى عرف موضعه وسير عليه بعض العسكر فلزموه وسيروه الى هولاكو . فاكرم هولاكو مثواه ووعده برد ملكه اليه ولكنه لما علم ان ملك مصر استضعف المغول بعد مفارقته اياهم وعزم على جمع العساكر وقصدهم فغضب هولاكو لذلك وتقدم بقتل الملك الناصر وقتل اخيه الملك الظاهر وجميع من معهم وبقتلهم انقرضت الدولة الايوبية

ولما استولى التاتار على اغلب بلاد الشام وهابهم المسلمون في العالم اجمع اهتم الملك المظفر قطز ملك مصر بامرهم وجند الجنود واعد المعدات وسار من مصر بالعساكر الاسلامية لقتال التتر وصحبته الملك المنصور صاحب حماة

ولما بلغ ذلك كتبغا نائب هولاكو على الشام جمع من في الشام من التتر وسار الى لقاء المسلمين وتقارب الجيشان في الغور واقتتلا فانهزم التتر هزيمة قبيحة واخذتهم سيوف المسلمين وقتل مقدمهم كتبغا واسر ابنه وفر من بقي الى رؤوس الجبال وتبعهم المسلمون وافنوهم وهرب من سلم منهم الى المشرق . ولم يحدث بعد هذه الحادثة في ايام هولاكو حادث يستحق الذكر

وفي سنة ٦٦٤ هـ توفي هولاكو بن تولي وكان حكيماً حليماً ذا فهم ومعرفة يحب الحكماء والعلماء

ومما يجب ذكره انه كان في البلاد ايام هولاكو حكيم عاقل اسمه نصير الدين الطوسي صاحب الالهيات والفلسفة الشهيرة علم به هولاكو خان فاكرمه ورفع مقامه وكان يستشيره في كل اموره حتى انه كان عازماً على اخضاع القسطنطينية فاشار عليه نصير الدين بالتقدم على بغداد في اول الامر وانباه له بسقوط الدولة العباسية فعمل هولاكو برايه ونجح في الامر على ما تقدم واتخذ هولاكو مدينه مراغة عاصمة لملكه وفيها توفي

٤٧٧ – اباقا بن هولاكو

من سنة ٦٦٤ – ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٦٦ – ١٢٨٣ م

لما توفي هولاكو بن تولي تولى بعده ابنه اباقا وكان شجاعاً باسلاً وحكيماً عادلاً جعل همه اصلاح ما اختل في ايام والده والتعويض على الذين لحق بهم ضرر من عساكره فرتعت البلاد في ايامه في بحبوحة الامن ولم يكدرها غير هجوم بعض التتر وذلك ان تكدار بن موجي بن جقاتاى بن جنكزخان طمع في الاستيلاء على بلاد اباقا فاستنجد اباقا الروم وسار لقتاله والتقى الجمعان ببلاد الكرج فانهزم تكدار ولجاء الي جبل هناك حتى استامن الى اباقا فامنه

وكان الظاهر ملك مصر قد ارسل الى ملك الارمن بان يخطب له ببلاده ويقطع خطبة السلطان اباقا فلم يقبل ملك الارمن ذلك خوفاً من اباقا واستمد اباقا فامده بقائدين من قواده هما تدوان وتغوا

وسار الظاهر من مصر ووصل الى بلاد الروم وهناك التقى بملك الارمن ومعه التاتار فحصلت بين الفريقين معركة شديدة انهزم فيها ملك الارمن ومن معه من التاتار واستولى الظاهر على قيسارية

وعلم اباقا بانهزام جيشه امام المصريين فعظم عليه الامر جدًّا وسار بنفسه حتى وصل الرحبة ونازلها بنفسه مع بعض العساكر وبعث باقي الجيش بقيادة اخيه الاصغر مونكاتمور فسار لقتال المصريين ومن عاضدهم من الشاميين . وكان هؤلاء قد استعدوا للقاء التاتار استعداداً تاماً والتقى العسكران بين حماة وحمص ودارت بينهما رحى حرب شديدة فانهزم التاتار هزيمة شديدة وولوا الادبار . ولما علم اباقا بهزيمتهم اجفل عن الرحبة وتوجه نحو بغداد ومنها الى همذان

وفي سنة ٦٨١ هـ توفي اباقا بن هولاكو قيل مسموماً . وكانت وفاته في يوم ٢٠ من ذي القعدة من السنة

٤٧٨ — السلطان احمد بن هولاكو

من سنة ٦٨١ — ٦٨٣ هـ او من سنة ١٢٨٣ — ١٢٨٤ م

ولما توفي اباقا كان ابنه ارغون غائباً بخراسان فبايع المغل لاخيه تكدار بن هولاكو فاسلم وتسمى احمد وارسل بذلك لملوك عصره واستنجدهم على قتال ارغون ابن اباقا الذي قام بخراسان طالباً ملك ابيه . ولما تم تجهيز العساكر ارسلهم السلطان احمد الى خراسان فلقيهم ارغون وكبسهم وهزمهم واثخن فيهم

ولما علم المغول بانتصار ارغون وكانوا حاقدين على السلطان احمد لاسلامه اتفقوا فيما بينهم على تولية السلطان ارغون بن اباقا وخلع احمد وفعلاً تم ذلك يوم الاربعاء ١١ جمادي الاولى سنة ٦٨٣ هـ

٤٧٩ — ارغون بن اباقا

من سنة ٦٨٣ — ٦٩٠ هـ او من سنة ١٢٨٤ — ١٢٩١ م

ولما جلس ارغون على كرسي المملكة اتفق الاكثرون من الامراء المغول واكابرهم ان يقتلوا احمد فلم يوافق ارغون على قتله ولكنهم اقنعوه بوجوب ذلك فقتله يوم الاربعاء ثاني جمادي الاخرى سنة ٦٨٣ هـ . ثم قبض ارغون على الوزير شمس الدين الجوني وكان متهماً بقتل ابيه فصادره وأخذ امواله ثم قتله وولى على وزارته سعداً اليهودي الموصلي ولقبه سعد الدولة . وولى ابنيه قازان وخدابندا على خراسان لنظر فيروز اتابكه

وكان ارغون قد عدل عن الاسلام واتبع الوثنية دين آبائه فكثر في بلاطه سحرة الهنود . فركب بعض هؤلاء السحرة لارغون دواء ليحفظ الصحة واستدامتها فلما تناوله اصابه صرع توفي به سنة ٦٩٠ هـ

٤٨٠ – كيخا خان بن اباقا

من سنة ٦٩٠ – ٦٩٣ ھ او من سنة ١٢٩١ – ١٢٩٤ م

ولما توفي ارغون بن اباقا اجتمع المغول على عادتهم وانتخبوا اخاه كيخا خان ابن اباقا ملكاً عليهم . وكان في ايام اخيه حاكماً على بلاد اناطول فاسرع في الحال الى تبريز وهي يومئذٍ عاصمة السلطنة فرحب به المغول واطمأنت نفوسهم بقدومه ولكنه لم يلبث طويلاً حتى اساء السيرة وعكف على ارتكاب المحرمات جهاراً . فلما علم المغول انهم اخطاوا في انتخابه اجتمعوا سرًّا وبايعوا بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو وشعر بذلك كيخا خان ففر من معسكره الى جهة كرمان فاتبعوه وادركوه وقتلوه سنة ٦٩٣ ھ لثلاث سنين واشهر من ولايته

٤٨١ – بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو

من سنة ٦٩٣ – ٦٩٥ ھ او من سنة ١٢٩٤ – ١٢٩٦ م

لما قتل امراء المغول كيخا خان بن اباقا بايعوا بايدو خان بن طرغاي بن هولاكو وكان قازان بن ارغون والياً على خراسان من ايام ابيه كما تقدم فطمع في الاستيلاء على كرسي المملكة فسار ومعه الاتابك فيروز وقاتل بايدوخان وانتزع منه الملك فلحق بايدو خان بنواحي همذان فادرك هناك وقتل سنة ٦٩٥ ھ

٤٨٢ – قازان خان بن ارغون

من سنة ٦٩٥ – ٧٠٤ ھ او من سنة ١٢٩٦ – ١٣٠٤ م

لما انهزم بايدو خان وقتل كما تقدم بايع المغول مكانه قازان خان بن ارغون فجعل اخاه خدابندا والياً على خراسان واستوزر الاتابك فيروز . وقازان خان هذا اول من ابطل الاعتراف بسيادة خاقان التتر وعدل عن نقش اسمه على

السكة لانه كان يعتبره كافراً فادى ذلك الى هجوم التتر على خراسان ولكن تمكن قازان من ردهم وطردهم عن حدود بلادهم . ومع ان قازان كان قد اعتنق الاسلام وافضى ذلك الى اعتناق مائة الف جندي من جنوده دين سلطانهم الجديد لكنه كان كثير البغض لملوك المسلمين واكثر حروبه كانت معهم حتى ابغضه المسلمون والنصارى معاً . واهم حروب قازان كانت مع سلاطين مصر المماليك . وبيان ذلك ان بعض امراء المغول كان قد استوحش من قازان خان فلحق بمصر ونزل على الملك الناصر فاكرم وفادته واحسن اليه والى من معه فاغتاظ قازان خان لذلك جداً وسار سنة ٦٩٩ ﻫ في جموع عظيمة من التتر وعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ثم نزل على وادي مجمع المروج بين حمص وحماة . وسارت العساكر الاسلامية صحبة الملك الناصر حتى وصلوا الى ظاهر حمص وساروا نحو مجمع المروج فالتقى العسكران عصر يوم الاربعاء ٢٧ ربيع الاول سنة ٦٩٩ ﻫ وبعد قتال شديد انهزم المسلمون وتأخر السلطان الى جهة حمص وهربت العساكر الاسلامية وتبعهم التاتار واستولوا على دمشق وساقوا في اثر الهاربين الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيئاً كثيراً وعصت قلعة دمشق على قازان فحاصرها وكان النائب بها الامير سيف الدين ارحواش المنصوري فقام في حفظها اتم قيام . واقام قازان بمرج دمشق المعروف بمرج الزنبقية الى ان دعاه داع فعاد الى بلاده بعد ان استخلف قطلو شاه في عساكر لحماية البلد وحصار القلعة ويحيي بن جلال الدين لجباية الاموال وقرر قبجق على نيابة دمشق وبكتمر على نيابة حلب وحمص وحماة

ولما علم الملك الناصر بسير التتر عن الشام وان الموجودين فيه لا يكفون لحمايته جمع عساكره وارسلهم الى الشام بقيادة سلار نائب السلطنة وبيبرس استاذ الدار

فلما تقدمت العساكر المصرية الى الشام استامن اليها قبجق وبكتمر النائبان بدمشق وحلب وراجعا طاعة السلطان فخام التتر الذين بدمشق عن لقاء المسلمين

فعادوا الى العراق

ثم ارسل قازان الى الفرنج بفلسطين يستنجدهم على قتال المسلمين فاجابوه الي طلبه وارسل هو جيشا من التاتار بقيادة كوتولوسا ليتحدمع الفرنج ويهاجموا المسلمين وبعد ان اجتمعت الجنود من الفرنج واتحدت مع التاتار اصاب قازان مرض فاجل هذه الحملة وانصرف كل من محالفيه الى محله

وفي سنة ٧٠٣ هـ تجهز قازان لحملة ثالثة فجمع جيشاً كثيفاً وقبل ان يرتحل من العراق سطا على بلاده اعداء يخافهم فاكره ان يعود على عقبه وابقي مع كوتولوسا ٤٠ الف رجل وامره ان يدخل سورية ويملك دمشق ويقهر المسلمين فدخل وقتل كثيرين واحرق البيوت والزروع وحاصر حمص املاً ان يجد فيها العسكر المصري كما كان في الحملة الاولى فملك هذه المدينة عنوة وقتل من وجد فيها من المسلمين ثم سار وحاصر دمشق فحول سكانها ماء النهر ليلاً الى معسكر التتر فاهلك كثيراً من الرجال والخيل واثقال العسكر فانهزم التتر وعادوا الى الفرات فاحتملوا مشقة كبري في عبوره من قبل اعدائهم . وبعد شق الانفس وصل الباقى منهم الي قازان خان وهم في حالة يرثى لها فمات اسفاً على حالتهم وكانت وفاته سنة ٧٠٤ هـ وقازان خان هذا هو الذي بنى مدينة شنب قازان على مقربة من تبريز واشتهر بقصر قامته وكثرة علومه ومعارفه

٤٨٣ ـ خدابندا بن ارغون

من سنة ٧٠٤ ـ ٧١٦ هـ او من سنة ١٣٠٤ ـ ١٣١٦ م

لما توفي قازان خان بن ارغون ولى بعده اخوه خدابندا بن ارغون وحال جلوسه على كرسي المملكة اشهر اسلامه وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين . ولم يحدث في ايامه حروب تذكر غير هجوم التتر على خراسان وردهم وقيام اهل كيلان على عامله وعدم تمكن عساكره من كبح جماحهم . وخدا بندا هذا هو اول من جاهر

بيله الى الشيعيين وامر بتخليد اسم الأئمة الاثني عشر ونقش اسمائهم على سكته . وهو الذي بنى مدينة السلطانية بين قزوين وهمذان وجعلها عاصمة ملكه وجعل فيها كل ما هو بهيج للعيون وشهي للنظر تشبيهاً بالجنة . ثم اساء السيرة والفحش في التعرض لحرمات قومه فسمه بعض امرائه سنة ٧١٦ هـ

٤٨٤ ـ ابو سعيد بن خدا بندا

من سنة ٧١٦ – ٧٣٦ هـ او من سنة ١٣١٦ – ١٣٣٥ م

لما توفي خدا بندا بن ارغون تولى بعده ابنه ابو سعيد وكان صبياً في الثالثة عشرة من عمره فتولى الامر في مدة قصوره الامير جو بان . وطمع السلطان اوزبك سلطان مملكة التتر الشمالية في الاستيلاء على ايران لصغر سن ابي سعيد وارسل عساكره الى خراسان بقيادة سبول فسار الامير جو بان اليهم بعساكر السلطان ابي سعيد وهزمهم مراراً واجلاهم عن خراسان . ودامت هذه الفتنة الى سنة ٧٢٦هـ التي فيها انهزم جيش اوزبك هزيمة شنعاء واخلى خراسان

وبينما كان الامير جو بان عائداً من خراسان واعلام النصر تخفق على راسه اذ بلغه الخبر ان السلطان ابا سعيد قبض على ابنه تيمور طاش عامل دمشق فانتقض على ابي سعيد ورفع راية العصيان . وزحف اليه ابو سعيد فافترق عنه اصحابه ولحق بهرات فقتل بها في السنة المذكورة

وفي سنة ٧٣٦ هـ توفي ابو سعيد بن خدا بندا وهو آخر من ملك من بني هولاكو لانه مات عقيماً وافترقت مملكة ايران بعده فكان العراق وعاصمته بغداد من نصيب الشيخ حسن بن حسين بن بيبقا بن ايلكان بن اباقا وهو ابن عمة السلطان ابي سعيد

٤٨٥ – الشيخ حسن بن حسين

من سنة ٧٣٦ – ٧٥٧ ﻫ او من سنة ١٣٣٥ – ١٣٥٦ م

لما توفي ابو سعيد بن خدا بندا وافترقت المملكة الى طوائف من بعده استقل الشيخ حسن بن حسين بن بيبقا بن ايلكان بن اباقا ابن عمة ابي سعيد المذكور بملك العراق وجعل بغداد عاصمة لملكه

وكان حسن بن تيمور طاش بن جابان وزير السلطان ابي سعيد قد استولى في اثناء هذه الفتن على بلاد الروم فطمع في الاستيلاء على ما بيد الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد وسار الى العراق ونزل على مدينة توريز واستولى عليها ولم يتمكن الشيخ حسن الكبير من انتزاعها منه فلحق ببغداد واستقر ملكه بها الى ان توفي سنة ٧٥٧ ﻫ

٤٨٦ – اويس بن الشيخ حسن

من سنة ٧٥٧ – ٧٧٦ ﻫ او من سنة ١٣٥٦ – ١٣٧٤ م

لما توفي الشيخ حسن بن حسين تولى بعده ابنه اويس وكان بتوريز الاشرف ابن تيمور طاش فزحف اليه ملك الشمال جاني بك بن اوزبك سنة ٧٥٨ ﻫ وملكها من يده ورجع الى خراسان بعد ان استخلف عليها ابنه برديبك واعتقل في طريقه فكتب اهل الدولة الى برديبك يستحثونه للملك فاغذا السير اليهم وترك بتوريز عاملها اخيجوخ فسار اليه اويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكها ثم ارتجعها منه اخيجوخ واقام بها فزحف اليه ابن المظفر صاحب اصفهان وملكها من يده وقتله وانتظم في ملكه عراق العجم وتوريز وتستر وخوزستان

ثم سار اويس فانتزعها من يد ابن المظفر واستقرت في ملكه ورجع الى بغداد واستفحل امره

وفي سنة ٧٧٦ ﻫ توفي اويس بن الشيخ حسن

٤٨٧ — حسين بن اويس

من سنة ٧٧٦ — ٧٨١ ﻫ او من سنة ١٣٧٤ — ١٣٧٩ م

توفي اويس بن الشيخ حسن عن خمسة بنين وهم حسن وحسين وابو زيد وعلي واحمد ولم يوص بالملك بعده لاحدهم فتنازعوا السلطنة واشتغلت بينهم الفتن مدة طويلة ولكل منهم حزب يعضده حتى انتهاء الامر بانتصار حزب حسين بتوريز فبايعوه الملك ولكنه لم يهناء طويلاً لان اخاه اسماعيل خالفه واغتصب منه توريز فلحق حسين ببغداد وكان اخوه علي نائبه بها فنزل عليه واستنجده فاتحدا معاً على قتال اسماعيل وتم لهما النصر بقتل اسماعيل واسترجع حسين مدينة توريز بعد ان اخذت منه ومكث بها . واستعمل اخاه علياً على بغداد كما كان . ثم طمع علي في الاستقلال فارسل اليه حسين اخاه احمد فقتله واخذ بغداد منه . ولم يمض وقت طويل حتى انتفض احمد ببغداد ايضاً وعزم ليس فقط على الاستقلال ببغداد بل والاستيلاء على توريز ايضاً فنهض من بغداد في جيش عظيم وقصد توريز وكان حسين في ذلك الوقت قد اهمل امر المملكة وانعكف على لذاته وشهواته الجسدانية ولم يحفل بمقاومة احمد . فسار احمد الى توريز وطرقها على حين غفلة من اهلها وملكها واختفى حسين اياماً ثم قبض عليه اخوه احمد وقتله وذلك سنة ٧٨١ ﻫ

٤٨٨ — احمد بن اويس

من سنة ٧٨١ — ٧٩٥ ﻫ او من سنة ١٣٧٩ — ١٣٩٣ م

لما قتل احمد اخاه حسيناً استولى على الملك بعده ثم ابتداء بوسع دائرة ملكه ففتح كثيرا واستولى على ما كان قد ضاع مدة الفتنة حتى هابته جميع ملوك الاطراف الا انه

ظهر في ايامه الفاتح العظيم تيمورلنك المغولي وتغلب على بلاد خراسان وتقدم الى العراق واستولى على بغداد سنة ٧٩٥ ﻫ فهرب احمد بن او يس الى ملك مصر مستصرخاً به على طلب ملكه والانتقام من عدوه ولكن لم يتم له الله ما اراد وتمت السلطة لتيمورلنك

٤٨٩ — تيمورلنك

من سنة ٧٦٢ — ٨٠٧ ﻫ او من سنة ١٣٦١ — ١٤٠٥ م

ولد هذا القائد العظيم سنة ٧٣٧ ﻫ الموافقة سنة ١٣٣٦ م بمدينة القش (بلدة بالقرب من سمرقند) ويتصل نسبه بجنكزخان التترى من جهة النساء · ومعنى تيمور لنك اي تيمور الاعرج · خلف عمه سيف الدين في امارة كش (يقال كش وقش) سنة ٧٦٢ ﻫ

فلما تبوأ كرسي الامارة الصغيرة حدثته نفسه بالغزو والفتح ولم ينجح كثيرًا في بادىء امره لقوة اعدائه

وروي انه بينما كان فارًا من اعدائه يوماً وقد اختبأ في بعض الكهوف رأى نملة صغيرة تحاول جهدها في رفع ثقل اكبر منها فجعل يتأملها والحمل يتدحرج وتعود النملة اليه وهي لا تكل ولا تمل حتى سقطته ٦٩ مرة وهي لاتنثني عن عزمها وفازت بايصال الحمل الى المحل المطلوب في المرة السبعين فتعلم تيمور من هذه النملة درساً جعله نبراس اعماله وخطة يتبعها وهو اشهر من اتصف بهذه الصفة التي تلزم لكل عظيم

وابتدأ تيمورلنك في غزواته بفتح الامارات التي حوله ففتح بلاد خوارزم وكاشغر وخراسان وجعل سمرقند عاصمة لملكه · ثم خضعت قندهار وكابل لصولته فصارت اواسط اسيا كلها من املاكه

وفي السنة التالية ضم مازندران وسيستان فعظم قدر هذا الرجل وسمى نفسه خاناً سنة ٧٧٢ ﻫ

ثم عزم على فتح باقي بلاد ايران ولم يلق عناء كثيرًا في اخضاعها لكثرة الفتن التي اضعفت ولاتها الا مدينة اصفهان فانها قاومت عساكر تيمور زماناً حتى التزم ان ينزل عليها بنفسه فطلب اهلها منه الامان فامنهم لكنه ضرب عليهم ضريبة فاحشة حتى اوقع اهلها كلهم في الفقر المدقع حتى عزم الاصفهانيون على مقاومة التتر واخراجهم من المدينة

بكل وسيلة ممكنة وقام بعض المحرضين من اهل اصفهان ونادى بوجوب قتال التتر واجتمع حوله بعض اوباش المدينة فهجموا على عسكر تيمورلنك وقتلوا منهم ٣٠٠٠ نفس في ليلة واحدة

فلما اصبح الصباح وعلم عقلاء اصفهان بما حدث من هؤلاء المتشردين اسقط في يدهم وتيقنوا هلاك اهل المدينة اجمع لما يعلمونه من قساوة تيمورلنك . وكان خوفهم في محله لان تيمورلنك لما علم بما فعل الاصفهانيون بعسكره اسرع اليها في جيش كثيف وامر عسكره بحصار المدينة وارسل الى اهل اصفهان يعلمهم انه عزم على قتلهم جميعاً بلا استثناء فبالغوا في الترجي والترضي فلم يزدد تيمورلنك الا عناداً . فلما تحقق الاصفهانيون منه هذا العزم دافعوا عن انفسهم وقاتلوا التتر قتال من لا امل له في النجاة فلم تغن شجاعتهم فتيلاً لان عساكر التتر اقتحمت المدينة واعملت فيها السيف بلا رحمة ولا شفقة فقتلوا اهل اصفهان عن بكرة ابيهم وجمعوا الرؤوس امام تيمور فزادت عن ٧٠ الفاً

وفي سنة ٧٩٥ هـ تقدم تيمورلنك الى مدينة بغداد واستولى عليها وهرب سلطانها احمد بن اويس . ثم ارسل عساكره الى بلاد التتر فاخضعت جانباً كبيراً منها ووصلت الى حدود السور العظيم في بلاد الصين . وسار هو في باقي الجيش الى روسيا فنهب مدينة ازوف وهدمها وبعد ان ملك قسماً كبيراً من سيبيريا وروسيا تقدم الى مدينة موسكو وافتتحها بعد ان ذاق اهلها منه الامرين

ثم قصد الهند سنة ٨٠٠ هـ فاجتاز السند وحارب الملك محمداً الرابع تحت اسوار مدينة دهلي وامتلك المدينة مع باقي الولايات التابعة لها بعد ان انزل بها الوبال

وفي سنة ٨٠٣ هـ قصد تيمور سورية وبلغت اخباره الملك زين الدين فرج بن برقوق صاحب مصر فكتب الى نائب الشام وسائر النواب والحكام ان يتوجهوا الى حلب ويجتهدوا في دفعه . فتجهز نائب الشام سودون مع النواب والعساكر ورحلوا الى حلب . وبلغ تيمور الى عين تاب وارسل من هناك الى النواب بحلب مرسوماً بطاعته والخطابة باسمه فلم يردوا عليه جواباً . وقتل سودون نائب السلطنة بالشام رسول تيمور وحصنوا حلب ما استطاعوا . ورحل تيمور من عين تاب فوصل في اليوم السابع الى حلب وهناك التقى بعساكر المسلمين ودارت بين الفريقين رحى حرب تشيب لهولها الولدان ولم يكن الا قليلاً حتى انهزم الحلبيون قاصدين المدينة فازدحموا في ابوابها وداس بعضهم بعضاً حتى قتل كثيرون منهم وتشتت الباقون منهزمين شر هزيمة وبلغ بعضهم دمشق

وحاصرت عساكر تيمور حلب حتى استأمن اهلها اليه فامنهم وبعد ما فتحوا له ابواب المدينة فتك باهلها اخذاً بثار رسوله وقبض على سودون واعتقله ثم قتله وبنى برؤوسهم قبة ونهب كل ما كان في المدينة والقلعة وكان شيئاً كثيراً

ثم قصد تيمور دمشق بجيشه العرمرم فاجفل اهل دمشق وتشتتوا . وارسل تيمور ابنيه مهران شاه وماردين شاه الى حماة فلقيهما اهلها مرحبين طائعين واخذا الهدايا التي قدموها لهما واقاما عليهم نائباً من قبل ابيهما وبعد ان رحلا عن حماة وثب اهلها على النائب فقتلوه فرجع ابنا تيمور الى حماة فقتلا ونهبا واحرقا اكثر البيوت ونجدهما تيمور بعشرين الف مقاتل فملكوا القلعة واهلكوا من كان فيها

ولما بلغ تيمور الى حمص خرج اليه رجل يسمى عمرو بن الرواس فاستجلب خاطره وقدم له تقدمة فاخرة نعفا عن اهل حمص ووهبها لخالد بن الوليد المدفون بها وولى عمراً المذكور عليها

ثم نزل تيمور على بعلبك فخرج اهلها وتضرعوا اليه فلم يلتفت الى مقالهم ولم يرث لتذللهم بل ارسل فيهم جوارح النهب والاستئصال . وورد الخبر الى الشام بخروج الملك الناصر بن برقوق من مصر وقدومه الى الشام فسكن جاش بعض الناس وزال استيحاشهم اما العقلاء فلم يثقوا بهذه الاخبار وعلموا ان لا قدرة للناصر على تيمور وبلغت عساكر السلطان الى دمشق وبلغ تيمور اليها بجيشه الجرار وحدث بين الفريقين مناوشات ليست ذات بال . ثم وقع الخلاف بين عساكر السلطان فعاد فريق منهم الى مصر ودخل على السلطان احد خواصه وخوفه من بطش تيمور فاثر فيه الكلام وخرج ليلاً من القلعة وعاد الى مصر

ولما علم تيمور بهرب السلطان امر عساكره بحصار دمشق فحاصرها وملكها وقتل اعيانها وسبى نساءها واحرقها مع الجامع الاموي وكان فيه جم غفير من النساء والاطفال فهلك جميعهم واخرب المساجد والمدارس والمعابد ودك القلعة وارتكب جنوده بها الفظائع وقيل انه كان يامر بجمع الاولاد ورميهم بالخنادق فتدوسهم الخيل والبقر ويلقون بعضهم في الآبار ويرمونها بالحجارة الضخمة . وامر كثيرين من اعيانها وعذبهم عذاباً مبرحاً . وبالجملة فانه لم يبق من الشام الا وجعله قاعاً صفصفاً

وكان احمد بن اويس صاحب بغداد مع سلطان مصر حين هجوم تيمور عليها فلما هرب سلطان مصر وكر راجعاً الى بلاده هرب احمد بن اويس المذكور الى اسيا

الصغرى ونزل على بايزيد السلطان الرابع من سلاطيننا العثمانيين مستنجداً به على هؤلاء الوحوش الضارية · ولما علم تيمور بمكانه ارسل الى با يزيد يطلب احمد بن او يس المذكور فابى السلطان تسليمه اليه فاغار تيمور بجيوشه الجرارة على اسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بارمينية واخذ ابن السلطان با يزيد المدعو ارطغرل اسيراً وقطع رأسه فجمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الاعرج فتقابل الجيشان في سهل انقره واستمر الحرب من قبل شروق الشمس الى بعد غروبها واظهر السلطان من الشجاعة ما خلد له ذكراً حميداً ولكن خانته بعض جيوشه وانضمت الى جيوش تيمور خوفاً · فحارب السلطان بمن بقي معه الى ان وقع اسيراً في ايدي المغول هو وابنه موسى وذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ

وكان تيمورلنك معجباً بشجاعة السلطان بايزيد فلم يعامله كما سبق وعامل امراه من قبله ولكنه اكرم مثواه · ولان بايزيد شرع في الهروب ثلاث مرات شدد تيمور المراقبة عليه حتى مات في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ

وبعد هذه الفتوحات تامل الامير تيمور في بلدان الارض فرأى ان جلها خضع لهيبته ماعدا بلاد الصين فشاور اعوانه في اخضاع الصين والتتر الصينية وهي التي كان يحكمها خلفاء جنكزخان ووافقوه على رأيه فجمع جيشاً جراراً وسار لمحاربة تلك البلاد الضخمة ولكنه مرض في الطريق ومات بعد ان اوصى بالملك بعده الى حفيده بير محمد جهانكير

وكان تيمور صاحب قران (كان يعرف بهذا الاسم حال حياته) من اشهر قواد الارض ومن اعظم الرجال في علو همته وصبره على الشدائد ولم يقم في الارض فاتح اعظم منه

وكان تيمور مسلماً شيعياً يعضد الاسلام خلافاً لجنكزخان ولكنه كان قاسي القلب لدرجة لم تروعن انسان قبله لانه لم يفعل فاتح باعدائه مثلما فعل تيمور في اصفهان ودهلي ودمشق وازمير وانقره وازوف وموسكو وغيرها

ومما يروى عن قسوته انه كان معه في اواخر غزوته في بلاد الهند مائة الف اسير من الهنود فلما قدم على دهلي يريد محاصرتها وامتلاكها رأى ان الاسرى يغلون ايدي العسكر ويتعبونهم فامر باعدامهم كلهم في الحال واطاع رجاله الامر فقتلوا مائة الف اسير في ذلك اليوم ولم ينج واحد منهم لان تيمور اعلن ان الذي يمكن اسيراً من الفرار يقتل هو وآله · وليس في التاريخ كله حكاية مجزرة وقسوة تحكي هذه الحكاية الهائلة

وكانت وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧ هـ

٤٩٠ — بقية اخبار آل تيمورلنك

ولما توفي تيمورلنك تولى السلطنة بعده حفيده بير محمد حسب وصيته وكان في ذلك الوقت في قندهار وقام عليه لاول ولايته عمه خليل ميرزا بن تيمور واغرى القواد على مبايعته الملك ونجح لان بير محمد مات بدسيسة أحد وزرائه

وكان السلطان خليل من اصحاب اللين والرقة ولولا انه اخطاء خطاء كبيرًا لكان حكمه سعيدًا ولكنه علق بحب فتاة فتانة وصرف همه الى رضاها وحظها فانفق عليها جل ما جمعه والده فقام عليه الامراء وعزلوه وولوا مكانه اخاه السلطان شاه رخ بن تيمور فسجن خليلاً في اول الامر ثم صفح عنه وجعله واليًا على خراسان وارجع اليه حبيبته التي اتيت من الاهانة والعذاب مدة سجنه ما لا يوصف

ومات خليل في خراسان بعد عوده الى الامارة بزمن قصير . اما شاه رخ فلم يتمثل بابيه في الفتح والغزو سيما وان اباه ترك نصف الدنيا ملكاً له ولم يحارب الا بعض قبائل التركمان التي هاجمت بلاده . ثم جعل همه الاصلاح وتقرير الامن واستيفاء اسباب الرفاهية لبلاده وتوفي بعد ان حكم ٣٨ سنة رتعت فيها البلاد في بحبوحة الامن بعد ما لاقوا من الاهوال في ايام ابيه

وخلفه في الملك ابن الغ بك العالم الرياضي الشهير واليه ينسب الزيج الغ بكي الان ولكنه لم يهناء بالسلطنة لان ابنه عبد اللطيف قام عليه لاول ولايته وقتله وجلس مكانه على ان الدهر انتقم من هذا الابن الغادر واماته عقيب استلامه ازمة الملك

ولم يقم بعد تيموز وابنه رجل يذكر فسادت الفوضى واستقلت الولايات واشهر من ولي الامر من آل تيمور بعد ذلك ابو سعيد ابن حفيد الفاتح العظيم .

وكان لابي سعيد هذا احد عشر ولدًا اشهرهم بابر الشهير الذي وصل الهند فرارًا من الاعداء وهناك فاز بتأليف سلطنة هندية لم يزل نسله يحكمها بالاسم الى هذا اليوم

وكثرت بعد ابي سعيد الثورات والقلاقل في بلاد ايران فانتهت دولة تيمور وآله في مدة ابي سعيد وظلت في ايدي بعض الولاة لا تستقر على حال من القلق حتى صارت الى قبضت الدولة الصفوية وسياتي ذكرها فيما بعد ان شاء الله . والملك لله وحده

٤٩١ — الدولة الحفصية بتونس

(تمهيد) هذه الدولة فرع من فروع دولة الموحدين وتنسب الى الشيخ ابي حفص يحيى بن عمر والمذكور كان احد العشرة الذين قاموا بدعوة محمد ابن تومرت مهدي الموحدين وكان له الصوت الاعلى والامر النافذ في مدة خلافة عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف وبسطوته وشجاعته استتب لهما الامر وقد تقدم كثير من اخباره في ذكر دولة الموحدين — (راجع فصل ٤٢٢ — ٤٢٣ — ٤٢٤)

ولما بلغ يوسف بن عبد المؤمن (فصل ٤٢٤) تكالب الاسبانيين على الاندلس وغدرهم بمدينة بطليوس سنة ٥٦٤ ﻫ واعتزم على الاجازة لحمايتها قدم عساكر الموحدين اليها لنظر الشيخ ابي حفص ونزل قرطبة وامر من كان بالاندلس من السادة ان يرجعوا الى رايه فاستنقذ بطليوس من هذا الحصار وكانت له في الجهاد هنالك مقامات مشهورة . ولما انصرف من قرطبة الى الحضرة سنة ٥٧١ ﻫ توفي بطريقه قرب سلا . وكان ابناؤه من بعده يتداولون الامارة بالاندلس والمغرب وافريقية مع السادة من بني عبد المؤمن

وفي ايام الناصر لدين الله محمد بن يعقوب (فصل ٤٢٦) استولى ابن غانية على تونس وانتزعها من الموحدين سنة ٦٠١ ﻫ واسر السيد ابا زيد عاملها فنهض

الناصر من المغرب كما ذكرناه واسترجعها من يد ابن غانية واصحابه وشردهم عن نواحيها وخيم على المهدية يحاصرها وقد انزل ابن غانية ذخيرته وولده بها واجلب في جموعه خلال ذلك على قابس فسرح الناصر اليه الشيخ ابا محمد عبد الواحد بن ابي حفص في عساكر الموحدين فهزمهم واستولى على معسكرهم وانقذ السيد ابا زيد من اسرهم ورجع الى الناصر بمعسكره من حصار المهدية ظافراً فخافه اهل المهدية وطلبوا الامان فامنهم وتم له الاستيلاء على افريقية

ورجع الناصر الى تونس فاقام بها حولاً كاملاً الى منتصف سنة ٦٠٣ هـ ثم اعتزم على الرحلة الى المغرب ولكنه خاف من عود ابن غانية اليها بعد عوده عنها فاستحسن ان يستخلف فيها رجلاً يسد مسد الخلافة فيها ويقيم بها شؤون الملك فوقع اختياره على ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص وشافهه الناصر بذلك فاعتذر فبعث اليه ابنه يوسف فاكرم موصله واجاب طلبه على شريطة اللحاق بالمغرب بعد استتباب الامن في افريقية فقبل الناصر شرطه ونودي في الناس بولايته

٤٩٣ – ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص

من سنة ٦٠٣ – ٦١٨ هـ او من سنة ١٢٠٧ – ١٢٢١ م

ثم ارتحل الناصر الى المغرب وودعه ابو محمد الى بجاية ثم عاد الى تونس وجلس على كرسي الامارة في يوم السبت ١٠ شوال سنة ٦٠٣ هـ

ورجع ابن غانية الى نواحي طرابلس فجمع احزابه واتباعه واغار بهم على تلك النواحي فخرج اليهم ابو محمد سنة ٦٠٤ هـ فلقيهم بشبرو وبعد قتال شديد انهزم ابن غانية واتباعه وركب الموحدون اقفيتهم وافلت ابن غانية جريحاً الى اقصى مبرة ورجع ابو محمد الى تونس ظافراً وكاتب الناصر باللحاق الى المغرب كشرطه فاعتذر له واستانف النظر في ذلك وبعث اليه بالمال والخيل والكساء للانفاق والعطاء فاستمر ابو محمد على شأنه وترادفت الوقائع بينه وبين يحيي الميورقي المعروف بابن غانية

وانتصر ابو محمد على ابن غانية في جميع المعارك حتى انصرف ابن غانية مهيض الجناح مفلول الحد عفوفاً باليأس من جميع جهاته واستفحل امر ابي محمد بافريقية وحسم عامة الفساد واستوفى جبايتها

ثم توفي الناصر محمد بن يعقوب وولى بعده ابنه المستنصر يوسف واستبد عليه مشايخ الموحدين لصغر سنه واشتغلوا بفتنة بني مرين وظهورهم بالمغرب فلم يتداخل ابو محمد في هذه الفتن واستكفى بافريقية وعزم على الاستقلال بها والقيام بملكها الا انه رأى من باب الحكمة ان يبايع للمستنصر ويطاب منه تثبيته على ما بيده كفاً لشره ففعل وارسل اليه المستنصر بالخلع وابقاه على تونس واعمالها ولم يزل بها الى ان توفي سنة ٦١٨ هـ

٤٩٣ – عبد الرحمن بن عبد الواحد

من سنة ٦١٨ — ٦١٨ هـ او من سنة ١٢٢١ — ١٢٢١ م

لما توفي ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص اجتمع روساء الموحدين وبايعوا ابنه عبد الرحمن واقعدوه بمجلس ابيه في الامارة . فسكن الثائرة وشمر للقيام بالامر عزائمه وافاض العطاء واجاز الشعراء وخرج في عساكره لتمهيد النواحي وحماية الجوانب فقمع الثوار ومهد الامور ثم وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة اشهر من ولايته وتقديم عمه السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن

٤٩٤ – السيد ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن

من سنة ٦١٨ — ٦٢٠ هـ او من سنة ١٢٢١ — ١٢٢٣ م

ولما عزل المستنصر عبد الرحمن استعمل مكانه عمه ادريس وفي ايامه عاد ابن غانية بعد ان جمع جموعاً كثيرة واغار على بلاد افريقية فوالى السيد ادريس

الزحف اليه حتى شرده عن بلاده . ثم توفي السيد ادريس سنة ٦٢٠ ﻫ وهو الذي بنى البرجين على باب المهدية

٤٩٥ — ابو زيد بن السيد ادريس

من سنة ٦٢٠ — ٦٢٢ ﻫ او من سنة ١٢٢٣ — ١٢٢٥ م

لما توفي السيد ابو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن استولى على افريقية بعده ابنه ابو زيد بن ادريس وساءت سيرته في الناس واقام على ذلك الى دولة العادل عبدالله بن المنصور صاحب مراكش فعزله سنة ٦٢٢ ﻫ وولى مكانه عبدالله بن عبد الواحد بن ابي حفص

٤٩٦ — عبد الله بن عبد الواحد بن ابي حفص

من سنة ٦٢٢ — ٦٢٥ ﻫ او من سنة ١٢٢٥ — ١٢٢٨ م

فسار عبد الله الى تونس وتسلم امارتها وعادت مملكة تونس الى الملوك الحفصيين بعد ان انتزعت من ايديهم مدة اربع سنين تقريبًا اعني مدة امارة السيد ادريس وابنه

ولما وصل عبدالله الى تونس وجد ابن غانية قد استفحل امره فقاتله وشرده عن بلاده ثم خالف عليه اخوه ابو ذكريا وكاتب عسكر عبدالله بمبايعته ووعدهم على ذلك وعودا اجلية فاجابوه ووعدوه بذلك سرًا . فلما تحقق صدقهم اظهر عصيانه على اخيه عبدالله فسار اليه عبدالله لمحاربته فخالفه العساكر واستقدموا اخاه فجاءهم واستلم قيادتهم واتي الى تونس سنة ٦٢٥ ﻫ

٤٩٧ - ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد

من سنة ٦٢٥ — ٦٤٧ هـ او من سنة ١٢٢٨ — ١٢٤٩ م

دخل ابو زكريا تونس سنة ٦٢٥ هـ وفي هذا الوقت كان قد ضعف امر الموحدين من بني عبد المؤمن بمراكش وظهر بنو مرين ونازعوهم السلطة في المغرب الاقصى و بنو زيان نازعوهم السلطة في الجزاير فانتهز ابو زكريا الفرصة واعلن استقلاله سنة ٦٢٦هـ وقطع الخطبة لبنى عبد المؤمن وخطب لنفسه. ولم يلق معارضاً فيما عمل الا ان ابن غانية كان لا يزال يجمع الجموع ويدخل بهم افريقية ويفسد فيها فطارده ابو زكريا حتى ظفر به وقتله سنة ٦٣١ هـ . ثم قمع الثوار من قبائل البربر الهوارة وتمت له السلطة على تونس . واستولى على الجزائر وتلمسان واطاعته سجلماسة وسبتة وطنجة ومكناسة فقوى امره وعظم شانه حتى ان بني مرين الذين استولوا على مراكش بعد بني عبد المؤمن خطبوا له في اول امرهم واطاعه ابن مردنيش الثائر بالاندلس وخطب له على البلاد التي تحت سلطته واتته الوفود من الاندلس بطلب نجدته ووثق فردريك الثاني معه علائق الوداد وصالحه لعشر سنوات وابو زكريا يحيى هذا هو الذي بني جامع القصبة واذن بنفسه في ليلة تمامه وشاد غيره من المساجد والمدارس وانشاء داراً للكتب جمع فيها ٣٦ الف مجلد من انفس المجلدات . وبالجملة فانه هو الذي اسس اركان الدوله الحفصية في تونس وتوفي سنة ٦٤٧ هـ

---

٤٩٨ — محمد المستنصر بالله بن يحيى

من سنة ٦٤٧ — ٦٧٥ هـ او من سنة ١٢٤٩ — ١٢٧٧ م

لما توفي ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص اجتمع الموحدون وبايعوا ابنه ابا عبد الله محمداً ولقبوه المستنصر بالله. فاقتدى بابيه في توسيع سلطته

ونجح كثيراً حتى ذاع صيته في الآفاق وارسل له اهل مكة في السنة العاشرة من حكمه بيعتهم فاحتفل بتلاوتها في يوم مشهود ولقب فيه باميرالمؤمنين وهو اول من ضرب النقود النحاسية بافريقية تسهيلاً للمعاملة ولم تكن النقود تضرب الا من الفضة والذهب

وقام عليه لاول ولايته ابن عمه محمد اللحياني طامعاً في الاستيلاء على المملكة فجمع المستنصر العساكر وقاتل ابن عمه وانتصر عليه وقتله وقتل عمه اللحياني ايضاً (اسم اللحياني محمد وانما كان يعرف باللحياني لطول لحيته) . ثم سكنت الفتنة وهدات الثائرة وعطف السلطان على الجند والاولياء وافاض فيهم العطاء واستقامت الامور . ثم عكف السلطان على اظهار عظمة دولته فبنى البنايات الفخيمة وشاد القصور الشاهقة واشهر ما وقع في ايام هذا السلطان العظيم من الحوادث غزوة لويس ملك فرنسا لتونس . وبيان ذلك ان شارل دانجو شقيق هذا الملك وصاحب جزيرة صقلية اغراه على غزو تونس لتكون تابعة له فلم يتردد الملك في اجابة طلبه اذ سير اسطولاً الى سواحل تونس فلما وصل الى قرطاجنة انزل عساكره وتحصنوا باطلال القلعة البزنطية وحصلت بينهم وبين الجنود التونسية معارك انتصر فيها الفرنساويون فارسل الخليفة الى الملك لويس التاسع المذكور بطلب الصلح فاشترط عليه اعتناق الديانة المسيحية وقبل ان اجابه الى هذا الطلب ان يترك البلاد

وكان الطاعون الجارف متفشياً في تونس فمات به لويس التاسع المذكور ولم ترتحل الجنود الفرنساوية بعد موت ملكهم من تونس الا بعد ان صالحهم الخليفة المستنصر بدفع ما غرموه في حركتهم هذه وهو ٢١٠٠٠٠ قطعة من الذهب

وفي سنة ٦٦٩ هـ رفع اهل الجزائر راية العصيان على الخليفة المستنصر لانهم لما راوا تقلص الدولة على زناتة حدثوا انفسهم بالاستبداد والقيام على امرهم وخلع ربقة الطاعة من اعناقهم فجاهروا بالثورة وسرح اليهم الخليفة العساكر واوعز الى صاحب الثغر وهو ابو هلال عياد بن سعيد الهنتاتي فقدم اليها في عساكر الموحدين سنة ٦٧١ هـ ونازلها مدة سنة كاملة . وامتنعت عليه فاقلع عنها ورجع الى بجاية وتوفي بمعسكره ببني وراسنة ٦٧٣ هـ

ثم صرف الخليفة همه الى منازلتهم سنة ٦٧٤ ﻫ وسرح اليهم العساكر في البر والبحر الى ان نازلتها واحاطت بها من كل جانب . واشتد حصارها ثم افتتحها عنوة واثخن في اهلها القتل وانتهب المنازل وافتضح الكرائم في ابكارهن وقبض على مشايخ البلد ونقلهم الى تونس واعتقلهم بالقصبة فمكثوا بها الى ان اعادهم الواثق بعد وفاة المستنصر

وفي سنة ٦٧٥ ﻫ توفي محمد المستنصر بالله وهو اعظم سلاطين (او خلفاء كما يلقبون انفسهم) الحفصيين بلا مراء وبلغت المدنية والمعارف في ايامه شأوًا بعيداً

٤٩٩ — الواثق بالله يحيى بن المستنصر

من سنة ٦٧٥ — ٦٧٨ ﻫ او من سنة ١٢٧٧ — ١٢٧٩ م

لما توفي الخليفة (او السلطان) المستنصر اجتمع الموحدون و بايعوا ابنه يحيى ليلة وفاة ابيه وفي غدها ولقبوه بالواثق بالله وافتتح امره برفع المظالم والافراج عن المساجين وافاضة العطاء في الجند واصلاح المساجد وامتدحه الشعراء فاسنى جوائزهم الا انه لم يهنأ بالملك طويلاً لقيام عمه السلطان ابي اسحق ابراهيم عليه وبيان ذلك كما ياتي —

كان المستنصر قد عقد على بجاية سنة ٦٦٠ ﻫ لابي هلال عياد بن سعيد الهنتاتي فاقام واليًا عليها الى ان توفي سنة ٦٧٣ ﻫ بمعسكره ببني ورا كما قدمنا وعقد عليها لابنه محمد من بعده فلما توفي المستنصر وولى ابنه الواثق بادر محمد بن ابي هلال الى الانقياد لطاعته وبعث وفدًا من بجاية ببيعته . ولكن قلد ابو حسن (وزير الواثق) القائم بالدولة اخاه ادريس ولاية الاشغال ببجاية فاساء السيرة في اهلها وافنى الاموال وتحكم في المشيخة وانف محمد بن ابي هلال من استبداده عليه وداخل بعض بطانته في قتله فعدوا عليه لاول ذى القعدة سنة ٦٧٧ ﻫ بقعدة من

باب السلطان فقتلوه ورموا براسه في قارعة الطريق . ووافق ذلك حلول السلطان ابي اسحق بتلمسان قادماً من الاندلس . وكان عند بلوغ الخبر اليه بمهلك اخيه المستنصر اجمع امره على الاجازة لطلب حقه وبعد ما تردد برهة عزم وعاد الى تلمسان ونزل على يغمراسن بن زيان فاكرم وفادته . ولما علم اهل بجاية بقدوم السلطان ابي اسحق وكانوا خاشين بوادر السلطان بالحضرة خاطبوا السلطان ابا اسحق واتوه ببيعتهم و بعثوا وفدهم يستحثونه للملك فاجابهم ودخل بجاية آخر ذي القعدة سنة ٦٧٧ ﻫ المذكورة فبايعة الموحدون والملاء من اهل بجاية وقام بامره محمد بن ابي هلال ثم زحف في عساكره الى قسنطينة فنازلها . ولما بلغ الخبر الى الواثق ووزيره المستبد عليه بدخول السلطان ابي اسحق بجاية شيع العساكر الى حربه بقيادة عمه ابي حفص فخرج من تونس وتقدم الى قسنطينة فرحل السلطان ابو اسحق عنها

ثم وقع الاختلاف في معسكر الواثق بين عمه ابي حفص واحد كبراء القواد وعلم بذلك الوزير فحث الواثق على قتلهما منعاً لاضطراب العسكر فعلم ابو حفص والقائد بما كان من نصيحة الوزير للواثق ضدهما فتفاوضا واتفقا على الدعاء للسلطان ابي اسحق و بعثوا اليه بذلك . واتصل الخبر بالواثق وهو بتونس وعسكره بعيد عنه فاستيقن ذهاب ملكه واشهد الملاء وانخلع عن الامر لعمه السلطان ابي اسحق غرة ربيع الاول سنة ٦٧٨ ﻫ

٥٠٠ — ابو اسحق ابرهيم بن يحيى

من سنة ٦٧٨ — ٦٨١ ﻫ او من سنة ١٢٧٩ — ١٢٨٣ م

لما بلغ السلطان ابا اسحق كتاب اخيه الامير ابي حفص والقائد الآخر من بجاية اسرع بالذهاب اليهم ثم وافاه خبر انخلاع الواثق ابن اخيه بتونس فارتحلوا جميعاً اليها والتقاه اهل تونس على سائر طبقاتهم واتوا طاعتهم ودخل الحضرة

منتصف الحجة سنة ٦٧٨ ﻫ

ولما استتب الامر للسلطان ابي اسحق واستوثق عرى خلافته قبض على محمد ابن ابي هلال وقتله لما كان يتوقع منه من المكروه في الدولة وما عرف به من المساعي في الفتنة

اما الواثق المخلوع فانه لما انخلع عن الامر تحول الى دار الاقوري فاقام بها اياماً وكان له ثلاثة من الولد اصاغر الفضل والطاهر والطيب فكانوا معه . ثم نمي عنه للسلطان ابي اسحق انه يروم الثورة وانه داخل في ذلك بعض روساء النصارى من الجند فارسل اليه وقبض عليه وبنيه واعتقلهم بالقصبة ثم بعث اليهم ليلتهم فذبحوا جميعاً في صفر سنة ٦٧٩ﻫ . وكان للسلطان ابي اسحق من الابناء خمسة ابو فارس عبد العزيز وكان اكبرهم وابو محمد عبد الواحد وابو زكريا يحيى وخالد وعمر . وكان السلطان المستنصر قد حبسهم واجرى عليهم رزقاً فنشوا في ظل كفالته وجميم رزقه الى ان استولى ابوهم السلطان ابو اسحق على الملك فطلعوا بافاقه وطالت فروعهم في دوحه واشتملوا على العز وخصوصاً كبيرهم ابو فارس لما كان مرشحاً من ولاية العهد وكان له وزير يدعى احمد بن ابي بكر بن سيد الناس رأى منه السلطان ابو اسحق ما اوجب قتله فقتله وبلغ الخبر الى الامير ابي فارس فركب الى ابيه في ملابس الحزن فعزاه ابوه عن ذلك وبالغ في تأنيسه ومسح الضغينة عن صدره وارضاء لخاطره عقد له على بجاية واعمالها وانفذه اليها اميراً مستقلاً وانفذ معه في رسم الجباية محمد بن أبي بكر بن الحسن بن خلدون (وهو جد فيلسوف المؤرخين ابن خلدون) فخرج اليها سنة ٦٧٩ ﻫ وقام بامرها

وكان السلطان ابو اسحق يؤثر ابناءه بمراتب ملكه ويوليهم خطط سلطانه شغفاً بهم وترشيحاً لهم فعقد في رجب سنة ٦٨١ﻫ لابنه الامير ابي زكريا على عسكر الموحدين وبعثه الى قفصة للاشراف على جهاتها وضم جبايتها فخرج اليهم وقضى شأنه من حركته وعاد الى تونس في رمضان من سنته . ثم عقد لابنه الآخر أبي محمد عبد الواحد على عسكره وانفذه الى وطن هوارة لانقضاء مغارمهم وجباية

ضرائبهم وفرائضهم فانتهى الى القيروان وبلغه شأن الدعي وظهوره في ذباب بنواحي طرابلس فطير بالخبر الى ابيه السلطان واقبل على شأنه ثم انتشر أمر الدعي فانكفاء راجعاً الى تونس

أما ما كان من امر الدعي وظهوره في ايام هذا السلطان فانه كان شخصاً يدعى احمد بن مرزوق اباعمارة من بجاية وكان محترفاً للخياطة وكان يحدث نفسه بالملك فادعى انه من آل البيت وانه الفاطمي المنتظر ولحق بصحراء سجلماسة واذاع دعوته هذه بين عرب المعقل فلم يسمع احد نداه فلما رأى كساد بضاعته بينهم سار عنهم الى جهات طرابلس ونزل على ذباب والتقى هناك بالفتى نصير مولى المستنصر فاغراه هذا بانه كثير الشبه بالفضل بن المستنصر وانه اذا ادعى ذلك ساعده على امره . فادعى احمد ابو عمارة انه الفضل بن المستنصر ووافقه نصير المذكور فصدقه اهل تلك النواحي وبايعوه الخلافة عليهم وكثر جمعه فنازل طرابلس واستولى عليها واتته بيعة البربر ثم زحف الى قابس سنة ٦٨١ هـ فبايع له عاملها عبد الملك بن مكي ثم زحف الى توزر وبلاد قصطيلة فاطاعوه ثم رجع الى قفصة فبايع له اهلها وعظم امره وعلا صيته

ولما تفاقم امر الدعي بنواحي طرابلس ودخل الكثير من اهل الامصار في دعوته جهز السلطان عساكره وعقد لابنه الامير ابي زكريا على حربه . فخرج من تونس ونازل القيروان ثم ارتحل الى لقاء الدعي وانتهى الى نمردة وبلغه هناك ما كان من استيلاء الدعي على قفصة فارجف به العسكر وانفضوا من حوله ورجع الى تونس فدخلها آخر يوم رمضان سنة ٦٨١ هـ وارتحل الدعي على اثره من قفصة ونزل القيروان فبايع له اهلها واقتدى بهم اهل المهدية وصفاقس فبايعوا له وكثر الارجاف بتونس فاضطرب السلطان واخرج معسكره بظاهر البلد

وارتحل الدعي من القيروان زاحفاً اليه فلما قرب من تونس لحق به معظم جيش السلطان ابي اسحق . فخاف السلطان على نفسه وفر الى بجاية . ودخل الدعي تونس وبايعه اهلها

اما السلطان ابو اسحق فانه لما فر الى بجاية وصلها في شهر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ المذكورة فانتفى عليه ابنه الامير ابو فارس ومنعه من الدخول الى قصره فنزل بروض الرفيع واراده على الخلع فانخلع له واشهد الملاء من الموحدين ومشيخة بجاية بذلك

٥٠١ ـ ابو فارس عبد العزيز بن ابراهيم

من سنة ٦٨١ — ٦٨٢ هـ او من سنة ١٢٨٣ ـ ١٢٨٣ م

ولما خلع ابو اسحق ابراهيم نفسه عن الامر دعا ابنه ابو فارس عبد العزيز الناس الى بيعته آخر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ فبايعوه ولقبوه المعتمد على الله . ثم اجتهد في جمع الاحزاب اليه ليتمكن من مقاومة الدعي الذي اغتصب الملك من ابيه فجمع كل ما قدر على جمعه وخرج من بجاية زاحفاً الى الدعي وخرج معه اخوته جميعهم وعمه ابو حفص

ولما بلغ الدعي بتونس خبر استبداد ابي فارس على ابيه واستعداده للقائه قبض على من عنده من اهل البيت الحفصي واعتقلهم وخرج من تونس بجموعه في صفر سنة ٦٨٢ هـ وتراءى الجمعان ثالث ربيع الاول من السنة فاقتتلوا عامة يومهم ثم اختل مصاف الامير ابي فارس وتخاذل انصاره فقتل هو في المعركه وانتهب معسكره . وقبض الدعي على اخوته وقتلهم صبراً ولم ينج منهم احد الا الامير ابا زكريا فانه نجا ولحق بتلمسان . وكذلك نجا الامير ابو حفص بن يحيى عم ابي فارس ولحق بقلعة سنان القريبة من مكان الملحمة

ولما استتب الامر للدعي بعد هذا الانتصار أساء السيرة في الرعية الى درجة لا تحتمل حتى تطلبت الرعية اعياص البيت الحفصي وتسامعوا بخبر الامير ابي حفص بمكانه من قلعة سنان فساروا اليه واتوه ببيعتهم في ربيع سنة ٦٨٣ هـ . وجمعوا له شيئاً من الآلة والاخبية وبلغ الخبر الى الدعي فدخلته الظنة في اهل

دولته وتقبض على بعض رؤسائهم وقتلهم فزاد كره الناس له

٥٠٢ـ ابو حفص بن يحيى

من سنة ٦٨٣ — ٦٩٤ هـ او من سنة ١٢٨٤ — ١٢٩٥ م

لما ظهر السلطان ابو حفص وبايعه الناس سمع به اهل الحضرة واجتمع اليه الناس وكثر اتباعه . وازداد الدعي ايقاعاً بالناس فمقتوه وخرج من تونس يريد قتال ابي حفص فثار عليه عسكره ورجع منهزماً ودخلت البلاد في طاعة السلطان ابي حفص ونهض الى تونس ونزل بسحوم قريباً منها . وعسكر الدعي بمن بقي معه بظاهر البلد مقابله وطالت بينهما الحرب اياماً وعسكر الدعي كل يوم في نقص مستمر لمخالفة عسكره عليه ولحاقهم بأبي اسحق فلما رأى قلة من معه فر هارباً

ودخل السلطان ابو حفص تونس في ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ واستولى على سرير الملك واعاد بيعته ثانياً فبايعه الخاصة والعامة وتلقب المستنصر بالله وبعد ايام قلائل من دخوله تونس عثر بعضهم بالدعي في مختفاه واحضره للسلطان فعقد له مجمعاً وبخه فيه توبيخاً شديداً وساله عن صحة نسبه فاعترف بادعائه في نسبهم فامر بقتله فقتل وطيف براسه في حضرة تونس

واستبد السلطان ابو حفص بملكه وبادر الناس الى الدخول في طاعته وبعث اهل القاصية بيعتهم من طرابلس وتلمسان وما بينهما ثم كان ما نذكره . قد تقدم معنا خبر نجاة الامير ابي زكريا من الوقعة التي قتل فيها السلطان ابو فارس واخوته ولحاقه بتلمسان فنزل هناك على صهره عثمان بن يغمراسن وجاء في اثره ابو الحسن ابن ابي بكر بن سيد الناس صنيعة اخيه ابي فارس واستحثه لطلب ملكه واستقرض من تجار بجاية مالاً انفقه في اقامة ابهة الملك له وجمع الرجال واصطنع الاحزاب وفشا الخبر بما يرومه من ذلك فصده عثمان بن يغمراسن عنه بما كان قد تقلد من طاعة السلطان ابي حفص . ولكن طمع الامير ابو زكريا في اظهار دعوته وخرج

من تلمسان مظهرًا للصيد فلحق ببجاية ومعه ابو الحسن بن ابي بكر بن سيد الناس وهناك اظهر دعوته جهارًا فبايعه اهلها ثم سار الى ضواحي قسنطينة فدخل العرب في طاعته ثم نازل البلد وامتلكه

وبعث اليه اهل الجزائر بطاعتهم فاستولى على هذه الثغور القريبة وتلقب المنتخب لاحياء دين الله واغفل ذكر امير المؤمنين ادبًا مع عمه الخليفة بالحضرة وانقسمت الدولة الى دولتين تحت تصرف سلطانين مستقلين فاستقر ابو حفص بتونس وابو زكريا ببجاية

وحاول السلطان ابو زكريا الاستيلاء على تونس فسار سنة ٦٨٥ هـ ونازل قابس فامتنعت عليه وشدد حصارها وقاتل اهلها قتالاً شديدًا فكتب السلطان ابو حفص الى الامير عثمان بن يغمراسن بتلمسان يامره بمنازلة بجاية ليرتد ابو زكريا عن قصده فزحف الى بجاية سنة ٦٨٦ هـ ونازلها فلما علم السلطان ابو زكريا بذلك رجع الى بجاية مسرعاً فرحل عنها عثمان بن يغمراسن . واستقر كل من السلطانين بملكه

وفي سنة ٦٩٤ هـ توفي السلطان ابو حفص عمر بن يحيى وكان له ولد صغير فعهد بالملك من بعده الى محمد بن الواثق المعروف بابي عصيدة

٥٠٣ – ابو عصيدة محمد بن الواثق بن المستنصر

من سنة ٦٩٤ – ٧٠٩ هـ او من سنة ١٢٩٥ – ١٣٠٩ م

لما توفي السلطان ابو حفص اجتمع الموحدون واهل الدولة وبايعوا لولي عهده السلطان ابي عبد الله محمد ويلقب كما ذكرناه بابي عصيدة ابن السلطان الواثق بالله ابن المستنصر في يوم ٢٤ ذي الحجة سنة ٦٩٤ هـ وتلقب المستنصر بالله وافتتح امره بقتل عبد الله ابن السلطان ابي حفص خوفاً منه لئلا ينازعه الملك

ولما استوثق الملك لابى عصيدة حدث نفسه بغزو الناحية الغربية وارتجاع ثغورها من يد السلطان ابى زكريا . وكان اهل الجزائر قد انتقضوا على السلطان ابى زكريا واستفحل امر عثمان بن يغمراسن وبني عبد الواد من ورائه وتغلبوا على توجين ومغراوة وبلكين . فقويت عزائم السلطان ابى عصيدة لذلك ونهض من الحضرة سنة ٦٩٥ هـ وتجاوز حدود عمله الى اعمال قسنطينة واجفلت امامه الرعايا وانتهي الى ميلة ومنها رجع الي حضرته في رمضان من سنته

ولما نازل السلطان ابو عصيدة بلاد ابى زكريا راسل هذا عثمان بن يغمراسن بتلمسان يستنجده واكد معه قديم الصهر بحادث الود والمواصلة وفي خلال ذلك زحف يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين الى تلمسان فاستجاش عثمان بن يغمراسن بالسلطان ابى زكريا فامده بعسكر من الموحدين لقيهم عسكر من بني مرين فهزموهم واثخنوا فيهم قتلاً ورجع فلهم الى بجاية

وسرح يوسف بن يعقوب عساكر بني مرين الى بجاية فانتهوا اليها وضايقوها ثم جاوزوها الى تكرارت وبلاد سدونكش وعاثوا في تلك الجهات ودوخوها وانقلبوا راجعين الى السلطان يوسف بن يعقوب بمعسكره من تلمسان وكان السلطان ابو عصيدة من المشجعين ليوسف بن يعقوب على قصد بجاية لسابق العداء

وفي سنة ٧٠٠ هـ توفي السلطان ابو ذكريا صاحب الثغور الغربية وكان على غاية من الحزم والتيقظ والصرامة لم يبلغها سواه وكان كثير الاشراف على وطنه والمباشرة لاعماله بنفسه وسد خلله . وتولى بعده ابنه الامير ابو البقاء خالد بن ابي زكريا

وكان ابو البقاء عاقلاً حازماً فرأى عظم الخسائر التي نتجت من خصام ابيه مع سلطان الحضرة ابي حفص اولاً ثم ابي عصيدة من بعده فرأى انه من الحكمة وسديد الرأي حقن الدماء فراسل السلطان ابا عصيدة في الصلح على ان من هلك منها قبل صاحبه فالامر من بعده للآخر فقبل ابو عصيدة ذلك وتقرر بينهما

الصلح على هذه الشروط

وفي سنة ٧٠٩ هـ توفي السلطان ابو عصيدة في شهر ربيع الآخر وكان عقيماً لم يخلف ولداً

٥٠٩ - ابو بكر الشهيد بن عبد الرحمن

سنة ٧٠٩ هـ او سنة ١٣٠٩ م

توفي ابو عصيدة بلا عقب كما تقدم وكان الواجب مبايعة ابي البقاء خالد بن ابي زكريا صاحب الثغور الغربية كنص الاتفاق السابق ذكره ولكن قام ابو بكر ابن عبد الرحمن الحفصي الذي كان ربي في بيت ابي عصيدة ونشأ في نعمته فحدث نفسه بالاستيلاء بعده على تونس وفسخ ما كان من الاتفاق بين ابي عصيدة وابي البقاء وداخل في ذلك بعض كبار الدولة فاجابوه الى ما طلب وبايعوه بتونس

ولما بلغ السلطان ابا البقاء بمكانه من بجاية واعمالها الخبر بمرض السلطان ابي عصيدة عزم على المسير الى تونس خوفاً من انتقاض اهل الحضرة اذا مات ابو عصيدة فلما وصل الى قصر جابر ورد الخبر بهلاك السلطان ابي عصيدة وبيعة الموحدين بعده لابي بكر فاستشاط غضباً واسرع بالمسير الى تونس . وخرج ابو بكر في جموعه للقائه وبعد قتال شديد انهزم ابو بكر ومن معه . وفر ابو بكر هارباً فوجده احد اتباع ابي البقاء فاسره واتى به الى السلطان ابي البقاء فقتله . وكان قتله لسبع عشرة ليلة من بيعته ولذلك سمي الشهيد

٥٠٥ - ابو البقاء خالد بن ابي زكريا

من سنة ٧٠٩ - ٧١١ ﻫ او من سنة ١٣٠٩ - ١٣١١ م

لما قتل ابو بكر الشهيد بن عبد الرحمن دخل ابو البقاء خالد بن أبي زكريا تونس واستقل بالخلافة وتلقب الناصر لدين الله . وعقد لاخيه ابي بكر بن ابي زكريا على قسنطينة واستحجب له الحاجب ابن عمر فداخل ابن عمر ابا بكر في الانتقاض على اخيه ابي البقاء و بدت مخائل ذلك عليهم فارتاب لهم السلطان ابو البقاء وجهز عسكراً وعقد عليه لظافر مولاه وسرحه الى قسنطينة فانتهى الى باجة واناخ بها . وعلم ابن عمر بذلك فدعا الامير ابا بكر اليه واخذ له البيعة على الناس فتمت سنة ٧١١ ﻫ وتلقب بالمتوكل وعسكر ظاهر قسنطينة الى ان بلغه مجاهرة ابن مخلوف بخلافهم فكان ما سنذكره ان شاء الله

كان يعقوب بن مخلوف ويكنى ابا عبد الرحمن كبير صنهاجة من جند السلطان ابي البقاء الموطنين بناحية بجاية وكان له مكان في الدولة وغناء في حروبهم ودفاع عدوهم فلما دعى السلطان ابو بكر لنفسه وخلع طاعة اخيه باغراء ابن عمر خاطبوه باخذ البيعة له على من يليه ببجاية واعمالها فابى منها وتمسك بدعوة صاحبه وجاهر بخلافهم وجمع واحتشد واعلن بالدعوة للسلطان ابى البقاء

ولما علم ابو بكر بمجاهرة ابن مخلوف بخلافهم ارتحل من معسكره بظاهر قسنطينة واغذا السير الى بجاية وزل مطلاً عليه فراسله ابن مخلوف في الصلح واشترط عليه ان يخلع ابن عمر فامتنع ابو بكر من اجابة طلبه وقبض على رسوله واعتقله . فهجم ابن مخلوف في من معه من صنهاجة على معسكر ابي بكر فانهزم عسكر ابى بكر واجفل هو الى قسنطينة في فل من عسكره و بعث ابن مخلوف عسكراً في اتباعه فوصلوا الى ميلة فدخلوها عنوة ثم وصلوا الى قسنطينة وقاتلوها اياماً ثم رجعوا الى بجاية

واقام السلطان ابو بكر ببجاية واضطرب امره وتوقع زحف ظافر اليه من باجة

وفي هذه الاثناء كان ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني قد قفل من المشرق ولما انتهى الى طرابلس وعلم ما بافريقية من الاضطراب دعا لنفسه فبويع وتوافت اليه العرب من كل جهة . فراى السلطان ابو بكر صاحب بجاية من مذاهب الحزم ان يبعث اليه بالحاجب ابن عمر ليشيد من سلطانه ويشتغل به اهل الحضرة عنه . فاظهر ابن عمر الفرار عن السلطان ابي بكر ولحق بابن اللحياني واستحثه لملك تونس وهون عليه امرها

اما ما كان من السلطان ابي بكر بعد مفارقة ابن عمر له فانه كبس منازله وسطا بحاشيته وولى حجابته حسن بن ابراهيم رئيس اهل الجبل فاشيع بالجهات ان السلطان تنكر لابن عمر وسخطه وانه ذهب الى ابن اللحياني واستجاشه على الحضرة . وبلغ ذلك ابن مخلوف فاستيقن اضطراب حال ابي البقاء خالد بتونس وذهاب ملكه فطمع في حجابة السلطان ابي بكر . وكان السلطان ابو بكر قد خرج من قسنطينة قاصداً بجاية فسار ابن مخلوف لملاقاته ليس محارباً بل معاهداً فلقي السلطان بيرجبوة من بلاد سدونكش فترحب السلطان به واظهر السرور بقدومه فلما كان الليل استدعاه السلطان الى شرب مع مواليه فعاقرهم الخمر الى ان ثمل واستغضبوه ببعض النزغات فغضب وافزع فتناولوه طعناً بالخناجر الى ان قتلوه وتقبض السلطان على سائر اتباعه وحاشيته واسرع الى بجاية فدخلها وظفر بهـا واستولى عليها فربا ملكه وعلا صيته

واستولى السلطان ابو بكر على سائر المملكة التي كانت تحت ايالة ابيه بالجهة المعروفة بالناحية الغربية واقام بانتظار صاحبه ابن عمر

ولـما بويع السلطان ابو بكر بقسنطينة اضطربت الاحوال على السلطان ابي البقاء خالد بتونس وجهز العساكر لمنازلة قسنطينة وعقد عليها لمولاه ظافر المعروف بالكبير فعسكر بباجة واراح ينتظر امر السلطـــان . وكان ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني قد عظم امره بطرابلس وخصوصاً بعد لحاق ابن عمر به مظاهراً له على شانه فاحكم ذلك من عقدته وشد من امره وتوافت اليه رجالات العرب فاغذا

بهم السير الى الحضرة

فلما علم ابو البقاء بقدومهم لانتزاع ملكه بعث الى مولاه ظافر بمكانه من باجة مستجيشاً به فاعترضوه قبل وصوله واوقعوا به ثم نازلوا تونس ثامن جمادي سنة ٧١١ هـ . فلما راى ابو البقاء خالد عدم مقدرته عن مدافعتهم اشهد على نفسه بالانخلاع عن الامر وحل البيعة

٥٠٦ - ابو يحيي زكريا بن احمد اللحياني

من سنة ٧١١ - ٧١٧ هـ او من سنة ١٣١١ - ١٣١٧ م

لما خلع ابو البقاء خالد بن ابي زكريا نفسه جاء السلطان ابو يحيي زكريا بن اللحياني بلا تاخر فبويع البيعة العامة بظاهر تونس ثم دخل البلد واستولى عليه ولما استقر بتونس واستوثق له الامر اعاد الحاجب ابن عمر الى مرسله السلطان ابي بكر . فسار الى بجاية ولحق بصاحبه واستبد عليه كما كان

وفي هذه الاثناء كان ابو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن الزياني صاحب تلمسان قد اعتز بارتجاعه امصارهم من يد بني مرين بعد مهلك يوسف بن يعقوب المريني فلما استتب له الامر طمع في الاستيلاء على بجاية فسرح العساكر اليها سنة ٧١٣ هـ لنظر ابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن وابن عمه مسعود بن ابي عامر ابراهيم ومولاه مسامح فاغذوا السير الى بجاية ونازلوا البلد ثم جاوزوه الى الجهات الشرقية فلم يظفروا بشيء ونالت منهم الحامية في المدافعة اعظم النيل فقفلوا راجعين

وكان السلطان ابو يحيي بن احمد اللحياني قد طعن في السن وكان بصيراً بالسياسة مجرباً للامور وكان يرى من نفسه العجز عن الخلافة واستحقاقها خصوصاً لاستفحال امر السلطان ابي زكريا صاحب بجاية واعمالها بانضمام اعياص زناتة وفحول شولهم معه وكان يخاف زحفه اليه بتونس وكانت افريقية مضطربة عليه

فاجتمع على التفويض عن افريقية ونفض عن الخلافة فجمع ما لديه من الاموال والذخائر وباع ما بمودعاتهم من النفائس وخرج من تونس سنة ٧١٧ هـ وانتهى الى قابس واقام بها

٥٠٧ - ابو ضربة محمد بن ابي يحيى زكريا

من سنة ٧١٧ — ٧١٨ هـ او من سنة ١٣١٧ — ١٣١٨م

لما قوي امر السلطان ابي بكر صاحب بجاية واطاعته جميع الجهات الغربية طمع في الاستيلاء على تونس فخرج من قسنطينة في جمادى سنة ٧١٧ هـ قاصداً تونس • وكان السلطان ابن اللحياني قد خرج عنها الى قابس كما قدمناه واستخلف عليها ابا الحسن بن وانودين فبعث اليه هذا بنهوض السلطان ابي بكر الى تونس وانه محتاج الى المدافعة وطلب اليه الرجوع الى تونس فابى ابن اللحياني اجابة طلبه مقتنعاً بما قسم له واخذه من الاموال فركب ابو الحسن بن وانودين في من معه من اهل دولته واتوا ابنه محمداً ويكنى ابا ضربة فاطلقوه من اعتقاله وبايعوه • ثم اتاهم الخبر باشراف السلطان ابي بكر الى باجة فخرجوا جميعاً من تونس لقتاله فلما قربوا منه خام السلطان ابو بكر عن لقائهم ورجع الى قسنطينة •ودخل ابو ضربة والموحدون الى تونس منتصف شعبان من سنته وبويع بالحضرة البيعة العامة وتلقب المنتصر

ولما رجع السلطان ابو بكر الى قسنطينة ابتداء بجهز جيشاً كثيفاً لمعاودة الزحف الى تونس فلما كمل جيشه خرج من قسنطينة في صفر سنة ٧١٨ هـ واغذا السير الى تونس والتقاه ابو ضربة في جموعه وبعد قتال شديد انهزم اصحاب ابي ضربة وهرب هو من المعركة وتم استيلاء ابي بكر على تونس

ولما علم السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني بمكانه من قابس بهزيمة ابنه وهربه واستيلاء ابي بكر على تونس خرج من قابس واتى طرابلس واستولى عليها واستفحل امره هناك ففتح البلاد ودوخ المعاقل حتى انتهى الى برقة وبعد ان استولى عليها رجع الى طرابلس كرسي مملكته الجديدة • اما ابو ضربة فانه لما هرب من المعركة لحق بجهات طرابلس حيث احزاب ابيه وترأس قيادة بعضهم وزحف بهم الى القيروان وبلغ خبره الى السلطان ابي بكر فخرج من تونس اخر شعبان سنة ٧١٨ هـ

فاجفلوا عن القيروان وانفضت جموعهم وارتحلوا منهزمين والقتل والنهب يأخذ منهم مأخذه، ولجاء ابو ضربة في فله الى المهدية وكانوا مقيمين على دعوة ابيه فامتنع فيها الى ان كان من شأنه ما سنذكره ان شاء الله تعالى • وبلغ خبره الى ابيه بمكانه من طرابلس فاضطربت احواله وركب البحر الى الاسكندرية فنزل بها على السلطان محمد ابن قلاوون من سلاطين المماليك الترك بمصر والشام فاكرم وفادته واستمر بمصر الى ان توفي سنة ٧٢٨ ﻫ

٥٠٨ — ابو بكر بن ابي زكريا

من سنة ٧١٨ — ٧٤٧ ﻫ او من سنة ١٣١٨ — ١٣٤٦ م

لما انتصر السلطان ابو بكر على ابي ضربة واحزابه كما تقدم دخل تونس في شوال سنة ٧١٨ ﻫ واستولى عليها واستقامت افريقية في طاعته وانتظمت امصارها وثغورها في دعوته

وكان السلطان ابو بكر لما خرج من قسنطينة قاصداً تونس استخلف على بجاية الحاجب ابن عمر فلما استولى على تونس ثبته عليها فبقي ابن عمر عاملاً على بجاية واعمالها فاستبد بعمله ولم يكن للسلطان ببجاية واعمالها سوى الخطبة واستمر الحال كذلك الى ان توفي ابن عمر في شوال سنة ٧١٩ ﻫ وقام ابن عمه علي بن عمر بامر بجاية من بعده

واتصل الخبر بالسلطان فاهمه امر الثغر وارسل حاجبه محمد بن سيد الناس ليستولي على خزائن ابن عمر ويحفظها حتى يعين السلطان من يقوم بامر بجاية • فسار ابن سيد الناس الى بجاية واستصفى اموال ابن عمر واستولى عليها وعاد الى الحضرة مصطحباً معه علي بن عمر فاولاه السلطان من رضاه ما احب امله واقام بالحضرة الى ان كان منه خلاف مع ابن ابي عمران كما ستراه

وكان بنو عبد الواد قد اشتد ظهرهم في هذه الاوقات حتى هاجموا بجاية مراراً وحاصروها • فلما توفي ابن عمر اهم السلطان شانها فعقد على قسنطينة لابنه الامير ابي عبد الله وعقد على بجاية لابنه الآخر الامير ابي زكريا وجعل حجابتها لابي عبد الله بن القالون مستبداً عليها لمكان صغرهما واكثف له الجند وامره بالمقام ببجاية للممانعة من العدو

وكان لابن قالون مكان عظيم في الدولة فلما سار الى بجاية خلا الجو بتونس لمعارضيه وحساده الكثيرين فوشوا به الى السلطان وخوفوه منه فسمع وشايتهم فيه واستقدمه من بجاية واستحجب على بجاية ابن سيد الناس وعلى قسنطينة مولاه ظافراً الكبير. فكان ذلك سبباً لعصيان ابن قالون على السلطان وانضمامه الى اعدائه كما ستراه ان شاء الله مما سبب له متاعب جمة خصوصاً لظهور محمد بن ابي عمران الذي كان من خبره انه كان من اعقاب ابي عمران موسى بن ابراهيم بن الشيخ ابي حفص وكان السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد اللحياني قد زوجه ابنته واستخلفه على تونس عند خروجه عنها ثم استخلفه على طرابلس عند ركوبه السفينة الى الاسكندرية

وكان ابو ضربة بعد انهزامه وافتراق جموعه قد اعتصم بالمهدية ونازله بها السلطان ابو بكر فامتنعت عليه واقلع عنها على سلم عقده لابي ضربة

وكان شخص يقال له حمزة بن عمر مخالفاً على السلطان ابي بكر يتقلب في نواحي افريقية حتى عظم صيته ونزع اليه الكثير من الاعراب وكثرت جموعه فاستقدم محمد بن ابي عمران من مكان ولايته بطرابلس وزحف الى تونس فخرج السلطان ابو بكر عن تونس سنة ٧٢١ ﻫ ولحق بقسنطينة. وكان ابن قالون متربصاً بالسلطان لسماعه الوشاية فيه كما مر فلما خرج السلطان امام زحفهم تخلف ابن قالون بتونس وركب من الغد في البلد منادياً بدعوة ابن ابي عمران. ودخل ابن ابي عمران ثانية خروج السلطان واستولى على الحضرة واقام بها بقية سنته وصدراً من الاخرى. اما السلطان ابو بكر فلما لحق بقسنطينة جمع عساكره واحتشد جموعه وزحف منها في صفر سنة ٧٢٢ ﻫ قاصداً الحضرة. وخرج ابن ابي عمران مع حمزة بن عمر في جموع ولقيهم السلطان وبعد قتال شديد انتصر السلطان انتصاراً مبينا واثخن فيهم قتلاً واسراً ودخل الحضرة في جمادي من سنته وجدد البيعة على الناس

ولما انهزم حمزة بن عمر ومحمد بن ابي عمران راى حمزة ان ابن ابي عمران غير كفؤ للقيام بهذا الامر فصرفه الى مكان عمله بطرابلس وبعث الى ابي ضربة ابن السلطان اللحياني بمكانه من المهدية فداخله في الاستنجاد بزناتة والوفود على سلطان بني عبد الواد فرحل معه ابو ضربة ووفدا على ابي تاشفين صاحب تلمسان ورغباه في الظفر ببجاية فسرح معهما السلطان آلافاً من العسكر عقد عليها لموسى بن علي الكردي فارتحلوا من تلمسان يجدون السير. وبلغ السلطان ابا بكر خبرهم فبرز للقائهم من تونس في عساكره

حتى انتهى الى رغيس بين بونة وقسنطينة وهناك التقى الجيشان واقتتلا قتالاً شديداً فانهزم ابو ضربة وحمزة ومن معها من اصحاب ابي تاشفين وعادوا بالخيبة الى تلمسان ورجع السلطان ابو بكر الى الحضرة واستقربها

ولما انهزم ابو ضربة بن اللحياني وحمزة بن عمر وعساكر بني عبد الواد لحق ابو ضربة بتلمسان فتوفي بها و وفد حمزة بن عمر على ابن تاشفين صريخاً ومعه ابن قالون فجهز ابو تاشفين جيشاً بقيادة موسى بن علي الكردي ونصب لهم لملك تونس من نسل ابي حفص ابراهيم بن الشهيد منهم فزحفوا الى افريقية وخرج السلطان ابو بكر من تونس لمدافعتهم في ذي القعدة سنة ٧٢٤ هـ ولما انتهى الى قسنطينة عاجلوه قبل استكمال التعبية فنزل بساحتها واقام موسى بن علي على محاصرتها بعساكر بني عبد الواد وتقدم ابراهيم بن الشهيد ومعه حمزة بن عمر الى تونس فدخلها في رجب سنة ٧٢٥ هـ واستمكن منها ولكن لم تطل مدة استيلائه عليها لثورة اصحاب السلطان ابي بكر بتونس عليه فدافعهم قليلاً

وكان موسى بن علي ومن معه من العساكر لما تخلف عن ابن الشهيد لحصار قسنطينة اقام عليها اياماً ثم اقلع عنها بعد خمسة عشر يوماً من منازلته ورجع الى صاحبه بتلمسان. وخرج السلطان من قسنطينة وجمع عساكره ونهض الى تونس فاجفل منها ابن الشهيد وابن القالون ودخلها السلطان في شوال سنة ٧٢٥ هـ واستولى على دار ملكه واقام بها مدافعاً اعداءه الكثيرين بقدر ما في امكانه

وكان ابو تاشفين الزياني صاحب تلمسان طامعاً في الاستيلاء على بجاية وضمها الى املاكه ولذلك كان يساعد النازعين على السلطان كما تقدم ليضعف قوته ليتم له ما يريد ثم افتكر ان يتخذ لعساكره حصناً يلجئون اليه وقت اللزوم قريباً من بجاية فامر في سنة ٧٢٨ هـ موسى بن علي الكردي قائد جيشه بسرعة بناء هذا الحصن فاختط موسى مدينة بسكلات على مرحلة منها وعلى قارعة الطريق الشارع من الغرب الى الشرق فاختط تلك المدينة وقسمها مسافات على جيشه فاستتمت لاربعين يوماً وسماها تيمزردكت واسكنها عسكره فاهم السلطان ابو بكر موقعها لقربها من بلاده واوعز الى عماله بقسنطينة وبجاية بمنازلتها ففعلوا وانهزموا عليها ولم يظفروا منها بطائل

وكان للسلطان ابي بكر اخ يقال له ابو فارس له تشوق الى نيل الرتبة وتربص بالدولة مع انه كان في ظل ظليل من النعمة وحظ كبير من المساهمة فاغراه عبد الرحمن

ابن عثمان المريني الذي كان نازلاً تونس في ذلك الوقت بالخروج والثورة وخرجا من يومهما في ربيع سنة ٧٢٧ ﻫ ومرا ببعض احياء العرب فاعترضهما امير الحي وعرض عليهما النزول فاما عبد الحق فابى وذهب لوجهه الى ان لحق بتلمسان واما الامير ابو فارس فاجاب ونزل وطيروا بالخبر الى السلطان فسرح لوقته احد قواده في طائفة من العسكر فاسرعوا اليه وامسكوه في الحي وقتلوه وجاءوا بجثته الى الحضرة فدفن بها . اما عبد الحق بن عثمان فنزل على ابي تاشفين بتلمسان واغراه بتدويخ الممالك الحفصية والاستيلاء عليها . ووفد على اثره حمزة بن عمر صريخاً على عادتهم فاجاب ابو تاشفين صريخهم ونصب لهم محمد بن ابي عمران الحفصي سلطاناً عليهم وامدهم بالعساكر من زناتة بقيادة يحيي بن موسى من بطانته فنهضوا جميعاً الى تونس سنة ٧٢٩ ﻫ . وزحف السلطان ابو بكر للقائهم وتراءى الجمعان بالرياس من نواحي هوارة آخر سنة ٧٢٩ ﻫ فدارت الحرب واختل مصاف السلطان وهربت جموعه وانحصر هو ولكنه تمكن من الفرار بعد شق الانفس

وتقدم محمد بن ابي عمران بعد الواقعة الى تونس فدخلها في صفر سنة ٧٣٠ ﻫ واستبد عليه يحيي بن موسى قائد بني عبد الواد وحجبه عن التصرف في شيء من امره ثم عاد يحيي بن موسى الى سلطانه . اما السلطان ابو بكر فانه لما خلص من المعركة لحق ببونة ومنها ركب البحر الى بجاية ومنها سار الى قسنطينة وهناك جمع عساكر وازاح علله وخرج من قسنطينة الى تونس بعد خروج يحيي بن موسى منها فاجفل ابن ابي عمران عنها ودخل اليها السلطان ابو بكر في رجب من سنته

وضاق السلطان ذرعاً من بني عبد الواد لدوام اتحادهم مع اعدائه وتحقق انه لا يثبت ملكه الا اذا اضعفهم . وبعد اعمال الفكرة رأى انه من الموافق مراسلة السلطان ابي سعيد سلطان بني مرين بمراكش لذلك الوقت والاتحاد معه على محاربة بني عبد الواد واقتسام املاكهم . فاوفد اليه ابنه ابا زكريا فذهب الى مراكش واتحد معه وبعد ان وصلا هذا الاتحاد بالصهر لتتمكن عرى الصداقة اتفقا على مهاجمة بني عبد الواد في موعد ضربوه لذلك وبعد قليل من هذا الاتفاق توفي السلطان ابو سعيد المريني وتولى ابنه ابو الحسن فجدد المعاهدة مع السلطان ابي بكر وانتهز يترقب الفرص للهجوم على تلمسان . ثم حدث ان فر احد بني مرين المطالبين بكرسي المملكة والتجأ الى ابي تاشفين بتلمسان فارسل ابو الحسن اليه في طلبه فلم يشأ تسليمه فساق

السلطان ابو الحسن عساكره من المغرب الى تلمسان وارسل الى السلطان ابي بكر ليقوم من تونس بعساكره كاتفاقهما فجهز عساكره وخرج من تونس ونازل ثغور بني عبد الواد القريبة من بجاية ثم حاصر حصن تيمرزدكت وافتتحه عنوة ودكه الى الارض واستولى على ما حوله من الحصون والبلاد . اما السلطان ابو الحسن المريني فنزل على تلمسان ولم يكن الا قليلا حتى انهزم بنو عبد الواد واستولى على المدينة وقطع منها دابر آل زيان وهكذا انقسمت دولة بني عبد الواد فاستولى السلطان ابو الحسن على الجهات الغربية المجاورة لبلاده والسلطان ابو بكر على الجهات الشرقية منها المجاورة لبلاده ايضاً ثم عاد كل منهما الى حضرته بعد ان استخلفا العمال على املاكهما الجديدة

ولما انتهى الحال على ما ذكرنا من اقتسام ملك بني عبد الواد استراح السلطان ابو بكر من هذه القلاقل التي اتعبته سنين عديدة ووجه همه الى اصلاح داخلية بلاده التي كادت تخرب لتوالي الفتن فاعاد العساكر الى بلادها ونشط الزراعة والصناعة والعلوم بقدر ما في امكانه فعاد الى البلاد رونقها في مدة قريبة واستمر الحال على ذلك وتونس غرة في جبين الدهر الى ان توفي السلطان ابو بكر سنة ٧٤٧ ﻫ وهو من مشاهير سلاطين هذه الدولة الحفصية . وكانت وفاته ليلة الاربعاء ٢ رجب من السنة

٥٠٩ ــ ابو حفص بن ابي بكر

من سنة ٧٤٧ — ٧٤٨ ﻫ او من سنة ١٣٤٦ — ١٣٤٧ م

لما توفي السلطان ابو بكر بن ابي زكريا كان ابنه الامير ابو حفص عمر معه بتونس فبادر من داره الى القصر وضبط ابوابه واستدعى الحاجب ابا محمد بن تافراكين من داره . ودعوا المشيخة من الموحدين واهل الدولة . واخذ الحاجب ابو محمد بن تافراكين عليهم البيعة للامير ابي حفص فبايعه الجميع البيعة المعتادة وانصرفوا

وكان الامير ابو العباس بن السلطان ابي بكر وولي عهده عاملاً لابيه على الجريد فلما بلغه خبر وفاة ابيه وما كان من بيعة اخيه حقد على اهل الحضرة ما جاؤا به من نقض عهده ودعى العرب الى مظاهرة امره فاجابوه ونزعوا جميعاً الى طاعته فزحف بهم الى الحضرة ولقيه اخوه ابو فارس صاحب سوسة بالقيروان فاتاه طاعته وصار في جملته

وجمع السلطان ابو حفص جموعه وارتحل عن تونس غرة شعبان وحاجبه محمد بن تافراكين قد انذر منه بالملكة واعتمل في اسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس في بعض الشغل وركب الليل ناجياً الى المغرب . وبلغ خبر مفره الى السلطان فاجفل واختل مصافه ودخل ابو العباس تونس واقام بدار الامارة سبعة ايام وفي اليوم الثامن اقتحم عليه الامير ابو حفص البلد وفتك باخيه الامير ابي العباس ونصب رأسه على القناة . واستتب الامر لابي حفص

وكان السلطان ابو الحسن المريني صاحب المغربين الاوسط والاقصى يترقب الفرص مذ استولى على تلمسان ليملك افريقية فانتهز فرصة هذه الفتن الواقعة بين الاخوة وعزم على ارسال عساكره اليها

وفي هذه الاثناء وصل اليه ابو محمد بن تافراكين الحاجب فقوي عزمه على ما يريد فجهز العساكر وخرج يقودهم سنة ٧٤٨ هـ واغذا السير الى بجاية واستولى عليها وقبض على من فيها من بني حفص وشردهم الى المغرب وهكذا فعل عند وصوله قسنطينة . ثم قصد الحضرة ففرعنها السلطان ابو حفص وعلم السلطان ابو الحسن بفراره فارسل اليه من يلحقه فلحقوه وقتلوه واتوا برأسه الى ابي الحسن

واستولى ابو الحسن المريني على تونس واستتب له ملك افريقية وسرح جميع آل حفص الى المغرب الاقصى ولم يبق منهم الا الفضل ابن السلطان ابي بكر صاحب بونة الملقب بأبي العباس لانه صهره فأبقاه على عمله

وكان للعرب في دولة آل حفص نفوذ عظيم ودالة كبرى على الدولة فلما استولى ابو الحسن على افريقية لم يراع حقهم وضرب على ايديهم بعصا من حديد فانفت نفوسهم هذه المعاملة وعزموا على العصيان وبحثوا على واحد من آل حفص يولونه زعامتهم فلم يجدوا . وكان بتوزر احمد بن ابي عثمان بن ابي دبوس آخر خلفاء بني عبد المؤمن بمراكش فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وتبايعوا على الاستماتة ثم زحفوا الى القيروان فالتقاهم السلطان ابو الحسن في جموعه وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو الحسن واختل مصافه ودخل القيروان وانتهبوا معسكره بما اشتمل عليه واخذوا بمخنقه الى ان اختلفوا فافرجوا عنه وخلص الى تونس ثم لحق بمراكش فكان ماذكره من استيلاء الفضل ابي العباس على البلاد

٥١٠ — ابو العباس الفضل بن ابي بكر

من سنة ٧٤٩ — ٧٥١ ﻫ او من سنة ١٣٤٨ — ١٣٥٠ م

لما رحل ابو الحسن المريني الى مراكش كما تقدم ثار اهل قسنطينة على عماله واخرجوهم من البلد وارسلوا الى الفضل ابي العباس بن ابي بكر بمكانه من بونة واستدعوه اليهم فحضر عندهم وبايعوه الخلافة واستتب له الامر واعاد ما ذهب من سلطان قومه وشمل الناس بعدله واحسانه وانس من اهل بجاية ميلاً الى الدعوة الحفصية فسار اليها فلما قرب منها ثار اهلها على عمال السلطان ابي الحسن المريني واستباحوهم . ودخل الفضل الى بجاية واستولى على كرسي ملكها ونظمها مع قسنطينة وبونة في ملكه واعاد القاب الخلافة وشاتها كما كانت واعتزم على قصد الحضرة وبعد ان جمع عساكره سار اليها سنة ٧٥٠ ﻫ وبها ابو الفضل ابن السلطان ابي الحسن المريني كان ابوه قد عقد له عليها عند رحيله الى المغرب فلما اطلت رايات السلطان الفضل على تونس نبضت عروق التشيع للدعوة الحفصية واحاط رعاع تونس بقصر الامارة ورجموه بالحجارة فتحايل ابو الفضل بن ابي الحسن المريني في الخروج منه ولحق بالمغرب . ودخل الفضل الى الحضرة وقعد بمجلس آبائه من الخلافة وجدد ما طمسته بنو مرين من معالم الدولة الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

لما دخل ابو العباس الفضل الى الحضرة واستبد بملكها عقد على حجابته لاحمد ابن محمد بن عتو وعلى جيشه وحربه لمحمد بن الشواش وكان مولاه ابو الليل قتيبة ابن حمزة مستبداً عليه في سائر احواله وانف بطانته من ذلك فحملوه على التنكر له فخلعه وفوض امر المملكة لاحمد بن محمد بن عتو وكان مولاهم الكبير ابو محمد بن تافراكين حاجاً في تلك السنة فلما رجع بعد اداء فريضة الحج اتحد مع بني حمزة على الايقاع بالسلطان فاجتمعوا وحلفوا ان لا يغير احد منهم عن قصده ثم ساروا الى السلطان وطلبوا منه ان يخلع احمد بن محمد بن عتو عن حجابته ويوليها ويعقد

بها لابي محمد بن تافراكين صاحب ابيه وكبير دولتهم فابى السلطان اجابة طلبهم فهاجوا عليه و ثاروا به وامسكوه واعتقلوه في بعض دورهم . وعمد ابو محمد بن تافراكين الى دار المولى ابي اسحق ابراهيم بن السلطان ابي بكر فاستخرجه وجاء به الى القصر واقعده على كرسي الخلافة وبايع له الناس وهو يومئذ غلام لم يناهز الحلم فانعقدت بيعته وسيق اليه اخوه الفضل فامر بقتله فقتل

٥١١ — ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر

من سنة ٧٥١ — ٧٧٠ هـ او من سنة ١٣٥٠ — ١٣٦٩ م

لما استولى ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر على كرسي الخلافة بتونس وكان صغيراً كما تقدم تولى حجابته ابو محمد بن تافراكين كبير دولتهم واستبد بامور المملكة ولم يكن لابي اسحق معه الا مجرد الاسم فنقم عليه امراء الحفصية بمكان عمالاتهم واستولى كل منهم على مابيده وخصوصاً الامير ابو زيد بن ابي عبدالله بن ابي بكر صاحب قسنطينة وحاول مراراً ان ينازل تونس ويستولي عليها فلم ينجح لحسن دفاع السلطان عمال ابي اسحق عنها وفي آخر مرة من هذه المرار استخلف على قسنطينة اخاه ابا العباس وسار الى تونس ونازلها فامتنعت عليه ورجع فوجد اخاه قد استبد بامر قسنطينة فعدل الى بونة ومن هناك راسل ابا محمد بن تافراكين في سكنى الحضرة والنزول لهم عن بونة فاجابه ونزل عنها الامير ابو زيد لعمه السلطان ابي اسحق وتحول الى تونس فانزلوه على الرحب والسعة

وكان بنو مرين من يوم خروج تونس من تحت نيرهم واستيلاء الحفصيين عليها مرة اخرى عازمين على معاودة الرجوع اليها ولكن حصلت في الدولة دواع أوجبت التاخير فاستتب الامر للحفصيين كما تقدم بلا منازع ولا معارض فلما استتب الامر بمراكش للسلطان أبي عنان المريني عزم على غزو تونس وضمها الى ممالكه فنازل المغرب الاوسط اولاً واستولى على تلمسان سنة ٧٥٣ هـ ونجا فل

بني عبد الواد الى بجاية ونزلوا على اميرها الامير أبي عبدالله الحفصي فارسل اليه ابو عنان بالقبض عليهم وارسالهم له ففعل . ثم تقدم السلطان أبو عنان الى بجاية فالتقاه الامير أبو عبدالله بغاية التجلة ولكنه أجازه على هذه المعاملة الحسنة بان طلب منه ان ينزل له عن بجاية ففعل مضطرًا ونقله أبو عنان في جملته الى المغرب

ولما ملك أبو عنان بجاية بتنازل أميرها له عنها سار في جموع بني مرين قاصدًا قسنطينة وبها الامير أبو العباس فدافع عنها دفاعًا حسنًا الا ان الكثرة تغلب الشجاعة فاقتحم بنو مرين المدينة عنوة وتحيز الامير أبو العباس الى القصبة فامتنع بها حتى توثق لنفسه بالعهد فلما نزل ودخل الى السلطان أبي عنان اكرم ملتقاه وبعد ايام قلائل نقض عهده واركبه السفن الى المغرب وانزله بسبتة ورتب عليه الحرس

وفي خلال ذلك بعث الى بونة فدخلت في طاعته وفر عنها عمال ابي اسحق ثم بعث رسله الى ابي محمد بن تافراكين في الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فردهم واخرج سلطانه المولى ابا اسحق بعد ان جهز اليه العساكر واقام هو بتونس . واجمع ابو عنان النهوض اليه وسرح عسكرًا في اسطول لمنازلتها بحرًا فسبق الاسطول وصبحوا تونس وقاتلوها واتيح لهم الظهور فخرج عنها ابو محمد بن تافراكين ولحق بالمهدية واستولت عساكر بني مرين على تونس في رمضان سنة ٧٥٨ هـ

واما السلطان ابو اسحق فانه لما خرج من تونس في عساكره التقى بعساكر بني مرين وقاتلهم وهزمهم واتبعهم حتى قرب من سبتة ثم عاد ظافرًا الى افريقية فلما سمع ابو محمد بن تافراكين بهذا الانتصار عاد من المهدية الى تونس ولما قرب منها ثار اهل المدينة على من فيها من عساكر بني مرين واستباحوهم ونجا فلهم الى الاسطول ودخل ابو محمد بن تافراكين الى الحضرة ولحق به السلطان ابو اسحق عائدًا من قتال المرينيين . وفي مدة قريبة اعاد السلطان ابو اسحق الى الدولة ما فقدته واستولى على جميع البلاد التي كان ابو عنان قد استولى عليها وعظم صيته وبعد ذكره

وبعد مدة قليلة توفي ابو عنان بمراكش فرجع من كان في اعتقاله من بني حفص ومنهم الامير ابو العباس فدخل قسنطينة واستولي عليها كما كانت له قبلاً ثم عظم امره حتى استخلص بجاية من صاحبها الامير ابي عبد الله ثم اطمعه بعضهم في منازلة الحضرة فارسل اليها العساكر بقيادة اخيه ابي يحيى زكريا فنازلوها اياماً وامتنعت عليهم واقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين ابي اسحق صاحب الحضرة وبينهم

وفي سنة ٧٧٠ ﻫ توفي السلطان ابو اسحق ابراهيم بن ابي بكر وتولى بعده ابنه ابو البقاء خالد

٥١٢ – ابو البقاء خالد بن ابي اسحق

سنة ٧٧٠ ﻫ او من سنة ١٣٦٩ م

لما توفي ابو اسحق بن ابي بكر تولى بعده ابنه ابو البقاء خالد وكان صغيراً فاستبدت عليه بطانته واساءوا السيرة في الرعية الى حد لا يطاق وكان امر السلطان ابي العباس قد عظم في قسنطينة وبجاية واعمالها فلما علم بوفاة ابي اسحق اغذا السير الى الحضرة فدخلها بلا كثير عناء واستولى عليها واعتقل ابا البقاء خالداً وقتل جميع بطانته واستتب له الامر

٥١٣ – ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر

من سنة ٧٧٠ – ٧٩٦ ﻫ أو من سنة ١٣٦٩ – ١٣٩٤ م

ولما دخل السلطان ابو العباس احمد الى تونس واعتقل ابا البقاء خالداً بعثه في اسطول الى قسنطينة فعصفت به الريح وانخرقت السفينة وترادفت الامواج الى ان هلك . واستبد السلطان بامره وعقد لاخيه الامير ابي يحيى على حجابته .

ثم وجه همه لاصلاح البلاد وانماء موارد الرزق وابتدأ اولاً بالضرب على ايدي العصاة حتى اعاد الى الدولة الحفصية مهابتها وسطوتها . وفي مدة يسيرة استولى على كل البلاد التي كانت قد أخذت من الدولة في اثناء الفتن مثل سوسة والمهدية وجربة وقفصة وقابس وغيرها وبعد ان استعادها اهتم في اصلاح داخلية البلاد فاينعت البلاد في ايام هذا السلطان وساد الامن وعم العدل واغتنى الفلاح حتى احبته قلوب رعيته حباً عظيماً ولقبوه الملك الرحيم

واهم ما يذكر من الحوادث في ايام هذا السلطان منازلة الفرنج المهدية وحصارها و بلغ السلطان الخبر فاهتم للامر جداً وسير اخاه الامير ابي يحيى وسائر بنيه في العساكر اليهم فاسرعوا بالمسير الى المهدية وقاتلوا الفرنج قتالاً شديداً حتى الزموهم بالجلاء عن المهدية

وفي سنة ٧٩٦ هـ توفي السلطان ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر بعلة النقرس

٥١٤ — ابو فارس عزوز بن ابي العباس احمد

من سنة ٧٩٦ — ٨٣٦ هـ او من سنة ١٣٩٤ — ١٤٣٣ م

كان للسلطان ابي العباس احمد ابناء كثيرون يتطاولون على ابيهم و يغضون بعمهم زكريا ويخشون غائلته بعد ابيهم . وكان الامير ابو يحيى زكريا اخو السلطان ابي العباس رديفه في الملك والمرشح بعده للامر . فلما توفي السلطان ابو العباس اجتمع اولاده وقبضوا على عمهم زكريا واودعوه بعض الحجر ووكلوا به من يحفظه وبايعوا اخاهم ابا فارس عزوزاً رابع شعبان سنة ٧٩٦ هـ

وكان السلطان ابو فارس درة سلك الدولة الحفصية استولى على الجريد واخضع الثوار وسار بالعدل . وفي ايامه غزا صاحب اراغون في اسبانيا جزيرة

هرقنة فاستردها منهم . وتبادل مع اهل صقلية الاسرى . وكان ابو فارس محباً لاخوته فوزع الوظائف من الامارة والوزارة عليهم فاعتضد بهم وكان من جملتهم اخوه ابو بكر بن ابي العباس بقسنطينة فنازعه بها ابن عمه الامير ابو عبد الله محمد ابن ابي زكريا صاحب بونة والح عليه في الحصار فعمد اليه السلطان ابو فارس واوقع به على سيبوس وقعة شنعاء انتهت به هزيمتها الى فاس مستصرخاً صاحبها وهو يومئذ ابو فارس المريني . فاقام ابو عبد الله بفاس الى سنة ٨١١ هـ في دولة السلطان ابي سعيد المريني

وكان الاعراب وخصوصاً بنو سليم منهم قد اعتادوا الثورات لما في ذلك من الفائدة لهم اذ لامغنم افضل عندهم من ذلك فلما ضرب ابو فارس على ايديهم بعصا من حديد سار بعضهم الى فاس مستنجدين السلطان ابا سعيد على أبي فارس صاحب تونس وتقابلوا عنده مع الامير ابي عبد الله المنهزم بسيبوس كما مر فعقد له السلطان ابو سعيد على جيش من بني مرين وغيرهم وبعثه مع العرب فلما انتهى الى بجاية تلقته اعراب افريقية طائعة وهونوا عليه أمر تونس فرد الجيش المريني وقصدها بمن انضم اليه من الحشود فاخذ بجاية من ابي يحيي واستخلف عليها ابنه المنصور ثم زحف الى السلطان ابي فارس بتونس . فخالفه ابو فارس الى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجه به مع جماعة من كبار اهلها معتقلين الى الحضرة وعقد عليها لاحمد ابن اخيه ثم نهض لقتال ابن عمه ابي عبد الله فلما تقابل الجمعان انضم كثيرون من عسكر ابي عبد الله الى أبي فارس وانفض جمعه وقتل واحتز رأسه ووجهه السلطان ابو فارس مع من علقه بباب المحروق احد ابواب فاس اغاظة للسلطان ابي سعيد وذلك سنة ٨١٢ هـ

ثم تحرك السلطان ابو فارس الى جهة المغرب قاصداً اخذ الثار من السلطان ابي سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جنح السلطان ابو سعيد الى السلم فوجه اليه بهدايا جليلة فقبل ذلك ابو فارس وانكفاء راجعاً الى حضرته ولحقته في طريقه بيعة اهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبايعه صاحب

الاندلس ايضاً

وفي سنة ٨٣٦ هـ توفي السلطان ابو فارس عزوز بن ابي العباس احمد بعدان ملك اربعين سنة وشهوراً وبعد موته لم تقم للدولة الحفصية قائمة

٥١٥ — محمد المنتصر

من سنة ٨٣٦ — ٨٣٧ هـ او من سنة ١٤٣٢ — ١٤٣٣ م

لما توفي السلطان ابو فارس وهو آخر العظماء من الدولة الحفصية تولى بعده حفيده محمد المنتصر وهذا لم يلبث في الولاية الا عاماً وشهرين كانت كلها حروبا مع الاعراب ثم توفي سنة ٨٣٧ هـ

٥١٦ - ابو عمرو عثمان بن محمد

من سنة ٨٣٧ — ٨٩٣ هـ او من سنة ١٤٣٤ — ١٤٨٨ م

لما توفي محمد المنتصر تولى بعده ابنه ابو عمر عثمان وكان شجاعاً غزا تلمسان سنة ٨٧٠ هـ واستولى عليها بعد ان هدم اسوارها واستأمن اليه سلطانها ابوعبدالله الزياني فعقد له عليها . ثم توفي سنة ٨٩٣ هـ لاربع وخمسين سنة من ولايته تقريباً

٥١٧ - ابو زكريا يحيى بن محمد المسعود

من سنة ٨٩٣ — ٨٩٩ هـ او من سنة ١٤٨٨ — ١٤٩٤ م

ولما توفي ابو عمر عثمان تولى بعده حفيده ابو زكريا يحيي بن محمد المسعود ثم توفي سنة ٨٩٩ هـ لست سنين من ولايته

٥١٨ - ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود

من سنة ٨٩٩ — ٩٣٢ هـ او من سنة ١٤٩٤ — ١٥٢٦ م

ولما توفي ابو زكريا تولى بعده ابن اخيه ابوعبدالله محمد بن الحسن وفي ايامه ظهر خيرالدين باشا الذي اشتهر في كتب الافرنج باسم بربروس اي ذي اللحية الحمراء وكان اصله من اروام جزيرة متيلين (مدللي) احدى جزائر الروم وكان هو واخ له يدعى اوروج يشتغلان باللصوصية في بحر الروم ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان ابي عبد الله محمد الحفصي هذا واستمرا في حرفتهما وهي اسر مراكب الافرنج التجارية واخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق فاغتنيا مع تمادي الايام من اموال النهب والسلب حتى صار لهما في وقت قريب عمارة بحرية

وكانت الدولة العلية العثمانية قد استفحل امرها في اوربا بقوة السلطان سليم الاول وهو السلطان لذلك الوقت فارسل اليه خير الدين واخوه احدى المراكب الماسورة اظهاراً لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما وارسل لهما خلعاً سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقويت شوكتهما واشرأبت اعناقهما لاحتلال بعض سواحل بلاد الغرب باسم سلطان آل عثمان فاستولى خير الدين على ثغر شرشل باقليم الجزائر وتقدم اخوه اوروج الى داخلية البلاد واستولى على تلمسان ولكنه قتل بعد قليل في محاربة الاسبانيين لكن هولاء لم يتمكنوا من استرجاع تلمسان والجزائر بل حفظها خير الدين . وبعد قليل توفي السلطان ابو عبدالله محمد بن الحسن وكانت وفاته سنة ٩٣٢ هـ

٥١٩ - الحسن بن ابي عبد الله محمد

من سنة ٩٣٢ — ٩٤٣ هـ او من سنة ١٥٢٦ — ١٥٣٦ م

لما توفي ابو عبدالله محمد ولي بعده ابنه الحسن بن ابي عبدالله ولاول ولايته سار سيرة حسنة فاحبته الرعية ولكنه لم يلبث ان انقلب فخرجت البلاد عن طاعته شيئاً فشيئاً وقويت شوكة الاعراب . فاغتنم خير الدين باشا فرصة ثورة الاعراب على الحسن للاستيلاء على تونس بايعاز السلطان سليم وسار مجداً لهذه الغاية فلما علم الحسن بقدومه الى تونس هرب منها سنة ٩٣٥ هـ . ودخل خير الدين باشا تونس وساس الرعية وسكن الثائرة بمن احضرهم من جند الجزائر وانكاه فيهم بمقذوفات المدافع التي كانوا لا يعرفونها حتى طلبوا الامان فامنهم

اما الحسن بن ابي عبدالله فلحق باسبانيا ملتجئاً الى الملك شارلكان ومستنجداً به على مغتصبي بلاده فلبى دعوته واجاب نداءه وجهز عمارة قوية قادها هو بنفسه ونزل من ثغر برشلونة في ٢٩ مايو سنة ١٥٣٥ م ووصل الى حلق الوادي في ١٦ يونيو وحاصرها هي ومدينة تونس مدة شهر تقريباً وفتحها في ١٤ يوليو وغنم ما في قلعتها من المدافع وما في ثغرها من المراكب

وفي ٢١ يوليو دخلت جيوش شارلكان حاضرة تونس وامر لهم بنهبها فاستباحوا اهلها قتلاً واسراً ونهباً ويقال ان عدد سكان تونس كان ١٨٠ الفاً فقتل الثلث واسر الثلث ونجا الثلث

وفي اول اغسطس دخل شارلكان المدينة ومنع الجيش من هذه الاعمال فاستتب الامن وسادت السكينة . واعاد الملك شارلكان السلطان الحسن الى كرسي ملكه باحتفال شائق

وفي ٨ اوغسطس سنة ١٥٣٥ م امضيت معاهدة بين شارلكان ومولاي الحسن تقضي على مولاي الحسن باخلاء سبيل الارقاء المسيحيين والاباحة لهم جميعاً بالسكنى في اقليم تونس واقامة شعائر دينهم وان يتنازل لشارلكان عن

مدائن بونة وبني زرت وحلق الوادي وان يدفع له اثنى عشر الفا دوكا نفقة الحرب وغير ذلك من الشروط التي اعتاد الاقوياء اشتراطها على الضعفاء فدفع مضطرا . وعاد شارلكان الى بلاده

اما اهل الدولة وخصوصاً ابن الحسن ابو العباس احمد صاحب بونة (التي صارت بمقتضى المعاهدة لشارلكان) لم يرضوا بهذه الشروط المجحفة واتحدوا معاً و بايعوا ابا العباس المذكور وقدموا معه الى الحضرة وافتتحوها عنوة وامسكوا الحسن وسملوا عينيه ولكنه فر وهو اعمى فمات في القيروان وقيل في اوربا

٥٢٠ — ابو العباس احمد بن الحسن

من سنة ٩٤٣ — ٩٧٧ هـ او من سنة ١٥٣٦ — ١٥٦٩ م

واستتب الامر لابي العباس احمد وساد الامن في اوائل ملكه

وفي سنة ٩٥٧ هـ استولى اهل نابل وجنوة على المهدية وجربة وظلوا بها حتى اخرجهم دراغوث باشا الذى افتتح طرابلس في السنة التالية وملك القيروان . ثم استولى علي باشا صاحب الجزائر على الحاضرة واخذ البيعة للسلطان سليم الثاني العثماني سنة ٩٧٧ هـ

ولما راى ابو العباس ضياع ملكه استنجد اسبانيا بمقابلة مال يؤديه لها فوجهت له اسطولاً عظيماً ولما وصل اطلعه قائد الاسطول على كتاب مضمونه المقاسمة في الحكم والجباية فانكر ابو العباس ذلك وانتقل الى صقلية ومات فيها

٥٢١ — محمد بن الحسن

من سنة ٩٧٧ — ٩٨١ هـ او من سنة ١٥٦٩ — ١٥٧٣ م

لما لحق ابو العباس بصقلية تولى بعده اخوه محمد بن الحسن الذي رضي

بالقاسمة فدخل الاسبانيون البلاد واخرجوا منها الجزائريين ولكنهم كانوا شرًّا منهم حتى انهم ربطوا خيولهم بالجامع الاعظم والقوا ما فيه من نفائس الكتب في الطرقات ولقي الناس من جورهم ما لا يوصف . ثم جاء الجيش العثماني بقيادة سنان باشا واستولى على حلق الوادي عنوة في ربيع سنة ٩٨١ هـ واسر محمدًا الحفصي وارسله الى السلطان سليم الثاني فاعتقله بالاستانة حتى توفي وانقرضت به الدولة الحفصية . وصارت بلاد تونس جزءًا من المملكة العثمانية والملك لله يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم

٥٢٢ - الدولة المرينية بمراكش

(تمهيد) قسم فيلسوف المؤرخين ابن خلدون جيل زناتة الى طبقتين الطبقة الاولى التي كان منها مغراوة ملوك فاس وقد تقدم الكلام عنهم والطبقة الثانية هي التي كان منها بنو مرين ملوك فاس الذين نحن بصددهم الان وبنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وسياتي ذكرهم

وكان بنو مرين قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظواعن بمجالات القفر من فيجيج الى سجلماسة الى ملوية وكانت الرئاسة فيهم لذلك الوقت لمحمد ابن ورزيز بن فكوس بن كرماط بن مرين ويتصل نسب مرين بزانا ابي يحيي ابي الجبل . فلما توفي تولى رئاسة بني مرين بعده ابنه حمامة بن محمد ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده المخضب بن عسكر وهذا قتل سنة ٥٤٠ هـ في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن والمرابطين . ثم قام بامر بني مرين بعد المخضب ابن عمه ابو بكر بن حمامة بن محمد الى ان هلك فقام بامرهم ابنه ابو خالد محيو بن ابي بكر ولم يزل مطاعًا فيهم الى ان استنفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الارك بالاندلس فشهدوها وابلوا فيها البلاء الحسن واصابت محيو بن ابي بكر جراحات هلك منها بصحراء الزاب سنة ٥٩٢ هـ فتولى امر بني مرين بعده ابنه عبد

الحق . واقام بنو مرين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة . وكانوا لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تنالهم الدولة بهضيمة ولا يودون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا حرثا انما شغلهم الصيد وطرد الخيل والغارات على اطراف البلاد

فلما كانت وقعة العقاب سنة ٦٠٩ ﻫ بالاندلس وانهزم المنصور وهلك الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من اهلها واعقب ذلك الوباء العظيم وتوفي الناصر سنة ٦١٠ ﻫ وبايع الموحدون ابنه المنتصر وهو يومئذ صبي لا يحسن التدبير وشغله مع ذلك احوال الصبا ولذات الملك عن القيام بامر الرعية فتضافرت هذه الاسباب على دولة الموحدين فاضعفتها الحينها وامرضتها المرض الذي اودى بحياتها

وفي سنة ٦١٠ ﻫ هذه خرج بنو مرين ورئيسهم عبد الحق لطلب الرزق بالصيد والقنص والغارة على اطراف البلاد على عادتهم فلما اطلوا على المغرب الفوه قد تبدلت احواله وبادت خيله ورجاله وفنيت حماته وابطاله وعريت من اهله اوطانه ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكناف فسيحة المزارع متوفرة العشب اثلة راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها فاقاموا بمكانهم وانتشروا بنواحي المغرب واوجفوا عليها بخيلهم ورجلهم واكتسحوا بالغارات والنهب بسيطها حتى الجاؤا الرعايا الى حصونها ومعاقلها وتم لهم ما ارادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله

---

٥٢٣ — عبد الحق بن محيو المريني

من سنة ٦١٠ – ٦١٣ ﻫ او من سنة ١٢١٣ – ١٢١٦ م

لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ الامير عبد الحق بن محيو ابن ابي بكر بن حمامة بن محمد المريني فكثر عيثهم وضررهم بالمغرب واعضل داؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر

فجهز لهم جيشاً كثيفاً وعقد عليه لابي علي بن وانودين فخرج لقتال بني مرين
ولما علم بنو مرين بقدومه تركوا اثقالهم وعيالهم بحصن تازوطا بارض الريف
وخرجوا للقاء الموحدين فالتقى الجمعان بوادي تكور فكان الظهور لبني مرين وانهزم
الموحدون امامهم هزيمة شنعاء وذلك سنة ٦١٣ هـ

وبعد هذا الانتصار تقدم عبد الحق بجموع بني مرين الى رباط تازا فخرج
عاملها لحربه في جيش كثيف من الموحدين فقتل بنو مرين العامل المذكور واثخنوا
في من معه وغنموا اسلابهم وقسمها عبد الحق في بني مرين ولم ياخذ شيئاً لنفسه ولا
اعطى لاحد من بنيه منها مكتفياً بالفخر بظهوره على الاعداء

وبعد قليل حدث بين بني مرين فتن داخلية اودت بحياة عبد الحق. وكان
عبد الحق مشهوراً بالتقى والفضل والدين كثير الاحسان ورعاً عفوفاً صادق
العزيمة اذا قال فعل

٥٢٤ — ابو سعيد عثمان بن عبد الحق

من سنة ٦١٣ — ٦٣٨ هـ او من سنة ١٢١٦ — ١٢٤٠ م

لما قتل عبد الحق اجتمع بنو مرين وولوا عليهم ابنه ابا سعيد عثمان ولاول
ولايته اقتص من قاتلي ابيه وشردهم حتى لم يبق منهم مخبر

وكانت شوكة الموحدين قد ضعفت وتداعى امرهم الى الاختلال فلما رأى
ابو سعيد ما عليه امر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور
والعسف جمع اشياخ بني مرين وندبهم الى القيام بامر الدين والنظر في مصالح
المسلمين فاسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته. فسار بهم ابو سعيد في نواحي
المغرب يستقري مسالكه وشعوبه ويتتبع تلوله ودروبه ويدعو الناس الى طاعته
والدخول في عهده وحمايته. فمن اجابه منهم امنه ووضع عليه قدراً معلوماً من
الخراج ومن ابى عليه بابذه واوقع به فبايعه من قبائل المغرب هوارة وزكارة

وتسول ومكناسة و بطوية وقشتالة وسدرانة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال . ثم فرض على امصار المغرب ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على ان يكف الغارة عنهم و يصلح سابلتهم . ولم يزل دابه ذلك من تدويخ بلاد المغرب واقطاره حتى قتل غيلة سنة ٦٣٨ هـ قتله مملوك له رباه صغيرا فشب وسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة في منحره فمات لوقته

٥٢٥ — ابو معرف محمد بن عبد الحق

من سنة ٦٣٨ — ٦٤٢ هـ او من سنة ١٢٤٠ — ١٢٤٤ م

لما هلك الامير ابو سعيد قام بالامر اخوه ابو معرّف محمد بن عبد الحق فاقتفى سنن اخيه في تدويخ بلاد المغرب واخذ الضريبة من امصاره وخاف الرشيد سلطان مراكش لذلك الوقت امتداد سطوتهم فجهز لهم جيشاً كثيفاً بقيادة ابي محمد ابن وانودين فهزمهم بنو مرين هزيمة شنعاء

ثم توفي الرشيد سنة ٦٤٠ هـ وتولى بعده اخوه علي ولقب بالسعيد فصرف عزيمته الى غزو بني مرين وقطع دابرهم قبل استفحال امرهم فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة ونهضوا جميعاً سنة ٦٤٢ هـ في جيش كثيف يناهز ٢٠ الفاً . فسمع الامير ابو معرف المريني باقبالهم فاستعد لقتالهم والتقى الجمعان بموضع يعرف بصخرة ابي بياش من احواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة فانهزم بنو مرين وقتل اميرهم ابو معرف في المعركة

٥٣٦ — ابو بكر بن عبد الحق

من سنة ٦٤٢ — ٦٥٦ هـ او من سنة ١٢٤٤ — ١٢٥٨ م

لما انهزم بنو مرين كما تقدم وقتل اميرهم لحقوا بجبال غياثة من نواحي تازا واعتصموا بها اياماً ثم خرجوا الى الصحراء وولوا عليهم ابا بكر بن عبد الحق ولاول ولايته بايع للامير ابي زكريا الحفصي صاحب تونس . ثم سار فنزل جبل زرهون ودعا اهل مكناسة الى بيعة الامير ابي زكريا الحفصي فامتنعوا اولاً فحاصرهم حتى اطاعوا خاضعين وذلك سنة ٦٤٣ هـ . وكان الامير ابو بكر عالي الهمة قوي الارادة شديد العزيمة فسمت نفسه الى الملك وطمع في الاستيلاء على المغرب

وبلغ السعيد صاحب مراكش لذلك الوقت خبر استيلاء المريني على مكناسة وصرفها للحفصي فاهتم للامر جداً وجمع جيوشه وخرج لقتالهم . وعلم الامير ابو بكر ان لا طاقة لهم بجموعه فاخذ المرينيين ونزل بهم قلعة تازوطا وتحصنوا فيها اما السعيد فتقدم اليهم يفتح كل ما يمر عليه من البلاد وتبعث بطاعتها اليه العباد حتى قرب من القلعة فخاف ابو بكر العاقبة وبعث اليه بطاعته وامده بخمسماية من بني مرين لقتال صاحب تلمسان فرجع السعيد عنه وقصد تلمسان فتوفي في طريقه اليها كما تقدم ذكر ذلك في دولة الموحدين . ولما علم ابو بكر بوفاة السعيد انتهز الفرصة لاتمام مقاصده فخرج من حصن تازوطا واغذ السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها واقام بها اياماً ثم نهض الى اعمال وطاط وحصون ملوية فافتتحها ودوخ جبالها وذلك سنة ٦٤٦ هـ . ثم عزم على غزو فاس وانتزاعها من بني عبد المؤمن فسار اليها واناخ عليها وكان العامل بها يومئذ السيد ابا العباس من بني عبد المؤمن فارسل ابو بكر اليه يطلب طاعته والخطبة لابي زكريا الحفصي وضمن له جميل النظر وحميد السيرة . وارسل بذلك الى أهل فاس فبايعه أهل فاس وفتحوا له ابواب المدينة فدخلها يوم الخميس ٢٦ ربيع الآخر سنة ٦٤٦ هـ واخرج منها ابا العباس عامل الموحدين وارسل معه من يوصله الى مأمنه

ثم نهض الامير ابو بكر الى منازلة تازا فنازلها اربعة اشهر حتى نزلوا على حكمه

وفي ربيع الاول سنة ٦٤٧ ﻫ نهض ابو بكر افتتح بلاد زناتة وتدويخ اقطارها فلما خرج من فاس اجتمع من بها من الموحدين واتفقوا على قطع الخطبة الحفصية التي يدعو اليها الامير ابو بكر ومراجعة دعوة المرتضي من بني عبد المؤمن

فلما استقر رأيهم على ذلك ثاروا على من في فاس من بني مرين وفتكوا بهم وتم لهم ما ارادوا . وبلغ الامير ابا بكر خبرهم فاسرع بالعود الى فاس وحاصرها شديداً حتى افتتحها عنوة وفتك بالثائرين حتى جعلهم عبرة لمن يعتبر وذلك في جمادي الآخرة سنة ٦٤٨ ﻫ

ولما استتب الامر للامير ابي بكر بفاس رجع الى ما كان فيه من منازلة بلاد فزاز فافتتحها ودوخ اوطان زناتة ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة ٦٤٩ ﻫ فملكها وتاخم الموحدين بثغرها . وبلغ الخبر بذلك الى المرتضي صاحب مراكش فاهمه الشان وجهز عسكراً من الموحدين سرحهم سنة ٦٥٠ ﻫ فاحتاطت بسلا ثم افتتحوها وعادت الى طاعة المرتضي ثم عزم المرتضي على غزو بني مرين بنفسه فجمع العسكر وبالغ في الاحتشاد وخرج من مراكش سنة ٦٥٣ ﻫ في نحو ٨٠ الفاً ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلولة من نواحي فاس . وصمد اليه الامير ابو بكر في عساكر بني مرين والتقى الجمعان هناك وبعد قتال شديد انهزم الموحدون واثخن بنو مرين فيهم وغنموا معسكرهم ورجع المرتضي الى مراكش مغلولاً

وفي سنة ٦٥٥ ﻫ خرج الامير ابو بكر لمحاربة يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان وسمع يغمراسن بذلك فنهض اليه أيضاً فالتقيا بابي سليط فاقتتلوا وانهزم يغمراسن واعتزم ابو بكر على أتباعه فثناه عن رأيه في ذلك اخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما قارب فاساً بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لعورة اطمعته في ملكها فاسرع الامير ابو بكر السير في جموعه

الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن بيوم . ثم جاء يغمراسن ويئس من غلبة الامير ابي بكر عليها ودارت بينهما حرب انهزم فيها يغمراسن ورجع الى بلاده

ولما استتب الامر لابي بكر بسجلماسة عاد الى فاس وأقام بها أياماً ثم نهض الى سجلماسة ايضاً متفقداً الثغورها فلحقه بها مرض فانقلب منها الى فاس وتوفي بها اواسط رجب سنة ٦٥٦ هـ وكان هذا الامير مشيد دولة بني مرين في الحقيقة

٥٢٧　ابو حفص عمر بن ابي بكر

من سنة ٦٥٦ — ٦٥٧ هـ أو من سنة ١٢٥٨ — ١٢٥٩ م

لما توفي أبوا بكر اجتمع بنو مرين و بايعوا ابنه ابا حفص عمر وكان عمه يعقوب ابن عبد الحق بتازا فلما سمع بوفاة اخيه طمع في الاستيلاء مكانه فسار الى فاس ونهض أبو حفص لقتاله فانهزم امامه لميل مشيخة بني مرين ليعقوب المذكور فلما رأى ابو حفص نفسه مهزوماً ارسل الى عمه يعقوب ان يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر فاجابه الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة ٦٥٧ هـ واقتصر ابو حفص عمر على ولاية مكناسة فتولاها اياماً ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه لنحو سنة من امارته

٥٢٨ — المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق

من سنة ٦٥٧ - ٦٨٥ هـ أو من سنة ١٢٥٩ — ١٢٨٦ م

لما دخل يعقوب فاساً استولى عليها واستتب له الامر بها ولما قتل ابو حفص غيلة كما تقدم انضمت اليه مكناسة أيضاً وصار المطلق التصرف في تلك النواحي

وكان في نفس يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان ضغينة على بني مرين وقد تقدم ذكر بعض الحروب بينهم فلما توفي ابو بكر بن عبد الحق طمع يغمراسن في الاستيلاء على المغرب فجمع لذلك قومه من بني عبد الواد واستظهر ببني توجين ومغراوة ثم نهض الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كلدامان صمد اليهم الامير يعقوب فهزمهم وردهم على اعقابهم ورجع الى فاس ظافراً . ثم كان ما نذكره

كان ابو بكر بن عبد الحق قد استعمل ابن اخيه يعقوب بن عبدالله على سلا فلما توفي وتولى بعده اخوه يعقوب بن عبد الحق مكانه طمع يعقوب بن عبدالله صاحب سلا في الامر واظهر العصيان على عمه يعقوب وداخل الاسبنيول في نجدته على قتال عمه فاجابوه الى ذلك وكثرت سفن المترددين منهم اليها حتى زادوا عن اهلها فعزموا على الثورة بها واحتبلوا فيها غرة عيد الفطر سنة ٦٥٨ ﻫ عند اشتغال الناس بعيدهم فثاروا بها ووضعوا السيف في اهلها وفعلوا ما تقشعر له الابدان وتحصن يعقوب بن عبدالله برباط الفتح . واتصل الخبر بيعقوب بن عبد الحق بفاس فجمع عساكره واسرع الى سلا وقاتل الاسبنيول واثخن فيهم وكال لهم بالكيل الذي كالوا به لاهل سلا حتى اقاموا باسطولهم ناجين بانفسهم . واستولى السلطان يعقوب على سلا واصلح سورها . اما يعقوب بن عبدالله الثائر بسلا فخاف من السلطان يعقوب وخرج من رباط الفتح واسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد تامسنا واستولى عليها ثم رجع الى فاس ظافراً

ولما قوي امر السلطان يعقوب اجمع رايه لمنازلة المرتضي والموحدين في دارهم وحضرتهم وجمع جيوشه وسار سنة ٦٦٠ ﻫ حتى انتهى الى جبل جبليز فشارف دار الخلافة ونزل بعقرها واخذ بمخنقها

ولما علم المرتضي بقدومه جمع جيوش الموحدين وعقد عليهم لابي دبوس ادريس بن محمد من آل عبد المؤمن فعباء كتائبه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها بنو مرين وعادوا راجعين

واعترضهم عساكر الموحدين بوادي ام الربيع وعليهم يحيى بن عبدالله بن وانودين فاقتتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين هزيمة شنعاء واستولى بنو مرين على اموالهم واثاثهم وهي واقعة ام الرجلين

ثم سعى سماسرة الفتن عند المرتضى بان ادريس بن محمد يريد الوثبة به وانه طامع في الخلافة لنفسه فتغير المرتضي على ابي دبوس ادريس المذكور وشعر ابو دبوس بذلك فهرب ولحق بالسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني فازدادت قوته وضعفت قوة الموحدين

ثم عقد السلطان يعقوب لابي دبوس على جيش من بني مرين وسيره لفتح حضرة مراكش فسار اليها ولما قربها ثار الموحدون بها على المرتضي وقتلوه ودخل ابو دبوس الحضرة بلا كبير عناء . فلما علم السلطان بفتح مراكش ارسل الى ابي دبوس في الوفاء بالمشارطة فاستنكف واستكبر ونقض العهد واساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بني مرين فخام عن اللقاء واعتصم بالاسوار واستجاش بيغمراسن بن زيان صاحب تلمسان فاجاب يغمراسن نداءه وسير العساكر للغارة على اطراف المغرب لكي ينشغل بهم السلطان يعقوب ويرجع عن الحضرة . ولما علم السلطان يعقوب بذلك اغذا السير يريد تلمسان والتقى بجموع بني عبدالواد بوادي تلاغ واقتتلا شديدًا فانهزم بنو عبد الواد واثخن سلطان بني مرين فيهم قتلاً ونهباً حتى اضعفهم الى حد تاكد معه انهم لا يقدرون على امداد الموحدين . ثم عاد السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراكش وضيق عليها جدًا واستمر محاصرًا لها مدة فلما طال الحصار على اهل الحضرة خرجوا بقيادة خليفتهم ابي دبوس لقتال بني مرين لكنهم لم يلبثوا طويلاً حتى اختل مصافهم وانهزموا وفر ابو دبوس يريد مراكش فادركته خيل بني مرين والقته صريعاً وذلك يوم الاحد ٢ محرم سنة ٦٦٨ هـ

ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراكش وفر من كان بها من الموحدين الى تينملل وبايعوا اسحق اخا المرتضي فبقي ذبالة هناك الى ان قبض عليه سنة ٦٧٤ هـ

وجيء به في جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعاً وانقرض امر بني عبد المؤمن . اما السلطان يعقوب فدخل مراكش يوم الاحد ٩ محرم سنة ٦٦٨ هـ فالتقاه اهلها بالفرح والسرور فامنهم ووصلهم واقام بمراكش الى رمضان ثم اغزى ابنه الامير اباماك عبد الواحد بلادالسوس ففتحها واوغل في ديارها ودوخ اقطارها ورجع الى ابيه . ثم رجع السلطان الى فاس بعد ان استتب له الامر بالمغرب الاقصى اجمع

وكان بنو مرين يدعون لبني حفص اصحاب تونس كما تقدم فلما عظم شان السلطان يعقوب واستولى على مراكش واطاعته البلاد وهابته العباد قطع الخطبة لهم حالاً وخطب لنفسه وتلقب المنصور بالله

ثم وجه السلطان همه لغزو تلمسان ومحاربة بني زيان لسابقة العداوة فجمع جيوشه وسار قاصداً تلمسان فلما وصل الى انكاد قدمت عليه رسل ابن الاحمر صاحب الاندلس يستصرخونه على العدو و يسالونه الاعانة والنصر ففضل الجهاد في النصارى على قتال المسلمين وارسل رسلاً الى يغمراسن بن زيان لعقد هدنة حتى يتمكن من الجواز للاندلس فابى يغمراسن عقد الهدنة واظهر عزمه على القتال فاسرع السلطان المسير اليه وتقدم يغمراسن للقائه فالتقى العسكران في وادي ايسلي من بسيط وجدة وبعد قتال شديد انهزم يغمراسن واصحابه هزيمة شنيعة وفر الى تلمسان وتحصن بها وتقدم السلطان يعقوب اليها وحاصرها ولكنها امتنعت عليه لحصانتها فرجع عنها بعد ما اذاق عسكره اهل تلمسان والمغرب الاوسط الامرين ودخل فاساً فاتح سنة ٦٧١ هـ فاقام بها الى اوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم نهض الى مراكش واقام بها شهراً حتى اصلح شانها ثم نهض الى طنجة وسبتة على ما سنذكره

سبتة وطنجة من احصن معاقل المغرب الاقصى وكان المرتضي من بني عبد المؤمن قد استعمل على سبتة ابا القاسم العزفي فاستبد بها واورثها بنيه وكان عامل طنجة ابو الحجاج يوسف بن محمد الهمذاني في طاعة ابي القاسم ثم انتقض عليه واستبد بها كما فعل العزفي في سبتة واورثها بنيه ايضاً

فلما استولى السلطان يعقوب علي مراكش ودان له المغرب الاقصى عزم على

قصد سبتة وطنجة ليخلص له المغرب بلا منازع فسار من مراكش سنة ٦٧٢ هـ الى طنجة وحاصرها ثلاثة اشهر وافتتحها عنوة واستولى عليها ثم تقدم الى سبتة ونازل العزفي بها حتى طلب الامان فامنه واستعمله عليها على ان يؤدي اليه خراجاً معلوماً كل سنة ثم عاد الى فاس ظافراً منصوراً

وكان الفرنج بالاندلس قد تطاولوا على المسلمين واذاقوهم العذاب الاليم حتى زهقت نفوسهم · فلما عظم صيت السلطان يعقوب بن عبد الحق تعلقت آمال مسلمي الاندلس به وارسلوا اليه الوفود مرة بعد اخرى ليجيز البحر اليهم و يساعدهم على كبح جماح عدوهم فاجاب نداءهم واجاز الاندلس مراراً معضداً لابن الاحمر صاحبها وكانت بينه و بين الافرنج فيها عدة وقائع يطول شرحها كان الانتصار في جميعها حليف السلطان يعقوب فاعاد للمسلمين في قلوب الافرنج مهابتهم الاولى وازاحهم عن بلادهم بعد ان اثخن فيهم واذاقهم من العذاب اشكالاً والواناً

ولما راى ابن الاحمر صاحب الاندلس سطوة السلطان يعقوب خاف لئلا يطمع في اخذ الاندلس منه وانحرف عنه واظهر العصيان عليه فلما تحقق السلطان يعقوب منه ذلك سار اليه وحاصره بمكانه من الجزيرة الخضراء حتى طلب الامان فامنه · وكان هذا شان السلطان يعقوب بالاندلس مدة طويلة تارة ينجد المسلمين على الفرنج وطوراً ينجد الفرنج على الفرنج حتى وقعت مهابته في قلوب أهل الاندلس كافة

والسلطان يعقوب بن عبد الحق هذا هو الذي بني المدينة البيضاء (فاس الجديدة) سنة ٦٧٤ هـ

وفي يوم ٢٢ محرم سنة ٦٨٥ هـ توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق وكان هذا السلطان جليل القدر عظيم الشان لم يقم في بني مرين اعظم منه وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا امر المغرب من بني عبد الحق

٥٢٩ – الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب

من سنة ٦٨٥ – ٧٠٦ هـ او من سنة ١٢٨٦ – ١٣٠٧ م

لما توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق تولى بعده ابنه يوسف ولقب الناصر لدين الله ولاول ولايته عقد مع ابن الاحمر صلحاً وتنازل له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملك ابيه . ثم وفد عليه الفرنج من الاندلس مجددين عقد السلم الذى عقده لهم السلطان يعقوب فاجابهم الى ما طلبوا

و بينما الوفود تفد علي السلطان يوسف و يتطلب الجميع مرضاته اذ ثار عليه ابنه ابو عامر (وكان عاملاً له على مراكش) ودعا لنفسه وشايعه محمد بن عطوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فاسرع السير الى مراكش و برز اليه ابنه ابو عامر فاقتتلوا ثم انهزم ابو عامر فعاد الى مراكش ونهب بيت المال وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور

وكان يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان قد توفي وتولى بعده ابنه عثمان فاواهم عثمان ومهد لهم المكان فلبثوا عنده مدة ثم عطف السلطان يوسف على ابنه ابي عامر فرضي عنه واعاده الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن ان يسلم اليه ابن عطوا فابى واغلظ له الرسول في القول فسطا به عثمان واعتقله فاغتاظ السلطان يوسف جداً وعزم على غزو تلمسان وجهز عساكره ونهض اليها من مراكش في صفر سنة ٦٨٩ هـ وسار حتي نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه باسوارها فحاصره بها وعاثت عساكره في نواحيها واستمر محاصراً لها ٤٠ يوماً بلا فائدة فلما امتنعت عليه افرج عنها وانكفاء راجعاً الى المغرب فلما وصل الى تازا وافاه الخبر ان سانجة ملك الافرنج بالاندلس نبذ العهد وتجاوز التخوم واغار على الثغور فاوعز السلطان الى قائده بالاندلس علي بن يوسف بمنازلة شريش وشن الغارات علي بلاد الفرنج فنهض لذلك في ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ وتوغل في اقطارهم وابلغ في النكاية . ثم اجاز السلطان يوسف في اثره في جمادى الاولى من السنة ونزل قصر مصمودة

وهو قصر الجاز فضايقه الفرنج باساطيلهم فاوعز السلطان يوسف الى قواداساطيله بالقدوم لمقاتلة اساطيل العدو ففعلوا والتقت الاساطيـل ببحر الزقاق فانتصرت اساطيل الفرنج وغنموا واسروا من المسلمين شيئاً كثيرا ثم استانف السلطان يوسف العمارة واغزاهم ثانية فخامت اساطيل الفرنج عن اللقاء واستولت اساطيل السلطان على البوغاز . ثم تقدم السلطان بنفسه قائدًا لجيش عظيم من المسلمين وبث سراياه في ارض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيهـا ثم هجم عليه الشتاء فرجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة ٦٩١ هـ

ولما رجع السلطان يوسف الى المغرب داخل سانجة ملك الفرنج ابن الاحمر في الاتحاد معاً على السلطان يوسف ومنازلة حصن طريف الميناء البحرى الشهير . ولان ابن الاحمر كان يخاف من يوسف بن يعقوب لئلا يغلبه على امره قبل الاتحاد مع الفرنج عليه حتى اذا استخلصوا منه حصن طريف لم يتمكن من الجواز الى الاندلس فاتحدت عساكرهما ونازلوا الحصن المذكور وحاصروه وشددوا عليه الحصار واقطع المدد والميرة عن اهله فلما اصاب اهل طريف الجهد راسلوا سانجة في الصلح والنزول عن البلد فصالحهم واستنزلهم وتملكه آخر يوم من شوال سنة ٦٩١ هـ واستأثر به دون ابن الاحمر بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً عنه فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحب النعامة المضروب بها المثل عند العرب

وفي سنة ٦٩١ هـ المذكورة ثار عمر بن يحيي الوزير الوطاسي بحصن تازوطا على منصور بن عبد الواحد بن عبد الحق المريني عامل السلطان يوسف به وفتك بحاشيته ورجاله وازعجه عن الحصن واستولى على ما كان بقصره من مال وسلاح وضبط الحصن وشحنه بالرجال والسلاح . ولحق منصور بن عبد الواحد بعمه السلطان يوسف فهلك لليال آسفاً على ما اصابه . واهتم السلطان للامر وسار بنفسه ونازل الحصن المذكور حتى ضاق الامر علي عمر بن يحيى الوطاسي فطلب الامان فلم يؤمنه السلطان حتى يأخذ بثار ابن اخيه واستمر محاصرًا للحصن حتى

قدم عليه وفد الاندلس وفيهم الرئيس ابو سعيد بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة راغباً في الصلح مع ابن عمه ومعتذراً عنه. فارسى اساطيله بمرسى غساسة ونزل الى السلطان فسمع الوطاسي بهم وهو في الحصن فبعث اليهم يسالهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجاهتهم فشفع له الرئيس ابو سعيد فقبل السلطان شفاعته بشرط ان ينتقل بحاشيته الى الاندلس فقبل الوطاسي ذلك ونزل من الحصن واستولى السلطان عليه وانزل به عياله ومسلحته وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادي الاولى سنة ٦٩٢ هـ. والسبب في قدوم وفد الاندلس انه لما استولى الفرنج على طريف بمظاهرة ابن الاحمر لهم عليها استاثروا بها ونقضوا عهدهم معه فراجع ابن الاحمر نفسه وندم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف فاوفد عليه ابن عمه الرئيس ابا سعيد لعقد الصلح وتجديد العهد في وفد من اهل حضرته فوافوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فابرموا العقد واحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ٦٩٢ هـ واعلموه بما تم فوقع ذلك منه اجمل موقع وعزم على الرحلة الى السلطان لاظهار ممنونيته واحكام العقد فتهياء لذلك وعبر البحر في ذى القعدة سنة ٦٩٢ هـ وعلم السلطان يوسف بقدومه فالتقاه خارج فاس واكرم وفادته واسعفه بجميع مطالبه وعاد ابن الاحمر الى الاندلس آخر سنة ٦٩٢ هـ وعبرت معه عساكر السلطان يوسف لحصار طريف فنازلها مدة فامتنعت عليه وافرج عنها. وفي سنة ٦٩٣ هـ فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطاراً وعدد كؤوسها ٥١٤ كاساً وبلغ ما انفقه السلطان في بناء الجامع وعمل الثريا ثمانية الاف دينار ذهباً

وفي سنة ٦٩٥ هـ خرج السلطان يوسف من فاس قاصداً غزو تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها ورماها بالمنجنيق ٤٠ يوماً فامتنعت عليه فافرج عنها ثاني يوم عيد الفطر من السنة.

وفي سنة ٦٩٦ هـ تقدم الى تلمسان وبرز عثمان بن يغمراسن لمدافعته فانهزم وتحصن بالاسوار وحاصر السلطان يوسف تلمسان وشدد عليها القتال واشتدة

حصانتها امتنعت عليه فافرج عنها وعاد الى حضرته

وفي سنة ٦٩٨ هـ اعاد يوسف الكرة على تلمسان وحاصرها وبنى حولها سورًا وامر عساكره ببناء الدور لسكنهم فبنوا مدينة عظيمة دعاها المنصورة واستمر محاصرًا لتلمسان ماية شهر استولى في اثنائها على المغرب الاوسط

ومات عثمان بن يغمراسن اثناء الحصار فلم تكل همة اهل تلمسان ولا اعتراهم الملل بل بايعوا ابنه محمد بن عثمان بن يغمراسن وبرزوا لقتال يوسف على العادة كأن عثمان بن يغمراسن لم يمت

وفي اثناء هذا الحصار الطويل نقض ابن الاحمر صاحب الاندلس عهده مع السلطان يوسف وارسل اساطيله فاستولت على سبتة وبلغ الخبر للسلطان يوسف بمكانه من حصار تلمسان فارسل ابنه ابا سالم في جيش كثيف لمحاصرة سبتة واستخلاصها من ابن الاحمر فانهزم ولم يغن شيئًا فسخطه ابوه لذلك واهمله سنة ٧٠٣ هـ

وفي يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة سنة ٧٠٦ هـ قتل السلطان يوسف بن يعقوب قتله خصي له غيلة وبموته انقضت مدة الحصار عن آل يغمراسن واهل تلمسان . ودفن السلطان يوسف بالمنصورة المدينة الجديدة التي ابتناها وسكنها اثناء حصاره تلمسان . ثم نقل بعد ذلك الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه

٥٣٠ ــ ابو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف

من سنة ٧٠٦ — ٧٠٨ هـ او من سنة ١٣٠٧ — ١٣٠٨ م

لما توفي السلطان يوسف بن يعقوب قام بالامر بعده حفيده ابو ثابت عامر بن عبدالله بن يوسف ولاول ولايته عقد صلحًا مع آل زيان بني عبد الواد اصحاب تلمسان وافرج عن مدينتهم وقصد المغرب فدخل فاسًا فاتح سنة ٧٠٧ هـ . واذ استشعر من قرابته طمعًا في الامر قتل كثيرين منهم . ولما علم بنو يغمراسن ان ابا ثابت

قد ابعد عنهم وانه توغل في البلاد المراكشية عمدوا الى المنصورة فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحوا اثارها فاصبحت كان لم تغن بالامس

وكان السلطان ابو ثابت لما سار عن تلمسان قاصداً المغرب قد قدم بين يديه ابن عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب وامره بالنظر في احوال المغرب وامره بضبطها وتسريح مسجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل

ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن ابي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها فصمد اليها واحتل بها وتمكن منها ثم حدثته نفسه بالتوثب عليها فجاهر بالعصيان وتقبض على الوالي بمراكش الحاج المسعود فقتله في جمادى الآخرة سنة ٧٠٧ ﻫ ودعا لنفسه . واتصل الخبر بالسلطان ابي ثابت وهو بفاس فسرح اليه خمسة الاف فارس بقيادة وزيره يوسف بن عيسى ويعقوب بن آصناك فساروا الى مراكش وبرز لهم يوسف بن محمد فهزموه وعاد الى مراكش واتبعه الوزير فلحق يوسف بن محمد باغمات

ودخل السلطان ابو ثابت مراكش منتصف رجب سنة ٧٠٧ ﻫ وتتبع الثائرين مع ابن محمد المذكور فقتلهم عن آخرهم . ولما استتب له امر مراكش رجع الى فاس فوصلها منتصف ذي القعدة من السنة

وفي هذه الاثناء ظهر في بلاد غمارة شخص من بني مرين يقال له عثمان بن ابي العلاء ودعا لنفسه واطاعته البلاد وهابته العباد وبلغ السلطان ابا ثابت خبره فاهتم لامره جداً وسير العساكر فهزمهم عثمان ورجعوا مغلولين . وكان السلطان ابو ثابت مشتغلاً عنه بقتال يوسف بن محمد الثائر بمراكش فلما استولى على مراكش وفر منها يوسف المذكور عزم على غزو عثمان بن ابي العلاء ببلاد غمارة فتجهز لذلك وخرج من فاس عقب عيد الاضحى سنة ٧٠٧ ﻫ قاصداً بلاد غمارة ففر عثمان امامه الى ناحية سبتة فسار السلطان ابو ثابت في اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة ثم نازل بلاد الدمنة على شاطىء البحر فقتل الرجال وسبي النساء وانتهب الاموال حتى نزلوا على طاعته ثم ارتحل ابو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ٧٠٨ ﻫ وتحصن ابن ابي العلاء بسبتة

مع اوليائه من بني الاحمر فامر السلطان ابو ثابت ببناء مدينة تطاوين لنزول عسكره والاخذ بمخنق سبتة . ثم اوفد كبير الفقهاء بمجلسه ابا يحيى بن ابي الصبر الى ابن الاحمر صاحب سبتة في شان النزول عن البلد واقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب فادركه اجله يوم الاحد ٨ صفر سنة ٧٠٨ ه ودفن بظاهر طنجة ثم نقل الى مدفن آبائه بشالة فدفن هناك

٥٣١ — ابو الربيع سليمان بن عبد الله بن يوسف

من سنة ٧٠٨ — ٧١٠ ه او من سنة ١٣٠٨ — ١٣١٠ م

لما توفي السلطان ابو ثابت تولى بعده اخوه ابو الربيع فبث العطاء في الناس واجزل الصلات فارضى الخاصة والعامة . ثم ارتحل نحو فاس واخذ معه جند تطاوين فلما ابعدوا عن طنجة تبعهم عثمان بن ابي العلاء ودارت بين الفريقين حرب شديدة انهزم فيها عثمان واصحابه فهربوا ولحقوا بسبتة وفي الاثناء وصل الوزير ابو يحيى من الاندلس وقد عقد الصلح مع ابن الاحمر وتنازل ابن الاحمر عن سبتة لبني مرين فاسقط في يد عثمان ويئس من المغرب فعبر البحر في من معه من القرابة الى الاندلس . اما السلطان ابو الربيع فسار الى فاس ودخلها يوم ١١ ربيع الاول سنة ٧٠٨ ه فاستقامت اموره وتمهد له الملك وعقد الصلح مع آل يغمراسن بن زيان اصحاب تلمسان واقام ساكناً بحضرته مجتنياً ثمرة ملكه فساد الامن وعم العدل في ايامه وانفتحت للناس ابواب المعاش والترف فبنوا القصور الشاهقة والدور النفيسة وتغالوا في المأكل والملبس واستبحر العمران وظهرت المدنية باكمل معانيها

وكانت الرسل تتردد بين ابن الاحمر بالاندلس وابي الربيع صاحب مراكش توثيقاً لرباط المحبة والوداد فقدم من الاندلس الى فاس ذات يوم بعض المنهمكين في الشرب وشرب الخمر جهاراً في فاس وكان على قضاء فاس ابو الحسن الزرويلي المعروف بالصغير وكان شديداً على مرتكبي المحرمات فوشي اليه به فاحضره وجلده

فخرج الاندلسي وذهب الى الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي وكشف له عن جسمه واراه ما فعل به القاضي ولان السياسة شيء والدين آخر اغتاظ الوزير جداً من فعل القاضي لانه ربما كانت هذه الحادثة سبباً لقطع حبل الاتصال بين بني الاحمر بالاندلس وبني مرين بمراكش . وارضاء لخاطر الاندلسي ارسل بعض اتباعه لاحضار القاضي فامتنع القاضي عن الحضور واعتصم بالمسجد الجامع ونادي في المسلمين فثارت العامة بهم وهاج الناس وماجوا وظهرت آثار الثورة واتصل الخبر بالسلطان فتلافى الامر واحضر رسل الوزير وقتلهم فسكنت العامة ولكن اغتاظ عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي لهذا الفعل واظهر العصيان واحضر عبد الحق بن عثمان المريني وبايع له وامر العسكر بالمبايعة فبايعوا وخرج الوزير وعبد الحق ومن معهما الى ظاهر فاس مظهرين الخلاف فجمع السلطان ابو الربيع كل من قدر على جمعه وخرج لمناجزتهم الحرب فالتقوا واقتتلوا وانهزم الوزير واصحابه فلحق هو وخليفته عبد الحق بن عثمان بالاندلس واثخن السلطان في حاشيتهم واتباعهم حتى محا اثر الشقاق . ولما وصل السلطان الى تازا في اتباعهم مرض اياماً وتوفي بتازا يوم الاربعاء منسلخ جمادي الاخيرة سنة ٧١٠ هـ ودفن بصحن الجامع الاعظم بتازا

٥٣٢ — ابو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق

من سنة ٧١٠ — ٧٣١ هـ او من سنة ١٣١٠ — ١٣٣١ م

لما توفي السلطان ابو الربيع سليمان اجتمع اهل الدولة وبايعوا ابا سعيد عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق فرجع من تازا بجيش بني مرين ودخل فاساً في ٢٠ رجب من السنة وبعد ان استقبل وفود المهنئين خرج من فاس سائحاً في بلاد مراكش متفقداً احوالها ناظراً في امور رعيته وبعد ان قضى وطره من ذلك عاد الى حضرته . ثم كان ما نذكره

لما اظهر الوزير الوطاسي العصيان على السلطان ابي الربيع ثم انهزم هو وخليفته عبد الحق بن عثمان ولحقا بالاندلس كان ابو حمو الزياني صاحب تلمسان معاضداً لهما ومشجعاً اياهما ولما انهزما سهل لهما الطريق الى الاندلس

فلما تولى ابو سعيد بعد ابي الربيع اهتم بالامر وعزم على غزو تلمسان فنهض اليها سنة ٧١٤ هـ ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنيه الاميرين ابا الحسن وابا علي في عسكرين عظيمين في الجناح وسار هو في ساقتها فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعبية فاكتسح نواحيها ثم نازل وجدة وقاتلها قتالاً شديداً فامتنعت عليه ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن ابو حمو بالاسوار وغلب السلطان ابو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها تحطيماً ونسفها نسفاً ودوخ جبال بني يزناسن واثخن فيهم وانتهى في قفوله الى وجدة ففر اخوه ابو البقاء يعيش (وكان في معسكره) من اجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على ابي حمو ورجع السلطان ابو سعيد على التعبية فانتهى الى تازا فاقام بها وبعث ابنه الامير ابا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره

كان للسلطان ابي سعيد ولدان ابو الحسن علي وابو علي عمر وكان السلطان يحب اصغرهما ابا علي عمر حتى رشحه لولاية العهد من بعده ووضع له القاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة . واستمرت حال ابي علي على هذا وخاطبه ملوك النواحي وخاطبهم وهاداهم وكاد ان يستبد بالامر كله

فلما قفل السلطان ابو سعيد من تلمسان اواخر سنة ٧١٤ هـ اقام بتازا و بعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير ابو علي بها حدثته نفسه بالقيام على ابيه وخلع طاعته فجاهر بالخلعان ودعا لنفسه فاطاعه الناس وعلم السلطان ابو سعيد بذلك بمكانه من تازا فبرز لقتال ابنه وبرز ابنه لقتاله والتقى الجمعان بالقرمدة ما بين تازا وفاس فانهزم السلطان ابو سعيد وفر جريحاً الى تازا فتبعه ابنه ابو علي وحاصره بها ثم ترددت بينهما الرسل في الصلح على ان يكتفي السلطان ابوسعيد بتازا ويستمر بها ويسلم الامر لابنه فقبل ذلك وتم الصلح بهذه الكيفية . وانكفاء الامير ابو علي

راجعاً الى حضرة فاس فاعتل عقب وصوله اليها واشرف على الهلاك وخشي الناس على انفسهم اختلال الامر بعد موته فاسرعوا الى والده السلطان ابي سعيد بتازا وحملوه على تلافي الامر وانتهاز الفرصة فنهض من تازا واجتمع اليه كافة بني مرين والجند وعسكر على البلد الجديد واقام محاصرًا له وابتنى دارًا لسكناه وجعل لابنه الامير ابي الحسن علي ما كان لاخيه ابي علي عمر من ولاية العهد وتفويض الامر

ولما تبين للامير ابي علي اختلال امره بعث الى ابيه في الصلح على ان يعوضه سجلماسة وما والاها فاجيب الى ذلك ووفي له السلطان بما اشترط وارتحل الى سجلماسة سنة ٧١٥ ﻫ فاقام بها دولة فخيمة . اما السلطان ابو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد وفوض الامور لابنه ابي الحسن وعادت المياه الى مجاريها

وفي سنة ٧١٨ ﻫ وفد على السلطان ابي سعيد وفد من الاندلس والسبب في ذلك ان بطرس الاول الذي ملك البلاد على اسبانيا بعد ابيه الفونس الحادي عشر تطاول على المسلمين بالاندلس وضايقهم بغرناطة فارسلوا هذا الوفد لابي سعيد مستنجدين به على بطرس المذكور فلم يجبهم الى طلبهم الا على شرط تسليمه عثمان ابن ابي العلاء النازع بالاندلس فاستصعب اهل الاندلس هذا الطلب وعادوا منكسري الخاطر

وفي سنة ٧٢٠ ﻫ انتقض ابو علي عمر على ابيه السلطان ابي سعيد وقصد مراكش سنة ٧٢٢ ﻫ واقتحمها عنوة واستولى عليها فبرز اليه السلطان ابو سعيد وقاتله وهزمه وشتت جموعه واسترجع منه مراكش . ثم تقدم السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير ابو علي بالخضوع ورغب اليه في الصفح والرضى والعود الى السلم فاجاب السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة . واقام الامير ابو علي بمكانه الى توفي السلطان ابو سعيد وتغلب عليه اخوه السلطان ابو الحسن كما نذكره ان شاء الله تعالى

وفي سنة ٧٣٠ ﻫ وفد على السلطان ابي سعيد وفد من قبل السلطان ابي بكر ابن ابي زكريا صاحب تونس مستنجدًا به على آل يغمراسن الذين غلبوه على امره

واخرجوه من تونس وكان ابو سعيد يرغب في مصاهرة ابي بكر بن ابي زكريا الحفصي فاجابه الى طلبه وسار في عسكر بني مرين لمنازلة تلمسان فلما انتهى الى وادي ملوية علم بانتصار ابي بكر ورجوعه الى كرسي ملكه بتونس فارسل اليه وفداً يهنئه بالظفر ويخطب ابنته لابنه ابي الحسن علي فوصلوا الى الحفصي وادوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم في ابنته فاطمة شقيقة الامير ابي زكريا وزفها اليهم في اساطيله مع مشيخة الموحدين فوصلوا الى مرسى غساسة سنة ٧٣١ هـ

ولما علم السلطان ابو سعيد بقدوم العروس فاطمة بنت السلطان ابى بكر ارتحل بنفسه الى تازا ليشارف احوالها كرامة لها ولابيها وسروراً بعرس ابنه فاعتل هناك وازداد مرضه حتى اذا اشرف على الهلاك ارتحل به ولي العهد الى الحضرة فتوفي في طريقه اليها ليلة الجمعة ٢٥ ذي القعدة سنة ٧٣١ هـ وكان مرضه بعلة النقرس

٥٣٣ – ابو الحسن علي بن عثمان

من سنة ٧٣١ – ٧٥٢ هـ او من سنة ١٣٣١ – ١٣٥١ م

لما توفي السلطان ابو سعيد تولى بعده ابنه وولي عهده ابو الحسن علي بن عثمان فنقل جثة ابيه الى فاس ودفنها هناك . ولما انتهت ايام الجناز زفت اليه زوجته الحفصية . ولاول ولايته خرج الى سجلماسة مشارفاً لاحوال اخيه ابي علي عمر فتلقته وفود اخيه اثناء الطريق مؤدياً حقه وموجباً مبرته ومهنئاً بما اتاه الله من الملك . و بعد ان قضى وطره وعقد لاخيه على سجلماسة كما كان في ايام ابيه تقدم قاصداً تلمسان لعهد كان بينه و بين السلطان ابي بكر الحفصي وهو صهره كما تقدم . فسار حتى انتهي الي تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظراً القدوم صهره السلطان ابي بكر الحفصي . فعسكر ابو الحسن بتاسالت ثم بعث بحصة من جنده في البحر الي صهره الحفصي مدداً له وهو يومئذ ببجاية يقاتل جيش بني زيان عليها

ولما اتصل الخبر بابي تاشفين صاحب تلمسان فكر في امر ابي الحسن واعمل الحيلة بان دس الي اخيه الامير ابي علي عمر صاحب سجلماسة في اتصال اليد به والاتفاق معه على اخيه ابي الحسن فوافقه ابو علي على ذلك وخالف على اخيه السلطان ابي الحسن وانتقض بسجلماسة ودعا لنفسه ثم تقدم الى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملاً من قبله ثم سرح العساكر الى مراكش واجلب عليها بخيله ورجله

واتصل الخبر بالسلطان ابي الحسن وهو بمعسكره من تاسالت فانكفاء راجعاً الى الحضرة مجمعاً على الانتقام من اخيه . واغذا السير الى سجلماسة فنزل عليها واخذ بمخنقها واقام محاصراً لها حولاً كاملاً ونهض ابو تاشفين صاحب تلمسان بعساكره يريد الغارة على اطراف المغرب كي يشتغل ابو الحسن عن اخيه بذلك فارسل اليه ابو الحسن ابنه تاشفين في عسكر بني مرين فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان ثم شدد ابو الحسن الحصار على سجلماسة حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة ٧٣٤ ﻫ وتقبض على الامير ابي علي وانكفاء راجعاً الى فاس واعتقل ابا علي بها اشهراً ثم قتله . وكان عمر ابي علي يومئذ ٣٧ سنة وكانت دولته بسجلماسة ١٩ سنة وكان رقيق الحاشية ينتمي الى الادب . ومن شعره يخاطب اخاه ابا الحسن ايام حصاره له بسجلماسة وقد ايقن بزوال امره

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكم	اباد من كان قبلي يا ابا الحسن
الدهر مذكان لا يبقي على صفة	لابد من فرح فيه ومن حزن
اين الملوك التي كانت تهابهم	اسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت	رسومها وعفت عن كل ذي حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا	واستغن بالله في سر وفي علن
واختر لنفسك امراً انت آمره	كانني لم اكن يوماً ولم تكن

وفي سنة ٧٣٢ ﻫ كان قد وفد على السلطان ابي الحسن السلطان محمد بن اسماعيل بن الاحمر صاحب الاندلس مستنجداً به على الفرنج وكان السلطان أبو الحسن في ذلك الوقت مشغولاً بفتنة اخيه ابي علي ومع ذلك اجاب طلبه وسير

ابنه ابا مالك في عساكر بني مرين مددًا لابن الاحمر المذكور واتحدت عساكر ابن الاحمر مع عساكر بني مرين ونازلوا جبل طارق واقتحموه عنوة سنة ٧٣٣ هـ

ولما استقام ملك المغرب للسلطان ابي الحسن بقتل اخيه ابي علي صاحب سجلماسة ونصر الله عساكره على الفرنج بالاندلس تفرغ لشان تلمسان والانتقام من صاحبها فخرج من فاس سنة ٧٣٥ هـ واغذ السير الى تلمسان وبعد ان فتح جميع المدن التي في طريقه وصل اخيرًا الى تلمسان واحيا معالم المنصورة التي كان قد اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان كما تقدم فادار عليها سياجًا من السور ونطاقًا من الخندق ونصب المجانيق وحاصر تلمسان وشدد عليها القتال واثخن في بني عبد الواد وبالغ في النكاية حتى ضعفوا عن المدافعة واقتحم ابو الحسن المدينة واستولى عليها وازال منها اثار بني عبد الواد وغنم منها ما لا يقدر واتسعت مملكته بعد هذا الفتح وعلا صيته وعظم شانه

ولما استولى ابو الحسن على تلمسان ارسل اليه السلطان ابو بكر الحفصي صاحب تونس بقدومه اليه لقائه وتهنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان ابو الحسن لهذه المقابلة لانه كان يحب الفخر ويعني به وارتحل عن تلمسان سنة ٧٣٨ هـ وعسكر بمتيجة منتظرًا لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصي عن القدوم بسبب تثبيط محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه . وطال مقام السلطان ابي الحسن في انتظاره ثم طرقه المرض بمكانه حتى خيف على حياته وكان ابناه الاميران ابو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين في ولاية العهد وتمشت سماسرة الفتن بينهما وانقسم العسكر الى حزبين بسببهما وهمّ الامير ابو عبد الرحمن بالتوثب على الامر قبلما يتبين حال السلطان وذلك بمداخلة وزيره زيان بن عمر الوطاسي وعلم خاصة السلطان بذلك فاخبروه وحضوه على الخروج للناس قبل ان يتفاقم الامر ويتسع الخرق فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه وتسامع العسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبيل يده وتقبض السلطان على اهل الظنة من الجيش فاودعهم السجن وسخط على ابنيه

الامير ين المذكورين وطفى نار الفتنة فاشتد جزع الامير ابي عبد الرحمن وركب من فسطاطه ليلاً فاصبح بحلة اولاد علي امراء بني زغبة فقبض عليه اميرهم موسى ابن أبي الفضل ورده الى ابيه فاعتقله بوجدة ورتب عليه الحرس . اما الوزير زيان بن عمر الوطاسي فلحق بالموحدين اصحاب تونس فاجاروه . ثم رضي عن أبنه ابي مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس . وبقي الامير ابو عبد الرحمن بسجنه بوجدة الى سنة ٧٤٢ ﻫ ثم وثب ذات يوم بالسجان وقتله واتصل الخبر بابيه السلطان فارسل اليه من قتله

وفي سنة ٧٤٠ ﻫ كانت وقعة بين الامير ابي مالك ابن السلطان ابي الحسن وهو وقتئذ عامل لأبيه على ثغور الاندلس وبين افرنج الاندلس وأنتصر الافرنج وقتل ابو مالك في تلك المعركة وعلم السلطان بذلك فحزن على ابنه وارسل اساطيله فانتصرت على اساطيل الفرنج ثم اجاز السلطان البحر بقصد الجهاد واخذ ثار ابنه وبرز الفرنج لقتاله وكانت بين الفريقين موقعة شديدة ظاهر طريف فانهزم السلطان ابو الحسن هزيمة شنعاء وغنم الفرنج معسكره حتي بلغوا فسطاطه وقتلوا نساءه وخلص السلطان ابو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة . وكانت هذه الواقعة سنة ٧٤١ ﻫ

وفي سنة ٧٤٣ ﻫ استولى الفرنج على الجزيرة الخضراء بالاندلس واخرجوا منها عسكر السلطان فعبروا البحر الى العدوة الغربية فانزلهم السلطان ببلاده . ثم انكفأ السلطان ابو الحسن راجعاً الى حضرته

وفي سنة ٧٤٧ ﻫ توفي السلطان ابو بكر بن أبي زكريا الحفصي صاحب تونس وتولى بعده أبنه ابو حفص عمر مع انه لم يكن ولي عهده بل كان ولي عهده ابا العباس احمد نسيب السلطان ابي الحسن وحدث بين الاخوين فتن وحروب انتهت بقتل الامير ابي العباس واستيلاء ابي حفص على تونس وكان محمد بن تافراكين وزيره قد استشعر منه بالغدر فهرب ووفد على السلطان ابي الحسن

واغراه بملك افريقية

وكان السلطان ابو الحسن مذ استولى على تلمسان والمغرب الاوسط يحدث نفسه بغزو تونس والاستيلاء عليها انما كان يمنعه من ذلك مراعاة خاطر صهره السلطان ابي بكر الحفصي وابنه ابي العباس احمد شقيق فاطمة التي تزوجها . فلما توفي ابو بكر كما تقدم وتوثب ابنه ابو حفص عمر على ابي العباس وقتله انتهز أبو الحسن هذه الفرصة وجمع عساكره وسار حتى وصل الى تلمسان في صفر سنة ٧٤٨ ﻫ وبعد ان عقد لابنه الامير ابي عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه النظر في اموره كافة تقدم الى افريقية ونازل بجاية وقسنطينة واستولى عليهما ثم تقدم الى تونس فالتقاه اهلها مطيعين . ودخل تونس باحتفال عظيم وبعد ان شرد آل حفص الى المغرب ورتب العمال بافريقية رأى أن العرب وخصوصاً بني سليم لهم سطوة وشوكة زائدتا الحد وذلك لضعف السلاطين الحفصية لذلك الوقت فانف من ذلك وضرب على ايديهم بعصا من حديد حتى لم يبق لهم في الدولة معه مقام فلما ثقلت الوطاءة عليهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت التمسوا من اعياص الحفصية من ينصبونه للملك فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من بني عبد المؤمن وهو احمد بن عثمان بن ابي دبوس وكان يحترف الخياطة بتوزر فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر . وعلم السلطان ابو الحسن بالخبر فخرج في في عساكره اليهم فوافاهم بالموضع المعروف بالثنية بين بسيط تونس والقيروان فاجفلوا امامه الى ان وصلوا الى القيروان فلما رأوا انه لا ملجأ لهم منه تحالفوا على الاستماتة . وكان عسكر السلطان ابي الحسن يومئذ مشحوناً باعدائه مثل بني عبد الواد وغيرهم فدسوا الى العرب سراً بالاتحاد معهم

فلما دارت رحى الحرب انهزم بنو عبد الواد ومن والاهم فاختل مصاف السلطان ابي الحسن وانهزم هزيمة شنعاء وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه وتحصن بها وحاصره العرب فيها مدة ثم افترقت كلمتهم فافرجوا عنه فخرج السلطان من القيروان الى سوسة ومنها ركب البحر الى تونس فوصلها آخر سنة ٧٤٩ ﻫ فاجتمع شمله

واستتب امره

واساء عمال بني مرين السيرة في اهل افريقية حتى تطلبوا اعياص الدولة الحفصية ليولوه امرهم فوقع اختيارهم على الفضل ابي العباس بن ابي بكر وكان السلطان ابو الحسن قد عقد له على بونة ولم يشرده الى المغرب دون جميع آل حفص فانطلقوا اليه في مكانه وبايعوه وعاضدوه وحاربوا معه حتي استولى على بجاية وقسنطينة وتقدم الى حضرة تونس وحاصرها وبها السلطان ابو الحسن

وفي هذه الاثناء بلغ ابا عنان ابن السلطان ابي الحسن بمكانه من تلمسان ان اباه فقد في محاصرة العرب له بالقيروان فخاف ضياع الامر منه وسار الى المغرب ودخل فاساً واستولى عليها وخطب فيها لنفسه واستتب له الملك بالمغرب. ولما ترك تلمسان توثب بها ابن زيان في خبر طويل واستولى عليها

واتصلت هذه الاخبار بالسلطان ابي الحسن بمكان حصاره من تونس فعظمت عليه المصيبة وعزم على اللحاق بالمغرب فركب البحر من تونس بعد ان استخلف ع ابنه ابا الفضل وذلك سنة ٧٥٠ هـ وكان الوقت شتاء فلما نزل بالاسطول، عن البر هاج البحر وماج حتى غرقت جميع مراكب السلطان ابي الحسن هو على خشبة الى الجزائر بعد ما عاين الموت بعينيه

ولما وصل السلطان الى الجزائر التف حوله بعض الاعراب من اح فنهض بهم الى جهة تلمسان وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم ع الرحمن فبرزوا اليه وانهزم السلطان ابو الحسن وخاص هو الى الصح رايه على قصد المغرب موطن قومه ودار عزه وكرمي ملكه ف سجلماسة فالتقاه اهلها بكل احتفاء وتهافتوا عليه تهافت الفراش

وبلغ الامير ابا عنان الخبر بقدوم والده الى سجلماسة وجموعه . وكانت بنو مرين نافرة عن السلطان ابي الح لجنايتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشد ائد فك منابذته ومخلصين في طاعة ابنه

از الجزائر
ثمان بن عبد
راء . ثم اجمع
سار حتى احتل
على ضوء السراج
فنهض اليه في قومه
من حاذرة من عقوبته
كانوا الذ ء مجمعين على

ولما علم السلطان ابو الحسن بقدومهم علم من حاله انه لا يطيق دفاعهم فاجفل عن سجلماسة ولحق بمراكش ولما شارفها تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل اوب ونسلوا اليه من كل حدب وفر عامل مراكش الى ابي عنان. واستقر السلطان ابو الحسن بمراكش وأمل برجوع امره . اما الامير ابو عنان فانه لما علم باجفال ابيه عن سجلماسة عاد الى فاس ولما علم باستيلاء ابيه على مراكش خرج اليه في عساكره وبرز ابو الحسن للقائه وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو الحسن ولحق بجبل هنتانة ومرض هناك وتوفي ليلة الثلاثاء ٢٧ ربيع الاول سنة ٧٥٢ ه

وكان السلطان ابو الحسن افخم ملوك بني مرين دولة واضخمهم ملكاً وابعدهم صيتاً واعظمهم ابهة واكثرهم اثاراً بالمغربين والاندلس . وكان يراسل سلاطين مصر المماليك لذلك الوقت ويهاديهم واخباره اكثر من ان تنحصر في مثل هذا الكتاب الا ان اواخر ايامه كانت كما رايت

٥٣٤ – المتوكل على الله ابو عنان فارس بن ابي الحسن

من سنة ٧٥٢ – ٧٥٩ ه او من سنة ١٣٥١ – ١٣٥٨ م

بويع ابو عنان في حياة والده السلطان ابي الحسن يوم ثار عليه كما قدمنا وذلك سنة ٧٤٩ ه ولما توفي والده السلطان ابو الحسن بجبل هنتانة وانقضى شان الفتن ارتحل السلطان ابو عنان الى فاس ونقل شلو ابيه الى شالة ودفنه بها واغذا السير الى فاس وقد استتب امره وخلا له الجو وجلس على اريكة الملك وتلقب المتوكل على الله . ومن ذلك الوقت اجمع رايه على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بايديهم من الملك الذي تطاولوا اليه . وبعد ان جمع عساكره نهض في سنة ٧٥٣ ه يريد تلمسان واتصل خبره بسلطانها ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن فجمع قومه ومن شايعه ونهض للمدافعة والتقى الجمعان بسيط انكاد آخر ربيع الثاني من السنة وبعد ان اقتتلا انهزم بنو عبد الواد واسر سلطانهم ابو سعيد عثمان بن عبد

الرحمن وجيء به الى السلطان ابي عنان فاعتقله وتقدم على التعبية الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور . وبعد ان استتب امره بها امر بابي سعيد الزياني فقتل وفر اخوه ابو ثابت وجمع كثيرين من اشياعهم واتباعهم وحدث نفسه باسترجاع ملكهم فسير اليه ابو الحسن جيشاً فانهزم ابو ثابت وفر حتى وصل الى بجايه من عمل افريقية فقبض عليه اميرها ابو عبدالله محمد بن ابي زكريا الحفصي وكان مخالصاً للسلطان ابي عنان فاعتقله عنده حتى وفد به عليه بالمدية فاكرم السلطان وفادته واودع ابا ثابت السجن . ولما فرغ السلطان ابو عنان من شان المغرب الاوسط وبث عماله في نواحيه وثقف اطرافه سمى الى تملك افريقية على ما نذكره ان شاء الله تعالى

لما وفد ابو عبد الله الحفصي صاحب بجاية على السلطان ابى عنان بالمدية وذلك في شعبان سنة ٧٥٣ ﻫ وبالغ في اكرامه شكا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وغير ذلك فاشار عليه السلطان ابو عنان بالنزول له عنها على ان يعوضه عنها ما يشاء من بلاده فسارع الى قبول ذلك وعوضه السلطان عنها مكناسة الزيتون . وعقد ابو عنان عليها لعمر بن علي الوطاسي من بني الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بحصن تازوطا ايام يوسف بن يعقوب . ثم عاد السلطان ابو عنان الى تلمسان وقد اتسعت مملكته اتساعاً عظيما

وكان اهل بجاية غير راضين بما تم عليه الاتفاق بين اميرهم ابى عبد الله والسلطان ابى عنان فلما قدم اليهم عمر بن علي الوطاسي عاملاً عليهم من قبل السلطان ابى عنان اتفقوا فيما بينهم على الفتك به ففعلوا وقتلوه بمجلسه بدار الامارة وارسلوا الى ابى زيد بن محمد الحفصي صاحب قسنطينة في القدوم اليهم ليولوه امرهم فتثاقل عنهم . ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا امرهم في الرجوع الى طاعة السلطان ابي عنان فقتلوا بعض الغوغاء وارسلوا برؤوسهم اليه بدعوى انهم مسببو الفتنة وسرح السلطان ابو عنان حاجبه ابا عبد الله محمد بن ابى عمر في الكتائب اليها فدخلها فاتح سنة ٧٥٤ ﻫ فشذت صنهاجة في كل وجه وتقبض

على اصحاب الفعلة منهم واعتقلهم واركبهم الاسطول الى المغرب فاطمان النـاس وسكنوا . وبعد ان استتب امرها ارتحل الى تلمسان ومعه شيوخ الزواودة ووجوه بجاية فاكرم السلطان وفادتهم

وفي سنة ٧٥٤ هـ ثار ابو الفضل بن السلطان ابي الحسن على اخيه ابي عنان ودعا لنفسه ببلاد السوس وعلم السلطان ابوعنان بمكانه من تلمسان بالخبر فارسل اليه وزيره فارس بن ميمون بالعساكر فقاتله وهزمه وهرب ابو الفضـل متنقلاً في تلك الجهات الى ان وقع اسيراً في ايدي بعض اصحاب اخيه فاشخصه معتقلاً الى اخيه السلطان ابي عنان سنة ٧٥٥ هـ فاودعه السجن ثم امر به فقتل

وفي سنة ٧٥٦ هـ انتقض على السلطان ابي عنان وزيره وصاحب شوراه عيسى ابن الحسين بن علي من شيوخ بنى مرين ووجوهها كان السلطان قد استعمله على جبـل طارق فتمكنت رياسته وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ثم التاث حاله وضاقت مذاهبه فقبض عليه واحضر بين يدي السلطان ابي عنان فامر به فقتل وعقد على جبل طارق لولده ابي بكر السعيد

وفي سنة ٧٥٧ هـ عزم السلطان ابو عنان على فتح افريقية وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعبية الى ان وصل بجاية . ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على اثره ولما اطلت راياته وماجت الارض بجنوده ذعر اهل البلد والقوا بايديهم الى الاذعان وانفضوا من حول سلطانهم ابي العباس احمد الحفصي وجاؤا مطيعين الى السلطان ابي عنان فاستولى ابو عنان على قسنطينة وقبض على ابي العباس احمد الحفصي وسيره في الاسطول الى سبتة واعتقله بها وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج مخلوف الياباني من شيوخ بني مرين . ثم ارسل ابو عنان عساكره براً وبحراً لمنازلة تونس وسلطانها ابي اسحق ابراهيم بن ابي بكر الحفصي

ولما اتصل الخبر الى ابي اسحق المذكور اخرج حاجبه ابا محمد بن تافراكين

لقتالهم فقاتلهم ابن تافراكين يوماً او بعض يوم ثم ركب الليل الى المهدية وتحصن بها ودخل اولياء السلطان ابي عنان الى تونس في رمضان سنة ٧٥٨ ھ واقاموا بها الدعوة المرينية وانفذوا الكتب الى السلطان ابي عنان بالفتح فعظم سروره وعزم على المسير الى تونس. وكانت عساكره قد ملت الغربة واعياهم التعب فتآمروا فيما بينهم على قتل السلطان ابي عنان واسرّوا بذلك الى وزيره فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وعلم بعض مشيخة بني مرين بالخبر فاوصله للسلطان وكان قد خرج من قسنطينة قاصداً تونس فلما تحققه وعلم عدم مقدرته المقاومة انكفاء راجعاً الى المغرب دار ملكه فدخل فاساً غرة ذي الحجة سنة ٧٥٨ ھ ولما استقر بها قبض على وزيره فارس بن ميمون ومن وافقه على قتل السلطان وقتلهم جميعاً. واستوزر بعد فارس المذكور سليمان بن داود وارسله في العساكر الى افريقية لاتمام فتحها وخرج هو في اثره حتى احتل تلمسان و بعدان شارف احوالها رجع الى المغرب فوصل فاساً منتصف ذي القعدة سنة ٧٥٩ ھ

ولما استقر السلطان ابو عنان بفاس لحقه مرض اودى بحياته وكانت وفاته يوم السبت ٢٨ ذي الحجة سنة ٧٥٩ ھ وكان السلطان ابو عنان من عظماء سلاطين هذه الدولة

٥٣٥ — السعيد بالله ابو بكر بن ابي عنان

من سنة ٧٥٩ — ٧٦٠ ھ او من سنة ١٣٥٨ — ١٣٥٩ م

لما توفي السلطان ابو عنان اجتمع الوزراء وار باب الدولة و بايعوا ابنه ابا بكر ولقبوه السعيد بالله وقام بامر دولته الوزير حسن بن عمر الفودودي واستبد بالامر وصار صاحب الامر والنهي ولم يكن للسلطان ابي بكر معه الا الاسم فقط

وكان السلطان ابو بكر ضعيف الراى غير اهل لتبوء كرسي السلطنة وفي ايامه ضعفت الدولة المرينية الى درجة لم يسبق لها نظير وانخلعت عنها الممالك التي كانت

تحت تملكها فان ابا العباس احمد بن ابي بكر الحفصي كان قد هرب من معتقله بسبتة ولحق بتونس واستولى عليها وجدد بها ما اندرس من امر آبائه . وظهر ابو حمو موسى بن يوسف الزياني والتف حوله بنو عبد الواد واستولى على تلمسان ومحا منها الدعوة المرينية وذلك بخلاف الفتن التي ظهرت بالمغرب واستيلاء كل عامل على ما بيده حتى اوشكت الدولة على الضياع

وفي هذه الاثناء ظهر منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ابن عبد الحق ودعا لنفسه فاطاعه غالب اهل المغرب وحارب السعيد بالله ابا بكر وكاد يستولي على الامر وينتزعه منه لولا ظهور ابي سالم ابراهيم بن ابي الحسن وانتزاعه الامر منهما معاً كما ستراه

وكان من خبره انه كان مستقراً بالاندلس بعثه اليها اخوه ابو عنان ولما مات ابو عنان وولي ابنه الصبي طمع ابو سالم هذا في الملك واجاز البحر الى المغرب ونزل بجبل غمارة فانصرفت اليه وجوه اهل المغرب وبطل امر السلطانين ابي بكر السعيد ومنصور بن سليمان معاً وذابا كما يذوب الملح فاما منصور بن سليمان فانه فر الى بادس فقبض عليه وجيء به الى السلطان ابي سالم فقتله . اما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور ابي سالم واستفحال امره نبذ دعوة سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى ابي سالم ووعده بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه فكان الامر كذلك . وخلع السعيد يوم الثلاثاء ١٢ شعبان سنة ٧٦٠ هـ ثم قتل بعد ذلك

٥٣٦ – المستعين بالله ابو سالم ابراهيم بن ابي الحسن

من سنة ٧٦٠ – ٧٦٢ هـ او من سنة ١٣٥٩ – ١٣٦١ م

لما قدم السلطان ابو سالم من الاندلس ونزل بجبال غمارة كثر اتباعه وعظم شانه ولحق به وجوه بني مرين وكانت الفتن قائمة بين السلطانين السعيد ومنصور

ابن سليمان فلما ظهر ابو سالم انفضت الجموع عنهما ولحقوا بابي سالم المذكور وراى الحسن بن عمر الفودودي وزير السعيد تمكن ابي سالم بالامر فارسل اليه بطاعته وطلب اليه القدوم الى فاس ليمكنه منهـا ثم قام على سلطانه السعيد وخلعه فاغذا ابو سالم السير الى فاس والتقاه الحسن بن عمر المذكور واسلمه ابن اخيه السعيد وبايعه ودخل ابو سالم البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة ٧٦٠ ﻫ واستولى على ملك المغرب وعقد للحسن بن عمر على مراكش تخففاً منه وريبة بمكانه من الدولة واستتب الامر لابي سالم وعظم صيته وعلا شانه وتلقب المستعين بالله

وفي سنة ٧٦١ ﻫ وفد على ابي سالم السلطان الغني بالله بن الاحمر صاحب الاندلس ووزيره ابن الخطيب الشهير مخلوعين فاكرم وفادتهم ووسع لهم في بلاده

وفي هذه السنة (٧٦١ ﻫ) انتقض الحسن بن عمر بمراكش لانه استشعر بتنكر السلطـان له فخشي على نفسه وخرج من مراكش في صفر من هذه السنة فلحق بتادلا منحرفاً عن السلطان ومجمعاً على الخلاف فارسل اليه السلطان عساكره بقيادة وزيره الحسن بن يوسف فقاتله حتى قتله وصار عبرة لمن اعتبر

ولمـا استوثق للسلطان ابي سالم ملك المغرب ومحا اثر الخوارج منه سمت همته الى تملك تلمسان كما كان لابيه واخيه من قبل فجهز العساكر لهذا الغرض وارتحل من فاس منتصف سنة ٧٦١ ﻫ الى تلمسان . واتصل خبر نهوضه بسلطانها ابي حمو بن يوسف الزياني فجمع شيعته وخرج من تلمسان الى الصحراء وتقدم ابو سالم ودخل تلمسان بلا معارض واستولى عليها . فخالفه ابو حمو في اصحابه الى المغرب فنزلوا آكرسيف ووطاط وبلاد ملوية وحطموا زرعها وانتسفوا بركتها وخربوا عمرانها

وبلغ السلطان ابا سالم الخبر فاهمه امر المغرب وكان في جملته من بني زيان محمد بن عثمان بن ابى تاشفين ويكني ابا زيان فعقد له على تلمسان واعطاه الآلة وجمع له جيشاً من مغراوة وبنى توجين ودفع لهم اعطياتهم وانكفا راجعاً الى فاس

فاجفل ابو حمو واصحابه امامه وخالفوه الى تلمسان فطردوا عنها ابا زيان واستولوا عليها . وثبت قدم ابي حمو بها وعاد ابو زيان الى المغرب لاحقاً بالسلطان ابى سالم فقبله وعقد المهادنة مع ابى حمو واستقر الامر على ذلك

وكان للسلطان ابى سالم وزير يعرف بالخطيب ابي عبد الله بن مرزوق وقد القى اليه زمام الدولة فصار المطلق التصرف فيها فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه واتفقوا على خلع السلطان ابى سالم وتولية اخيه تاشفين الموسوس ابن ابي الحسن وتربصوا الفرص لاتمام غرضهم فلما كان اواخر سنة ٧٦٢ هـ انتقل السلطان ابو سالم من فاس الجديد الى فاس القديم فاجتمعوا بفاس الجديد وثاروا به وبايعوا صاحبهم وعلم السلطان بذلك وخرج لمنعهم عن اتمام غرضهم فقاتلوه وقتلوه وكان ذلك يوم الخميس ٢١ ذي القعدة سنة ٧٦٢ هـ . وكان المتولي كبر هذه الفتنة عمر بن عبد الله الفودودي

٥٣٧ — ابو عمر تاشفين الموسوس بن ابي الحسن

من سنة ٧٦٢ — ٧٦٣ هـ او من سنة ١٣٦١ — ١٣٦١ م

لما ثار عمر بن عبد الله الفودودي بالسلطان ابي سالم وسعى في هلاكه الى ان قتل كما مر استبد بامر الدولة ونصب هذا الموسوس يموه به على الناس فبويع ليلة الثلاثاء ١٩ ذي القعدة سنة ٧٦٢ هـ . وعظم امر استبداد عمر بن عبدالله الفودودي على مشايخ بني مرين وكرهوا ذلك فارسلوا الى عبد الحليم بن ابي علي بن ابي سعيد المريني وكان مقيماً بتلمسان واستقدموه من هناك ليولوه امرهم فسرحه ابو حمو صاحب تلمسان اليهم واعانه بالسلاح والرجال فقدم الى فاس وتلقته جماعة بني مرين بسبوا ونزلوا على فاس الجديد يوم السبت ٧ محرم سنة ٧٦٣ هـ وحاصروا دار الملك سبعة ايام فقاتلهم عمر بن عبدالله وهزمهم واجلاهم عن المدينة فخرج كل واحد على وجهه ولحق عبد الحليم بتازا . ثم راجع عمر بن عبد الله بصيرته وعلم ان الامر لا

يستقيم له اذا ابقى ابا عمر تاشفين لانه كان معتوهاً وانه لا بد من قيام بني مرين عليه حتى يولوا الامر مستحقه فبادر باستقدام ابي زيان محمد بن ابي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي الحسن وكان بالاندلس فقدم . وخلع الوزير سلطانه الموسوس يوم الاثنين ٢١ صفر سنة ٧٦٣ هـ فكانت دولته ثلاثة اشهر ويومين

٥٣٨ — ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن

من سنة ٧٦٣ — ٧٦٨ هـ او من سنة ١٣٦١ — ١٣٦٦ م

وبعد ان خلع عمر بن عبد الله سلطانه الموسوس كما تقدم نصب للامر بعده ابا زيان محمد بن ابي عبد الرحمن ولقبه المتوكل على الله واستمر على استبداده بامر الدولة . وكان ابو زيان متساهلاً معه تاركاً الامر له ولكن لما طال استبداد الوزير على ابي زيان المذكور عزم على الفتك وتناجى بذلك مع بعض ندمائه واعد له طائفة من العبيد كانوا يختصون به فنمي ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عيناً له عليه فعاجله وقتله فاتح سنة ٧٦٨ هـ

٥٣٩ — ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن

من سنة ٧٦٨ هـ — ٧٧٤ هـ او من سنة ١٣٦٦ — ١٣٧٢ م

لما قتل الوزير عمر بن عبدالله السلطان ابا زيان محمداً استدعى عبد العزيز ابن ابي الحسن هـذا وكان في بعض الدور من القصبة بفاس محتاطاً عليه من قبل الوزير المذكور فاحضره في القصر واجلسه على سرير الملك وبايعه الناس وتم له الامر . وجرى معه الوزير على عادته من الاستبداد ومنعه عن التصرف في شيء من امور الملك فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك وعزم على الفتك بالوزير وامر

بعض خصيانه بقتله متى امرهم بذلك ثم احضره يوماً ما ووبخه وامر اولئك الخصيان فقتلوه واستراح السلطان منه . وانعش السلطان عبد العزيز هذا دولة بني مرين بعد تلاشيها واعاد اليها شبابها بعد هرمها وتقاضيها وازال عنها وصمة الحجر والاستبداد واعادها من العز الى حالها المعتاد . وهو الذي ذكره ابن خلدون في تاريخه الكبير والفه برسمه وحلى ديباجته باسمه

وبعد ان استتب الامر للسلطان ابي فارس عبد العزيز بالمغرب ومحا منه اثار الثوار الذين ظهروا لاول دولته عزم على قصد تلمسان فجهز العساكر ونهض من فاس اوائل سنة ٧٧٢ هـ فاحتل بتازا واتصل خبره بابي حمو بن يوسف فجمع جموعه وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة اصحابه وتفرق عنه اكثرهم فاجفل هو فيمن بقي معه عن تلمسان ودخلوا الصحراء وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء سنة ٧٧٢ هـ فدخلها في يوم مشهود واستولى عليها وسير بعضاً من عساكره بقيادة وزيره ابي بكر بن غازي بن الكاس في اتباع ابي حمو فادركوه ببعض بلاد زناتة الشرق فاجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب باسره وهرب ابو حمو ناجياً بنفسه الى القفر ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرد عصاته واستنزل ثواره واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال واستوثق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه وقام بتلمسان حتى توفي بها كما ستراه ان شاء الله

وفي سنة ٧٧٣ هـ وفد على السلطان عبد العزيز بتلمسان الوزير ابن الخطيب نازعاً عن سلطانه الغني بالله بن الاحمر صاحب الاندلس (الذي كان استولى مرة ثانية على غرناطة بالاندلس سنة ٧٦٣ هـ في خبر طويل نذكره بالتفصيل في ذكر الدولة الاحمرية النصرية ان شاء الله) فاكرم السلطان وفادته وبعد قليل لحق بالسلطان مرض شديد حتى نحل جسمه فخاف على نفسه وعزم على المسير الى المغرب وتجهز لذلك وخرج الى ظاهر تلمسان لهذا القصد فقضى نحبه بظاهر تلمسان ليلة

الخميس ٢٢ ربيع الآخر سنة ٧٧٤ هـ فحملت جثته الى فاس ودفنت بها وكانت دولته ست سنين واربعة اشهر

٥٩٠ – السعيد بالله ابو زيان محمد بن عبد العزيز

من سنة ٧٧٤ – ٧٧٦ هـ او من سنة ١٣٧٢ – ١٣٧٤ م

لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز بمكانه بظاهر تلمسان قام وزيره ابوبكر ابن الغازي بن الكاس واخذ ابنه ابا زيان وكان صبياً صغيراً وقدمه لمشيخة بني مرين لمبايعته فبايعوه ولقب السعيد بالله وتم امره وكفله الوزير المذكور فكان اليه الابرام والنقض والصبي كالعدم اذ لم يكن في سن التصرف ثم ارتحل الوزير بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس واجلس الصبي للبيعة العامة فبايعوه

ولما فصل بنو مرين عن تلمسان عاد اليها سلطانها ابو حمو بن يوسف الزياني واستولى عليها ومحا منها دعوة بني مرين واتصل الخبر بالوزير ابي بكر فهم بالنهوض اليه ثم ثني عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن بن ابي علي ابن ابي سعيد بناحية بطوية فان السلطان ابن الاحمر كان قد سرحه من الاندلس لطلب ملك المغرب تشفياً على الوزير ابي بكر بن غازي ثم اتبعه بالامير ابي العباس احمد بن السلطان ابي سالم المريني الذي كان محتاطاً عليه بطنجة . فزحف الامير ابو العباس المذكور الى فاس وظاهره ابن عمه الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن فحاصروا الوزير ابا بكر وسلطانه ابا زيان بن عبد العزيز وامدهم ابن الاحمر بجمع من جنده فاستمر الحال على حصار فاس الى ان اذعن الوزير ابو بكر لخلع سلطانه ابي زيان ومبايعة الامير ابي العباس فخلعه يوم الاحد ٦ محرم سنة ٧٧٦ هـ وغرب الى الاندلس فكانت دولته سنة وثمانية اشهر واربعة عشر يوماً

٥٤١ - ابو العباس احمد بن ابي سالم

من سنة ٧٧٦ - ٧٨٦ ﻫ او من سنة ١٣٧٤ - ١٣٨٤ م

بويع لابي العباس احمد بن ابي سالم هذا في طنجة سنة ٧٧٥ ﻫ ثم بويع البيعة العامة في المدينة البيضاء (فاس الجديد) بعد استيلائه عليها في ٦ محرم سنة ٧٧٦ ﻫ

وكان الامير عبد الرحمن بن ابي يفلوسن عند ما اشرفوا على فتح فاس شرط عليهم ولاية مراكش فعقدوا له عليها فارتحل الى مراكش واستولى عليها واستقل السلطان ابو العباس بملك فاس واعمالها واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس . واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعل اليه المرجع في نقضه وابرامه فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية واصبح المغرب كانه من بعض اعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان ابي العباس على ملك المغرب حتى تم له

ولما ذهب عبد الرحمن بن ابي يفلوسن الى مراكش استولى عليها واستبد بها وانقسمت المملكة الى دولتين فاس لابي العباس ومراكش لعبد الرحمن ثم حصلت بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها خروج ابي العباس من فاس سنة ٧٨٤ ﻫ قاصدًا مراكش فوصلها ونازلها وضيق عليها الحصار ودافع عنها عبد الرحمن بقدر ما في امكانه حتى قتل في المعركة ودخل ابو العباس مراكش واستولى عليها

وفي اثناء حصار ابي العباس لمراكش اغار ابو حمو بن يوسف الزياني صاحب تلمسان على اطراف المغرب باغراء عبد الرحمن ودخل في جموعه احواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعاً وضربوا قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت

وبينا هم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بانتصار ابي العباس واستيلائه على مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فاجفلوا من كل ناحية ولحق ابو حمو بتلمسان .

اما السلطان ابو العباس فانه بعد ما فتح مراكش وصل الى فاس واراح بها اياماً ثم اجمع النهوض الى تلمسان لينتقم من ابي حمو فخرج من فاس لهذا القصد وعلم ابو حمو بنهوضه فاضطرب وجمع امواله وحرمه ولحق ببلاد مغراوة وجاء السلطان ابو العباس الى تلمسان وملكها واستقر بها اياماً ثم هدم اسوارها وقصور الملك بها جزاء لما فعله ابو حمو في تخريب قصر تازروت . ثم خرج من تلمسان في اتباع ابي حمو فبلغه الخبر باجازة موسى بن ابي عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك كما سنذكره فانكفاء راجعاً الى المغرب ورجع ابو حمو الى تلمسان واستقر ملكه بها

قد قدمنا ما كان من تحكم ابن الاحمر في مملكة المغرب وداله على السلطان ابي العباس بما انه كان السبب في ولايته . وكان مع كثرة تحكمه يتجنى عليهم في بعض الاوقات بما ياتونه من تقصير في شفاعة او مخالفة في امر لا يجدون عنها محيصاً فيضطغن ذلك عليهم . وكان يعتد على السلطان ابي العباس بشيء من هذه المنات فلما نهض الى تلمسان واستولى عليها اتصل بابن الاحمر ان دار الملك بفاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فانتهز الفرصة وبادر بتسريح موسى بن السلطان ابي عنان الى المغرب واستوزر له مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي . فنزل موسى بن ابي عنان سبتة فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فدخلت في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها واتصل الخبر بالسلطان ابي العباس وهو بتلمسان فجاء مبادراً فلما وصل الى الموضع المعروف بالركن انتقض عليه روساء جيشه وتسللوا عنه الى موسى بن ابى عنان طوائف وافراداً . فلما راى ابو العباس ما نزل به رجع الى تازا وذلك يوم الاحد ٣٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ ه

ثم بعث موسى بن ابى عنان من اتاه بالسلطان ابي العباس في الامان فقدم عليه وقيده وبعثه الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطاً عليه الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

٥٤٢ ــ ابو فارس موسى بن ابي عنان

من سنة ٧٨٦ ــ ٧٨٨ هـ او من سنة ١٣٨٤ ــ ١٣٨٦ م

بويع لابي فارس موسى هذا يوم الخميس ٢٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ ولقب المتوكل على الله وقام بامر دولته وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي مستبداً عليه . وثار عليه لاول دولته الحسن بن الناصر بجبال غمارة داعياً لنفسه فكثر اتباعه وعظم ضرره فارسل اليه الوزير مسعود العساكر بقيادة اخيه مهدي بن عبد الرحمن بن ماساي فحاصره بجبل الصفيحة اياماً فامتنع عليه

وفي هذه الاثناء حصلت نفرة بين السلطان ابي فارس ووزيره مسعود طلب مسعود لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لمدافعة الحسن بن الناصر القائم بغمارة واستخلف على دار الملك اخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساي فلما انتهى الى قصر كتامة بلغه الخبر بوفاة السلطان موسى بن ابي عنان . وكانت وفاته يوم الجمعة ٣ رمضان سنة ٧٨٨ هـ قيل مسموماً

٥٤٣ ــ ابو زيان محمد بن ابي العباس بن ابي سالم

سنة ٧٨٨ هـ اوسنة ١٣٨٦ م

بويع لابي زيان محمد هذا يوم الجمعة ٣ رمضان سنة ٧٨٨ هـ بعد وفاة خاله موسى بن ابي عنان ولقب المنتصر بالله . ولم تطل مدة ملكه لانه خلع يوم الجمعة ١٥ شوال من السنة فكانت ولايته ٤٣ يوماً تحت استبداد الوزير مسعود . ولما خلع غرب الى الاندلس مع ابيه

٥٤٤ – ابو زيان محمد بن ابي الفضل بن ابي الحسن

من سنة ٧٨٨ – ٧٨٩ ھ او من سنة ١٣٨٦ – ١٣٨٧ م

بويع السلطان ابو زيان محمد بن ابي الفضل يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٧٨٨ھ بعد خلع ابي زيان بن ابي العباس وقام بامره الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي . ولقب ابو زيان محمد هذا بالواثق بالله . ثم حدثت فتنة بين الوزير مسعود وابن الاحمر بسبب ان الوزير طلب منه اعادة سبتة الى الايالة المرينية وكان موسى بن ابي عنان قد نزل عنها كما مر فاستشاط ابن الاحمر لهذا الطلب غضباً واساء الرد . فجهز الوزير ابن ماساى عساكره وارسلهم لحصار سبتة فاستولوا عليها

ولما اتصل الخبر بابن الاحمر سرح السلطان ابا العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه وللتشغيب على ابن ماساي الجاحد لاحسانه بزعمه . فعبر السلطان ابو العباس البحر الى المغرب فاحتل سبتة واستولى عليها ثم تقدم الى فاس وحاصرها وضيق على ابن ماساي وسلطانه الواثق بالله واهرع الناس الى الدخول في طاعته واستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة أشهر ثم اذعن الوزير مسعود للطاعة على شرط ان يبقى وزيراً ويغرب سلطانه الى الاندلس فاجيب الى ذلك وخلع الواثق بالله ثم خرج الى السلطان ابى العباس فبايعه وتقدم امامه فدخل دار ملكه يوم الخميس ٥ رمضان سنة ٧٨٩ھ . ولحين دخوله قبض على الواثق بالله فقيده وبعث به الى طنجة فقتل بها بعد ذلك بقليل

٥٤٥ – ابو العباس احمد بن ابي سالم ثانية

من سنة ٧٨٩ – ٧٩٦ ھ او من سنة ١٣٨٧ – ١٣٩٣ م

لما دخل ابو العباس حضرة فاس الجديد في التاريخ المتقدم بويع البيعة العامة

يوم السبت ٧ رمضان سنة ٧٨٩ هـ . ولما استقر قدمه قبض علي الوزير مسعود ابن عبد الرحمن بن ماساي واخوته وقتلهم بعد ان اذاقهم من العذاب اشكالاً والواناً وجعلهم عبرة للمعتبرين

وفي سنة ٧٨٨ هـ ثار ابو تاشفين بن ابي حمو بن يوسف على ابيه ابى حمو صاحب تلمسان واستمد ابو تاشفين السلطان ابا العباس سنة ٧٩١ هـ فامده بابنه الامير ابي فارس ووزيره محمد بن يوسف عقد لهما على جيش كثيف من بني مرين وغيرهم فانتصر ابو تاشفين على ابيه فقتله و بعث براسه الى السلطان ابي العباس ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة ٧٩١ هـ واستمر بها مقيماً لدعوة السلطان ابي العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان ويبعث اليه بالضريبة كل سنة واستمر على ذلك الى ان مات سنة ٧٩٥ هـ فتغلب على تلمسان اخوه الامير يوسف بن ابي حمو ولما اتصل الخبر بابي العباس خرج من الحضرة الى تازا ومن هنالك بعث ابنه الامير ابا فارس في العساكر الى تلمسان فاستولى عليها واقام فيها دعوة والده وفر يوسف بن ابي حمو الى بعض الحصون . واستمر السلطان ابو العباس بتازا يشارف لاحوال ابنه حتى مرض هنالك وتوفي ليلة الخميس ٧ محرم سنة ٧٩٦ هـ

٥٤٦ — ابو فارس عبد العزيز بن ابى العباس

من سنة ٧٩٦ ــ ٧٩٩ هـ او من سنة ١٣٩٣ — ١٣٩٦ م

لما توفي السلطان ابو العباس احمد بن ابي سالم بمكانه من تازا ارسل ارباب الدولة الى ابنه ابى فارس عبد العزيز واستدعوه من تلمسان فقدم عليهم بتازا و بايعوه يوم السبت ٩ محرم سنة ٧٩٦ هـ ولما تم امره اطلق ابا زيان بن ابي حمو الزياني وكان معتقلاً عنده بفاس و بعثه الى تلمسان اميرًا عليها من قبله فسار اليها ابو زيان وملكها واقام فيها دعوة السلطان ابى فارس

وكان السلطان ابو فارس يكره سفك الدماء لرقة قلبه وكثرة شفقته فارتاحت البلاد في ايامه ولم يحصل فيها من الحروب ما يذكر ولكنه لم تطل مدته اذ توفي يوم السبت ٨ صفر سنة ٧٩٩ هـ . وكان يحسن قرض الشعر و يحب سماعه فمن نظمه وقد نزل المطر يشكر الله عليه

الله يلطف بالعباد فواجب   ان يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه   من بعدما قنطوا و ينشر رحمته

٥٤٧ — ابو عامر عبد الله بن ابي العباس

من سنة ٧٩٩ — ٨٠٠ هـ او من سنة ١٣٩٦ — ١٣٩٨ م

لما توفي السلطان ابو فارس عبد العزيز بن ابي العباس تولى بعده اخوه ابو عامر عبد الله وتلقب بالمستنصر بالله وكان التصرف في ايامه للوزراء وارباب الدولة ولم تطل مدة ملكه لانه توفي يوم الثلاثاء ٣٠ جمادى الآخرة سنة ٨٠٠ هـ لسنة وخمسة اشهر تقريباً من ولايته

٥٤٨ — ابو سعيد عثمان بن ابي العباس

من سنة ٨٠٠ — ٨٢٣ هـ او من سنة ١٣٩٨ — ١٤٢٠ م

لما توفي السلطان ابو عامر عبد الله بن ابي العباس تولى بعده اخوه ابو سعيد عثمان بن ابي العباس وهو ثالث الاخوة الذين تولوا الامر بعد ابيهم ابي العباس وكان هذا السلطان ضعيف الراي قليل العزم فاتر الهمة فانغمس في الشهوات واللذات الجسدانية تاركاً امور الدولة بيد الوزراء يتصرفون فيها كما يشاؤون

ومن اهم الحوادث في ايامه استيلاء البرتغال على مدينة سبتة وانتزاعها من الدولة المرينية وذلك سنة ٨١٨ هـ

وفي سنة ٨٢٣ هـ توفي السلطان ابو سعيد عثمان بن ابي العباس وتولى بعده ابنه عبد الحق

٥٤٩ — عبد الحق بن ابي سعيد

من سنة ٨٢٣ — ٨٦٩ هـ او من سنة ١٤٢٠ — ١٤٦٥ م

لما توفي السلطان ابو سعيد عثمان بن ابي العباس تولى بعده ابنه عبدالحق وهو آخر ملوك بني عبد الحق من بنى مرين واطولهم مدة واعظمهم محنة وشدة وفي ايامه ضعف امر بني مرين جداً وتداعى الى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب شان دولة ابيه من قبله · ومن وزراء السلطان المذكور الوزير ابو زكريا يحيى بن زيان الوطاسي الذي استبد بالامر حتى توفي سنة ٨٥٢ هـ وولي الوزارة بعده علي بن يوسف الوطاسي وارتاحت البلاد في مدته لحفظه امور الملك ورفقه بالرعية مع العدل وحسن الادارة ثم توفي سنة ٨٦٣ هـ فقدم للوزارة بعده ابو زكريا يحيى بن يحيى الوطاسي وهذا ابتدأ ان يجري في الدولة تحسينات مجاراة لباقي الدول المعاصرة له وكان يكره البقاء على القديم ولهذا السبب هاج عليه اهل المغرب وشكوه الى السلطان عبد الحق فقتله وقتل معه جميع الوطاسيين الا من كان منهم طويل العمر ثم استعمل على وزارته هارون وشاويل اليهوديين نكاية باهل دولته لتوالي هياجهم عليه فاساء اليهوديان السيرة في الرعية الى درجة لا تحتمل وتحكم اليهود على المسلمين في المغرب بسببهما

ولما ضاق الامر باهل المغرب من جرى فعل اليهود اجتمعوا الى الشريف ابي عبدالله الحفيد من بقايا الادريسيين الذي حكموا المغرب في مبدأ الاسلام وبايعوه والتفت عليه خاصتهم وعامتهم وتقدموا الى فاس وقتلوا الوزيرين اليهوديين واثخنوا في جميع اليهود القاطنين المدينة فقتلوهم واستلبوهم واصطلبوا نعمتهم واقتسموا اموالهم · وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائباً في حركة له

بعض النواحي واتصل به الخبر بمكانه فانفض مسرعاً الى فاس ولما قربها ثار عليه جنده . واتصل الخبر باهل فاس وسلطانهم الحفيد فخرجوا من فاس وقبضوا على السلطان عبد الحق وقتلوه وذلك سنة ٨٦٩ هـ وبه انقرضت دولة بني عبد الحق من بني مرين وفي ايامه استولى البرتغال على طنجة سنة ٨٦٩ هـ والله غالب على امره

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث واوله
الدولة النصرية الاحمرية بالاندلس

وكان الفراغ من طبعه في شهر اكتوبر سنة ١٩٠٧